

کتاب الفقه فی الغرائب

الطبعة المصححة

لِلْعِلْمِ وَالْفَنِّ لِلْحِزْبِ الْأَكْبَرِ
الْقَبِيحِ مُحَمَّدٍ خُزَّاءِ الْفَيْضِ الْبَهِيصِ هَدَايِ
مِنَ أَعْلَامِ الْقُرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

تحقیق
حسین در گاہی

المعجم الأول

تَقْسِيمُ
كَنْزِ الدَّقَائِقِ وَبَحْرِ الْغَرَائِبِ

الطَّبَعَةُ الْمُنْقَحَةُ

الجزء الأول

لِلْعَلَامَةِ الْمُفَسِّرِ الْحَاضِرِ الْأَدِيبِ
الْشَيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْقَيُّوْمِ الشَّهْرَدَارِيِّ

مِنْ أَعْلَامِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

مُحَقَّقُونَ
مُحَسِّنٌ دَرَكَاهُنِ



سرشناسه : قمی مشهدی، محمد بن محمد رضا، قرن ۱۲ ق.
 عنوان و پدیدآور : تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب/محمد بن محمد رضا القمی مشهدی؛ تحقیق حسین درگاهی.
 مشخصات نشر : تهران: شمس الضحی، ۱۳۸۷.
 مشخصات ظاهری : ۱۴ ج.
 شابک : (ج ۱)؛ ۰ - ۰۷ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸ ISBN
 (دوره)؛ ۳ - ۰۶ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸ ISBN
 وضعیت فهرستوبی : فیا.
 یادداشت : کتاب حاضر در سال های مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است.
 موضوع : تفاسیر ماثوره -- شیعه امامیه.
 موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۲ ق.
 شناسه افزوده : درگاهی، حسین، ۱۳۳۱ - ، مصحح.
 رده بندی کنگره : ۱۳۸۷ ک ۹۵ ق / ۳ / ۹۷۸ BP
 رده بندی دیویی : ۲۹۷ / ۱۷۳۶
 شماره کتابخانه ملی : ۱۶۳۰۶۱۷



تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب، الجزء الأول

تألیف: الشیخ محمد بن محمد رضا القمی مشهدی

تحقیق: حسین درگاهی

منشورات مؤسسة شمس الضحی

الطبعة الاولى: ۱۴۳۰ هـ ق - ۱۳۸۷ هـ ش.

طبع في ۱۰۰۰ نسخة

المطبعة: نگارش

سعر الدّورة في ۱۷ مجلداً: ۱۱۰/۰۰۰ تومناً

شابک (ردمک): الجزء الأول: ۰۷ - ۰۶ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸

شابک (ردمک) الدّورة في ۱۴ مجلداً: ۰۶ - ۰۳ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸

صندوق البريد: تهران ۳۱۴۱ - ۱۹۳۹۵



مراكز التوزيع:

- (۱) قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ۶۵، هاتف و فکس: ۷۷۳۳۴۱۳ - ۷۷۴۴۹۸۸ (۹۸۲۵۱)
- (۱) قم، شارع صفائی، مقابل زقاق رقم ۳۸، منشورات دلیل ما، هاتف ۷۷۳۷۰۱۱ - ۷۷۳۷۰۰۱
- (۲) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ۳۲، منشورات دلیل ما، هاتف ۶۶۴۶۴۱۴۱ - ۶۶۴۶۴۱۴۱
- (۳) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة السادري، زقاق خوراكیان.
- بنایة گنجینه کتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دلیل ما، هاتف ۲۲۳۷۱۱۳ - ۵ - ۰۵۱۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الإهداء إلى :

إمامنا ومحقق زماننا، اليوم الموعود، والشاهد والمشهود،
والنور الأزهر، والضيء الأنور، المنصور بالرعب، والمظفر بالسعادة،
فضل اللهم عليه عدد الثمر وأوراق الشجر وأجزاء المدر وعدد الشعر والوبر،
وعدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك، صلاة يغطه بها الأولون والآخرون.

المحقق

كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد نبيّنا وآله الطيّبين الطاهرين ، ولاسيما بقيّة الله في الأرضين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين .

و بعد :

١. فإنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى أنزله إلى رسوله ﷺ ، وقال فيه : « كَتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ »^(١) وتجلّى له فيه علا مجده . قال أبو عبد الله عليه السلام : لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون^(٢) فيبدو أنّ القرآن أولاً تعريف الله تعالى نفسه المقدّسة لنبيه ﷺ .

٢. إنّ القرآن نور ، وبرهان وذكر . قال تبارك وتعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »^(٣) و « يا أيّها الناس قد جاءكم برهان من ربّكم »^(٤) و « إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ »^(٥) وكلّها هي الحقيقة المحمّديّة في الباطن . قال أبو جعفر عليه السلام : الذكر رسول الله ﷺ وأهل بيته أهل الذكر وهم المسؤولون^(٦) . فيعلم أنّه ثانياً تعريف الله تعالى نبيه لنفسه الشريفة ﷺ .

٢. التّنبّهات العلّية ١٣٩، عوالي اللّثالي ١١٦٤.

٤. النّساء (٤) / ١٧٤.

٦. بصائر الدرجات ٥٨.

١. ابراهيم (١٤) / ١.

٣. المائدة (٥) / ١٥.

٥. الزخرف (٤٣) / ٤٤.

٣. إِنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ . قَالَ ﷺ : « أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ » ^(١) وهو علي بن أبي طالب عليه السلام كما قال الباقر عليه السلام وابن عباس ^(٢) . فيظهر أنه ثالثاً تعريف الله العزيز علياً لرسوله صلى الله عليهما وآلهما .

٤. إِنَّ الْقُرْآنَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ وَفَاتَحَتْهُ السَّبْعُ الْمَثَانِي . قَالَ ﷺ : « وَلَقَدْ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ » ^(٣) و « لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » ^(٤) وهي في الباطن حقيقة أهل البيت عليه السلام . قال الباقر عليه السلام في سبع من المثنائي : نحن هم ^(٥) ، فهو رابعاً تعريف الله تعالى أهل البيت لنبية ﷺ .

٥. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ الدَفَتَيْنِ كِتَابٌ صَامِتٌ وَلَا يَذَلُّهُ مِنْ نَاطِقٍ . قَالَ الصَّادِق عليه السلام في قوله تعالى : « هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ » ^(٦) إِنَّ الْكِتَابَ لَا يَنْطِقُ وَلَكِنْ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ النَّاطِقُونَ بِالْكِتَابِ ^(٧) . وقال جدّه الأمين عليه السلام في حديث الغدير :

معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته ولا تتبعوا متشابهه ، فوالله لن يبين لكم زواجه ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا أخذه بيده ومصّده إليّ وشانل بعضده ومعلّمكم : أن من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، وهو عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ^(٨) .
فنحن إذا تأملنا ذلك كلّ علمنا السرّ في اقتران القرآن وأهل البيت عليه السلام وعرفنا أنّهما ليسا حقيقتين متباينتين بل هما حقيقة واحدة تجلّت في صورتين وتلك الحقيقة النورانية ليست إلا الحقيقة النبوية والعلوية . لذلك قال ﷺ في الحديث الشريف المتفق عليه :

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي فَمَسْكُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى

٢ . تأويل الآيات ٢٣١/١ .

٤ . الحجر (١٥) / ٨٧ .

٦ . الجاثية (٤٥) / ٢٩ .

٨ . بحار الأنوار ٩٣٧ .

١ . الرعد (١٣) / ١٩ .

٣ . البقرة (٢) / ٩٩ .

٥ . بحار الأنوار ، ١١٧/٢٤ .

٧ . بحار الأنوار ١٩٧/٢٣ - ١٩٨ .

يردا عليّ الحوض^(١).

والحوض في اللغة : مجتمع الماء . أي : إن هاتين الحقيقتين تلحقان بي وتجتمعان عندي .

و نعلم أيضاً أنّ من يريد القرآن فليبدأ بهم ويتعلّم منهم ﷺ لا من غيرهم . فإنّ الحقّ معهم وفيهم ومنهم وإليهم ، وهم أهله ومعدنه ، وميراث النبوة عندهم . قال الباقر ﷺ : « القرآن ضرب فيه الأمثال للناس وخاطب الله نبيّه فيه ونحن ، فليس يعلمه غيرنا »^(٢).

من هنا ، كانت مكانة أهل البيت ﷺ في تفسير القرآن وبيانه مدعاة إلى اهتمام علمائنا الأبرار بجمع الروايات المبيّنة للقرآن الكريم وتدوينها في الموسوعات الكبيرة كـ « البرهان في تفسير القرآن » للسيد هاشم البحراني و « نورالثقلين » للعلامة الحويزي و « كنز الدقائق وبحر الغرائب » للشيخ محمّد المشهدي قدّس الله أسرارهم الزكيّة وشكر مساعيهم الجميلة .

المؤلف :

سمّى نفسه في مقدّمة كتابه الفارسي (ستّة ضروريّة) : « ميرزا محمّد بن محمّد رضا القمي أصلاً ، المشهديّ مولداً ومسكناً » ، وفي مقدّمة تفسيره هذا بـ « ميرزا محمّد المشهدي ابن محمّد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي » ، ووصفته ابنته في الوقفيّة المسجّلة على ظهر نسخة من تفسير « كنز الدقائق » فقالت : المرحوم مولانا ميرزا محمّد الشهير بخياط . والذي يدلّ على شهرته هذه ما كتب على ظهر النسخة المحفوظة بالمكتبة الرضوية في مشهد برقم ٩٤٣٩ .

يبدو من كلمات العلماء المترجمين أنّه كان فاضلاً كاملاً محقّقاً مدقّقاً بدلاً من تحريراً

أديباً محدثاً فقيهاً مفسراً، قد عاصر العلامة المجلسي، والمحقق السبزواري، والفيض الكاشاني، والمحقق الخوانساري، والحرّ العاملي، والمولى خليل القزويني^(١) ولم نجد في كتبهم تاريخ ولادته ووفاته؛ ولكن يعلم من تراثه أنه كان حياً قبل سنة ١٠٧٤هـ وميتاً بعد سنة ١١٠٧هـ.

أقوال العلماء فيه:

قد اختلف أصحاب التراجم فيه على أقوال:

١. إنه كان مجازاً من العلامة المجلسي^(٢).

٢. إنه كان تلميذه^(٣).

٣. إنه هو محمد بن رضا القمي نفسه، وليس شخصين مختلفين.

٤. لا يبعد أنه كان حياً حتى سنة ١١٣٥هـ، التي شنّ فيها أعداء الحق الأفغان هجومهم

الوحشي على عاصمة التشيع آنذاك مدينة اصفهان عاصمة الصفويين.

أما القول الأول فقال الميرزا حسين النوري في تأييده:

رأيت على ظهر المجلد الأول منه مدحاً عظيماً وثناءً بليغاً من العلامة المجلسي له

ولتفسيره وإجازته له^(٤).

وكذلك قال الشيخ آغا بزرك الطهراني:

منظومه في المعاني والبيان... هو للميرزا محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن

جمال الدين القمي المجاز من المجلسي الثاني على ظهر تفسيره الموسوم بكنز

الحقايق^(٥).

ولكن معاصريه كالحرّ العاملي والميرزا عبد الله الأفندي لم يذكرها هذه الاجازة.

١. روضات الجنّات ١١٠/٧.

٢. الذريعة ١٣٦/٢٣؛ الفوائد الرضوية ٦١٨؛ الفيض القدسي المطبوع مع البحار ١٠٥/١٠٠.

٣. أعيان الشيعة ٣٢٨/٤٥؛ الذريعة ١٥٢/١٨؛ الفوائد الرضوية ٦١٨.

٤. الفيض القدسي المطبوع مع البحار ١٠٥/١٠٠. ٥. الذريعة ١٣٧/٢٣-١٣٦.

والمذكور في ظهر التفسير ليس إلا التقرّيز المؤرّخ بذلك التاريخ، وليس فيه أيّ ذكر عن الإجازة بالرواية^(١).

و من العجب أنّ مصحّحي (بحار الأنوار) طبعة الآخوندي قالوا في تكميل عبارة النوري: «يأتى في باب الإجازات وفي تميم «أمل الآمل»! والحال أنّه لا يوجد في باب إجازات البحار إجازة من العلامة المجلسي لصاحب التفسير. والنسخ الخطيّة الموجودة من تميم (أمل الآمل) للشيخ عبدالنبيّ القزويني قد وصلت إلى حرف «ش» فلذا لم يكن ترجمة المفسّر موجودة فيها فضلاً عن أن يكون إجازة من العلامة موجودة فيه.

ويمكن أن يقال أنّ مراد المصحّحين من تميم (أمل الآمل) يكون تكملة (أمل الآمل) للسيد حسن الصدر رحمه الله تعالى، ولكن لم نجد فيه أيضاً خبراً عن صاحب الترجمة!

وأما القول الثاني فقد ذهب إليه السيد محسن الأمين، والشيخ عباس القمي، والشيخ آغا بزرگ الطهراني، وهم الأولون فيه، ولكن السابقين والمعاصرين للمفسّر كأصحاب (أمل الآمل) و(رياض العلماء) و(روضات الجنّات) و(الفيض القدسي) لم يذكرو هذا المطلب. وأحسب أنّ هذا من استظهاراتهم واستنباطاتهم. ولعلّ هذا القول نابع من ذكر النوري مفسّرنا في عداد الراوين عن العلامة المجلسي ... ممّا يفيد أنّ المفسّر كان يقيم في اصفهان، بينما تدلّ آثاره على كان مقيماً بمشهد. وفيها صنّف كتبه.

و يؤيد هذا المعنى ما جاء في رسالة ابنه المسمّى بـ «ترجمه وشرح قصيدة سيّد اسماعيل حميري» المحفوظة مع رسالتين آخرين احدهما تصحيح كلمات قصيدة السيّد اسماعيل الحميري وترجمتها لمحمّد قاسم هزار جريبي تلميذ العلامة

١. انظر: فهرست مكتبة السيّد المرعشي ٢٤٢/٣ رقم ١٠٥٤ ومكتبة مجلس الشورى الاسلامي رقم

المجلسي والمجاز منه، والثانية ترجمة حديث الغمامة والوسادة في مكتبة ملك في طهران برقم (۷۹۲) وهو ما ترجمته:

هذه رسالة مشتملة على حديثين يدلان على فضل السيد إسماعيل الحميري وشرح قصيدته وترجمتها بشكل مختصر لخدام محبّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام محمد رضا بن ميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل القمي أصلاً المشهدي مولداً ومسكناً، وتاريخها جمادى الآخرة سنة ۱۱۲۳^(۱).

و يؤيده أيضاً الوقفية التي كتبها ابنة المفسر على ظهر المجلد الثالث من التفسير في سنة ۱۱۱۱ هـ حيث وقفت على المتوطنين بمشهد وشرطت أن لا تُخرج من تلك البلدة المقدسة. ومنها ما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواقف على الضمائر، والصلاة على محمد وآله أولي البصائر يوم تبلى السرائر.

وبعد: وقف مؤيد وحبس مخلد نمود ابتغاء لوجه الله وطلباً لمرضاته بنت مرحوم مغفور مبرور مولانا ميرزا محمد الشهير بخياط ومؤلف هذا الكتاب كه موسوم گردیده به كنز الدقائق و بحر الخرائب بر كافه مؤمنين ومتوطنين مشهد مقدس كه مطالعه ومباحثه نموده و در ثنوبات واجور واقف ومؤلف شريك بوده باشند، ومتولى وقف نمود ارشد واصلاح واعلم اولاد مرحوم مشار إليه را بطناً بعد بطن به نظارت حاجي الحرمين الشريفين حاجي محمد رفيع، وبعد وفاته به تجويز اصلاح اولاد مؤمى إليه مشروط آن كه اگر متولى و ناظر خود در كار داشته باشند فيها وإلا به هر يك از صلحا وزوار ساكنين مشهد مقدس كه معتمد بوده باشند بدهند وزياده از سه ماه نزد كسى

۱. فهرست مكتبة ملك بطهران ۱۷۷/۵ و ۱۷۸ وفيه أنّ الكاتب هو ابن المفسر.

نباشد مگر به تجدید اذن، واز حصار بند مشهد مقدس بیرون نبرند و نغروشد و رهن نمایند و هبه نمایند. فمن بذله بعد ما سمعه فإنما اثمه على بالذین یبذلونه والله سمیع علیم.

وأما القول الثالث فنقول فيه :

قال الشيخ الحرّ العاملي في «أمل الآمل» :

مولانا محمد بن الرضا القمي، فاضل معاصر، له شرح منظومة في المعاني والبيان مائة بيت سماها «إنجاح المطالب».

وقال صاحب «رياض العلماء» مثله. وليس فيهما غير هذا المطالب.

وأما صاحبو التراجم بعدهما كصاحب «الفيض القدسي» و«الأعيان» و«ريحانة الأدب» فلم يذكره.

ولم يستبعد صاحباً «روضات الجنّات» و«الفوائد الرضويّة» كَوْنُ الاسمين أي: محمد بن رضا القمي، ومحمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي هما لشخص واحد لا لشخصين.

وفي «هدية العارفين» و«ايضاح المكنون» و«الذريعة» و«الكواكب المنتشرة» و«معجم المؤلفين» و«زندگينامه علامه مجلسي» ومجلّة «تراثنا» جاء «إنجاح المطالب» في عداد مؤلفات المفسّر، وبه علمنا أنّهم قالوا إنّهما شخص واحد لا شخصان.

ينبغي أن نضيف إلى ذلك أنّ الاختلاف نابع من التضارب في تعريف المؤلف نفسه في مقدّمة كتبه. فقد ذكر في بعضها اسمه فقط، وفي بعضها الآخر اسمه واسم أبيه. ممّا ولّد الاختلاف في تعريفه.

والنقطة الجديرة بالذكر كتاب أنّ «أمل الآمل» ألّف في سنة ١٠٩٦ - ١٠٩٧ هـ^(١). وأنّ

«رياض العلماء» ألّف في سنة ١١٠٧ - ١١٣٠ هـ^(١). وجاء فيه تراجم العلماء إلى سنة ١١١٩ هـ. وكان تاريخ تأليف «كنز الدقائق» سنة ١٠٩٤ - ١١٠٣ هـ. فلما ذالم يرد فيهما أي ذكر للتفسير وصاحبه على القول إنهما شخص واحد؟ ونحن نعلم أن «كنز الدقائق» كان أهم آثار المترجم له حتّى أن صاحب «الفيض القدسي» عرّفه بهذا الكتاب فحسب.

وعلى القول أنهما اثنان فإن بعض الكتب كـ «إنجاح المطالب» و«تفسير تبيان سليمان» و«معاد وحشر أجساد» و«رسالة في وجود» ليست من تأليف المترجم له.

وأما القول الرابع فقد ذهب إليه بعض المعاصرين وقال: إذا لم يدل دليل على وفاته قبل ١١٣٥ فلا يبعد أنه كان حيّاً حتّى هذه السنة التي شُنّ فيها أعداء الحقّ (الأفغان) هجومهم الوحشي على عاصمة التشيع آنذاك مدينة اصفهان عاصمة الصفويين. فليس مستبعداً أنه قتل باعتباره واحداً من كبار العلماء المرتبطين بالبلاط الصفوي، فانمحي أثره مثل الكثير من رجال ذلك العصر في تلك البلدة^(٢).

وهذا القول كما ذكرنا يستند إلى الكلام الوارد في فهرست المكتبة المركزية لجامعة طهران ١٨٣/١ نقلاً عن «منتخب التواريخ» إذ قال: هو من تلامذة العلامة المجلسي وقبره باصفهان. ولا يخفى أن الحاج محمد هاشم الخراساني صاحب «منتخب التواريخ» ذكر صاحب التفسير في موضعين دون الإشارة إلى أنهما شخص واحد.

قال في ص ٦٤١ ضمن ذكر عرفاء خراسان متصوّفها ما ترجمته:

العاشر: الأغا ميرزا محمد المشهدي الطوسي صاحب تفسير «كنز الحقائق و بحر الدقائق» ابن مولانا اسماعيل، كان من تلامذة المرحوم الفيض، ولم يعلم شيء عن تاريخ ولادته ووفاته ومدفنه.

وجاء في ص ٦٧٩ « ذكر المدفونين من علماء خراسان في اصفهان » وقال ما تعريبه :

الثالث والعشرون : محمد بن محمد رضا القمي صاحب تفسير « كنز الدقائق » في أربعة مجلدات . كان من تلامذة المرحوم العلامة المجلسي ، وأثنى المجلسي عليه وعلى تفسيره ثناء بالغاً .

ولا يخفى أن صاحب « منتخب التواريخ » أورد في هذا الباب من كتابه مصادر المدفونين باصفهان وعين مدفنهم ولكن لم يورد في المترجم له سنداً وذهب إلى أنه مدفون باصفهان . ويحتمل أن يكون دليله تلمذته للعلامة المجلسي ، وقد تقدم أنه مقدوح فيه . والحق المبين قوله الأول المار ذكره ، ويؤيده أننا لانجد أثراً من ضالّتنا (المترجم له) في « تذكرة القبور » ، للمولى عبدالكريم الجزاهي الاصفهاني ولا في تتماته .

ويصدق هنا أيضاً ما ذكرناه عند مناقشة القول الثاني في سياق الحديث عن مولد المفسر وإقامته في مشهد ، كما أن تاريخ الوقفية المار ذكرها يدلنا بجزم على أن تاريخ وفات المترجم له كان قبل سنة ١١١١ هـ .

كلمات العلماء في الثناء عليه :

تستبين مكانة المترجم له ومنزلته من التقريظين اللذين كتبهما العلامة المجلسي . والمحقق الخوانساري ، وغيرهم ممن ترجم له .

قال الخوانساري « صاحب الروضات » : كان فاضلاً عالماً عاملاً جامعاً أديباً محدثاً فقيهاً مفسراً نبياً موثقاً وجيهاً^(١) .

قال النوري : العالم الجليل والمفسر النبيل ، المتبحر الفاضل اللوذعي^(٢) .

قال القمي : عالم جليل ومفسر نبيل ومحدث كامل ومتبحر فاضل ، كشاف دقائق

١ . روضات الجنّات ١١٠/٧ .

٢ . الفيض القدسي المطبوع مع البحار ١٠٥/١٠٠ .

المعاني بفكره الثاقب، ونقاد جواهر الحقائق برأيه الصائب^(١).
قال المدرّس: عالم عامل جامع أديب فاضل بارع فقيه مفسّر محدّث موثّق من
أعظم علماء عصر المجلسي، والمحقّق السبزواري، والفيض الكاشاني^(٢).

١ - تقرّظ العلامة المجلسي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«لله درّ المولى الأولى الفاضل الكامل المحقّق المدقّق البديل النحرير، كشاف
دقائق المعاني بفكره الثاقب، ومخرج جواهر الحقائق برأيه الصائب، أعني الخير
الأسعد الأرشد مولانا ميرزا محمد، مؤلّف هذا التفسير لازال مؤيداً بتأييدات الرب
القدير، فلقد أحسن وأتقن وأفاد وأجاد، فسّر الآيات البينات بالآثار المروية عن الأئمة
الأطياب، فامتاز من القشر اللباب. وجمع بين السنة والكتاب، وبذل جهده في
استخراج ما تعلق بذلك من الأخبار. وضمّ إليها لطائف المعاني والأسرار. جزاه الله عن
الايمن وأهله خير جزاء المحسنين، وحشره مع الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم
أجمعين».

٢ - تقرّظ المحقّق الخوانساري:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب وجعله آية لمن أوتي جوامع الكلم وفصل
الخطاب، والصلاة والسلام على نبيّه الأُمّي الذي أرسله بشواهد بيّناته، وبعثه في
الأُمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، وعلى آله الأئمة الذين هم الراسخون في علم
القرآن تفسيراً وتأويلاً، ومُرّتلوهُ حقّ الترتيل والمفضّلون فيه على كثير ممّن خلق
تفصيلاً».

أما بعد : فقد أيد الله تعالى بفضلله الكامل . جناب المولى العالم العارف الألمعي الفاضل ، مجمع فضائل الشيم ، جامع جوامع العلوم والحكم ، عالم معالم التنزيل وأنواره ، عارف معارف التأويل وأسراره ، حلال كل شبهة عارضة ، كشاف كل مسألة دقيقة غامضة ، الذي أحرق بشواظ طبعه الوقاد شوك الشكوك والشبهات . ونقد بلحاظ ذهنه النقاد نقود الأحكام الشرعية المستفادة من الآيات والروايات ؛ أعني المكرم بكرامة الله الأحد الصمد ، مولانا ميرزا محمد أعانه الله في كل باب وأثابه جزيل الثواب إذ وفقه الله لتأليف هذا الكتاب الكريم ، في تفسير القرآن وجمعه من التفاسير المعتمدة وسائر كتب الأخبار المشتهرة . فهو كاسمه كنز الدقائق وبحر الغرائب الذي يُصَاد بغوص النظر فيه أصداف درر الحقائق . فنفع الله به الطالبين ، وجعله ذخراً لمؤلفه الفاضل يوم الدين .

وأنا العبد المفتقر إلى عفوره الباري ، جمال الدين محمد بن حسين الخوانساري أعانهما الله تعالى يوم الحساب وأوتيا فيه بيمينهما الكتاب . وقد كتب ذلك في شهر محرم الحرام من شهور سنة ١١٠٧ هـ .

وأما آثاره العلمية فإنها تدل أيضاً على جلالته ومشربه الاعتقادي ومنهجه الفكري ، منها « ستّة ضروريّة » باللغة الفارسيّة . يقول في مقدمته الرابعة :

يجب على كلّ أحد أن يتتبع كتاب الله وأحاديث الرسول والأئمة عليهم السلام بالقدر الذي يحصل فيه العلم بكيفيّة العمل من كلامهم .

ويقول في مقدّمته الخامسة :

علم من التقرير السابق أنّ على كلّ مكلف بذل الجهد من أجل فهم قول الله ورسوله والعمل به ، وعليه ألا يقلّد غير المعصوم ، وإن لم يفعل يؤاخذ وتحبط أعماله .

ومن آثاره « رساله‌ای در وجود » [رسالة في الوجود] ردّ فيها على المولى رجب علي (١٠٦٥ - ١٠٨٠ هـ) في رسالته المشهورة « الاشتراك اللفظي والمعنوي في الوجود » .

والمترجم له وإن كان أديباً حَسَنَ الذوق بيد أنه لم ينسجم مع الصوفيّة تبعاً لمشربه العقيدِي الخاصّ المارّ ذكره في الفقر من المتقدّمين. يقول في تفسير «اهدنا الصراط المستقيم» بعد نقل كلام من الصوفيّة: ولا يخفى عليك أنّ هذا وما سبق من التأويل وما سيأتي منه مبنيّ على ما ذهب إليه الصوفيّة من الأصول الفاسدة. والغرض من نقله الاطّلاع على فساده.

و يقول أيضاً في تفسير «و من الناس من يقول آمناً...» بعد نقل كلام من الصوفيّة: والغرض من أمثال هذه المباحث الاطّلاع على الآراء الفاسدة والأهواء المضلّة، فإنّ الحقّ يعرف بضدّه.

وتولّف الكتب الأدبيّة عدداً من آثاره، وتدلّ حواشيه على الكشف، وحاشية الشيخ البهائي على تفسير البيضاوي، بخاصّة المباحث الأدبيّة في هذا التفسير على أنّ له يداً طولى في الأدب.

ورغم أنّ معظم آثاره تنحصر بالنطاق الأدبيّ والروائيّ إلا أنّه قد بلغ في هذا التفسير الذي يعدّ أكبر أثر له، الذروة العُليا في الجمع بينهما.

والده:

سمّاه المؤلف في تفسيره - كما مرّ بنا - «محمّد رضا» وهو من تلاميذ شيخنا البهائي (م ١٣٠هـ) حكى في «الرياض» ٤٢٠/٢ في ترجمة القطب الراوندي عن خطّ صاحب الترجمة حكاية أستاذه البهائي بعض ما يتعلّق بترجمة القطب المذكور في حاشية البهائي حوزل على فهرس منتجب الدين (ذ ٦ قم ٩١٣) وكذا في ترجمة الصهرشتي سليمان بن الحسن (الرياض ٤٤٧/٢) وكتب المترجم له بخطّه نسخة من فهرست المنتجب المذكور عن نسخة والد البهائي التي عليها حواشي البهائي (ذ ٦ قم ٩١٣)، ونقل تلك الحواشي على نسخة أخرى، ذكر ذلك في «الرياض» ١٤٥/٤ في ترجمة

منتجب الدين^(١).

وكتب له البهائي إجازة في آخر نسخة « خلاصة الأقوال في أحوال الرجال » للعلامة الحلّي التي قرأها المترجم له على الشيخ البهائي مرّتين ، وهذا نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد الحمد والصلاة ، فقد استخرت الله سبحانه وأجزت للأخ الأعزّ الفاضل النقي الذكي الزكي ، تاج الأتقياء وخلاصة الفضلاء ، مولانا محمّد رضا المشهديّ الخادم أدام الله تعالى فضائله أن يروي عنّي هذا الكتاب الشريف بسندي المتّصل إلى مؤلفه شيخنا الأعظم آية الله العلامة أحله الله دار الكرامة . وذلك بعد ما صرف الله جملة من الأيام في تصحيحه واستكشاف مبهماتهِ وتحقيق مستوراته ، وكذلك أجزت له مُدّت أيام إفضاله أن يروي كتاب الفهرست لشيخ الطائفة وسراج الأُمّة ﷺ ، وكتاب الرجال للشيخ الأفاضل ثقة الدين الحسن بن داود طاب ثراه ، وفهرست النجاشي ﷺ بطرقي المتّصلة بهم ، فليرو ذلك لمن شاء وأحبّ ، والمأمول أن لا ينساني من صوالح الدعوات في مظانّ الاجابة ومحالّ الانابة .

حرّره الفقير إلى الله تعالى محمّد المشتهر ببهاء الدين العاملّي في قم المحروسة ، سنة ألف وستّ حامداً مصلّياً مسلماً^(٢) .

وكتب الشيخ البهائي أيضاً :

هو

« ... وقد قرأ عليّ الأخ الأعزّ الفاضل المشار إليه هذا الكتاب مرّة ثانية ، وكان الفراغ من قراءته في العشر الثالث من الشهر الثاني من السنة السادسة عشرة بعد الألف .

١ . الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة / ٢٢٠ .

٢ . آخر فهرست المكتبة العامّة لآية الله العظمى النجفي الميرعشي ١٣/١٥ .

حرّره الفقير محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي حامداً مصلياً مسلماً^(١).

أولاده:

يدل أثره المسمّى بـ «الفوائد الشارحة» على أنّ له ولداً اسمه اسماعيل، وذكرت نسخة منه محفوظة في مكتبة ملك ب طهران ورقمها (٧٩٢) أنّ له ولداً آخر اسمه محمد رضا. وتشير الوقفية التي كتبت على جزء من ظهر المجلد الثالث من تفسيره «كنز الدقائق» في سنة ١١١١ إلى أنّ له بنتاً كما ذكرناه آنفاً.

مؤلفاته:

١. «إنجاح المطالب في الفوز بالمآرب»

هو شرح المنظومة المحبّية التي نظمها محمد بن محمد بن محمود أبو الوليد محبّ الدين الشهير بابن الشحنة الحنفي (ت ٨١٥) وقد طبعت تلك المنظومة في العدد الرابع من مجلّة «تراثنا» ص ٢٠٩ - ٢١٧ باسم «الأرجوزة اللطيفة» وطبع شرحها هذا في العدد (٢٥) من المجلّة المذكورة ص ١١٥ - ٢٤٢ باهتمام السيّد محمد رضا الحسيني.

قال الشارح في مقدّمها:

أما بعد، فيقول المحتاج إلى الله الغنيّ ميرزا محمد بن رضا القميّ: هذه فوائد علّقها على الأرجوزة المنظومة في فنّ البلاغة لأنّها فائقة على سائر ما صنّف في هذه الصناعة لكونها قليلة اللفظ، كثيرة المعاني، قريبة إلى فهم المقاصد للأجانب والأداني، وسمّيتها بـ «إنجاح المطالب» ومن الله الفوز بالمآرب.

وقال في نهايتها:

١. آخر فهرست المكتبة العامة لآية الله النجفي المرعشي ١٣/١٥.

قد فرغ من تأليف «إنجاح المطالب في الفوز بالمآرب» أقلّ عباد الله وأذلّ خلق الله محمد بن رضا القميّ بلّغهما الله إلى آمالهما، يوم السبت التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ألف وأربع وسبعين مضيّن من الهجرة النبويّة في مشهد ثامن الأئمّة عليّ بن موسى الرضا عليه التحيّة والثناء، وعلى الله التوكّل ومنه الاستعانة في كلّ الأمور.

وقال الشيخ آغا بزرك الطهراني: وما وقع في «الأمل» و«الروضات» من التعبير بـ«إنجاح المطالب» لعلّه من تصحيف النسخ^(١).

والنسخ المخطوطة التي عثرنا عليها من هذا الكتاب هي كما يأتي:

نسخة مكتبة السيّد آية الله المرعشي برقم (١٥٨٧).

نسخة مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد برقم (٣٩٨٥).

نسخة مكتبة الامام الرضا عليه السلام في مشهد برقم (٤٠٣٥).

٢. «كنز الدقائق وبحر الغرائب» وهو هذا الكتاب الذي تقدّم له.

٣. «كاشف الغمّة في تاريخ الأئمّة عليه السلام»

قد فرغ من تأليفه في مشهد على الظاهر ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة

١٠٧٥ هـ.

تحتفظ مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران بنسخة منه رقمها (٢٠٠٠) (٢).

٤. «تبيان سليمان» بالفارسية، وهو تفسير مأثور للقرآن الكريم.

تقتني مكتبة الإمام الرضا عليه السلام بمشهد جزئين منه:

الأول ورقمه (٩٤٣٨) من ابتداء القرآن إلى نهاية سورة المائدة وتاريخ كتابته

(١٠٨٥ هـ).

الثاني ورقمه (۹۴۳۹) من الآية (۹۵) من سورة التوبة إلى الآية (۴۴) من سورة العنكبوت و تاريخ كتابته سنة (۱۱۱۱ هـ).

لم يذكر هذا التفسير أي أحد ممن ترجم له. كما لانجده في «الذريعة» بيد أنه ورد في فهرس مكتبة الإمام الرضا عليه السلام عند التعريف بالنسخة. ولعل النسخة المثبتة في ص ۶۱۳ من المجلد الخامس من كتاب (نسخه های خطی) [المخطوطات] بعنوان «تفسير فارسی میرزا محمد بن رضای قمی» هي هذا التفسير نفسه.

وذكر المفسر أيضاً تفسيراً آخر له به عنوان «تبيان» عند تفسير قوله تعالى «ما كادوا يفعلون» (البقرة ۷۱). ومن المحتمل أنه هو هذا التفسير نفسه.

قال المفسر في مقدمة الجزء الأول منه:

اما بعد [چنين گوید] اين فقير حقير كثير التقصير احقر عباد الله القدير ميرزا محمد بن رضا القمي أحسن الله أحوالهما چون مدتی بود که در خاطر داشت که تفسیری به زبان فارسی که موافق احادیث ائمه عليهم السلام و طرق علماء شیعه رضوان الله علیهم بوده باشد در سمط تحریر و سلك تقرير منتظم سازد و به واسطه قصور بضاعت و کوتاهی دست فطنت از اجرای این عزم عظیم و فوز به این مرتبه جسمیه متقاعد بود تا از پردگیان سراپرده توفیق اشارت به حلّ این عقده شرف صدور یافت. بعد از استخاره و توکل عنان مرکب سعی را به عرصه جهد منعطف ساخته از ارواح ائمه صلوات الله علیهم اجمعین مستمد گردیده در نوشتن این تفسیر مبادرت نمود، و بشارت به این اشارت در زمان دولت پادشاه جم ... أعني شاه سليمان الحسين الموسوي الحيدري الصفوي بهادرخان خلد الله ملکه و سلطانه شد ... و این کتاب را [به] تبیان سلیمانی موسوم ساخت، والله الموفق والمعین.

وفي نهايته

تمّ الجزء الاول من التفسير الموسوم بالتبيان السلیماني علی يد مؤلفه الفقير ميرزا

محمد بن رضا المشهدي في منتصف رجب المرجب سنة ١٠٨٥.

٥. «رسالة في الوجود» بالفارسية وهو ردّ على المولى رجب علي (١٠٦٥ - ١٠٨٠)

في رسالته المشهورة المسماة بـ «اشتراك لفظي و معنوي در وجود».

وقد رأى صاحب «الذريعة» نسخة من هذه الرسالة مُلحقةً بنسخة من كتاب «الكافي» عند السيد محمد علي القاضي الطباطبائي في تبريز^(١). وهي مؤرخة بسنة ١٠٨٥.

٦. «شرح الزيارة الرجبية» بالفارسية

بدايته: بعد از ادای ستایش و طائف خالق ...

ذكر أولاً سندها إلى الشيخ الحسين بن روح النوبختي وأسلوبه في هذا الكتاب أنه ذكر الإعراب أولاً، ثم ثنّى باللغة، وانتهى إلى الترجمة والمعنى.

ألّفه في مشهد سنة ١٠٨٧ هـ.

وتوجد نسخة منه عند الشيخ نصر الله الشبستري في تبريز، تاريخ كتابتها سنة ١٠٩٧ هـ^(٢).

٧. «شرح الصحيفة السجّادية»

وتوجد عدّة نسخ منه في المكتبات الآتية:

مكتبة الإمام الرضا عليه السلام برقم ١٠٢٠.

مكتبة السيد آية الله المرعشي برقم ٢٥٢٢.

المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ٣٧.

مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم ٤٧٤٤.

ونسخة منه في مكتبة السيّد محمّد المحيط في طهران كما ذكرها الشيخ آغا بزرگ^(١).

قال الشارح في مقدّمته:

«أما بعد فيقول الفقير إلى الله الغني ميرزا محمّد بن محمّد رضا المشهدي: هذه فوائد اتفقت منّي على الصحيفة الكاملة السجادية الملقبة بزبور أهل البيت وأنجيل آل محمّد ﷺ. كتبها تذكرة للخلّان والاخوان وتبصرة لذوي الأفهام والأذهان...»
وفي نهايته:

«قد وقع الفراغ من تسويد هذه الأوراق يوم الجمعة ثامن شوال بعد الشروع فيه في أوّل شهر رمضان المبارك بعد مضي ألف وتسعين سنة من الهجرة النبوية في مشهد ثامن الانّمة على مشرفها ألف سلام وتحية، على يد مؤلفه الفقير المفتاق إلى الله العزيز الغني ميرزا محمّد بن محمّد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي، راقمة العبد القاصر إلى رحمة ربّه الغافر ابن محمّد تقى شهرزادي محمّد باقر...»^(٢).

٨. «الفوائد الشارحة لمشكلات المنظومة الصرفية» الموسوم بـ «شرح التصريف المنظوم في علم التصريف» فرغ من تأليفها ظهيرة يوم الثلاثاء الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٠ هـ.
بدايتها:

«الحمد لمصرف الأمور والصلاة على من أرسله لنظم الدهور وآله الشفعاء يوم النشور...» وقد رأى الشيخ آغا بزرگ الطهراني نسخة منه في مكتبة الحاج محمّد حسن كُتّبة بسمراء بعنوان «شرح التصريف»^(٣).

١. الذريعة ٣٠٦/١٣ والكواكب المنتشرة ٢٠٨.

٢. هذا الكاتب هو محرّر النسخة الأصل من نسخ «كنز الدقائق» وقد اعتمد عليها عند تصحيح التفسير.

٣. أنظر: الذريعة ١٤٥/١٣ و١٦٩/٤ و٣٤٣/١٦ والكواكب المنتشرة ٢٠٨.

٩. «معاد وحشر اجساد» بالفارسية يبين فيه حقيقة المعاد وحشر الأرواح والأجساد ومعنى الإيمان والكفر .

ألفه باسم السلطان سليمان الصفوي (١٠٧٧ - ١١٠٥) .

يحتوي على ملاحظة ومطلب فيه أربعة أركان وفصول وتكملة تشتمل على عدد من الفصول أيضاً . ونقل فيه من كتاب « شرح حكمة الإشراق » للحلي عليه السلام .
بدايته :

زيباترين كلام و دُرُ هر مرام ذكر ملك علام است كه رشحه ای از بحر رحمت او ...
توجد نسخة منه في مكتبة الشورى الإسلامى برقم ٥٦٧٣^(١) .

١٠. «التحفة الحسينية» بالفارسية، في آداب الصلاة ومقدماتها وتعقيباتها ونوافلها الليلية والنهارية، وآداب الوصية، وأحكام الأموات، وأعمال الأسبوع والشهر والسنة، وآداب السفر، وأدعية الأعراض والأمراض .
ألفه باسم السلطان حسين الصفوي، ورتبه على مقدمة وأبواب فيها سبعة فصول، وخاتمة فيها ثلاث وعشرون فائدة .

رأى صاحب «الذريعة» نسخة منه عند السيد محمد الواعظ الخوانساري الاصفهاني بالكاظمية^(٢) .

١١. «سلم درجات الجنة في معرفة فضائل أبي الأئمة» بالفارسية، ترجم فيه أربعين حديثاً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وشرحها . توجد نسخة منه في مكتبة ملك بطهران ورقمها (٥٩٢٠) ، وخطها نسخي جيد . ويحتمل أن يكون كاتبها هو أحمد النيريزي .

١ . انظر : الذريعة ١٧٤/٢١ ، الكواكب المنتشرة ٢٠٢ .

٢ . الذريعة ٤٢٩/٣ و ٤٣٠ والكواكب المنتشرة ٢٠٨ .

قال المؤلف في مقدّمته :

(و بعد ، چنین گوید اقلّ عباد الله میرزا محمد بن محمد رضا بن اسماعیل بن جمال الدین القمی که این رساله ایست در ترجمه بعض احادیث مشتمل بر فضائل اُبی الائمه امیرالمؤمنین مسّی به « سلّم درجات الجنّة فی معرفة فضائل اُبی الائمه » و بعد از اتمام تحفه مجلس شهنشاه سلیمان بارگاه ... شاه سلطان حسین بهادرخان ... که طبع شریف او و نزدیکانش در نشر فضائل ائمه اهتمام عظیم دارند خواهند نمود و این رساله مشتمل است بر مقدمه و چهل حدیث و خاتمه) .

وفي نهايته :

تمّت ١٠٥٥ ، و ليس فيها خاتمة .

ورأى صاحب « الذريعة » نسخة منه في مجموعة من كتب الشيخ قاسم محیی الدین فی النجف ، تاریخ کتابتها (١١١٧)^(١) .

١٢ . « ستة ضرورية » بالفارسیّة وهو فی الإمامة یتحوّی علی ستّ مقدّمات یقوم علیها الإیمان . و یجب علی المکلف أن یتعلّمها .

قال المصنّف في بدايتها :

« أمّا بعد ، چنین گوید فقیر حقیر میرزا محمد بن محمد رضا القمی أصلاً المشهـدی مولداً و مسکناً که این چند مسأله است که به اعتقاد فقیر مبنای ایمان است و به گوش خاصّ و عام رسانیدن آن لازم به واسطه بعضی موانع در بیان آن متقاعد بود تا در زمان دولت پادشاه جمجاه سلطان بارگاه کیوان مکان قضا توأمان مروج الحقّ و الیقین ناهج مناهج آبائه المعصومین الخاقان بن الخاقان السلطان بن السلطان بن السلطان شاه سلطان حسین الموسوی الحسینی بهادرخان ...

و آن بیان مشتمل است بر شش مقدّمه که در هر مقدّمه بیان شده امری که مبنای

بسیاری از قواعد دین است و ضرور است که هر مکلف او را بداند و از این جهت به رساله سته ضروریّه مسَمّی گردید والله الموفق والمعين .»

والمقدمات الست المذكورة هي كما يأتي:

مقدمة اولی: نصب امام معصوم که هر چه در دین و دنیا ضرور شود مردم از او بپرسند و او از روی علم جواب گوید و بر مردم حجت باشد در هر زمان بعد از پیغمبر ﷺ بر خدای ﷻ واجب است و این قول نزد شیعه اثنی عشری اتفاقی است و هیچ يك از ایشان در آن خلافي ندارند ...

مقدمة ثانية: در بیان آن که در زمان حضور ماکه امام ﷺ غایب است سبب غیبت آن امام یا مقتضی غیبت و وجود مانع از ظهور است یا وجود مقتضی غیبت یا وجود مانع از ظهور و سببیت وجود مقتضی باطل است زیرا که آنچه مقتضی غیبت باشد مقتضی عدم نصب است و معلوم شد که نصب مقتضی دارد پس عدم نصب مقتضی نمی تواند داشت ...

مقدمة ثالثة: در بیان آن که مانع از ظهور امام ﷺ چه چیز است؟

مقدمة رابعة: متفرّع بر این قاعده پس لازم باشد بر هر کسی که آن قدر سعی نماید که کتاب خدا و احادیث رسول و ائمه را تتبع نماید به قدری که علم به کیفیت عمل از کلام ایشان حاصل نماید و به آنچه علم بهم رساند عمل نماید ...

مقدمة خامسة: از تقریر سابق معلوم شد که بر هر مکلف لازم است که سعی نماید که قول خدا و رسول را بفهمد و به آن عمل کند و تقلید غیر معصوم نکند و اگر سعی نکند مؤاخذ و اعمال او باطل خواهد بود ...

مقدمة سادسة: در نتایج تقریرهای سابق بدان که از مقدمات مذکوره لازم آمد که بر همه کس لازم باشد که طلب آن نماید که علم به خدا و رسول و ائمه که اوصیای رسولند به هم رساند و علم به کیفیت اعمال که بر او واجب است از قول ایشان بهم رساند و این

واجب عيني است...

١٣. «كتاب الصيد والذبايح»: كبير استدلال^(١).

١٤. «مراصد العصمة والضلالة». ذكره المصنّف في مقدّمة «كاشف الغمّة»^(٢).

١٥. «حاشية على كشاف الزمخشري»^(٣).

أشار المؤلف إليها في بداية «كنز الدقائق».

١٦. «حاشية على حاشية البهائي على تفسير البيضاوي»^(٤).

ذكرها المؤلف في بداية «كنز الدقائق» أيضاً.

١٧. «تصحیح نسخة من شرح شواهد ابن الناطم» في سنة ١٠٨٧.

أهداه المؤلف إلى الشيخ لطف الله المشهدي.

والنسخة المذكورة موجودة عند السيّد محمّد الموسوي الجزائري كما قال

المرحوم الشيخ آغا بزرگ طهراني^(٥).

«كنز الدقائق وبحر الغرائب»:

قال مؤلفه في تعريفه: قد رقت [تعليقات] على التفسير المشهور للعلامة

الزمخشري، وأجلت النظر فيه ثمّ على الحاشية للعلامة النحرير والفاضل المهرير

الشيخ الكاملي بهاء الدين العاملي، ثمّ سنح لي أن أؤلّف تفسيراً يحتوي على دقائق

أسرار التنزيل ونكات أبكار التأويل مع نقل ما روي في التفسير والتأويل عن الائمة

الأطهار والهداة الأبرار إلّا أنّ قصور بضاعتي يمنعي عن الإقدام ويثبطني عن

الانتصاب في هذا المقام حتّى وفّقني ربّي للشروع في ما قصدته والإتيان بما أردته.

٢. فهرس مكتبة المجلس ٩ (٢) / ٧٠٤.

٤. أعيان الشيعة ٤٥ / ٣٢٨.

١. الذريعة ١٥ / ١٠٧.

٣. الذريعة ٦٦ / ٤٦.

٥. أنظر: الكواكب المنتشرة / ١٦٩.

(كنز الدقائق ٢/١)

قال السيد محمد باقر الخوانساري: وله كتاب كبير في التفسير ... لم يسبقه إلى وضعه أحد من العلماء قديماً وجديداً وذلك لأن تفسير (نور الثقلين) الذي مرّت الإشارة إلى ... وإن سبقه إلى إعمال هذه الروية إلا أنه أسقط أسانيد الأخبار الموردة فيه بالكلية ولم يتكلّم فيه على ربط ألفاظ القرآن وحلّ مشكلاته ووجوه أعاريه ولغاته وقراءاته، ولم يوجد النقل فيه أيضاً عن كتاب تفسير الآيات الباهرة في شأن العترة الطاهرة وبعض آخر من التفاسير النادرة كما ينقل عنهما جميعاً في هذا الكتاب وإن لم يحط مع ذلك كلّه بجميع الأحاديث المتعلقة بأطراف الأبواب (روضات الجنّات ١١٠/٧).

قال الميرزا حسين النوري: «... من أحسن التفاسير وأجمعها وأتمّها وهو أنفع من (الصافي) وتفسير (نور الثقلين). (الفيض القدسي) المطبوع في (بحار الانوار ١٠٥/).

وبالجملة فالتفسير للذكور كتب علله العلامة محمد باقر المجلسي تقريراً سنة ١١٠٢هـ، وكذلك قرّظه المحقّق آغا جمال الخوانساري سنة ١١٠٧هـ. وهو يتألف من أربعة مجلّدات كبار، قمنا بتحقيقه والله الحمد على ذلك. وبذلنا الجهد الممكن في الحصول على النسخ التي تسعفنا في تحقيقه، وظفرنا منها بما يأتي:

* نسخة محفوظة بالمكتبة المركزية في جامعة طهران برقم (١٤) وقد رمزنا لها بالحرف «أ».

* نسخة إلى آخر سورة المائدة مكتوبة في زمن المؤلف بل في سنة التأليف. وهي كانت للأستاذ الفقيه شانه جي (الأستاذ في جامعة مشهد) وانتقلت ضمن مخطوطاته إلى المكتبة الرضوية بمشهد. ورمزنا لها بـ «اصل». وجدير بالذكر أنّ هذه النسخة هي نفسها النسخة (أ) إلا أنّ بعض الألفاظ والموضوعات قد شطب وأضيف مكانه روايات ومطالب في الهامش. وثمّ توقيع هذه الهوامش بألفاظ نحو: «بألفاظ «منه».

« منه سلمه الله »، « منه دام ظلّه العالی »، « منه أدام الله بقاءه »، « صحّ »، « بلغ »، « بلغ قبلاً ».

* نسخة إلى آخر سورة المائدة مكتوبة في سنة التأليف، محفوظة في المكتبة المركزية بجامعة طهران برقم (٧٣٥٣) وقد رمزنا لها بالحرف «ر» ولا يخفى أنّ هذه النسخة هي النسخة السابقة إلاّ أنّه قد أدخلت التصحيحات والهوامش في المتن وحذفت العبارات المشطوبة. ويظهر من اختلاف النسخ المذكورة أنّ النسخة الأصل كانت نسخة «أ» وقد صحّحها المفسّر بعد إتمامها ولكنّ المستنسخين استنسخوا منها قبل تصحيح المفسّر وأصبحت في متناول أيدي القراء. وإنّما جعلنا النسخة الثانية أصلاً لوجود تصحيح المفسّر وتكملته فيها.

و استبان من النظر والتنقيب في سائر النسخ الموجودة من الربع الأوّل أنّ النسخة المرقّمة «٢٣٤٨» المحفوظة في مكتبة السيّد المرعشي مطابقة لنسخة الجامعة المرقّمة (١٤) ولبقية النسخ نظراً إلى المتن والحاشية.

واعتمدنا في رفع الإشكالات الموجودة في النسخة الأصل على النسخة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم «١٢٠٧٣» ورمزنا لها بـ «ج».

وفي ما يأتي الخطوات التي اتبعناها في التصحيح :

١. ضبط النصّ وتقويمه بالاعتماد على النسخ المتقدمة.
٢. تخريج الروايات ومقابلتها مع المتن.
٣. التعرّض للاختلافات المهمّة بين النسخ وبينها وبين المصادر.
٤. تخريج الأقوال^(١).

١. استفدنا كثيراً في هذه المقدّمة من : مجلّة «تراثنا» العدد (٤) / ٢١٠ و ٢١١ والعدد (٢٥) / ١٤٣٦ - ١٥٦، وروضات الجنّات ١١٠/٧ وريحانة الادب ٣٢٠/٥ و ٣٢١، معجم المؤلفين ٢١١/١١، الفوائد الرضويّة ٦١٨/، أمل الآمل ٢٧٢/٢، الفيض القدسي المطبوع مع بحار الأنوار، ١٠٠/١٠٥. أعيان الشيعة

وفي نهاية المطاف أقدم شكري الجزيل إلى الإخوة الأعزّاء الذين أزروني في إنجاز هذا المشروع وإحيائه وطبعه بهذه الصورة القشبية، سيّما أخي الفاضل المحقق السيّد حسن القمي نجل المرحوم حجة الاسلام والمسلمين السيّد ماجد الحسيني القمي، وصديقي الفاضل الأديب صباح صالح الهنداوي، والعلامة المحقق السيّد عبدالعزيز الطباطبائي رحمته الله، وصديقي المكرّم آقا احمد مسجد جامعي لجده الحريّ وهمته البالغة في إحياء التراث الديني في الأعوام الأخيرة، كما أشكر الأخ الفاضل المحقق عبد الله الغفراني لتصحيحه تمام الكتاب وإشرافه على الشؤون الفنية، وفقه الله تعالى لمرضاته، والحمد لله ربّ العالمين.

حسين درگاهي

١٠ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ

طهران

[illegible]

15298

نهاية نسخة الأصل ، مكتبة الامام الرضا عليه السلام

نهاية نسخة ١٢٠٧٣، مكتبة مجلس الشورى الاسلامي

[illegible][illegible]

رَبِّ يَسَّرَ وَتَمَّ بِالْخَيْرِ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٢)

مَقْدَمَةُ الْمُؤَلَّفِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله للناس بشيراً ونذيراً، وبَيَّن فيه لأولى الأبواب بَيِّنَات، وجعله تبيان كل شيء وسراجاً منيراً، أنزله بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتب، وأنطقه بالصدق لما يعول عليه من السرب. يقضي له بصفة القدم كل شيء بجوهر ذاته، يقضي إلى الحكم بسرمدية حدوث معلولاته وسماته، فيأله من حكيم بما له من قدرته في كل ما دَبَّرَ وأتقن من أفعاله، أبت حكمته أن يرضى لخلقه السوء والفحشاء، وارتفعت قدرته أن يجرى في ملكه إلا ما شاء.

والصلاة والسلام والتحية من كل الأنام على خير الأنبياء ونير الأصفياء، المدعو بحبيب الله في الأرض والسماء، محمد المصطفى على البرية بالخلق والفضائل المرضية، المبعوث بكتاب أزعج بفصاحته مصاقع الخطباء، وأبكم ببلاغته شفاشق البلغاء، وعلى الأئمة الهادين من عترته الراشدين، صلاة تامة دائمة توازي غناءهم وتجازي عناءهم وسلّم تسليمًا كثيراً كثيراً.

أما بعد: فيقول الفقير إلى رحمة ربه الغني؛ ميرزا محمد المشهدي ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي:

١. في ج: رَبِّ يَسَّرَ وَلَا تَعْسَرَ.

٢. في ج: إضافة: وبه نستعين.

إنَّ أولى ما صرفت في تحصيله كنوز الأعمار، وأنفقت في نياله المهج والأفكار علم التفسير، الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه إلا من فاق في العلوم الدينية كلها والصناعات الأدبية بأنواعها.

وقد كنت فيما مضى، قد رقت تعليقات على التفسير المشهور للعلامة الزمخشري، وأجلت النظر فيه. ثم على الحاشية للعلامة النحرير والفاضل المهرير الشيخ الكامل؛ بهاء الدين العاملي. ثم سنع لي أن أولف تفسيراً يحتوي على دقائق أسرار التنزيل ونكات أبحار التأويل، مع نقل ما روي في التفسير والتأويل، عن الائمة الأطهار والهداة الأبرار، إلا أن قصور بضاعتي يمنعي عن الإقدام، ويثبطني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى وفَّقني ربِّي للشروع في ما قصدته، والإتيان بما أردته. ومن نيتي أن أسميه بعد تمامه بكنز الدقائق وبحر الغرائب، ليطابق اسمه ما احتواه، ولفظه معناه.

فرا ت بن إبراهيم الكوفي، أستاذ المحدثين في زمانه، قائل في تفسيره^(١): حدثنا أحمد بن موسى، قال: حدثني الحسن بن ثابت، قال: حدثني أبي، عن شعبة بن الحجاج، عن الحكم، عن ابن عباس رضي الله عنه^(٢) قال: أخذ النبي ﷺ بيد (٣) علي عليه السلام فقال: إنَّ القرآن أربع^(٤) أرباع: ربع فينا أهل البيت خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وأنزل^(٥) لنا كرائم القرآن.

وقال^(٦) أيضاً: حدثنا أحمد بن [موسى، قال: حدثنا] الحسن^(٧) بن إسماعيل بن صبيح، والحسن بن علي بن الحسن بن عبيدة بن عقبة^(٨) بن نزار بن سالم السلولي، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مطهرة، قال: حدثنا صالح؛ يعني: ابن الأسود، عن

٢. إلى هنا ليس في أ.

٤. المصدر: أربعة.

٦. تفسير فرا ت، ٤٨.

٨. المصدر: عتبة.

١. تفسير فرا ت، ٤٨.

٣. النسخ: يد، والمثبت من المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٧. النسخ: حدثنا أحمد بن الحسن.

جميل بن عبدالله النخعي، عن زكريا بن ميسرة، عن الأصبع بن نباتة، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنزل ^(١) القرآن أربع أربع: فربع فينا، وربع في أعدائنا ^(٢)، وربع سنن و ^(٣) أمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن.

وقال ^(٤) أيضاً: حدثنا أبو الخير مقداد بن علي الحجازي المدني، قال: حدثنا أبو القاسم ^(٥) عبدالرحمن العلوي الحسيني، قال: حدثنا «الفاضل أستاذ المحدثين في زمانه: فرات بن إبراهيم الكوفي رحمة الله عليه قال: حدثني ^(٦) محمد بن سعيد بن وخيم ^(٧) الهمداني ومحمد بن عيسى بن زكريا، قال ^(٨): حدثنا عبدالرحمن بن سراج، قال: حدثنا حماد بن أعين، عن الحسن ^(٩) بن عبدالرحمن، عن الأصبع بن نباتة، عن أمير المؤمنين ^(١٠) علي بن أبي طالب عليه السلام قال: القرآن أربعة أربع: ربع فينا، وربع في أعدائنا ^(١١)، وربع فرائض وأحكام، وربع حلال وحرام، ولنا كرائم القرآن.

واعلم أن للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر. فإذا جاءك عنهم صلوات الله عليهم شيء وله باطن، فلا تنكره، لأنهم أعلم به.

يدل على هذا، ما رواه صاحب شرح الآيات الباهرة ^(١٢): عن علي بن محمد، عن محمد بن الفضل ^(١٣)، عن شريس، عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن، فأجابني. ثم سألته ثانية، فأجابني بجواب آخر.

فقلت: جعلت فداك، أجبني ^(١٤) في هذه المسألة بجواب غير هذا؟!

فقال لي: يا جابر! إن للقرآن بطناً. وللبطن بطن، وله ظهر وللظهر ظهر. وليس شيء

-
- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ١. المصدر: نزل. | ٢. المصدر: عدونا. |
| ٣. ليس في المصدر. | ٤. تفسير فرات، ٤٧. |
| ٥. في ج. و. والأظهر أنها زائدة. | ٦. لا يوجد في المصدر. |
| ٧. المصدر: رحيم. | ٨. النسخ: قال. |
| ٩. المصدر: الحسين. | ١٠. المصدر: علي أمير المؤمنين. |
| ١١. المصدر: عدونا. | ١٢. تأويل الآيات الباهرة، ٢/٩. |
| ١٣. المصدر: الفضيل. | ١٤. المصدر: كنت أجبني. |

أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن. وإن الآية ينزل أولها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل، يتصرف عن^(١) وجوه.

ويؤيده: ما رواه^(٢) عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، بإسناده إلى الفضل بن شاذان. عن داود بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أنتم الصلاة في كتاب الله ﷻ؟ وأنتم الزكاة؟ [وأنتم الصيام؟]^(٣) وأنتم الحج؟

فقال: يا داود! نحن الصلاة في كتاب الله ﷻ. ونحن الزكاة. ونحن الصيام. ونحن الحج. «نحن الشهر الحرام»^(٤). ونحن البلد الحرام. ونحن كعبة الله. ونحن قبلة الله. ونحن وجه الله. قال الله تعالى: «فأينما تولوا فثم وجه الله»^(٥). ونحن الآيات. ونحن البيئات. وعدونا في كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير.

يا داود! إن الله خلقنا، فأكرم خلقنا، وفَضَّلنا، وجعلنا أمناء وحفظته وخزَّانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أصدقاءً وأعداءً، فسمَّانا في كتابه، وكنى عن^(٦) أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبَّها إليه، تكنية عن العدد. وسمَّى أصدقاءنا وأعداءنا في كتابه. وكنى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال^(٧) في كتابه في أبغض الأشياء^(٨) إليه وإلى عباده المتقين.

٢. نفس المصدر، ٢/١.

١. في ج: من. والمصدر: على.

٤. ليس في المصدر.

٣. من المصدر.

٦. المصدر: في.

٥. البقرة / ١١٥.

٨. المصدر وج: الأسماء.

٧. المصدر: الأسماء مثال.

سورة
فاتحة الكتاب

سورة فاتحة الكتاب

في مجمع البيان^(١): روى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن النبي ﷺ [أنه قال^(٢)]: لما أراد الله ﷻ أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وشهد الله، وقل اللهم مالك الملك - إلى قوله - بغير حساب، تعلّقن بالعرش - وليس بينهن وبين الله حجاب - وقلن: يا رب! تهبطنا إلى دار الذنوب وإلى من يعصيك، ونحن معلقات بالطهور والقدس؟^(٣)

فقال: وعزتي وجلالي! ما من عبد قرأكن في دبر كل صلاة^(٤)، إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه. ونظرت إليه^(٥) بعيني المكنونة، في كل يوم سبعين نظرة. وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة، أدناها المغفرة. وإلا أعدته من كل عدو ونصرته عليه. ولا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت^(٦).

وفي كتاب ثواب الأعمال^(٧) بإسناده: قال أبو عبدالله ﷺ: اسم الله الأعظم مقطّع في أم الكتاب.

وفي كتاب الخصال^(٨): عن أبي عبدالله ﷺ قال: رنّ إبليس أربع رنات: أولهنّ يوم لعن، وحين أهبط إلى الأرض، وحين بُعث محمد ﷺ على حين فترة من الرسل، وحين أنزلت أم الكتاب.

١. مجمع البيان، ٤٢٦/١.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: بالعرش.

٤. المصدر: صلاة مكتوبة.

٥. المصدر: وإلا نظرت إليه.

٦. المصدر: أن يموت.

٧. ثواب الأعمال، ١٣٢.

٨. الخصال ٢٦٣، ح ١٤١ وله تنمة.

وعن الحسن بن علي عليه السلام في حديث طويل ^(١)، قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن أشياء، فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين، وأعطى أمتك من بين الأمم. فقال النبي ﷺ: أعطاني الله فاتحة الكتاب.

إلى قوله: صدقت يا محمد! فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب؟

فقال رسول الله ﷺ: من قرأ فاتحة الكتاب، أعطاه الله تعالى بعدد كل آية نزلت من السماء ثواب تلاوتها.

وعن جابر، عن النبي ﷺ في حديث طويل ^(٢)، يقول فيه ﷺ حاكياً عن الله تعالى: وأعطيت أمتك كنزاً من كنوز عرشي؛ فاتحة الكتاب.

وفي أصول الكافي ^(٣): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد ابن إسماعيل بن بزيع، عن عبدالله بن الفضل النوفلي - رفعه - قال: ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرة، إلا سكن.

محمد بن يحيى ^(٤)، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن سلمة بن محرز، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من لم يبرئه الحمد، لم يبرئه شيء.

علي بن ابراهيم ^(٥)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة، ثم رُدَّت فيه الروح، ما كان عجباً ^(٦).

وفي عيون الأخبار ^(٧): حدثنا محمد بن القاسم المفسر المعروف بأبي الحسن الجرجاني عليه السلام قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه

١. نفس المصدر ٣٥٥، ضمن ح ٣٦.

٢. نفس المصدر ٤٢٥-٤٢٦، ضمن ح ١.

٣. الكافي ٦٢٣/٢، ح ١٥.

٤. نفس المصدر ٦٢٦:٢، ح ٢٢.

٥. نفس المصدر ٦٢٣/٢، ح ١٦.

٦. المصدر: ذلك عجباً.

٧. عيون الأخبار ٣٠١/١-٣٠٢، مع اختصار في السند واسقاط في صدر الحديث.

الرضا، عن آبائه، عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله تبارك وتعالى قال لي: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» ^(١) فأفرد عليٌّ الامتنان ^(٢) بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم. وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش. وإن الله تعالى خص ^(٣) محمداً وشرفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه، ما خلا سليمان عليه السلام فإنه أعطاه منها «بسم الله الرحمن الرحيم». ألا ترى ^(٤) يحكي عن بلقيس حين قالت: «(إني) ألقى إليّ كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» ^(٥)؟

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين [وعليٍّ]، منقاداً لأمرهما ^(٦)، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله تعالى بكل حرف منها حسنة، كل واحدة منها أفضل له من الدنيا وما فيها، من أصناف أموالها وخيراتها. ومن استمع إلى قارئ يقرأها، كان له قدر ^(٧) ما للقارئ. فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنه غنيمة لا يذهب أوانه. (فيبقى في قلوبكم) ^(٨) الحسرة.

وفي تفسير الإمام أبي محمد الحسن العسكري ^(٩) عليه وعلى آبائه السلام قال: ألا فمن قرأها - إلى آخر ما نقلنا عن العيون - بأدنى تغيير.

وفي تفسير العياشي ^(١٠): عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: اسم الله الأعظم مقطّع في أم الكتاب.

عن محمد بن سنان ^(١١)، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قال لأبي حنيفة: ما سورة أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء؟

-
- | | |
|-----------------------------|--|
| ١. الحجر / ٨٧. | ٢. المصدر: الامتنان على. |
| ٣. ر: شرف. | ٤. «ألا ترى» ليست في المصدر. |
| ٥. ليس في المصدر. | ٦. النمل / ٣٠. |
| ٧. المصدر: لأمرها. | ٨. المصدر: بقدر. |
| ٩. المصدر: فيبقى قلوبكم في. | ١٠. تفسير العسكري <small>عليه السلام</small> ، ٢٩، تأويل الآيات، ٢٣/١. |
| ١١. تفسير العياشي، ١٩/٢. | ١٢. تفسير العياشي، ١٩/١. |

فبقي متحيراً، ثم قال: لا أدري!

فقال أبو عبدالله عليه السلام: السورة التي أولها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء، سورة الحمد.

عن اسماعيل بن أبان^(١)، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبدالله: يا جابر! ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله ^(٢) في كتابه؟

قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله ^(٣)! علمنيها.

قال: فعلمه الحمد لله أم الكتاب.

قال: ثم قال^(٤): يا جابر! ألا أخبرك عنها؟

قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني.

قال: هي شفاء من كل داء إلا السام. يعني: الموت.

عن أبي بكر الحضرمي، [قال: ^(٥)] قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا كانت لك حاجة فاقراً المثنائي وسورة أخرى، وصل ركعتين، وادع الله.

قلت: أصلحك الله، وما المثنائي؟

قال: فاتحة الكتاب^(٦).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ②: مكية قيل^(٧)، ومدنية أيضاً. لأنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، وبالمدينة لما حوّلت القبلة إليها^(٨).

سبع آيات بالاتفاق.

إلا أن بعضهم عدّ «بسم الله الرحمن الرحيم» آية، دون «أنعمت عليهم»، وهم

٢. في ج: الله تعالى.

٤. المصدر: قال له.

٦. تفسير العياشي، ٢/١.

١. نفس المصدر، ٢٠/١.

٣. في ج: يا رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥. من المصدر.

٧. أنوار التنزيل، ٥/١.

٨. مجمع البيان، ١٨/١؛ أنوار التنزيل، ٥/١. وفي مجمع البيان الجزء الأول صفحة ٣٥: مكية عن ابن عباس

وقتادة، ومدنية عن مجاهد.

الإمامية وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي .

ومنهم من عكس، وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي .

واستدلَّت الإمامية بما روي في تفسير أبي محمد العسكري عليه السلام ^(١) عنه، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إِنَّ «بسم الله الرحمن الرحيم»، آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها بسم الله الرحمن الرحيم ^(٢) .

وفي تفسير العياشي ^(٣): عن يونس بن عبد الرحمن، عَمَّن رفعه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم»؟ قال: هي سورة الحمد، وهي سبع آيات، منها «بسم الله الرحمن الرحيم». وإنما سُمِّيت «المثاني»، لأنها تُتلى في الركعتين .

وعن أبي حمزة ^(٤)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سرقوا أكرم آية في كتاب الله: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

وفي تهذيب الأحكام ^(٥): محمد بن علي بن محبوب، عن العباس، عن محمد ابن ^(٦) أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن «السبع المثاني والقرآن العظيم» ^(٧)، هي الفاتحة؟ قال: نعم .

قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم» من السبع المثاني ^(٨)؟ قال: نعم، هي أفضلهن .

١. تفسير العسكري عليه السلام، ٢٩.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: بسم الله الرحمن الرحيم .

٣. تفسير العياشي، ١٩/١.

٤. تفسير العياشي، ١٩/١.

٥. تهذيب الأحكام ٢٨٩/٢، ح ١١٥٧.

٦. في ج: أبي عمير، عن.

٧. ليس في المصدر.

٨. الحجر ٨٧.

وفي عيون الأخبار^(١) - بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام [في] حديث طويل ، وفيه :
 قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن « بسم الله الرحمن الرحيم » ، أهي
 آية من فاتحة الكتاب ؟

فقال : نعم . كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها ، ويعدها آية منها ، ويقول : فاتحة الكتاب هي
 السبع المثاني .

وإسناده^(٢) : عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام أنه قال : إن « بسم الله الرحمن
 الرحيم » ، آية من فاتحة الكتاب . وهي سبع آيات ، تمامها « بسم الله الرحمن الرحيم » .
 وفيه^(٣) عن الرضا عليه السلام قال : والإجهار بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » في جميع
 الصلوات سنة .

وعن الرضا عليه السلام^(٤) أنه كان يجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » في جميع صلواته
 بالليل والنهار .

وفي الكافي^(٥) : علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن معاوية بن
 عمار ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام إذا قمت للصلاة ، أقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » في
 فاتحة الكتاب ؟^(٦)

قال : نعم .

قلت : فإذا قرأت فاتحة الكتاب ، أقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » مع السورة ؟

قال : نعم .

محمد بن يحيى^(٧) ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن مهزيار ، عن يحيى ابن أبي
 عمران الهمداني ، قال : كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك . ما تقول في رجل ابتدأ

١ . عيون الأخبار ، ٣٠١/١ ، ذيل ح ٥٩ .

٢ . نفس المصدر ٣٠٣/١ ، صدر ح ٦٠ .

٣ . نفس المصدر ، ١٢٣/٢ .

٤ . نفس المصدر ، ١٨٢/٢ - ١٨٣ .

٥ . الكافي ٣١٢/٣ ، ح ١ .

٦ . المصدر : فاتحة القرآن .

٧ . نفس المصدر ٣١٣/٣ ، ح ٢ .

بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في صلاته وحده في أم الكتاب، فلمّا صار إلى غير أم الكتاب من السورة، تركها؟

فقال العباسي: ليس بذلك بأس!

فكتب بخطه: يعيدها مرّتين، على رغم أنفه. يعني: العباسي.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن صفوان الجمال، قال: صلّيت خلف أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا كانت صلاة لا يجهر فيها، جهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم». وكان يجهر في السورتين، جميعاً.

وفي تفسير علي بن ابراهيم^(٢): عن ابن أذينة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم» أحقّ ما أجهر به. وهي الآية التي قال الله تعالى: «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً»^(٣).

وفي مجمع البيان^(٤): عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب من^(٥) كنز الجنة، فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية التي يقول الله (تعالى)^(٦): «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً»^(٧).

وفي تفسير العياشي^(٨): عن أبي بصير^(٩)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم». ويرفع بها صوته. فإذا سمعها المشركون ولّوا مدبرين. فأنزل الله: «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً»^(١٠).

١. نفس المصدر ٣/٣١٥، ح ٢٠.

٢. تفسير القمي، ٢٨/١.

٣. الإسراء/٤٦.

٤. مجمع البيان، ٣١/١.

٥. النسخ: فيها من.

٦. المصدر: الله فيها.

٧. الإسراء/٤٦.

٨. تفسير العياشي، ٢٠/١، ح ٦.

٩. المصدر: أبي حمزة.

١٠. الإسراء/٤٦.

وفيه^(١): عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إن أناساً ينزعون «بسم الله الرحمن الرحيم»! فقال: هي آية من كتاب الله، أنساهم إبّاهما الشيطان.

عن خالد بن المختار^(٢)، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: ما لهم قاتلهم الله^(٣) عمدوا^(٤) إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها، وهي «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي كتاب الخصال^(٥): عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: والإجهار بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة واجب. واعلم: أنّ بعض تلك الأخبار يدلّ على أنّها آية، وبعضها يؤيده.

وأما فضله:

ففي تفسير العياشي^(٦): عن صفوان الجمال، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلّا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم»، وإنّما كان يعرف انقضاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم» ابتداءً للأخرى.

وفي الكافي^(٧): محمد بن يحيى، عن علي بن الحسين بن علي، عن عباد بن يعقوب، عن عمرو بن مصعب، عن فرات بن أحمد^(٨)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: أول كلّ كتاب نزل من السماء «بسم الله الرحمن الرحيم»، فإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» فلا تبال ألّا^(٩) تستعيز. وإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» سترتك فيما بين السماء والأرض.

٢. تفسير العياشي ٢١/١، ح ١٦.

٤. في النسخ: وعمدوا.

٦. تفسير العياشي ١٩/١، ح ٥.

٨. المصدر وج: أخف.

١. تفسير العياشي ٢١/١، ح ١٢.

٣. ليس في المصدر.

٥. الخصال ٦٠٤، ضمن ح ٩.

٧. الكافي ٣١٣/٣، ح ٣.

٩. المصدر: فلا تبال ألّا.

ويمكن الجمع بين هذين الخبرين وخبر سليمان السابق، أن غير سليمان أعطى البسمة بغير العربية، وسليمان أعطيها بالعربية.

وفي أصول الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن جميل بن دراج، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لا تدع «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كان بعده شعر.

عدة من أصحابنا^(٢) عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن الحسن ابن علي، عن يوسف بن عبدالسلام، عن سيف بن هارون مولى آل جعدة، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتى ترفع السين^(٣).

عنه^(٤) عن علي بن الحكم، عن الحسن بن السري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: [لا^(٥)] تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» لفلان. ولا بأس أن تكتب على ظهر الكتاب لفلان. عدة من أصحابنا^(٦)، عن سهل بن زياد، عن ادريس الحارثي^(٧)، عن محمد بن سنان، عن المفضل^(٨) بن عمر، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: احتججوا^(٩) من الناس كلهم بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وبـ «قل هو الله أحد»، اقرأها عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ومن فوقك، ومن تحتك. وإذا دخلت على سلطان جائر، فاقرأها حين تنظر إليه ثلاث مرات، واعقد بيدك اليسرى. ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده.

١. الكافي ٦٧٢/٢، ح ١.

٢. نفس المصدر ٦٧٢/٢، ح ٢.

٣. قال الفيض عليه السلام في الوافي: ولا تمدّ الباء؛ يعني: إلى الميم، كما وقع التصريح به في حديث أمير المؤمنين عليه السلام، ورفع السين تضرّ به. (انتهى)

وقيل: استحباب رفع السين قبل مدّ الباء يحتمل اختصاصه بالخط الكوفي.

٤. نفس المصدر ٦٧٢/٢، ح ٣.

٥. يوجد في ج. وهو الصحيح.

٦. نفس المصدر ٦٧٢/٢، ح ٢٠.

٧. في ج: عن الحارث.

٨. في ج: الفضل.

٩. نفس المصدر: يا مفضل، احتج.

وفي كتاب التوحيد^(١) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل وفيه: قال رسول الله ﷺ: من حزنه أمر يتعاطاه^(٢) فقال «بسم الله الرحمن الرحيم» وهو يخلص^(٣) لله ويقبل بقلبه إليه، لم ينفك من إحدى اثنتين: إما بلوغ حاجته في الدنيا، وإما يعدُّ له عند ربِّه، ويذخر لديه. وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين.

وفيه^(٤) عن الصادق عليه السلام حديث طويل، وفيه: ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره «بسم الله الرحمن الرحيم». فيمتحنه الله ﷻ بمكروه لينتبهه على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه، ويمحق عنه وصمة^(٥) تقصيره عند تركه قول «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي تهذيب الأحكام^(٦): محمد بن علي بن محبوب، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن حماد بن زيد، عن عبد الله بن يحيى الكاهلي، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها. وفي مهج الدعوات^(٧): بإسناده إلى محمد بن الحسن الصفار، من كتاب فضل الدعاء، بإسناده إلى معاوية بن عمار، عن الصادق عليه السلام أنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم الله الأكبر. أو قال: الأعظم.

وبرواية ابن عباس^(٨): قال ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم من أسماء الله الأكبر. وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها.

وفي عيون الأخبار^(٩): بإسناده إلى محمد بن سنان، عن الرضا عليه السلام قال: إن «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

١. التوحيد ٢٣٣، ذيل ح ٥.

٢. المصدر: تعاطاه.

٣. المصدر: مخلص.

٤. نفس المصدر ٢٣١، ضمن ح ٥.

٥. محق الشيء: أبطله ومحاه، والوصمته: العار والعيب.

٦. تهذيب الأحكام ٢٨٩/٢، ح ١١٥٩.

٧. مهج الدعوات ٣١٦.

٨. مهج الدعوات ٣١٩.

٩. عيون الأخبار ٥/٢.

١٠. المصدر: الرضا علي بن موسى.

وفي كتاب علل الشرائع^(١): بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: بعد أن حكى عن النبي صلى الله عليه وآله ما رأى إذ عرج^(٢) به وعلّه الأذان والافتتاح: فلما فرغ من التكبير والافتتاح قال الله تعالى: الآن وصلت إليّ، فسم باسمي!

فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم».

فمن ذلك جعل «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول السورة^(٣).

ثم قال له: احمدي.

فقال: «الحمد لله رب العالمين».

وقال النبي صلى الله عليه وآله في نفسه: شكراً.

فقال الله: يا محمد! قطعت حمدي. فسم باسمي.

فمن [أجل]^(٤) ذلك جعل في «الحمد لله»، «الرحمن الرحيم» مرتين.

فلما بلغ «ولا الضالين»، قال النبي صلى الله عليه وآله: «الحمد لله رب العالمين» شكراً.

فقال العزيز الجبار: قطعت ذكرى. فسم باسمي.

[فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم»]^(٥).

فمن [أجل]^(٦) ذلك جعل «بسم الله الرحمن الرحيم»، بعد الحمد، في استقبال

السورة الأخرى.

وفي تفسير العياشي^(٧) قال الحسن بن خرزاد: وروي عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا أم

الرجل القوم، جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب الإمام، فيقول: هل ذكر الله؟

يعني: [هل]^(٨) قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فإن قال: نعم. هرب منه، وإن قال: لا.

٢. في ج: أعرج.

٤. من المصدر.

٦. من المصدر.

٨. من المصدر.

١. علل الشرائع، ٣١٥.

٣. المصدر: كل سورة.

٥. من المصدر.

٧. تفسير العياشي، ٢٠/١.

ركب عنق الإمام، ودلّى رجله في صدره. فلم يزل الشيطان أمام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم.

وفي الكافي^(١): علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ومحمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى - جميعاً - عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فإذا جعلت رجلك في الركاب فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم» بسم الله، والله أكبر.

«بِسْمِ اللَّهِ»: «الباء» متعلّقة بمحذوف. تقديره: بسم الله أقرأ، لأنّ الذي يتلوه مقروء. وكذلك يضمّر كلّ فاعل ما يجعل التسمية مبدءاً له، دون «أبدأ» لعدم ما يطابقه، أو «ابتدائي» لزيادة إضمار فيه.

وتقديم المفعول هنا، كما في «بسم الله مجريها ومرسيها»^(٢)، لأنّه أهمّ. لكونه أدلّ على الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود^(٣).

فإنّ اسمه تعالى متقدّم على القراءة، من حيث أنّه جعل آلة لها، من أجل أنّ الفعل لا يتم ولا يعتدّ به شرعاً ما لم يصدر باسمه تعالى^(٤).

«فالباء» للاستعانة.

وقيل^(٥): للمصاحبة. والمعنى: متبرّكاً باسم الله أقرأ.

وهو أحسن^(٦) لرعاية الأدب. ولم يزد في هذا المقام على هذين الاحتمالين.

وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يُتبرّك باسمه، ويُحمّد على نعمه.

٢. هود / ٤١.

١. الكافي ٢٨٥/٤، ضمن ح ٢.

٣. في أنوار التنزيل ٥/١: وتقديم المفعول هاهنا أوقع: كما في قوله: «بسم الله مجراها» وقوله: «إياك نعبد»

لأنّه أهمّ وأدلّ ... الخ (وهو أظهر).

٤. أنوار التنزيل، ٥/١.

٦. في ج: وهو حسن.

٥. نفس المصدر.

ويحتمل أنه تعالى صَدَّر كتابه به للإشعار بأن التصدير به في كل فعل وتأليف أمر واجب، وإن كان مؤلفه هو الله سبحانه.

والتعبير بلفظ الغائب للتعظيم؛ كقول بعض الخلفاء: الأمير بأمرك بكذا.
وكسر الباء ولام الأمر ولام الإضافة، داخلاً على المظهر. وحق الحروف المفردة الفتح لاختصاصها بلزوم الجر والامتنياز عن لام الابتداء. وإنما كان حقها ذلك؛ لأنه أخت السكون في الخفة.

و«الاسم»: عند أهل البصرة من الأسماء المحذوفة الأعجاز لكثرة الاستعمال المبنية أوائلها على السكون. وهي عشرة: اسم واست وابن وابنة وابنم واثنان، واثنان وامرؤ وامرأة وأيمن في القسم عند البصرية، أدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل، لأن من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن.

ومنهم: من ابتدأ بتحريك الساكن، فقال: سم وسم. فقال: «بسم» الذي في كل سورة، سمه. واشتقاقه من السمو، لأنه رفعة للمسمى، وإشارة إليه. ويدل عليه تصريحه على أسماء وأسامي وسمي وسميت. ومجيء سمي كهدي. قال:

والله أسماك سمي مباركاً أثرك الله به تباركا

ومن المقلوبة الأوائل عند الكوفيين، أصله «وسم»، قلبت واوه همزة.

وقيل^(١): حذف واوه، وعوضت عنها همزة الوصل ليقّل إعلاله.

ورُدَّ: بأنَّ الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم.

ورُدَّ: بأنَّ كلمة «أنصر» قد حذف منها التاء وأدخلت عليها الهمزة.

ورُدَّ ذلك بأنَّ غير المعهود ما حذف صدره، وأدخلت عليه الهمزة، وهو ليس

كذلك.

وأجيب بكلمة « أكرم » فإنه حذف الهمزة التي صدره ، وأدخل عليه همزة المتكلم .
فتأمل !

والمراد منه اللفظ المغاير ^(١) للمسمى ، الغير المألف من الأصوات ، المتحد باختلاف الأمم والأعصار . وإرادة المسمى منه بعيد لعدم اشتهاه بهذا المعنى .
وقوله تعالى : « سُبْح اسم ربك الأعلى » ^(٢) المراد منه : تنزيه اللفظ . أو هو مقحم فيه كقوله :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

قيل ^(٣) : [و] ^(٤) رأي أبي الحسن الأشعري أن المراد بالاسم : الصفة . وهي تنقسم عنده إلى ما هو نفس المسمى ، وإلى ما هو غيره ، وإلى ما ليس هو ولا غيره .
قيل : وهو عند أهل الظاهر من الألفاظ .
فعلى هذا لا يصح قوله ^(٥) : الاسم عين المسمى .

وعند الصوفية : عبارة عن ذات الحق ، والوجود المطلق ، إذا اعتبرت مع صفة معينة وتجلّى خاص . « فالرحمن » مثلاً هو ^(٦) الذات الإلهية مع صفة الرحمة . « والقهار » مع صفة ^(٧) القهر .

فعلى هذا ، الاسم عين المسمى بحسب التحقق والوجود ، وإن كان غيره بحسب التعقل . والأسماء الملفوظة هي أسماء هذه الأسامي .

وإضافته إلى « الله » - على التقديرين - لامية ، والمراد به : بعض أفراد الذي من جملتها « الله » و « الرحمن الرحيم » ^(٨) . ويمكن أن يراد به هذه الأسماء بخصوصها ، بقرينة التصريح بها .

١ . من أول الكتاب إلى هنا ليس في نسخة أ .

٢ . الأعلى / ١ .

٣ . من ج .

٤ . أنوار التنزيل ، ٦/١ .

٥ . في ج : قولهم .

٦ . في غير نسخة ج من نسخنا : هو مع !

٧ . في ج : والرحيم .

٨ . في ج : مع صفة معينة .

ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية. أما على التقدير الثاني، فظاهرة. وأما على الأول، فبأن يراد بالأسماء الثلاث أنفسها، لا معانيها. ويكون «الرحمن الرحيم» جاريين على الله على سبيل الحكاية عما أريد به من المعنى، والاستعانة والتبرك بالألفاظ بإجرائها على اللسان وإخطار معانيها بالبال، وبالمعاني بإخطارها بالبال وإجراء أساميها على اللسان.

وأحتم الاسم لكون التبرك والاستعانة باسمه، والفرق بين اليمين واليمين. ولم يكتب الألف لكثرة الاستعمال، وتطويل الباء عوض عنه.

والله «أصله»: «الإله» فحذفت الهمزة وعوضت عنها حرف التعريف. ولذلك قيل: يا الله - بالقطع - علم للذات^(١) الواجب المستحق لجميع المحامد. وقد يستعمل في المعبود بالحق، مجازاً.

والدليل على الأول: أن كلمة «لا إله إلا الله» تفيد التوحيد، من غير اعتبار عهد وغلبة ضرورة، وبالاتفاق من الثقافات. فلو لم يكن علماً لم يكن مفيداً. وهو الظاهر^(٢).

وعلى الثاني: قوله تعالى: «وهو الله في السماوات».

قيل: لو لم يكن علماً، فالمراد بكلمة «إله» الواقعة اسم «لا»: إما مطلق المعبود، فيلزم الكذب. أو المعبود بالحق، فيلزم استثناء الشيء عن نفسه.

ورُدَّ بأن المراد: المعبود بالحق، ولا يلزم استثناء الشيء عنه؛ لأن كلمة «الله» صارت بالغلبة مختصة بفرد من مفهومها.

وقيل^(٣): لأنه يوصف ولا يوصف به. ولأنه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته، ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه.

ورُدَّ بأنه يمكن أن يقال: إنه كان في الأصل وصفاً، لكنه لما غلب عليه بحيث

٢. في ج: ظاهر.

١. في ج: بالذات.

٣. أنوار التنزيل، ٦١.

لا يستعمل في غيره، وصار كالعلم مثل: الشريا والصعق، أجرى مجراه في إجراء الوصف عليه.

واستدلّ الداهيون إلى أنّه كان في الأصل وصفاً فغلب، بأنّ ذاته - من حيث هو - بلا اعتبار أمر حقيقي أو غيره، غير معقول للبشر. فلا يمكن أن يدلّ عليه بلفظ، وبأنّه لو دلّ على مجرّد ذاته المخصوصة، لما أفاد ظاهر قوله تعالى: «وهو الله في السماوات»^(١) معنى صحيحاً. وبأنّ معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركاً للآخر في المعنى والتركيب، وهو حاصل بينه وبين بعض الألفاظ.

والجواب عن الأول: أنّه يكفي في الوضع ملاحظة الذات المخصوصة^(٢) بوجه، أو هو^(٣) معقول للبشر.

وعن الثاني: بأنّا قد بينّا أنّه قد يطلق على مفهوم المعبود، مجازاً.

وعن الثالث: بأنّ اشتقاقه من لفظ آخر لا ينافي علميّة، لجواز اشتقاق لفظ من لفظ، ثمّ وضعه لشيء مخصوص.

واشتقاقه من «أله» و«ألّهة» و«ألوهة» و«ألوهية» بمعنى: «عبد» ومنه «تأله» و«استأله» فالإله: المعبود.

أو من أله: إذا تحيّر، إذ العقول تحيّر^(٤) في معرفته.

أو من ألّهت «فلاناً»، أي: سكنت إليه. لأنّ القلوب تطمئنّ بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته.

أو من «أله»: إذا فرغ من أمر نزل عليه.

أو «ألّه»: أجاره، إذ العابد^(٥) يفرغ إليه^(٦). أو هو يجيره حقيقة، أو بزعمه إذا أطلق

٢. في ج: المخصوص.

١. الأنعام / ٣.

٤. في ج: تنحيّر.

٣. في ج: و.

٦. في ج: عليه.

٥. في ج: العائد.

على غير^(١) الله؛ كإطلاقهم الإله على الصبح.

أو من «أله الفصيل»: إذا ولع^(٢) بأمه، إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد.

أو من «وله»: إذا تحير وتخبط عقله. وكان أصله «ولاه» فقلت الواو همزة.

لاستئصال الكسرة عليها، استئصال الضمة في وجوه. فقل «أله»، كأعاد وأشاح.

ويردّه الجمع على «آلهة» دون «أولهة».

وقيل: أصله «لاه» مصدر «لاه، يليه، ليهاً، ولاهاً»: إذا احتجب وارتفع^(٣) لأنه تعالى

محجوب عن إدراك الأبصار، ومرتفع على كل شيء وعمّا لا يليق به. ويشهد له قول

الشاعر:

كحلفة من أبي رباح يسمعها لاهه الكبار

وقيل: أصله «لاها» بالسرانية. فعزّب بحذف الألف الأخيرة، وإدخال اللام عليه.

وقيل^(٤): تفخيم لاه، إذا انفتح ما قبله، أو انضمّ، سنّة.

وقيل: مطلقاً، وحذف ألفه لحن يفسد به الصلاة، ولا ينعقد به صريح اليمين. وقد

جاء لضرورة الشعر:

ألا لا بارك الله في سهيل إذا ما بارك الله في الرجال

هذا أصله. ثم وضع علماً للذات المخصوصة^(٥).

قيل: وهو اسم الله الاعظم، لأنه لا يخرج بالتصرف فيه ما أمكن عن معنى.

(وفى عيون الأخبار^(٦))، حديث ذكرته في شرح «قل هو الله أحد» وفيه: قلت:

«الأحد الصمد» وقلت: لا يشبه شيئاً. والله واحد، والأنسان واحد. أليس قد تشابهت

الوحدانية؟

١. ليس في أ.

٢. في ج: أولع.

٣. في ج: أو ارتفع.

٤. في ج: قيل.

٥. أنوار التنزيل، ٦/١.

٦. عيون الأخبار ١٢٧/١، ح ٢٣.

قال : يا فتاح ! أحلت - ثبتك الله - إنما التشبيه في المعاني ، فأما في الأسماء فهي واحدة ، وهي دلالة على المسمّى .

وبإسناده^(١) إلى محمد بن سنان ، قال : سألت الرضا عليه السلام ، ما هو ؟ قال : صفة لموصوف .

وبإسناده^(٢) إلى الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، قال : سألت الرضا عليه السلام عن « بسم الله » ؟ قال : معنى قول القائل « بسم الله » أي : أَسِمُّ على نفسي بسمه من سمات الله ﷻ وهي العبادة^(٣) .

قلت له : ما السمّة ؟

قال : العلامة^(٤) .

وفي كتاب التوحيد^(٥) : عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل ، وقد سأله^(٦) بعض الزنادقة عن الله ﷻ وفيه : قال السائل : فما هو ؟

قال : أبو عبد الله عليه السلام : هو الربّ ، وهو المعبود ، وهو الله . وليس قلبي : « الله » إثبات هذه الحروف : أ ، ل ، ه . ولكن راجع^(٨) إلى معنى : هو^(٩) خالق الأشياء وصانعها . وقعت عليه هذه الحروف . وهو المعنى الذي سُمّي به « الله » و « الرحمن » و « الرحيم » و « العزيز » وأشباه ذلك من أسمائه ، وهو المعبود جلّ وعزّ .

وبإسناده^(١٠) إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال - وقد سئل ما الفائدة في حروف الهجاء - : ما من حرف إلّا وهو اسم من أسماء الله ﷻ .

١ . نفس المصدر ٢٩/١ ح ٢٥ .

٢ . نفس المصدر ٢٦٠/١ ح ١٩ .

٣ . المصدر : العبودية .

٤ . في ج : العلامة له .

٥ . التوحيد ٢٤٥ ح ١ .

٦ . في ج : ألف ، لام .

٧ . في ج : سأل .

٨ . المصدر : لكنني أرجع .

٩ . المصدر : هو شيء .

١٠ . نفس المصدر ٢٣٥ ح ٢ .

وبإسناده^(١) إلى هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله تعالى واشتقاقها.

فقال: «الله» هو^(٢) مشتق من «أله»، و«أله» يقتضى مألوهاً. والاسم غير المسمى. فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً. ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين. ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد. أفهمت يا هشام؟ قال: قلت: زدني.

قال: لله تعالى تسعة وتسعون اسماً. فلو كان الاسم هو المسمى، لكان كل اسم منها هو إلهاً، ولكن الله تعالى معنى يدل عليه هذه الأسماء، وكلها غيره.

يا هشام! الخبز اسم للمأكل. والماء اسم للمشروب. والثوب اسم للملبوس. والنار اسم للمحرق. أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتنافر به أعداءنا والملحدين في الله والمشركين مع الله تعالى غيره؟

قلت: نعم.

قال: نفعلك الله به وثبتك، يا هشام.

قال هشام: فو الله، ما قهرني أحد في التوحيد [حينئذ]^(٣)، حتى قمت مقامي هذا. وبإسناده^(٤) إلى عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، قال عليه السلام في آخره: والله يسمى بأسمائه. وهو^(٥) غير أسمائه. والأسماء غيره.

وفيه: واسم الله غير الله. وكل شيء وقع عليه اسم شيء، فهو مخلوق، ما خلا الله. وبإسناده^(٦) إلى الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن معنى «الله»؟

قال: استولى على مادق وجل.

١. نفس المصدر ٢٢١، ح ١٣.

٢. في ج: وهو.

٣. من المصدر.

٤. نفس المصدر، ١٤٣-١٤٢، ح ٧.

٥. المصدر: فهو.

٦. نفس المصدر ٢٣٠، ح ٤.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١)، بإسناده إلى أبي إسحاق الخزازي، عن أبيه، قال: دخلت مع أبي عبدالله عليه السلام على بعض مواليه، يعود، فرأيت الرجل يكثر من قول: «آه»! فقلت له: يا أخوتي! اذكر ربك، واستغث به.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن «آه» اسم من أسماء الله تعالى، فمن قال «آه» فقد استغاث بالله تبارك وتعالى^(٢).

(وفي تهذيب الأحكام^(٣): محمد بن علي بن محبوب، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن حماد بن زيد، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها. وفي مهج الدعوات^(٤): بإسنادنا إلى محمد بن الحسن الصفار، من كتاب فضل الدعاء بإسناده إلى معاوية بن عمار، عن الصادق عليه السلام أنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» من^(٥) اسم الله الأكبر. أو قال: الأعظم.

وبرواية ابن عباس^(٦) قال عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم من أسماء الله الأكبر. وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها^(٧). ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٨): صفتان للمبالغة. من «رحم» بالضم^(٩)؛ كالغضبان من غضب. والعليم من علم، بعد نقله إلى فعل. وهي انعطاف^(٩) للقلب. يصير سبب الإحسان. ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها.

١. معاني الأخبار ٣٥٤، ح ١. ٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. تهذيب الأحكام ٢٨٩/٢، ح ١١٥٩؛ مجمع البيان ١٨/١؛ عيون الأخبار ٥/٢.

٤. مهج الدعوات، ٣١٧. ٥. ليس في المصدر.

٦. نفس المصدر، ٣١٩. ٧. ما بين القوسين من «ر» و«أ».

٨. ليس في ج.

٩. روج. وهي بالضم. والرحمة انعطاف... إلخ إلا أن كلمة «هي» ليس في ج.

وأسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي الأفعال، دون المبادئ التي هي الانفعالات.

في نهج البلاغة^(١): رحيم لا يوصف بالرفقة.

وفي كتاب الأهليلة^(٢): قال الصادق عليه السلام: إنَّ الرحمة وما يحدث لنا، منها شفقة ومنها جود. وإنَّ رحمة الله ثوابه لخلقه. والرحمة من العباد شيثان:

أحدهما: يحدث في القلب الرأفة والرفقة، لما يرى بالمرحوم من الضرر^(٣) والحاجة وضروب البلاء.

والآخر: ما يحدث منّا بعد^(٤) الرأفة واللطف على المرحوم. والرحمة^(٥) منّا بما نزلت به.

وقد يقول القائل: انظر إلى رحمة فلان، وإنّما يريد الفعل الذي أحدث^(٦) عن الرأفة^(٧) التي في قلب فلان. وإنّما يضاف إلى الله تعالى من فعل ما عني^(٨) من هذه الأشياء. وأما المعنى الذي في^(٩) القلب، فهو منفي عن الله، كما وصف عن نفسه، فهو رحيم، لارحمة^(١٠) رقة.

وفي «الرحمن» من المبالغة، ما ليس في «الرحيم»: لأنَّ زيادة البناء يكون لزيادة المعنى كما يكون للإلحاق والتزيين. ويكون ذلك باعتبار الكمية، أو الكيفية.

فعلى الأول: يقال: رحمان الدنيا، لأنّه يعمّ المؤمن والكافر. ورحيم الآخرة، لأنّه يخصّ المؤمن.

١. نهج البلاغة، ط ١٧٩.

٢. بحار الأنوار، ١٦٩/٣.

٣. في ج: الضّر.

٤. أ: يحدث منّا ما بعد الرأفة. المصدر: ما يحدث منّا ما بعد الرأفة.

٥. في ج: والمعرفة. ٦. المصدر: حدث.

٧. المصدر: الرقة. ٨. أ: ما حدث بحال. المصدر: ما حدث عنا.

٩. المصدر: هو في. ١٠. أ: ليس للرحمة في.

وعلى الثاني: رحمان الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، لأنَّ النعم الأخروية كلّها جسام. وأمّا الدنيوية فجليلة وحقيرة.

و [إنّما] ^(١) قُدِّم، والقياس يقتضي الترقّي من الأدنى إلى الأعلى ^(٢)، لأنّه صار كالعلم، من حيث أنّه لا يوصف به غيره.

أو، لأنَّ «الرحمن» لمادّل على أصول النعم، ذكر «الرحيم» ليشمل ما يخرج منها. فيكون كالتمّة له.

أو، للمحافظة على رؤوس الآي.

أو، لتقدّم نعم الدنيا.

أو، لما ذهب إليه الصوفية، من أنّ «الرحمة» هي الوجود.

فإن اعتبرت من حيث وحدتها وإطلاقها، نظراً إلى وحدتها ^(٣)، اشتقّ منه «الرحمن»، وإن اعتبرت من حيث تخصّصها وتخصّصها باعتبار متعلّقاتها، اشتقّ منه «الرحيم».

ولاشك أنّ الحيشية الأولى متقدمة على الثانية، وهو غير منصرف، حملاً على نظيره في باب، وإن منع اختصاصه بالله، أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة.

(وفي مجمع البيان ^(٤)): وروى أبو سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: أنّ عيسى بن مريم قال: «الرحمن» رحمن الدنيا. و«الرحيم» رحيم الآخرة.

وروي عن الصادق عليه السلام ^(٥): «الرحمن» اسم خاص، بصفة عامّة. و«الرحيم» اسم عام، بصفة خاصّة.

وفي عيون الأخبار ^(٦)، بإسناده: عن الرضا عليه السلام أنّه قال في دعائه: رحمان الدنيا

١. من تفسير البيضاوي ٧/١ ووجودها هو الصحيح.

٢. في أنوار التنزيل ٧/١: لتقدّم رحمة الدنيا. ٣. في ج: محتدها.

٤. مجمع البيان، ٢١/١. ٥. في ج: أنّه قال.

٦. عيون الأخبار ١٦٢، ح ٣٧.

والآخرة ورحيمهما. صلّ على محمد وآل محمد.

وفي شرح الآيات الباهرة: وذكر في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام ^(١) قال:
وتفسير قوله عليه السلام: «الرحمن» أن «الرحمن» مشتق من الرحمة.

وقال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي من ^(٢) الرحم. شققت لها اسماً من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته ^(٣).

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الرحم التي اشتقها الله تعالى من اسمه ^(٤) بقوله: «أنا الرحمن» هي رحم محمد صلى الله عليه وآله. وإنَّ من إعظام الله إعظام محمد صلى الله عليه وآله، وإنَّ من إعظام محمد صلى الله عليه وآله إعظام رحم محمد. وإنَّ كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمد ^(٥). وإنَّ إعظامهم من أعظام محمد صلى الله عليه وآله. فالويل لمن استخفَّ بشيء من حرمة رحم محمد صلى الله عليه وآله ^(٦)، وطوبى لمن عظّم حرمة، وأكرم رحمه، ووصلها.

وقال الإمام عليه السلام: وأما قوله: «الرحيم»، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: رحيم بعباده المؤمنين. ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها تتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها ^(٧)، وتحن الأمهات من الحيوان على أولادها. فإذا كان يوم القيامة، أضاف هذه الرحمة الواحدة ^(٨) إلى تسع وتسعين رحمة، فيرحم بها أمة محمد صلى الله عليه وآله ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة، حتى أنَّ الواحد ليجيء إلى مؤمن من الشيعة، فيقول له ^(٩): اشفع لي!

فيقول له ^(١٠): أي حق لك عليّ؟

-
١. تفسير العسكري عليه السلام، ٣٤.
 ٢. ليس في المصدر.
 ٣. المصدر: قطعته.
 ٤. المصدر: رحمته.
 ٥. المصدر: آل محمد.
 ٦. المصدر: آل محمد.
 ٧. المصدر: حرمة.
 ٨. المصدر: لولدها.
 ٩. ليس في المصدر.
 ١٠. ليس في المصدر.
 ١١. ليس في المصدر.

يقول: سقيتك يوماً ماءً.

فيذكر ذلك، فيشفع له، فيشفع فيه.

ويجيء آخر فيقول: أنا^(١) لي عليك حق [فاشفع لي!]^(٢).

فيقول: [و]^(٣) ما حَقَّك؟

فيقول: استظللت بظلّ جداري ساعة في يوم حارّ.

فيشفع له^(٤) فيشفع فيه. فلا يزال يشفع حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه.

وإن المؤمن أكرم على الله تعالى ممّا يظنون.

وفي كتاب التوحيد^(٥): بإسناده إلى عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن

«بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال: «الباء» بهاء الله، و«السين» سناء الله، و«الميم» مجد الله - وروى بعضهم:

ملك الله -، و«الله» إله كل شيء، و«الرحمن» بجميع خلقه، و«الرحيم» بالمؤمنين

خاصة.

وفي أصول الكافي^(٦) مثله، سواء.

وفي كتاب التوحيد^(٧) أيضاً بإسناده إلى صفوان بن يحيى، عن حدّثه، عن أبي

عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن «بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال: «الباء» بهاء الله. و«السين» سناء الله. و«الميم» ملك الله.

قال قلت: «الله»؟

قال: «الألف» آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، و«اللام» إلزام الله خلقه

ولايتنا.

١. المصدر: إنّ.

٢. من المصدر.

٣. من المصدر.

٤. ليس في المصدر.

٥. التوحيد، ٢٣٠.

٦. الكافي، ١/١١٤.

٧. التوحيد، ٢٣٠.

قلت : فالهاء ؟

قال : هو ان لمن خالف محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم .

قلت : « الرحمن » ؟

قال : بجميع العالم .

قلت : « الرحيم » ؟

قال : بالمؤمنين خاصة .

وفيه ^(١) أيضاً : حدثنا محمد بن القاسم الجرجاني المفسر رحمه الله قال : حدثنا أبو يعقوب يوسف بن ^(٢) محمد ، بن زياد ، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار - وكانا من الشيعة الإمامية - عن أبيهما ، عن الحسن بن علي بن محمد عليه السلام في قول الله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال : « الله » هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد ، كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه ^(٣) ، وتقطع الأسباب عن ^(٤) جميع ما سواه . يقول : بسم الله أي : أستعين على أموري كلها بالله الذي لاتحقّ العبادة إلا له . المغيث إذا استغيث ، المجيب إذا دعي .

وهو ما قال رجل للمصادق عليه السلام : يا ابن رسول الله ! دلني على الله ، ما هو ؟ فقد كثر ^(٥) عليّ المجادلون وحيروني .

فقال له : يا عبد الله ! هل ركبت سفينة قط ؟

قال : نعم .

قال : فهل كسر بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تعينك ؟ ^(٦)

قال : نعم .

قال : فهل تعلق قلبك هنالك ، أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من

ورطنتك ؟

٢ . في ج : بن يوسف .

٤ . المصدر : من .

٦ . المصدر : تغنيك .

١ . نفس المصدر ، ٢٣٠ - ٢٣٢ .

٣ . المصدر : من هو .

٥ . المصدر : أكثر .

قال : نعم .

قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله ، القادر على الإنجاء حيث لا منجي ، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث .

[ثم قال الصادق (١)]: وقام رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال : أخبرني ما (٢) معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » ؟

فقال علي بن الحسين عليه السلام : حدثني أبي ، عن أخيه الحسن ، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً قام إليه ، فقال يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن « بسم الله الرحمن الرحيم » ما معناه ؟

فقال : [إن] (٣) قولك : « الله » أعظم اسم من أسماء الله تعالى وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ، ولم يتسم به مخلوق .

فقال الرجل : فما تفسير قول (٤) « الله » ؟

فقال : هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء ، من جميع من [هو] (٥) دونه ، وتقطع الأسباب من كل من سواه . وذلك أن كل مترأس في هذه الدنيا (٦) ومتعظم فيها ، وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه إليه ، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعظم . وكذلك هذا المتعظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها ، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته ، حتى إذا كفى همه عاد إلى شركه . أما تسمع الله تعالى يقول : « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتسبون ما تشركون » (٧) .

١ . من المصدر . وفي ج « قال » بدل « ثم قال الصادق » .

٢ . المصدر : عن .

٣ . من المصدر .

٤ . المصدر : قوله .

٥ . الأنعام ٤١/ .

٦ . ليس في ج : أعني : الراو .

فقال الله ﷻ لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي! إنني قد ألزمتكم الحاجة إلي في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت.

قال: فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته، فإني إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم. فأنا أحق من سئل، وأولى من تضرع إليه. فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: «بسم الله الرحمن الرحيم» أي: أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، الرحمن الذي يرحم، ويبسط^(١) الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودياننا وآخرتنا، وخفف علينا الدين، وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتمييز من أعدائه^(٢).

(وفي الحديث^(٣)): إذا قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله ﷻ: بدأ عبدي باسمي، حق علي أن أتمم^(٤) أموره، وأبارك له في أحواله.

وفي الكافي^(٥): محمد بن يحيى، عن علي بن الحسين بن علي، عن عباد بن يعقوب، عن عمر بن مصعب، عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر ﷺ قال: سمعته يقول: أول كتاب نزل من السماء: «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» فلا تبالي ألا تستعيز. إذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» سدتك فيما بين السماء والأرض.

وفي أصول الكافي^(٦): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، عن جميل بن دراج، قال أبو عبد الله ﷺ: لا تدع «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كان بعده شعر.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. المصدر: أتمم له.

٦. نفس المصدر ٦٧٢/٢، ح ١.

١. ليس في ج.

٣. تفسير العسكري ﷺ، ٥٨.

٥. الكافي ٣١٣/٣، ح ٣.

عدة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن الحسن بن علي، عن يوسف بن عبد السلام، عن سيف بن هارون مولى آل جعدة، قال: لا تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» لفلان، ولا بأس أن تكتب على ظهر الكتاب لفلان. عدة من أصحابنا^(٢)، عن سهل بن زياد، عن ادريس الحارثي، عن محمد بن سنان، عن مفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتى ترفع السين.

عنه^(٣): عن علي بن حكيم، عن الحسن بن السري، عن أبي عبد الله عليه السلام: احتجوا^(٤) من الناس كلهم «ببسم الله الرحمن الرحيم» و«بقل هو الله أحد»، أقرأها عن يمينك، وعن شمالك [ومن بين يديك]^(٥) ومن خلفك، ومن فوقك، ومن تحتك، وإذا^(٦) دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين^(٧) تنظر إليه ثلاث مرات، واعقد بيدك اليسرى، ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده.

وفي كتاب التوحيد^(٨): بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، فيه: قال رسول الله ﷺ: من حزنه أمر يتعاطاه، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» وهو مخلص لله ويقبل بقلبه إليه، لم ينفك من إحدى اثنتين: إمّا بلوغ حاجته في الدنيا، وأمّا يعدّ له ويدخر لديه. وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين.

وفيه^(٩): عن الصادق عليه السلام في حديث طويل، فيه: ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمتحنه الله ﷻ بمكروه لينبّهه على شكر الله

١. نفس المصدر ٦٧٢/٢، والسند سند ح ٢، والمتمن متن ح ٣.

٢. نفس المصدر، والسند سند ح ٢٠، ٦٢٤/٢، والمتمن متن ح ٢، ٦٧٢/٢.

٣. نفس المصدر، والسند سند ح ٣، ٦٧٢/٢، والمتمن متن ح ٢٠، ٦٢٤/٢.

٤. المصدر: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا مفضل! احتجز. وهو الصحيح كما مر.

٥. من المصدر. ٦. المصدر: فإذا.

٧. في النسخ: حتى، والمثبت من المصدر. ٨. التوحيد، ٢٣٢.

٩. نفس المصدر، ٢٣١.

تبارك وتعالى والثناء عليه، ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: «بسم الله الرحمن الرحيم»^(١).

وفي عيون الأخبار^(٢)، في تأويل «بسم الله الرحمن الرحيم»: بإسناده إلى الحسن ابن علي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ قال: معنى قول القائل: «بسم الله»: أَسِمُّ على نفسي بسمه من سمات الله ﷻ وهي العبادة.

قلت له: ما السمة؟

قال: العلامة.

وبالإسناد^(٣)، إلى عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن^(٤) «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال^(٥): «الباء» بهاء الله. و«السين» سناء الله. و«الميم» مجد الله - وروى بعضهم: ملك الله^(٦) - و«الله» إله كل شيء، «الرحمن» بجميع خلقه، و«الرحيم» بالمؤمنين خاصة.

وفي كتاب التوحيد^(٧) بإسناده إلى صفوان بن يحيى، عَمَّن حدثه، عن أبي عبدالله عليه السلام أَنَّهُ سئل عن «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال: الباء بهاء الله. و«السين» سناء الله. و«الميم» ملك الله.

قال: قلت: الله؟

قال: «الألف» آلاء الله على خلقه من النعيم بولائنا^(٨). و«اللام» إلزام الله خلقه ولأيتنا.

١. من المصدر.

٣. الكافي ١/١٤١، ح ١.

٥. المصدر: قال.

٧. التوحيد، ٢٣٠.

٢. عيون الأخبار، ٢٦١.

٤. المصدر: عن تفسير.

٦. المصدر: الميم ملك الله.

٨. المصدر: بولائنا.

قلت: فالهاء؟

قال: هو أن لمن خالف محمداً وآل محمّد صلوات الله عليهم.

قلت: الرحمن؟

قال: بجميع العالم.

قلت: الرحيم؟

قال: بالمؤمنين خاصة.

وبإسناده^(١) إلى الحسن بن أبي راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن معنى «الله»؟

قال: استوى على ما دقّ وجلّ. وخصّ التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف أنّ الحقيق لأن يستعان به في جميع الأمور هو المعبود الحقيقي، الذي هو مولى النعم كلها، عاجلها وأجلها، جليلها وحقيقها، فيتوجّه بشرائره إلى جنبه^(٢).
«الْحَمْدُ لِلَّهِ»: «الحمد» هو الثناء باللسان، على الجميل الاختياري، من نعمة أو غيرها.

و«المدح»: هو الثناء على الجميل، مطلقاً.

وفي الكشف^(٣): إنهما أخوان لتخصيصه المدح أيضاً بالجميل الاختياري. وقد صرح به في تفسير قوله تعالى: «ولكن الله حَبَّبَ إليكم الإيمان»^(٤).

لا يقال: إذا خصّ «الحمد» بالجميل الاختياري، لزم أن لا يحمد الله تعالى على صفاته الذاتية، كالعلم والقدرة والإرادة، بل اختصّ بأفعاله الصادرة عنه باختياره؛ لأننا نقول: تجعل تلك الصفات، لكون ذاته كافية فيها بمنزلة أفعال اختيارية، يستقلّ بها فاعلها.

٢. ما بين القوسين يوجد في أ.

١. نفس المصدر، ٢٣٠.

٣. لم نعثر عليه في الكشف، ولكنه موجود في أنوار التنزيل، ٧/١.

٤. الحجرات ٧/.

ولا يخفى على المتأمل أن ذلك الجعل لا يقتضي صحة « الحمد » على الصفات الذاتية، بل يقتضي صحة إطلاق لفظ « الحمد » على الثناء على صفاته تجوّزاً، وأين أحدهما عن الآخر؟

وحقيقته عند العارفين: إظهار كمال المحمود - قولاً أو فعلاً أو حالاً - سواء كان ذلك الكمال اختيارياً، أو غير اختياري.

والشكر، مقابلة النعمة قولاً وعملاً واعتقاداً. قال:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب
فهو أعم منها من وجه، وأخص من آخر. ولما كان « الحمد » من شعب « الشكر »
أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال،
جعل رأس الشكر والعمدة فيه.

فقال عليه السلام: « الحمد لله » رأس الشكر، ما شكر الله من لم يحمده.

« والذم » نقيض « الحمد ».

و« الكفران » نقيض « الشكر ».

ورفعه بالابتداء. وخبره « لله »، وأصله النصب، وقد قرئ به^(١).

وإنما عدل به إلى الرفع، دلالة على الدوام والثبات.

وقرئ: « الحمد لله » باتباع الدال اللام، وبالعكس - تنزيلاً لهما - لكثرة استعمالهما معاً بمنزلة كلمة واحدة، كقولهم: منحدر^(٢) الجبل ومغيره.

و« اللام » فيه لتعريف الجنس. وهو الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من معنى « الحمد » بناءً على أن الاختصاص يكون حينئذ مستفاداً من جوهر الكلام من غير استعانة بالأمور الخارجة، ويكون مستلزماً لاختصاص جميع الأفراد.

أو للاستغراق^(٣) بناءً على أن المتبادر إلى الذهن من المحلى بلام الجنس في

٢. ر: ظهر.

١. أنوار التنزيل، ٧/١.

٣. أي: اللام فيه للاستغراق.

المقامات الخطابية، هو الاستغراق. وهو الشائع في الاستعمال. وحينئذ يكون اختصاص الأفراد مصرحاً به.

فإن قلت: لا يصح تخصيص جنس الحمد ولا تخصيص أفراد به. فإن خلق الأفعال إن كان من عند الله فللكسب فيه مدخل فيرجع إليه بهذا الاعتبار. وأما عند المعتزلة: فلأن خالق الأفعال هو العبد، وبمجرد تمكين الله وإقداره عليها، لا يختص «الحمد» به، بل يرجع إليه سبحانه. أيضاً - كل باعتبار. وهو لا يفيد التخصيص، بل الاشتراك.

قلت: لا يبعد أن يقال: أنه جعل الجنس في المقام الخطابي، منصرفاً إلى الكامل، كأنة كل الحقيقة. فاختص الجنس من حيث هو أو أفراد به سبحانه.

فإن قلت: كيف يصح قصد تخصيص الجنس أو أفراد، والحال أن قوله تعالى: «الحمد لله» كان في الأصل: أحمد الله حمداً، أو نحمده حمداً. فلا يكون المراد إلا الحمد المستند إلى المتكلم الواحد، أو مع الغير. فبعد إفادة الكلام التخصيص لا يفيد إلا تخصيص المخصوص، لا مطلقاً.

قلت: كما أنه في صورة الرفع يتجرد الكلام عن التجدد والحدوث، كذلك يتجرد عن^(١) النسبة إلى فاعل مخصوص. وأيضاً يمكن أن يكون صيغة المتكلم مع الغير على السنة جميع الحامدين، حقاً وخلقاً.

ثم قيل: اعلم! أنه إذا كان الحامد في مقام الجمع، فالمناسب أن يحمل اللام على الجنس. وإن كان في مقام الفرق قبل الجمع، فالمناسب الاستغراق، ولكن بالتأويل. وإن كان في مقام الفرق بعد الجمع، فالمناسب الاستغراق، ولكن بلا تأويل. وإن كان في مقام جمع الجمع، فالمناسب الجنس والاستغراق - معاً - من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر.

ثم اعلم! أنه يمكن أن يراد «بالحمد» الحامدية والمحمودية - جميعاً - بناءً على أنه

مشارك معنوي، فإنه فعل واحد بين الحامد والمحمود. وإذا اعتبر نسبته^(١) إلى الحامد، يكون حامدية. وإن اعتبر إلى المحمود، يكون محمودية. أو لفظي^(٢).

ويجوز استعمال المشترك في معنييه أو معانيه؛ كما ذهب إليه المحققون. أو يكون مجازاً عن معنى مشترك بين المعنيين.

(وفي كتاب الخصال^(٣): بإسناده إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: ومن قال: «الحمد لله»، فقد أدى شكر كل نعمة الله تعالى.

وفي أصول الكافي^(٤): محمد [بن يحيى] ^(٥) عن أحمد، عن علي بن الحكم، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبده ^(٦) بنعمة، صغرت أو كبرت، فقال: «الحمد لله» إلا أدى شكرها.

وإسناده^(٧) إلى حماد بن عثمان، قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام من المسجد، وقد ضاعت دابته.

فقال: لئن ردها الله علي لأشكرن الله حق شكره.

قال: فما لبث أن أتى بها.

فقال: الحمد لله.

فقال قائل له^(٨): جعلت فداك، أليس قلت: لأشكرن الله حق شكره؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألم تسمعني قلت: الحمد لله؟^(٩)

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الرّب في الأصل هو المالك.

١. أ: نسبة.

٢. أي: أو على أنه مشترك لفظي.

٣. الخصال ٢٩٩/١، ح ٧٢.

٤. الكافي ٩٦٢، ح ١٤.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: عبد.

٧. نفس المصدر ٩٧/٢، ح ١٨.

٨. المصدر: له قائل.

٩. ما بين القوسين ليس في أ.

فهو إما صفة مشبهة، من فعل متعدّد لكن بعد جعله لازماً، من «رَبِه» «يربه» بفتح العين في الماضي، وضّمّها في الغابر.

وإمّا وصف بالمصدر للمبالغة. كما وصف بالعدل. وهو مفرد لا يطلق على غير الله، إلا نادراً.

وقرئ بالنصب على المدح، أو النداء، أو بالفعل الذي دلّ عليه الحمد.

قيل: هذا الاسم يفيد إثبات خمسة أحكام للحق سبحانه وتعالى؛ وهي: الثبات والسيادة والإصلاح والملك والتربية. لأن «الرب» في اللغة هو المصلح والسيد والمالك والثابت والمربي. ففيه دليل على أنّ الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها، مفتقرة إلى المبقي حال بقائها.

«والعالم»: اسم لما يعلم به؛ كالخاتم لما يختم به. غلب فيما يعلم به، الصانع مما سوى الله من الجواهر والأعراض. فإنّها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته، تدلّ على وجوده.

وقيل: اسم [وضع] ^(١) لذوي العلم، من الملائكة والثقلين، وتناوله غيرهم على سبيل الاستبعا.

وقيل: عني به «الناس» هنا ^(٢). فإنّ كلّ واحد منهم عالم، من حيث أنّه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير (من جنس واحد ممّا سمّي به، أو إلى حقيقة القدر) ^(٣) من الجواهر والأعراض، يعلم بها الصانع. كما يعلم بما أبدعه في العالم. ولذلك سوى بين النظر فيهما. وقال ^(٤): «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» ^(٥).

وإمّا جمعه لتلّا يتوهم أنّ القصد إلى استغراق أفراد جنس واحد ممّا سمّي به. أو إلى حقيقة القدر المشترك.

١. من المصدر (أنوار التنزيل).

٢. المصدر: ههنا.

٣. ما بين القوسين في أ، وليس في المصدر.

٤. الذاريات / ٢١.

٥. أنوار التنزيل، ٨١.

فلما جمع وأشير بصيغة الجمع إلى تعدّد الأجناس وبالتعريف إلى استغراق أفرادها، أزال التوهم بلا شبهة.

وإنما جمعه بالواو والنون، مع أنّه مختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من أعلامهم، لمشابهته الصفة في دلالة على الذات، باعتبار معنى هو كونه يعلم أو يعلم به.

واختصاصه بأولي العلم، حقيقة أو تغليباً.

وقيل: وصفية «العالمين» إنّما هي بتقدير ياء النسبة. يعني العالميين، كالأعجمين بمعنى الأعجميين، واختصاصه بأولي العلم على سبيل التغليب.

ويمكن أن يجعل جمعه بالواو والنون، إشارة إلى سريان الصفات الكمالية من العلم والحياة وغيرهما في كلّ موجود من الموجودات، فالكلّ أولو العلم. وقد ذهب إليه بعض كما يعلم من عبارة بعض.

(وفي كتاب التوحيد^(١) كلام للرضا عليه السلام في التوحيد، وفيه: وربّ إذ لا مربوب.

وفيه^(٢)، عن علي عليه السلام مثله^(٣)).

وعن أبي جعفر عليه السلام في^(٤) حديث طويل^(٥) وفيه: لعلّك^(٦) ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد، أو^(٧) ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم! بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين.

وفي كتاب الخصال^(٨): بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال - في حديث طويل -: إنّ [علم^(٩)] عالم المدينة^(١٠) ينتهي إلى حيث لا يقفو الأثر ويزجو^(١١) الطير. ويعلم في

٢. نفس المصدر، ٤٢ ضمن خطبة طويلة.

٤. ليس في ج.

٦. في ج: ولعلّك.

٨. الخصال، ٤٩٠/٢.

١. التوحيد ٥٧، ضمن حديث طويل.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. نفس المصدر ٢٧٧، ضمن ح ٢.

٧. المصدر: و.

٩. من المصدر.

١٠. أ: المدينة. ج: المدنيّة: والصحيح ما في المتن. والمراد نفسه عليه السلام. والمدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله.

١١. المصدر وج: يزجر.

اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر (برجاً، واثني عشر برأ، واثني عشر بحرأ، واثني عشر عالماً)^(١).

وبإسناده^(٢) إلى العباد^(٣) بن عبد الخالق، عمن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن الله عز وجل اثني عشر ألف عالم، كل عالم منهم^(٤) أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين، ما يرى^(٥) عالم منهم أن الله عز وجل عالماً غيرهم، وأنا الحجة عليهم.

وفي عيون الأخبار^(٦) حدثنا محمد بن القاسم الإسترآبادي المفسر عليه السلام قال: حدثني يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٨)، (عن أبيه عن جده)^(٩) عليه السلام، قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: «الحمد لله رب العالمين» ما تفسيره؟

فقال: لقد حدثني أبي، عن جدي، عن الباقر، عن زين العابدين، عن أبيه عليه السلام: أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: «الحمد لله رب العالمين» ما تفسيره؟

فقال: «الحمد لله» هو أن عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملأ، إذ لا يقدرّون على معرفة جميعها بالتفصيل؛ لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال لهم: قولوا: «الحمد لله» على ما أنعم به علينا «رب العالمين» وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات.

١. مابين القوسين ليس في أ.

٢. نفس المصدر، ٦٣٩/٢.

٣. أ: العبادي. ج: عباد.

٤. ليس في أ.

٥. المصدر: ما ترى.

٦. عيون الأخبار ٢٨٤/١، ح ٣٠.

٧. المصدر: حدثنا.

٨. في ج: عليهم السلام.

٩. ليس في أ.

فأما^(١) الحيوانات ، فهو يَقلِّبُها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحوطها بكنفه ويدبر كلاً منها بمصلحته . وأما الجمادات ، فهو يمسكها بقدرته ويمسك المتصل منها أن يتهافت ، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره ، أنه بعباده رؤوف^(٢) رحيم .

[و] قال ﷺ : « رب العالمين » مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون . فالرزق مقسوم ، وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا ، ليس تقوى متّقي بزايدة ، ولا فجور فاجر بناقصة ، وبينه وبينه ستر وهو طالبه . فلو أن أحدكم يفرّ من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت . فقال الله ﷻ : قولوا : « الحمد لله » على ما أنعم به علينا ، وذكرنا به من خير في كتب الأولين قبل أن نكون^(٤) .

ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم وعلى شيعتهم ، أن يشكروه بما فضّلهم .

وذلك أن رسول الله ﷺ قال : لما بعث الله ﷻ موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه نجياً وفلق له البحر ونجّى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح ، رأى مكانه من ربه ﷻ فقال : يا رب ! لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي .

فقال الله جلّ جلاله : يا موسى ! أما علمت أن محمداً أفضل عندي^(٥) من جميع ملائكتي وجميع خلقي ؟

قال موسى : يا رب ! فإن كان محمداً ﷺ أكرم عندك من جميع خلقك ، فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي ؟

قال الله ﷻ : يا موسى ! أما علمت أن فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين ؟

١ . المصدر : وأما .

٢ . المصدر : لرؤوف .

٣ . من المصدر .

٤ . أ : يكون ، روج : تكون .

٥ . المصدر : أن محمداً عندي أفضل .

فقال موسى: يا رب! إن كان آل محمد كذلك، فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي؛ ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى، وفلقت لهم البحر؟ فقال الله ﷻ: يا موسى! أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي؟

فقال موسى ﷺ: يا رب! ليتني كنت أراهم.

فأوحى الله ﷻ إليه: يا موسى! إنك لن تراهم، وليس هذا أو أن ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنات؛ جنات عدن والفردوس بحضرة محمد، في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتحببون^(١). أفتحب أن أسمعك كلامهم؟

قال^(٢): نعم الهي!

قال الله ﷻ: قم بين يدي واشدد منرك! قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل. ففعل ذلك موسى ﷺ فنادى ربنا ﷻ: يا أمة محمد!

فأجابه كلهم، وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لبيك، اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لاشريك لك لبيك^(٣).

قال: فجعل الله ﷻ تلك الإجابة شعار الحج^(٤).

ثم نادى ربنا ﷻ: يا أمة محمد! إن قضائي عليكم أن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي. فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني، وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صادق في أقواله، محق في أفعاله، وأن علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليّه، ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد، وأن أوليائه المصطفين الطاهرين،

١. تبحيح الرجل: تمكّن في المكان والحلول به. ويمكن أن يكون من قولهم: تبحيح الدار؛ أي توسطها.

وقيل: أي يتوسطون في أوساط الجنان لافي أطرافها، لأن الوسط خير من الطرف.

٢. المصدر: فقال.

٣. ليس في أو في المصدر أيضاً.

٤. المصدر وأ: الحاج.

المطهرين المنيبين^(١) بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه، أدخلته جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال ﷺ: فلما بعث الله ﷺ نبينا محمداً ﷺ قال: يا محمد! وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك بهذه الكرامة.

ثم قال الله ﷻ لمحمد ﷺ قل: «الحمد لله رب العالمين» على ما اختصني به من هذه الفضيلة. وقال لأمته: قولوا أنتم: «الحمد لله رب العالمين» على ما اختصنا به من هذه الفضائل.

(وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام أبو محمد الحسن العسكري^(٢) ﷺ: حدثني أبي، عن جدي، عن الباقر، عن زين العابدين ﷺ: أن رجلاً أتى أمير المؤمنين ﷺ فقال له: أخبرني عن قول الله ﷻ «الحمد لله رب العالمين» ما تفسيره؟

فقال: «الحمد لله» هو أن الله قد^(٣) عَزَفَ عباده بعض نعمه^(٤) عليهم جملاً، إذ لا يقدر على معرفة جميعها بالتفصيل؛ لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف.

فقال لهم: قولوا: «الحمد لله»^(٥) على ما أنعم به علينا، وذكرنا به من خير في كتب الأولين، من قبل أن نكون.

ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد لما فضلهم به^(٦)، وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضلهم به على غيرهم.

وفي كتاب الخصال^(٧): عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كنَ فيه كان في نور الله الأعظم.

١. أ: المبينين.

٢. تفسير العسكري ﷺ، ٣٠. مع تفاوت في النقل، تأويل الآيات، ٢٥/١.

٣. ليس في ج.

٤. في ج: نعمته.

٥. في ج: الحمد لله رب العالمين.

٦. المصدر: بما فضله وفضلهم.

٧. الخصال ٢٢٢/١، ح ٤٩.

إلى قوله: ومن أصاب خيراً قال: «الحمد لله رب العالمين».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): في الموثق عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «الحمد لله»، قال: الشكر لله.

وفي قوله: «رب العالمين»، قال: خالق^(٢) المخلوقين.

وفي [كتاب] من لا يحضره الفقيه^(٣): وفيما ذكره الفضل من العلل، عن الرضا عليه السلام أنه قال: «الحمد لله» إنما هو أداء لما أوجب الله عليه خلقه من الشكر، وشكر^(٤) لما وفق عبده من الخير.

«رب العالمين»، توحيد له وتحميد^(٥) وإقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره.

وفي مجمع البيان^(٦): وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ عَلَيَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

إلى قوله: «الحمد لله رب العالمين» دعوى أهل الجنة، حين شكروا الله حسن الثواب.

وفي أصول الكافي^(٧)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال أربع مرات إذا أصبح: «الحمد لله رب العالمين» فقد أدى شكر يومه. ومن قالها إذا أمسى، فقد أدى شكر ليلته.

وبإسناده^(٨) إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال: «الحمد لله رب العالمين» كثيراً على كل حال، ثلاثمائة وستين مرة. وإذا أمسى قال مثل ذلك.

علي بن إبراهيم^(٩)، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، قال: عطس رجل عند

١. تفسير القمي، ٢٨/١.

٢. في ج: خلق.

٣. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١، ضمن ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢، ح ١.

٤. المصدر: تمجيد.

٥. في ج: والشكر.

٦. مجمع البيان، ٣١/١.

٧. الكافي ٥٠٣/٢، ح ٥.

٨. نفس المصدر ٥٠٣/٢، ح ٤.

٩. نفس المصدر ٦٥٤/٢، ح ١٤. في ج علي بن إبراهيم عن أبيه ...

أبي جعفر عليه السلام فقال: «الحمد لله» فلم ^(١) يسمّته أبو جعفر عليه السلام وقال: نقصنا حقنا. ثم قال: إذا عطس أحدكم فليقل: «الحمد لله ربّ العالمين» وصلى الله على [نبيه] ^(٢) محمّد وأهل بيته.

قال: فقال الرجل، فسمّته أبو جعفر عليه السلام.

وبإسناده ^(٣) إلى مسمع بن عبد الملك، قال: عطس أبو عبدالله عليه السلام فقال: «الحمد لله ربّ العالمين» ثم جعل أصبعه على أنفه، فقال: رغم أنفي لله رغماً داخراً.

وبإسناده ^(٤) إلى محمّد بن مروان رفعه، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من قال إذا عطس: «الحمد لله ربّ العالمين» على كلّ حال، لم يجد وجع الأذنين والأضراس.

وبإسناده ^(٥) إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: من عطس ثم وضع يده على قصبه أنفه، ثم قال: «الحمد لله ربّ العالمين» [حمداً] ^(٦) كثيراً ^(٧) كما هو أهله، وصلى الله على محمّد النبي وآله وسلم، خرج من منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب، حتى يصير تحت العرش، يستغفر الله له إلى يوم القيامة ^(٨).

(وفي الحديث ^(٩)): إذا قال العبد: «الحمد لله ربّ العالمين»، قال الله: حمدني عبدي، وعلم أنّ النعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي اندفعت ^(١٠) عنه بتطوّلي. أشهدكم أنّي أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا) ^(١١).

«الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»: قد مرّ تفسيرهما. وكرّرهما للتفصيل.

وقيل: يحتمل أن يكون المراد «بالرحمن الرحيم» ^(١٢) في البسملة، هو المتجلى

١. في ج: ولم.

٢. في ر.

٣. نفس المصدر ٦٥٥/٢، ح ٩.

٤. نفس المصدر ٦٥٥/٢، ح ١٥.

٥. نفس المصدر ٦٥٧/٢، ح ٢٢.

٦. من المصدر.

٧. ليس في ر.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

٩. عيون الأخبار ٣٠٠/١.

١٠. المصدر: دفعت.

١١. ما بين القوسين يوجد في أ.

١٢. في ج: والرحيم.

بصور الأعيان الثابتة بفيضه الأقدس ، فإنه تعالى باعتبار عموم هذا الفيض وإطلاقه هو «الرحمن» ، وباعتبار تخصصه ، وتخصّصه^(١) هو «الرحيم» . والمراد بهما فيما بعدها ، هو المتجلّي بصور الأعيان الوجودية بالاعتبارين المذكورين .

وقيل : ذكر الرحمة بعد ذكر «العالمين» وقبل ذكر «ملك يوم الدين» ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة :

إحداهما : تنظر إلى الرحمة في خلق العالمين ، وأنه خلقه على أكمل أنواعها وأتاها كلّما احتاجت إليه .

وأخرهما : تشير إلى الرحمة في المعاد ، يوم الجزاء ، عند الإنعام بالملك المؤبد في مقابلة كلمة وعبادة .

وهو يلائم ما ورد من قولهم : يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة ، حيث قورن «الرحمن» «ربّ العالمين» المشير إلى المبدأ ، و«الرحيم» «بملك يوم الدين» المشير إلى المعاد .

وفي [كتاب] من لا يحضره الفقيه^(٢) : فيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام أنه قال - بعد أن شرح «ربّ العالمين» : «الرحمن الرحيم» استعطف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣) : في الموثّق ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال بعد أن شرح «الحمد لله ربّ العالمين» : «الرحمن» بجميع خلقه . «الرحيم» بالمؤمنين خاصة .

(وفي الحديث^(٤) : إذا قال العبد : «الرحمن الرحيم» قال الله تعالى : شهد لي بأنّي «الرحمن الرحيم» ، أشهدكم لأوفّرّن من رحمتي حظّه ، ولأجزّلن من عطائي نصيبه^(٥) .

١. في ج : وتخصيصه .

٢. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١ ، مقطع من ح ٩٢٦ ؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢ .

٣. تفسير القمي ، ٢٨/١ .

٤. عيون الأخبار ، ٣٠٠/١ .

٥. بين القوسين غير موجود في ر وج .

«مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»^(١)؛ وقرئ «مالك» و«مَلِكٌ» -بتخفيف اللام-، و«مَلَكٌ» بصيغة الفعل، ونصب «اليوم»، وملكٌ ومالكٌ، بالنصب على المدح والحال، ويحتمل النداء. و«مالك» بالرفع، متوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف. ويعضد قراءته على اسم الفاعل قوله تعالى: «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله»^(٢). وعلى الصفة المشبهة قوله تعالى: «لمن الملك»^(٣)، وهي أولى؛ لأنه قراءة أهل الحرمين، ولأن بعض معاني «الرب» هو المالك. فذكره ثانياً لا يخلو عن تكرار. ولأن الآخر، وهو سورة الناس، نظير الأول. والمذكور فيها بعد ذكر «الرب» هو «الملك» لا «المالك». ولأن للملك زيادة عموم ليست للمالك. لأن ما تحت حياطة الملك من حيث أنه ملك، أكثر مما تحت حياطة المالك، فإن الشخص يوصف بالمالكية، نظراً إلى أقل قليل. ولا يوصف بالملكية إلا بالنظر إلى أكثر كثير، وللتناسب الحاصل بينه وبين الآيتين الأولتين^(٤).

و«يوم الدين»: يوم الجزاء.

وقيل^(٥): زمان الجزاء. ومنه: كما تدين تدان. وبيت الحماسة:

ولم يبق سوى العُدوا نِ دَنَساهم كما دانوا

وفي اختياره على سائر الأسامي رعاية للفاصلة^(٦)، وإفادة للعموم. فإن الجزاء يتناول جميع أحوال القيامة إلى السرد.

و«للدين» معانٍ آخر؛ مثل العبادة والطاعة والشرعية والشأن.

و«دانه» -في اللغة-: أذله واستعبده وساسه وملكه.

ويمكن حمله على كل واحد، بل على الكل بالمرة. وقد يظهر وجهه بصدق التأمل. وأما إضافة «ملك يوم الدين»، فمن قبيل إضافة الصفة المشبهة إلى غير معمولها؛

١. الانفطار / ١٩.

٢. غافر / ١٦.

٣. في ج: الأوليتين.

٤. الكشف / ١١/١: أنوار التنزيل / ٨/١.

٥. حاشية ج: تعليل واحد، فإن الجزاء -أيضاً- يفيد العموم ولا يحصل به رعاية الفاصلة. (منه دام عزه).

كما في «رَبِّ العالمين»، فتكون حقيقية لالفظية، فإنَّ اللفظية إضافتها إلى الفاعل لا غير، فيصحَّ جعله صفة «الله».

وأما إضافة «مالك يوم الدين» [فمن قبيل إضافة اسم الفاعل إلى الظرف، على سبيل التجويز^(١)، وهي - أيضاً - حقيقية؛ لأنَّ المراد به الاستمرار. أو الماضي لا الحال، أو^(٢) الاستقبال. ويصحَّ جعل مالكية اليوم مستمرة، مع أنَّ يوم الدين^(٣) وما فيه ليس مستمراً في جميع الأزمنة، لكونه لتحقُّق وقوعه وبقائه أبداً كالتحقُّق المستمر، كما يصحَّ جعله لتحقُّق وقوعه كالماضي. وتخصيص «اليوم» بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفزذه تعالى بنفوذ الأمر فيه.

ولمَّا دلَّ بلامي التعريف والاختصاص على أنَّ جنس الحمد مختصَّ به وحقَّ له. أجزى عليه تلك الأوصاف العظام ليكون حجة قاطعة على انحصار الحمد فيه واستحقاقه إيَّاه.

فذكر أولاً: ما يتعلَّق بالابداء، من كونه رباً مالِكاً للأشياء كلها، بإفاضة الوجود عليها وأسباب الكمالات لها.

وثانياً: ما يتعلَّق بالبقاء من إسباغه عليها نعماً ظاهرة وباطنة جليلة ودقيقة.

وثالثاً: ما يتعلَّق بالإعادة، من كونه مالِكاً للأمر كلَّه يوم الجزاء، فلا يستأهل غيره أن يحمد فضلاً عن أن يعبد.

(وفي تفسير علي بن ابراهيم^(٤): في الموثق، عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ بعد أن شرح «الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين» قال: يوم الحساب.

وفي مجمع البيان^(٥): وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ الله تعالى منَّ عليَّ بفاتحة الكتاب إلى قوله^(٦): «مالك يوم الدين».

١. في ج: التجويز.

٢. في ج: و.

٣. ليس في أ.

٤. تفسير القمي، ٢٨/١.

٥. مجمع البيان، ٣١/١.

٦. النسخ: قول.

قال جبرئيل ^(١): ما قاله ^(٢) مسلم إلا صدّقه الله ^(٣) وأهل سمائه.

وفيه ^(٤): وقيل «الدين» الحساب. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي أصول الكافي ^(٥): بإسناده إلى الزهري، قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قرأ «مالك يوم الدين» يكرّرها حتى كاد ^(٦) أن يموت.

وفي من لا يحضره الفقيه ^(٧): وفيما ذكره الفضل من العلل، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «مالك يوم الدين» إقرار له بالبعث [والحساب] ^(٨) والمجازاة، وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا.

وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام ^(٩): قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «يوم الدين» هو يوم الحساب. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا أخبركم بأكيس الكيّسين وأحمق الحمقى؟

قالوا: بلى، يا رسول الله!

قال: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت. وإنّ أحمق الحمقى من اتّبع نفسه هواها، وتمتّع على الله تعالى الأمانى.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين! فكيف يحاسب الرجل نفسه؟

قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه، فقال: يا نفس! إنّ هذا يوم مضى عليك، لا يعود إليك أبداً، والله تعالى يسألك عنه ^(١٠) بما أفنيت وما الذي عملت فيه، أذكرت الله؟ أحمّدته ^(١١)؟ أقضيت حقّ أخ ^(١٢) مؤمن؟ أنفست عنه كربيته؟ أحفظته بظهر الغيب

١. في المصدر: جبرئيل عليه السلام.

٢. في المصدر: ما قالها.

٣. في المصدر: الله تعالى.

٤. نفس المصدر، ٢٤/١.

٥. الكافي ٦٠٢/٢، ح ١٣.

٦. النسخ: يكاد، والمتن موافق المصدر.

٧. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١؛ ضمن ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢.

٨. من المصدر.

٩. تفسير العسكري عليه السلام، ٣٨؛ تأويل الآيات، ٢٦/١.

١٠. أ: منه.

١١. المصدر: حمّدته.

١٢. المصدر وأ: حوائج، وهو الظاهر.

في أهله وولده؟ أحفظته بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه. فإن ذكر أنه جرى منه خير، حمد الله تعالى وشكره^(١) على توفيقه. وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله تعالى وعزم على ترك معاودته، ومحي ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمد وآله الطيبين، وعرض بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام على نفسه وقبولها^(٢) لها، وإعادة لعن أعدائه وشائبه ودافعيه عن حقوقه. فإذا فعل ذلك، قال الله تعالى ﷻ: لست أناقشك في شيء من الذنوب، مع مولاتك أوليائي ومعادتك أعدائي.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ: «ملك^(٤) يوم الدين». عن فرقد^(٥)، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ ما لا أحصي: «ملك يوم الدين».

[وفي الحديث^(٦): إذا قال العبد: «مالك يوم الدين» قال الله تعالى: أشهدكم كما اعترف بأنّي مالك يوم الدين، لأسهلنّ يوم الحساب حسابه، ولأثقلنّ حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيئاته^(٧)].^(٨)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ذهب الزجاج إلى أنّ «إيّا» مظهر مبهم، أضيف إلى الشيء بعده، إزالة لإبهامه. وكان «إيّاك» بمعنى: نفسك.

والخليل، إلى أنّه مضمّر مضاف إلى ما بعده. واحتجّ بما حكاه عن بعض العرب: إذا بلغ الرجل السنتين، فأياه وإيّا الشواب. ورُدّ بأنّ الضمير لا يضاف، وما نُقل عن بعض العرب شاذّ لا يُعتمد عليه.

١. المصدر: كبره. ٢. المصدر: قبوله.

٣. تفسير العياشي، ٢٢/١. وهو ليس في أ. ٤. في ج ونور الثقلين ج ١ ص ٧٩ ح ١٩: مالك.

٥. في ج ونور الثقلين ج ١ ص ٨٠ ح ١٩: عن داود بن فرقد.

٦. عيون الأخبار، ٣٠١/١.

٧. ما بين القوسين مشطوب في المتن وغير موجود في ر.

٨. ما بين المعقوفين ليس في ج.

وابن كيسان وبعض الكوفية، إلى أن «الكاف» وأخواته هي الضمائر التي كانت متصلة، و«إيا» دعامتها لتصيرها منفصلة.

والأخفش، إلى أن «إيا» ضمير منفصل، ولواحقه حروف لامحلّ لها من الإعراب، تدلّ على أحوال ما أريد به من الخطاب والتذكير والإفراد وما يقابلها^(١).

وقرئ: «إياك» بتخفيف الياء. و«أياك» بفتح الهمزة، وتشديد الياء. و«هياك» بقلبها هاء.

و«العبادة» هي أقصى غاية الخضوع والتذلل. ومنه: طريق معبد؛ أي: مذلّل. وثوب ذو عبدة: إذا كان في غاية الصفاقة. ولذلك لا يستعمل إلا في الخضوع لله.

«والاستعانة» طلب المعونة. وهي إما ضرورية أو غير ضرورية.

والضرورية ما^(٢) لا يتأتى الفعل بدونه؛ كاعتقاد الفاعل وتصوّره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها. وعند اجتماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يُكلّف بالفعل. وغير ضرورية يسهل الفعل به، كالراحلة في السفر للمقادر على المشي، أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثّه عليه. وهذا القسم لا يتوقّف عليه صحّة التكليف. هكذا قيل^(٣).

يقال: استعانه واستعان به، بمعنى وإنما اختير استعماله بلا واسطة الحرف، إشارة إلى أن العبد ينبغي أن لا يرى بينه وبين الحق سبحانه واسطة في الاستعانة، بأن يقصر نظره عليه أو يرى الوسائط منه.

وتقديم المفعول لقصد الاختصاص. وتكريره ليكون نصّاً في اختصاص كلّ من العبادة والاستعانة به سبحانه.

وفي إيراد «إياك» دون «إياه» كما هو مقتضى الظاهر، التفات من الغيبة إلى الخطاب.

٢. يوجد في أنوار التنزيل ٩/١.

١. الكشف ١٣/١؛ مجمع البيان، ٢٥/١.

٣. أنوار التنزيل ٩/١.

ومن النكتة الخاصة في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في هذا المقام، بعد اشتماله على فائدة عامة من جهة المتكلم، وهي التصرف والافتتان في وجوه الكلام وإظهار القدرة عليها، ومن جهة المخاطب، وهي تطرية نشاطه في سماع الكلام، وإيقاظه للإصغاء إليه. إنه لما قيل: «إياك» بدل «إياه» فقد نزل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة التي أوجب تميزه وانكشافه، حتى صار كأنه تبدل خفاء غيبته بجلاء حضوره منزلة المخاطب في التمييز والظهور. ثم أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب. ففي إطلاقه ملاحظة لتلك الأوصاف، فصار الحكم مرتباً على الأوصاف؛ كأنه قيل: أيها الموصوف المتميز بهذه الأوصاف! نخصك بالعبادة والاستعانة. فيفهم منه عرفاً أن العبادة والاستعانة، لتمييزه بتلك الصفات.

ومنها: التنبيه على أن القراءة إنما يعتد بها، إذا صدرت عن قلب حاضر وتأمل وافر يجد القارئ في ابتداء قراءته محرراً نحو الإقبال على منعمه الذي أجرى حمده على لسانه. ثم يزداد قوة ذلك المحرك بحسب إجراء تلك الصفات العظام، حتى إذا آل الأمر إلى خاتمتها أوجب إقباله عليه وخطابه بحصر العبادة والاستعانة فيه.

ومنها: الإعلام بأن «الحمد» «والثناء» ينبغي أن يكون على وجه يوجب ترقّي الحامد^(١) من حضيض بعد الحجاب والمغاية، إلى ذروة قرب المشاهدة والمخاطبة. ومنها: الإشارة إلى أن العبادة المستطابة والاستعانة المستجابة في مقام العبودية، إنما يليق بهما أن تعبد ربك كأنك تراه وتخاطبه.

ومنها: الإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون تالي كلامه سبحانه بحيث يتجلى له المتكلم فيه ويصير مشهوداً له، فيخاطبه بتخصيص العبادة والاستعانة به؛ كما روي عن الصادق عليه السلام^(٢) أنه قال: لقد تجلّى الله تعالى لعباده^(٣) في كلامه، ولكن لا يبصرون.

١. في ج: الحامدين.

٢. المحجة البيضاء ٢٤٧/٢: نقلاً عن أسرار الصلاة للشهيد ٢٠٤؛ مفتاح الفلاح، ٢٩٢.

٣. المصدر: لخلقه.

وعنه^(١) - أيضاً -: أنه خرّ مغشياً عليه ، وهو في الصلاة - ، فسئل عن ذلك .

فقال : ما زلت أردّد الآية ، حتّى سمعتها من المتكلّم بها .

والضمير المستكن في الفعلين ، للقارئ ومن معه ؛ من الحفظة أو حاضري الجماعة ، أو له ولسائر الموحّدين ، أو له - فقط - لاستجماعه القوى والحواس . فكان^(٢) لكلّ منها عبادةً واستعانة ، (أو لأنّ العبادة وسيلة)^(٣) .

قيل : أو لوصوله إلى مقام الجمع ، فيرى العبادات والاستعانات كلّها صادرة عنه .

وتقديم العبادة على الاستعانة لرعاية الفاصلة ، أو لأنّ العبادة وسيلة إلى الاستعانة إن كان المراد بها الاستعانة على ما عدا العبادة من المهمّات .

ولاشك أنّ تقديم الوسيلة أدخل في استيجاب الإجابة ، وإن كان المراد بها الاستعانة على العبادة ، أو الاستعانة مطلقاً بحيث يدخل فيه العبادة أيضاً .

فوجه تقديمها ظاهر أيضاً ؛ لأنّها مقصودة بالنسبة إلى الاستعانة ، وإن كان طلب المعونة على الشيء مقدّماً عليه .

وقيل : لا يبعد أن يجعل العبادة إشارة إلى الفناء في الله ؛ لأنّ غاية الخضوع هي الرجوع إلى العدم الأصلي ، والاستعانة إشارة إلى طلب البقاء بعد الفناء لتيسّر^(٤) السير في الله . وحينئذ وجه التقديم ظاهر كما لا يخفى ، وفيه ما لا يخفى .

وإنّما أطلق الاستعانة ولم يقيدها بكلّ مستعان فيه ولا ببعض ليحتمل الكلّ ، ويحمله القارئ على ما يناسب حاله .

وقرئ : « نستعين » بكسر النون ، وهي لغة تميم . فإنّهم يكسرون حروف المضارعة ، سوى الياء ، إذا لم ينضمّ ما بعدها^(٥) .

١ . بحار الأنوار ٢٤٧/٨٤ ، ح ٣٩ . نقلاً عن فلاح السائل .

٢ . ر : فكأنّه . ٣ . ما بين القوسين يوجد في أ .

٤ . في ج : لتيسير . ٥ . أنوار التنزيل ، ٩/١ .

وقيل: «الواو» للحال. والمعنى: نعبدك مستعينين بك^(١).

فأقول: لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه، أوهم ذلك تبجحاً واعتداداً منه بما صدر عنه، فعقّب بقوله: «وإياك نستعين» ليدلّ على أنّ العبادة أيضاً ممّا لا تتم ولا تستتب، إلّا بمعونة الله.

(وفي من لا يحضره الفقيه^(٢)) وفيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام: «إياك نعبد» رغبة وتقرب إلى الله تعالى ذكره وإخلاص له بالعمل دون غيره. و«إياك نستعين» استزادة من توفيقه وعبادته، واستدامة لما أنعم الله عليه ونصره.

وفي مجمع البيان^(٣): قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عَلَيَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. إِلَى قَوْلِهِ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» إِخْلَاصٌ لِلْعِبَادَةِ. «وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أَفْضَلُ مَا طَلَبَ بِهِ الْعِبَادُ حَوَائِجَهُمْ.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن الحسن بن محمد الجمال، عن بعض أصحابنا، قال: بعث عبد الملك بن مروان إلى عامل المدينة أن وجه إليّ محمد بن عليّ بن الحسين ولا تهيجّه ولا تروّعه، واقض له^(٥) حوائجه. وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية، فحضر جميع من كان بالشام، فأعياهم جميعاً.

فقال: ما له^(٦) إلّا محمد بن عليّ.

فكتب إلى صاحب المدينة، أن يحمل محمد بن عليّ إليه. فأتاه صاحب المدينة بكتابه.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: إني شيخ كبير لا أقوى على الخروج. وهذا جعفر ابني، يقوم مقامي. فوجهه إليه.

١. نفس المصدر.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١، ضمن ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢.

٣. مجمع البيان، ٣١/١.

٤. تفسير العياشي ٢٣/١، ح ٢٤.

٥. ليس في ج.

٦. المصدر: لهذا.

فلما قدم على الأموي ازدراه^(١) لصغره، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه. وتسامع الناس بالشام بقدم جعفر لمخاصمة القدري^(٢). فلما كان من الغد، اجتمع الناس لخصومتها^(٣).

فقال الأموي لأبي عبدالله عليه السلام إنه قد أعيانا أمر هذا القدري. وإنما كتبت إليك لأجمع بينك وبينه، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه.

فقال: إن الله يكفيناه.

[قال: ^(٤)] فلما اجتمعوا، قال القدري لأبي عبدالله عليه السلام: سل عما شئت!

فقال له: اقرأ سورة الحمد!

قال: فقرأها.

فقال الأموي - و^(٥) أنا معه -: ما في سورة الحمد علينا. إننا لله وإننا إليه راجعون.

[قال: ^(٦)] فجعل القدري يقرأ سورة الحمد، حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين».

فقال له جعفر عليه السلام: قف! بمن تستعين؟ وما حاجتك إلى المعونة؟ إن الأمر إليك.

«فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين»^(٧).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي^(٨) حديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وفيه: يقول لأصحابه:

قولوا: «إياك نعبد» أي: [نعبد]^(٩) وحدك^(١٠)، ولا نقول كما قالت الدهرية: إن الأشياء

لا بدء لها، وهي دائمة. ولا كما قالت^(١١) الثنوية (الذين قالوا)^(١٢): إن النور والظلمة هما

١. المصدر: ازدراه.

٢. في ج: لخصومتها.

٣. في ج: لخصومتها.

٤. من المصدر.

٥. الواو موجودة في نور الثقلين ج ١، ح ٨٣، ص ٢٠. والأظهر وجودها.

٦. من المصدر.

٧. البقرة / ٢٥٨.

٨. الاحتجاج ٢٥/١.

٩. من المصدر.

١٠. في ج: قال.

١١. ليس في المصدر.

المدبران. ولا كما قال مشركو العرب: إِنَّ أوثاننا آلهة. فلا نشرك بك شيئاً، ولاندعو من دونك إلهاً كما يقول هؤلاء الكفار، ولا كما تقول النصارى واليهود^(١) إِنَّ لَكَ ولداً، تعاليت عن ذلك علواً كبيراً^(٢).

وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام (عليه السلام): «إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين». قال: قال الله تعالى: قولوا أَيُّهَا الخلق المنعم عليهم: «إِيَّاكَ نعبد» أَيُّهَا المنعم علينا. ونطيعك مخلصين مع التذلل والخضوع، بلا رياء ولا سمعة. «وإِيَّاكَ نستعين» منك نسأل المعونة على طاعتك، لنؤدِّيها كما أمرت، وننقي من ديانا ما عنه نهيت^(٣)، ونعتصم من الشيطان [الرجيم]^(٤) ومن سائر مردة [الجنّ و]^(٥) الإنس المضلّين و [من]^(٦) المؤذنين الظالمين بعصمتك^(٧).

(وفي الحديث^(٨): إذا قال العبد: «إِيَّاكَ نعبد» قال الله: صدق عبدي، إِيَّاي يعبد. أشهدكم لأنِّي به على عبادته ثواباً يغبطه كلٌّ من خالفه في عبادته لي. فإذا قال: «وإِيَّاكَ نستعين» قال الله: بي استعان، وإِيَّيَّيَّ التجأ. أشهدكم لأعنيته في شدائده^(٩) ولأخذنَّ بيده يوم نوابه^(١٠)).

«إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»^(١١): بيان للمعونة المطلوبة، أو أفراد لما هو المقصود الأعظم.

و «الهداية»: دلالة بلطف. ولذلك يستعمل في الخير. فقوله تعالى: «فاهدوهم إلى

١. المصدر: لا نقول كما قالت اليهود والنصارى. ٢. ليس في المصدر.

٣. تفسير العسكري (عليه السلام)، ٣٩؛ تأويل الآيات، ٢٧/١.

٤. المصدر: نهيت عنه. ٥. من المصدر.

٦. من المصدر. ٧. من المصدر.

٨. ما بين القوسين ليس في أ. ٩. عيون الأخبار، ٣٠١/١.

١٠. المصدر: لأعنيته على أمره ولأعنيته في شدائده.

١١. ما بين القوسين مشطوب في المتن وليس في ر.

صراط الجحيم»^(١) على التهكّم. ومنه «الهدية»، و«هوادي الوحش» لمقدماتها. والفعل منه هدى. وأصله أن يُعَدَّى باللام^(٢) إلى فِعْمَلٍ معه^(٣) معاملة «اختار» في قوله تعالى: «واختار موسى قومه»^(٤)،^(٥)

ومن هنا يظهر أن لافرق بين المتعدي بنفسه والمتعدي بالحرف. لكن نقل عن صاحب الكشف: أن هداه لكذا وإلى كذا، إنما يقال إذا لم يكن في ذلك فيصل بالهداية إليه. وهداه كذا، لمن يكون فيه (فيزداد أو يثبت، ولمن لا يكون فيصل. وقد يقال: لا نزاع في الاستعمالات الثلاث، إلا أن منهم من فَرَّقَ بأن معنى المتعدي بنفسه: هو الإيصال إلى المطلوب، ولا يكون إلا فعل الله. فلا يسند إلا إليه. كقوله: «لنهديهم سبلنا»^(٦) ومعنى المتعدي بحرف الجر: هو الدلالة على ما يوصل إليه، فيسند تارة إلى القرآن وأخرى إلى النبي ﷺ.

«قيل»^(٧): وهداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يحصيها عدّ، لكنّها تنحصر في أجناس مترتبة:

الأول - إفاضة القوى التي يتمكّن بها من العبد الاهتداء^(٨) إلى مصالحه؛ كالقوى العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة.

والثاني - نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل، والصالح والفساد.

والثالث - الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

الرابع - أن يكشف على قلوبهم السرائر، ويريهم الأشياء كما هي، بالوحي^(٩)

١. الصفات / ٢٣. ٢. في أنوار التنزيل: «أو» بدل «و». وهو الأظهر.

٣. ليس في أنوار التنزيل. ٤. الأعراف / ١٥٥.

٥. أنوار التنزيل، ٩/١. ٦. العنكبوت / ٦٩.

٧. أنوار التنزيل، ١٠/١ - ٩.

٨. أنوار التنزيل وج: يتمكّن بها العبد من الاهتداء. وهو إلا أنّه في أنوار التنزيل. الصحيح: بها يتمكّن المرء.

٩. أنوار التنزيل: بالوحي أو الإلهام. ج: بالوحي أو الإلهام.

والمنامات الصادقة . وهذا القسم^(١) يختص بنيله الأنبياء والأولياء .

وطلب الهداية وغيرها من المطالب قد يكون بلسان القول ، وقد يكون بلسان الاستعداد . فما يكون بلسان الاستعداد لا يتخلف عنه المطلوب ، وما يكون بلسان القول ووافقه الاستعداد استجيب ، وإلا فلا .

فإن قلت : فعلى هذا لا حاجة إلى لسان القول .

قلت : يمكن أن يحصل في بعض استعداد المطلوب ، من الطلب بلسان القول . فالاحتياط أن لا يترك الطالب الطلب بلسان القول . فبالنسبة إلى بعض المراتب يطلب بلسان الاستعداد ، وفي بعضها بلسان القول - انتهى كلامه .

وطلب الهداية بعد الاهتداء . فإن من خصص « الحمد » بالله سبحانه وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، وحصر العبادة والاستعانة فيه ، كان مهتدياً ، محمول على طلب زيادة الهداية أو الثبات عليها .

وقيل : إذا كان السالك في مقام السير إلى الله ، ولم يصل إلى مطلوبه ، فلا شك أن بينه وبين مطلوبه مسافة ينبغي أن يقطعها حتى يصل إليه ، فلا بد له من طلب الهداية ليقطع تلك المسافة .

وإذا كان في السير في الله ، فليس لمطلوبه نهاية . ولا ينتهي سيره أبد الأبد ، فلا بد له أيضاً من طلب الهداية^(٢) .

ولا يخفى عليك ، أن هذا وما سبق من التأويل وما سيأتي منه ، مبني على ما ذهب إليه الصوفية من الأصول الفاسدة . والغرض من نقله الإطلاع على فساد .

[فبالجملة ، لا بد من طلبها ، وإن كانت حاصلة في بعض المراتب]^(٣) . وهذه الصيغة ، موضوعه لطلب الفعل مطلقاً ، لكنه من الأعلى أمر ومن الأدنى دعاء ومن

١ . أنوار التنزيل : وهذا قسم .

٢ . في ج بعد كلمة « الهداية » : وبالجملة لا بد من طلبها ، وإن كانت حاصلة في بعض المراتب .

٣ . ما بين القوسين ليس في ج .

المساوي التماس . واعتبر بعضهم في الأمر الاستعلاء ، وفي الدعاء التضرع ، وفي الالتماس عدمهما .

و«الصراط» : الجادة . سَمِيَ به على ما تَوَهَّم أَنَّهُ يبتلع سالكه ، أو يبتلعه سالكه ؛ كما يقال : أكلته المفازة : إذا أضمرته ، أو أهلكته . وأكل المفازة : إذا قطعها . ولذلك سَمِيَ باللقم ؛ لأنه يلتقمهم أو يلتقمونه .

وقيل : يناسب ابتلاع الصراط السالك السير إلى الله ، فإنَّ هذا السير ينتهي إلى فناء السالك ، وذلك هو ابتلاع الصراط إيَّاه .

وابتلاع السالك الصراط ، يناسب السير في الله ، فإنَّ السالك حينئذ يبقى ببقاء الله سبحانه ويسير في صفاته ، ويتحقَّق بها ، فكأنَّه يبتلعها ويتغذَّى بها .

و«الصراط» من قلب السين صاداً لأجل الطاء ؛ لأنها مستعلية ، فتوافقها الصاد ، لكونها أيضاً من المستعلية ، بخلاف السين ، فإنَّها من المنخفضة . ففي الجمع بينهما بعض الثقل ، ويشم الصاد صوت الزاي ، ليكتسى بذلك نوع جهر فيزداد قربها من الطاء .

وقيل : ليكون أقرب إلى المبدل عنه .

وقرئ بهن ، جميعاً . والأفصح ، اخلاص الصاد . وهي لغة قریش . والجمع ، سُرُط ؛ ككُتِبَ .

و«الصراط» يذكر ويؤنث ؛ كالطريق ، والسبيل ^(١) .

وقرأ ابن مسعود : أرشدنا .

قيل : المراد «بالمستقيم» : ما يؤدي إلى المقصود ، سواء كان أقرب الطرق أم لا . فغير المستقيم ما لا يؤدي إلى المقصود أصلاً .

أو المراد أقرب الطرق إلى المقصود ، فإنَّ أقرب خطٍّ وصل بين نقطتين هو

المستقيم . فغير المستقيم - على هذا - لا يجب أن يكون من طرق الضلال المطلق ، بل يكون أعم .

أو المراد به أعدل الطرق ، وهو غير المائل عنه يمنة ويسرة .

قيل : فطلب الهداية إلى الأول يناسب أهل السعادة مطلقاً .

وإلى الثاني ، يناسب المتوجّهين إليه بالوجه الخاص ، فإنّه أقرب الطرق .

وإلى الثالث ، يناسب طالبي مرتبة الجمع بين الجمع والفرق . فإنّ طريقهم غير مائل

إلى يمين الجمع ، ولا إلى يسار الفرق .

وقيل ^(١) : المراد به : ملّة الإسلام .

وفي من لا يحضره الفقيه ^(٢) : وفي ما ذكره الفضل من العلل ، عن الرضا عليه السلام أنّه قال :

« اهدنا الصراط المستقيم » استرشاد لدينه ، واعتصام بحبله ، واستزادة في المعرفة لربّه ﷻ ولعظمته وكبريائه .

وفي مجمع البيان ^(٣) : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب . إلى

قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » صراط الأنبياء ، وهم الذين أنعم الله عليهم .

وفيه ^(٤) : قيل في معنى « الصراط » وجوه : أحدها أنّه كتاب الله . وهو المروي عن

النبي ﷺ وعن علي عليه السلام .

وفي تفسير علي بن ابراهيم ^(٥) : في الموثّق ، عن أبي عبد الله عليه السلام « اهدنا الصراط

المستقيم » قال : الطريق ومعرفة الإمام .

وبإسناده ^(٦) ، إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : والله ! نحن الصراط المستقيم .

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٧) : بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ :

١ . الكشف ١٥/١ : أنوار التنزيل ١٠/١ .

٢ . من لا يحضره الفقيه ٣١٠/١ ، ح ٩٢٦ .

٤ . نفس المصدر .

٣ . مجمع البيان ، ٣١/١ .

٦ . نفس المصدر ، ٦٦/٢ .

٥ . تفسير القمي ، ٢٨/١ .

٧ . معاني الأخبار ٢٨ ، ح ٣ .

« وإِنَّهٗ ^(١) في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم ^(٢) »، وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أمّ الكتاب في قوله ﷺ ^(٣): «اهدنا الصراط المستقيم».

وبإسناده ^(٤) إلى المفَضَّل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن «الصراط»؟ فقال: هو الطريق إلى معرفة الله ﷻ. وهما صراطان، صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة.

فأمّا الصراط [الذي] ^(٥) في الدنيا، فهو الإمام المفترض الطاعة. من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا، زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنم.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم ^(٦): أيضاً بإسناده إلى حفص بن غياث، قال: وصف أبو عبد الله عليه السلام «الصراط»، فقال: ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة حِداَل ^(٧).

وإلى سعدان بن مسلم ^(٨)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن «الصراط»؟ قال: هو أدقُّ من الشَّعر، وأحدُّ من السيف. فمنهم من يمرَّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرَّ عليه مثل عدوِّ الفرس، ومنهم من يمرَّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرَّ عليه حبواً ومنهم من يمرَّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٩): بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: «الصراط المستقيم» أمير المؤمنين ^(١٠).

١. في «ج» والمصدر وفي نور الثقلين ج ١ ص ٩٠، ٢١ بعد قول الله عزَّ وجلَّ هكذا: «اهدنا الصراط المستقيم». قال: هو أمير المؤمنين ومعرفة. والدليل على أنَّه أمير المؤمنين قول الله عزَّ وجلَّ ... وهو

الصحيح. ٢. من المصدر، وهي في الزخرف، ٤.

٣. ليس في ج. ٤. نفس المصدر ٢٨، ح ١.

٥. من المصدر. ٦. تفسير القمي، ٢٩/١.

٧. في النسخ: حذاك، والمثبت من المصدر وهو الأظهر. وخِذِل: شي في ميل إلى أحد جانبيه.

٨. تفسير القمي، ٢٩/١. ٩. معاني الأخبار ٢٨، ح ٢.

١٠. في المصدر: أمير المؤمنين علي عليه السلام.

حدثنا^(١) محمد بن القاسم الإسترآبادي المفسر، قال: حدثني يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار^(٢) عن أبيهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم»، قال: آدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ما مضى من^(٣) أيامنا، حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا.

و«الصراط المستقيم» هو صراطان^(٤): صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما الطريق المستقيم^(٥) في الدنيا، فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام، فلم يعدل إلى شيء من الباطل.

و^(٦) الطريق الآخر، [فهو]^(٧) طريق المؤمنين إلى الجنة، الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة.

قال: وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله عليه السلام: «اهدنا الصراط المستقيم»، قال: يقول: أرشدنا الصراط المستقيم. أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ دينك، والمانع من أن نتبع هوانا^(٨) فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

وبإسناده^(٩) إلى محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: حدثني ثابت الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم. وبإسناده^(١٠) إلى سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك.

١. نفس المصدر ٣٣، ح ٤.

٣. ليس في المصدر.

٤. المصدر: وأنا الصراط المستقيم.

٦. المصدر: وأنا.

٥. المصدر: وأنا الصراط المستقيم.

٨. المصدر: أهوانا.

٧. من المصدر.

١٠. نفس المصدر ٣، ح ٦.

٩. نفس المصدر ٣، ح ٥.

وفي أصول الكافي^(١): بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله: «فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم»^(٢).

قال: إنك على ولاية علي عليه السلام، وعلي عليه السلام هو الصراط المستقيم.

علي بن محمد^(٣)، عن بعض أصحابنا، عن ابن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: «أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم»^(٤).

قال: إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي، كمثله^(٥) من يمشي على وجهه لايهتدي لأمره. وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم، و«الصراط المستقيم» أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): قال الإمام عليه السلام: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: فقله عليه السلام: «اهدنا الصراط المستقيم»: يقول: أرشدنا الصراط المستقيم، للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ [إلى]^(٧) جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل، عن الله عز وجل أنه قال: يا عبادي! كلّمكم ضالّ إلا من هديته. فسلوني الهدى أهدكم.

ومنه: يا عبادي! اعملوا أفضل الطاعات وأعظمها لأسامحكم، وإن قصرتم فيما سواها. واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها، لئلا أناقشكم في ركوب ما عداها. إن أعظم الطاعات توحيدي وتصديق نبيي والتسليم لمن نصبه بعده، وهو علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرون عليه السلام من نسله. وإن أعظم المعاصي عندي الكفر بي وبنبيي ومنازمة

٢. الزخرف / ٤٣.

٤. الملك / ٢٢.

٦. تأويل الآيات الباهرة / ٥.

١. الكافي ٤١٦/١، ح ٢٤.

٣. الكافي ٤٣٣/١.

٥. المصدر: كمن.

٧. من المصدر.

وصيَّ محمد من بعده عليّ بن أبي طالب وأوليائه بعده. فإن أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى والشرف الأشرف، فلا يكوننَّ أحد من عبادي أثر عنده من محمد. وبعده من أخيه عليّ، وبعدهما من أبنائهما القائمين بأمور عبادي بعدهما. فإن من كانت تلك عقيدته، جعلته من أشرف ملوك جنّاتي.

واعلموا أن أبغض الخلق إليّ، من تمثّل بي وادّعى ربوبيّتي. وأبغضهم إليّ بعده، من تمثّل بمحمد ونازعه نبوته وادّعاها. وأبغضهم إليّ بعده، من تمثّل بوصي محمد ﷺ ونازعه محلّه وشرفه وادّعاها. وأبغض الخلق إليّ من بعد هؤلاء، المدّعين لما به لسخطي يتعرّضون من كان لهم على ذلك من معاونين. وأبغض الخلق إليّ بعد هؤلاء، من كان بفعلهم من الراضين وإن لم يكن لهم من معاونين.

وكذلك أحبّ الخلق إليّ، القوامون بحقي. وأفضلهم لديّ وأكرمهم عليّ محمد سيّد الورى. وأكرمهم وأفضلهم بعده عليّ أخو المصطفى، المرتضى. ثم بعدهما القوامون بالقسط من ^(١) أئمة الحق. وأفضل الناس بعدهم من أعانهم على حقهم. وأحبّ الخلق إليّ ^(٢) بعدهم من أحبهم وأبغض أعداءهم، وإن لم يمكنه معاونتهم.

«صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ»: بدل من الأول، بدل الكل، لفائدتين:

أحدهما: التأكيد بذكر «الصراط» مرّتين لفظاً، وتكرير العامل تقديرأً. ويلزمهما تكرير النسبة.

وثانيتهما: الإيضاح بتفسير المبهم. وفيه - أيضاً - نوع تأكيد، فإن ذكر الشيء مبهماً وتفسيره يفيد تقريره وتأكيده.

وقرئ: «من أنعمت عليهم». و«عليهم» في محل نصب على المفعولية. و«الإنعام» إيصال النعمة. وهي في الأصل الحالة التي يستلذّها الانسان، فأطلقت على ما يستلذّه من النعمة، وهي التّعم.

ونعم الله وإن كانت لا تحصى؛ كما قال: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها»^(١).
تنحصر في جنسين: دنيوي وأخروي.

والأول قسمان: موهبي، وكسبي.

والموهبي قسمان: روحاني كالروح، وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق.
وجسماني كالبدن والقوى الحائلة فيه والهيئات العارضة^(٢) له من الصحة وكمال الأعضاء.

والكسبي: تزكية النفس عن الرذائل، وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة،
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة، وحصول الجاه والمال.

والثاني: أن يغفر ما فرط منه، ويرضى عنه، ويؤاّاه في أعلى عليين، مع الملائكة
المقربين، أبد الآبدين.

والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر. وما عدا ذلك،
يشترك فيه المؤمن والكافر.

فالمراد بالمنعم عليهم، هم المؤمنون مطلقاً. وأطلق الإنعام ولم يقيّد بنعمة خاصة،
ليشمل كلّ إنعام. ووجه صحة الشمول هو ادّعاء أن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام، لم
يبق نعمة إلا أصابته.

وقيل: الأنبياء ﷺ.

وقيل: أصحاب موسى^(٣) وعيسى ﷺ قبل التحريف والنسخ.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٤): بإسناده إلى جعفر بن محمد ﷺ قال: قول الله ﷻ
في «الحمد»: «صراط الذين أنعمت عليهم» يعني: محمّداً وذريته صلوات الله عليهم.
حدّثنا^(٥) محمّد بن القاسم الإسترآبادي [المفسر]^(٦) [قال: ^(٧) حدّثني يوسف بن

١. إبراهيم/٤٣.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. معاني الأخبار ٣٦، ح ٧.

٥. نفس المصدر ٣٦، ح ٩.

٦. من روج.

٢. في ج: العارضية.

(المتوكل، عن) (٨) محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبييهما، عن الحسن ابن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام في قول الله تعالى: «صراط الذين أنعمت عليهم» أي: قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، بالتوفيق لدينك وطاعتك. وهم الذين قال الله تعالى: «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» (٩).

وحكى هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن، وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة. ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون (١٠) كفاراً أو فساقاً. فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم. وإنما أمرتم بالدعاء إلى أن (١١) ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله وتصديق رسوله وبالولاية لمحمد وآله الطيبين وأصحابه الخيرين المستجبين (١٢)، وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شر أعداء (١٣) الله ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم (١٤) ولا تغريهم (١٥) بأذاك وأذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين.

(حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، قال: حدثنا فرات بن ابراهيم، قال: حدثني عبيد بن كثير، قال: حدثنا (١٦) محمد بن مروان، قال: حدثنا عبيد بن يحيى بن مهران العطار، قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله تعالى: «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا

٨. ليس في المصدر.

١٠. في ج: يكون. وهو خطأ.

١٢. ليس في المصدر.

١٤. أ: تداريهم.

١٦. المصدر: حدثني.

٧. من ج. ووجودها الأصح.

٩. النساء / ٦٩.

١١. المصدر: بأن.

١٣. المصدر: عباد.

١٥. المصدر: ولا تغريهم.

الضالين». قال: شيعه علي عليه السلام الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، لم يغضب عليهم ولم يضلوا^(١).

وفي كتاب كمال الدين وتام النعمة^(٢): بإسناده إلى خيثمة الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: ونحن الطريق الواضح، و«الصراط المستقيم» إلى الله تعالى. ونحن من نعمة الله على خلقه.

(وفي شرح الآيات الباهرة: ذكر أبو علي الطبرسي عليه السلام في تفسيره^(٣): إنهم النبي والأئمة صلوات الله عليهم، بدليل قوله: «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين»^(٤)). (الآية)

ويؤيد ذلك ما جاء في تفسيره^(٥) عليه السلام. قال الإمام صلوات الله عليه: «صراط الذين أنعمت عليهم»: أي: قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله: «ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً». وليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال والولد وصحة البدن. وإن كان كل ذلك^(٦) نعمة من الله ظاهرة. ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فساقاً؟ فما ندبتم إلى^(٧) أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، وإنما أمرتم بالدعاء أن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم الله عليهم بالإيمان بالله وتصديق رسوله والولاية^(٨) لمحمد وآله الطيبين وأصحابه الخيرين المنتجبين، وبالتقية الحسنة التي تسلم بها من شر أعداء^(٩) الله، ومن الزيادة^(١٠) في أئام^(١١) أعداء الله

١. ما بين القوسين مطلوب في المتن وليس في ر.

٢. كمال الدين وتام النعمة ٢٠٥/١، ح ٢٠.

٣. مجمع البيان، ٣٠/١.

٤. النساء / ٦٩.

٥. تفسير العسكري عليه السلام، ٤٧؛ تأويل الآيات، ٢٩/١.

٦. المصدر: هذا.

٧. ليس في المصدر.

٨. المصدر: بالولاية.

٩. المصدر: عباد.

١٠. المصدر: شر الزنادقة.

١١. المصدر: أئام.

وكفرهم^(١)، بأن تداريهم ولا تغريهم^(٢) بأذاك ولا أذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين. فإنه ما من عبد ولا أمة والى محمداً وآل محمداً وأصحاب محمداً، وعادى أعداءهم^(٣)، إلا كان قد اتخذوا^(٤) من عذاب الله حصناً منيعاً وجنة حصينة^(٥).

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: بدل من «الذين أنعمت عليهم»^(٦).

أو صفة له مبيّنة، بناءً على إجراء الموصول مجرى النكرة؛ كقوله:

ولقد أمر على اللثيم يسبني

أو على جعل «غير المغضوب عليهم» معرفة، بناءً على اشتهاار المنعم عليهم بمغايرة «المغضوب عليهم»؛ كما في قولك: عليك بالحركة^(٧)، غير السكون. أو مقيدة^(٨) على معنى أنّ المنعم عليهم، هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال.

وقرئ بالنصب على الحال. وذوي^(٩) الحال، الضمير في «عليهم»، والعامل «أنعمت». أو بإضمار أعني أو بالاستثناء، إن فُسّر النعم بما يعم القبيلين^(١٠).

و«الغضب»: ثوران النفس، إرادة الانتقام. فإذا أسند إلى الله أريد الانتهاء والغاية. و«عليهم» في محل الرفع على الفاعلية. وإنما جاء الإنعام مبيّناً للفاعل، ليدلّ على

١. المصدر: بكفرهم.

٢. المصدر: من عاداهم.

٣. المصدر: من عاداهم.

٤. النسخ: كانا قد اتخذوا.

٥. ما بين القوسين ليس في أ.

٦. ليس في أ ور. وفي ج فقط كلمة «عليهم» غير موجودة.

٧. ليس في أ.

٨. يعني: أو صفة له مقيدة. فمبيّنة، إذا كان المراد من «الذين أنعمت عليهم» المسلمين الكاملين، تكون

الصفة مبيّنة: لأنّ الكاملين منهم آمنون من الغضب والضلال مطلقاً. وإذا أريد المؤمنون من غير تقييده

بالكمال كانت هذه الصفة مقيدة، لأنها مختصة ببعضهم.

٩. في ج: وذو.

١٠. في ج: القبيلتين.

ثبوت إنعام الله عليهم . وبالغضب^(١)، مبيّناً للمفعول، لأن من^(٢) طلبت منه الهداية وتُسيب إليه الإنعام، لا يناسبه نسبة الغضب إليه . لأنّ المقام مقام تلطّف وترضي^(٣) . لطلب الإحسان، فلا يحسن مواجهته بصفة الانتقام .

وفي كتاب الإهليلجة^(٤) : قال الصادق عليه السلام : وأما الغضب، فهو ممّا إذا غضبنا، تغيّرت طبائعنا وترتعد أحياناً مفاصلنا، وحالت^(٥) ألواننا . ثمّ نجى^(٦) من بعد ذلك بالعقوبات . فسمي غضباً، فهذا كلام الناس المعروف .

والغضب شيان : أحدهما في القلب، وأما المعنى : الذي هو في القلب، فهو منفي عن الله عز وجل . وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة .

(وفي كتاب الاحتجاج^(٧)، للطبرسي عليه السلام : وروينا بالأسانيد المقدم ذكرها، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام أن أبا الحسن الرضا قال : إنّ من تجاوز بأمر المؤمنين العبودية، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين^(٨) .

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٧ : وقرئ « وغير الضالين » .

و« لا » هذه هي المسماة بالمزيدة عند البصريين . وهي إنّما^(٩) تقع بعد الواو في سياق النفي للتأكيد والتصريح بتعلّق النفي بكل من المعطوفين، لئلا يتوهم أنّ المنفي هو المجموع من حيث هو، فيجوز حينئذ ثبوت أحدهما . والنفي الذي وقعت « لا » بعد الواو في سياقه هو ما يتضمّنه « غير » . تقول : أنا زيدا غير ضارب . مع امتناع قولك : أنا زيدا مثل ضارب ؛ لأنّه بمنزلة قولك : أنا زيدا لا ضارب .

وقال الكوفيون : هي بمعنى « غير »، وهذا قريب من كونها زائدة، فإنّه لو صرح

١ . أي : وإنما جاء بالغضب .

٢ . أ : إلا من .

٣ . أ : ترفقي . وج : ترفق .

٤ . بحار الأنوار ، ١٩٦٣ .

٥ . أ : مالت .

٦ . أ : يجي .

٧ . الاحتجاج ٢/٢٣٣ ؛ تفسير الإمام ، ٥٠ .

٨ . يوجد في أ .

٩ . ر : وإنما هي .

«بغير» كان للتأكيد أيضاً.

(و قرئ: «ولا الضالّون» بالرفع. «ولا الضالّين» بالهمزة^(١)، على لغة من جدّ في الهرب عن التّقاء الساكنين)^(٢).

و «الضلال»: العدول عن الطريق السويّ عمداً أو خطأً. وله عرض عريض. والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير.

قيل^(٣): «المغضوب عليهم» اليهود، لقوله تعالى: «لعنه الله وغضب عليه»^(٤). و «الضالّين» النصاري، لقوله تعالى: «قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً»^(٥) [وقد روي مرفوعاً]^(٦).

وقيل^(٧): يتّجه أن يقال: «المغضوب عليهم» العصاة، «والضالّون» الجاهلون بالله؛ لأنّ المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به. فكان^(٨) المقابل له، من اختلّ إحدى قوّتيه العاقلة والعاملة. والمخل بالعمل فاسق فمغضوب^(٩) عليه، لقوله تعالى في القاتل عمداً: «وغضب الله عليه»^(١٠)، والمخل بالعلم^(١١) جاهل ضالّ، لقوله تعالى: «فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال»^(١٢).

وأقول: يحتمل أن يكون المراد «بالمغضوب عليهم»: الكفار الذين غضب عليهم، فلم يهتدوا إلى طريق من طرق الحقّ أصلاً. و «بالضالّين»: الذين منّ الله عليهم بالإسلام وأدخلهم في زمرة أهل الإيمان، فضلّوا الطريق ولم يتفطّنوا لما هو المرام. وفي تفسير عليّ بن ابراهيم^(١٣): حدثني أبي، عن حماد، عن حريز، عن أبي

١. أي: وقرئ: «والأضالّين»

٣. انظر: أنوار التنزيل، ١١/١.

٤. المائدة / ٦٠. في المصدر: فيهم «من لعنه الله وغضب عليه». وفي ج: منهم «من لعنه الله وغضب عليه»،

٥. المائدة / ٧٧. وهو الأصحّ.

٦. من المصدر.

٨. المصدر: وكان.

١٠. النساء / ٩٢.

١٢. يونس / ٣٢.

١٣. تفسير القمي، ٢٩/١.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٧. ليس في المصدر.

٩. المصدر: مغضوب.

١١. في المصدر: بالعقل.

عبدالله ﷺ^(١) «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين^(٢) أنعمت عليهم غير المغضوب

عليهم وغير الضالين»، قال: «المغضوب عليهم» النصاب. «والضالين» اليهود والنصارى.

وعنه^(٣): عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبدالله ﷺ في قوله: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين» قال: «المغضوب عليهم» النصاب. «والضالين» الشكّك الذين لا يعرفون الإمام.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٤): حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، قال: حدثنا فرات بن ابراهيم، قال: حدثنا عبيد بن كثير، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثني عبيد بن يحيى بن مهران العطار، قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله ﷻ: «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين». قال: شيعة علي ﷺ الذين أنعمت عليهم بولاية علي ابن أبي طالب ﷺ. لم يغضب عليهم، ولم يضلّوا.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٥): وفيما^(٦) ذكره الفضل من العلل عن الرضا ﷺ أنه قال: «صراط الذين أنعمت عليهم» توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما قد تقدّم^(٧) من نعمه على أوليائه، ورغبة في مثل تلك النعم.

«غير المغضوب عليهم» استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين، المستحقّين به وبأمره ونهيه.

«ولا الضالين» اعتصام من أن يكون من الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة، وهم

١. في نور الثقلين ج ١، ح ١٠٦، ص ٢٤: أنه قرأ....

٢. في نور الثقلين: «من» بدل «الذين» وهو الأظهر.

٣. نفس المصدر. ٤. معاني الأخبار ٣٦، ح ٨.

٥. من لا يحضره الفقيه ٣١٠، ح ٩٢٦؛ عيون الأخبار ١٠٧/٢، ح ١.

٦. في ج: وفيمن. ٧. ليس في ج.

يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وفي مجمع البيان^(١): وقال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى من عليّ بفاتحة الكتاب -إلى قوله -: « غير المغضوب عليهم » اليهود . « ولا الضالين » النصارى .

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي رحمه الله: وروينا بالأسانيد المقدم ذكرها، عن أبي الحسن العسكري رحمه الله: أن أبا الحسن الرضا رحمه الله قال: إن من تجاوز بأمر المؤمنين العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين .

وفي الاستبصار^(٣): روى الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله رحمه الله أقول آمين إذا قال الإمام: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين »؟

قال: هم اليهود والنصارى .

وفي تهذيب الأحكام^(٤): محمد بن أحمد بن يحيى، عن الحسين^(٥) بن موسى الخشاب، عن غياث بن كلوب، عن اسحاق بن عمار، عن جعفر، عن أبيه رحمه الله: أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اختلفا في صلاة رسول الله ﷺ . فكتبا إلى أبي بن كعب: كم كانت لرسول الله ﷺ من سكتة؟

فقال^(٦): كانت له سكتتان: إذا فرغ من أم القرآن، وإذا فرغ من السورة .

وفي شرح الآيات الباهرة: قال الإمام^(٧) رحمه الله: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أمر الله ﷻ عباده أن يسألوه^(٨) طريق المنعم عليهم، وهم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون . وأن يستعيذوا به من طريق « المغضوب عليهم » وهم اليهود [الذين]^(٩)

٢ . الاحتجاج، ٢٣٣/٢ .

١ . مجمع البيان، ٣١/١ .

٤ . تهذيب الأحكام ٢٩٧/٢، ح ١١٩٦ .

٣ . الاستبصار ٣١٩/١، ح ١١٨٨ .

٦ . المصدر: قال .

٥ . المصدر: الحسن .

٧ . تفسير العسكري رحمه الله، ٥٠: تأويل الآيات، ٣٠/١ .

٩ . من المصدر .

٨ . النسخ: يسألوا .

قال الله تعالى فيهم^(١): «قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه (وجعل منهم القردة والخنازير)^(٢)» وأن يستعبدوا به من طريق «الضالين» وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «قل يا أهل الكتاب لاتغفلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» وهم النصارى.

وفي عيون الأخبار^(٣): حدثنا محمد بن القاسم المفسر الإسترآبادي رحمته الله قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي (بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب)^(٤)، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: قسّمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل.

إذا قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم». قال الله ﷻ: بدأ عبدي باسمي، وحق علي أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله.

فإذا قال: «الحمد لله رب العالمين». قال الله ﷻ: حمدني عبدي، وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دفعت^(٥) عنه فبتطوّل لي^(٦). أشهدكم أنني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

وإذا^(٧) قال: «الرحمن الرحيم». قال الله ﷻ: شهد لي عبدي أنني الرحمن الرحيم. أشهدكم لأوفرّن من رحمتي حظّه، ولأجزلّن من عطائي نصيبه.

فإذا قال: «مالك يوم الدين». قال الله تعالى: أشهدكم كما اعترف أنني أنا الملك يوم

٢. ليس في المصدر.

٤. ما بين القوسين ليس في المصدر.

٦. المصدر: فبطولي.

١. المائدة / ٦٠.

٣. عيون الأخبار.

٥. في ج: اندفعت.

٧. المصدر: فإذا.

الدين ، لأسهلَ يوم الحساب حسابَه ، ولأتجاوزنَ عن سيئاته .
 فإذا قال العبد^(١) : « يَاكَ نَعْبُدُ » . قال الله ﷻ : صدق عبدي ، إِيَّايْ يَعْبُدُ ، أشْهَدُكُمْ
 لِأَثْبِيْتَهُ عَلَى عِبَادَتِهِ ثَوَاباً يَغْبِطُهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَهُ فِي عِبَادَتِهِ لِي .
 فإذا قال : « وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » . قال الله تعالى : بِي (استعان عبدي)^(٢) . و (إِلَيَّ التَّجَاءُ)^(٣) .
 أشْهَدُكُمْ لِأَعِيْنَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَأَغِيْثَهُ فِي شِدَائِهِ ، وَلَأَخْذَنَ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِهِ .
 فإذا قال : « أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - قال الله ﷻ : هَذَا لِعَبْدِي ،
 وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَقَدْ اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي ، وَأَعْطَيْتُهُ مَا أَمَلَ ، وَأَمْنْتُهُ مَا مِنْهُ وَجَلَ^(٤) .
 (وَقُرِئَ : « وَلَا الضَّالُّونَ » بِالرَّفْعِ . « وَلَا الضَّالِّينَ » بِالْهَمْزَةِ ، عَلَى لُغَةٍ مِنْ جَدِّ فِي
 الْهَرَبِ عَنِ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ .

وفي الحديث^(٥) : إذا قال العبد : « أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » - إِلَى آخِرِهَا - قال الله :
 هَذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . قَدْ اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي ، وَأَعْطَيْتُهُ مَا أَمَلَ ، وَأَمْنْتُهُ مَا مِنْهُ وَجَلَ .
 وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٦) بِإِسْنَادِهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَقْبَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ : إِنْ
 ابْلِيسَ رَنَّ رَتْنَيْنِ^(٧) ، لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَهُ ﷺ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَحِينَ نَزَلَتْ أُمُّ
 الْكِتَابِ .

وروي عن أبي محمد العسكري ، عن آبائه ، عن علي ﷺ : قال رسول الله ﷺ :
 إِنْ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » آيَةٌ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ ، تَمَامُهَا « بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنْ اللَّهُ ﷻ قَالَ لِي^(٨) : يَا مُحَمَّدُ « وَلَقَدْ
 آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » . فَأَفْرَدَ الْاِمْتِنَانَ عَلَيَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، وَجَعَلَهَا
 بِإِزَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ . وَإِنْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ أَشْرَفَ مَا فِي كُنُوزِ الْعَرْشِ . وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ خَصَّ

٢ . ليس في ج .

١ . ليس في المصدر .

٤ . ما بين القوسين ليس في أ .

٣ . المصدر : التجأ إلي .

٦ . تفسير القمي ، ٢٩ / ١ .

٥ . عيون الأخبار ، ٣٠١ / ١ .

٨ . الحجر / ٨٧ .

٧ . المصدر : أنيناً .

محمّداً وشرفه بها، ولم يشرك معه فيه^(١) أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان. فإنّه أعطاه منها «بسم الله الرحمن الرحيم». ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمّد وآله الطاهرين، متقاداً لأمرهم، مؤمناً بظواهرهم وباطنهم^(٢)، أعطاه الله ﷻ بكلّ حرف منها حسنة، كلّ حسنة^(٣) منها أفضل من الدنيا وما فيها، من أصناف أموالها وخيراتها. ومن استمع قارئاً يقرأها، كان له ما للقارئ. فليكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة لا يذهبن أوانه فيبقى في قلوبكم الحسرة^(٤) (٥).

واعلم أنّ «آمين» ليس من القرآن، ولا يجوز قراءته بعد فاتحة الكتاب^(٦) عند الشيعة، لا للإمام ولا للمأموم ولا للمنفرد. وعليه الآثار الواردة عن الأئمة رضوان الله عليهم.

روي في الصحيح^(٧)، عن أبي عبد الله ﷻ أنّه قال: إذا كنت خلف إمام، فقرأ «الحمد» وفرغ من قراءتها، فقل أنت^(٨):
«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». ولا تنقل: آمين.

وروي^(٩) - أيضاً: - أنّ (محمّد بن علي الحلبي)^(١٠) قال: سألت أبا عبد الله ﷻ: أقول إذا فرغت من فاتحة الكتاب: آمين؟
قال: لا.

(وفي عيون الأخبار^(١١)، باب^(١٢) ذكر أخلاق الرضا ووصف عبادته: وكان إذا فرغ

١. المصدر: فيها.

٢. المصدر: لأمرهما، مؤمناً بظاهريهما وباطنيهما.

٣. المصدر: كل واحدة.

٤. المصدر: فيبقى قلوبكم في الحسرة.

٥. ما بين القوسين يوجد في أ، ومشطوب في المتن.

٦. في ج: الفاتحة.

٧. الكافي ٣/٣١٣، ح ٥؛ تهذيب الأحكام ٢/٧٤، ح ٢٧٥.

٨. ليس في أ.

٩. تهذيب الأحكام ٢/٧٤، ح ٢٧٦.

١٠. أ: محمّد بن الحلبي، المصدر: محمّد الحلبي.

١١. عيون الأخبار، ٢/١٨٣.

١٢. في ج: في باب.

من الفاتحة، قال: الحمد لله رب العالمين^(١).

لكن المتسئّنة ذهبوا إلى أنّ قراءته بعد فاتحة الكتاب للمأموم مستحبة، لكنه ليس عندهم من القرآن، إلّا عند مجاهد. وذكروا في ذلك أحاديث تدلّ على تأكّد استحبابها، لانعرفها.

قالوا^(٢): قال ﷺ: علّمني جبرئيل «أمين» عند فراغي من قراءة الفاتحة!

وقال: إنّهُ كالختم على الكتاب!

وفي معناه، قول عليّ عليه السلام: «أمين» خاتم ربّ العالمين، ختم به دعاء عبده؛ يعني: كما أنّ الختم يحفظ الكتاب عن فساد ظهور مضمونه على غير المكتوب إليه، كذلك يحفظ قول: «أمين» دعاء العبد عن فساد ظهور الخيبة وعدم الإجابة فيه.

وعن النبي^(٣) - أيضاً - قال: إذا قال الإمام: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال الملائكة: آمين. فقولوا: آمين. فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدّم من ذنبه.

وأحاديثنا^(٤) الصحيحة تدلّ على وضع تلك الأخبار كما مرّ.

وبالجملة، هو اسم فعل، معناه: استجب. مبنيّ على الفتح. وفيه^(٥) لغتان: المد والقصر.

وقيل: تشديد الميم خطأ. لكنه يجوز التشديد، من أمّ، إذا قصد: أي: حال كوننا قاصدين نحوك.

١. ما بين القوسين ليس في أ. وفي ج بعد كلمة «العالمين» كلمة «انتهى».

٢. أنوار التنزيل، ١١/١.

٣. نفس المصدر.

٤. في ج: وأحاديثها.

٥. في ج: وفيها.

سورة البقرة

سورة البقرة

أي: سورة يذكر فيها قصة البقرة. وإنما سُمِّيت بها لغرابة قصتها وامتنياز هذه السورة بها عن سائر السور.

(وهي مدنية)^(١) بل أول سورة نزلت بالمدينة. إلا آية نزلت يوم النحر بمنى، في حجة الوداع: «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله»^(٢) الآية. وأياها، مائتان وسبع وثمانون.

بسم الله الرحمن الرحيم^(٣)

في كتاب ثواب الأعمال^(٤)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة البقرة وآل عمران جاء^(٥) يوم القيامة، تظللانه على رأسه مثل الغيابتين^(٦).

وفيه^(٧): عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه، ولا يقربه الشيطان، ولا ينسى القرآن.

وفي مجمع البيان^(٨): وسئل رسول الله ﷺ: أي سور القرآن أفضل؟ قال: البقرة.

قال: أي آية^(٩) أي^(١٠) القرآن^(١١) أفضل؟

٢. البقرة / ٢٨١.

٤. ثواب الأعمال، ١٣٠.

٦. الغيبة من كل شيء: ما مشترك منه.

٨. مجمع البيان، ٣٢/١.

١٠. ليس في أور.

١. ليس في ج.

٣. ليس في أ.

٥. المصدر: جاءتا.

٧. نفس المصدر.

٩. ليس في ر وفي المصدر.

١١. المصدر: أي البقرة.

قال: آية الكرسي.

وفي تفسير العياشي^(١): عن سعد الاسكاف، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: أعطيت الطوال مكان التوراة، وأعطيت المائين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور. وفُضِّلَ بالمفضل، سبع وستين سورة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الم ﴿١﴾: وسائر الألفاظ التي يُتَهَجَّى بها أسماء، مسمياته^(٢) الحروف المبسوطة التي رُكِّبَتْ منها.

وقد روعيت^(٣) في هذه^(٤) التسمية لطيفة، وهي أَنَّ المسميات لما كانت كأسمائها، وهي حروف وحدان، والأسماء عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتَّجِهَ لهم طريق إلى أَنْ يدلُّوا في التسمية على المسمَّى فلم يغفلوها. وجعلوا المسمَّى صدر كل اسم كما ترى^(٥) إلَّا في «الألف» فإنَّهم استعاروا الهمزة مكان مسمَّاهَا؛ لأنَّه لا يكون إلَّا ساكناً. وإنَّما كانت أسماء لدخولها في حدِّ الاسم واعتوار ما يختص به من^(٦) التعريف والتكثير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها. وبه صرَّح الخليل وأبو علي.

وما روى ابن مسعود أنَّه عليه السلام قال: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: «الم» حرف. بل «ألف» حرف، و«لام» حرف، و«ميم» حرف^(٧).

فالمراد فيه من الحرف، الكلمة. فيحتمل أنَّه سبحانه أراد بها الحروف الملفوطة^(٨) على قصد تعديدها، أو تسمية بعض السور أو القرآن أو ذاته سبحانه بقسم أو غير قسم.

١. تفسير العياشي، ٢٥/١.

٣. مشطوبة في المتن وغير موجودة في ر.

٥. في ج: رويت.

٧. ليس في أ.

٩. أنوار التنزيل، ١٢/١.

٢. بسم الله الرحمن الرحيم «ليس في ج.

٤. في ج وأنوار التنزيل ١١/١: وهو الصحيح.

٦. ليس في أ.

٨. ليس في أ.

١٠. الأصل: الملفوظ.

فالنكتة في ذلك التعديد أو التسمية على هذا الوجه أمران :

الأول : أنه لما كانت مسميات هذه الأسماء بسائط الكلام التي يتركب منها ، افتتحت السور بظانها منها على وجه التعديد أو التسمية بها ، تنبيهاً لمن تحدى بالقرآن ، على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم . فلو كان من عند غير الله ، لما عجزوا عن الإتيان بما يدانيه .

والثاني : أن يكون أول ما يقرع^(١) الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز .

فإن النطق بأسماء الحروف مخصوص بمن خطّ ودرس . فأما الأمي الذي لم يخالط أهل الكتاب ، فمستبعد مستغرب خارق للعادة ؛ كالتلوة والكتابة . وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فنه من إيراد نصف أسماء الحروف بحيث ينطوي على انصاف مسمياتها ، تحقيقاً وتقريباً ، في تسعة^(٢) وعشرين سورة ، على عدد الحروف ، مع نكات آخر .

قيل^(٣) : ويمكن أن يكون تلك الحروف الملفوظة باعتبار مخارجها ، إشارة إلى معان دقيقة لطيفة ، كما يشيرون « بالألف » باعتبار مخرجها الذي هو أقصى الحلق ، إلى مرتبة الغيب ، و « بالميم » باعتبار مخرجها الذي هو الشفة ، إلى مرتبة الشهادة ، وبمخرج « اللام » الواقع بينهما ، إلى ما يتوسط من المراتب .

فالمشار إليه بقوله^(٤) : « الم » مرتبة الغيب والشهادة وما بينهما . وذلك المشار إليه ، هو الكتاب الوجودي الذي لا يخرج منه شيء .

ويمكن حملها على معانيها الحسابية ، إشارة إلى مدد أقوام وأجال ، أو غير ذلك بحساب ذلك (يدل عليه)^(٥) .

١ . أ : تفرع . ٢ . في ج : تسع . وهو الصحيح .

٤ . ليس في أ .

٣ . أنظر أنوار التنزيل ، ١ / ٣٢ .

٥ . ليس في ج .

(وروي^(١)): أَنَّهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ الْيَهُودُ، تَلَا عَلَيْهِمْ «آلَمَ - الْبَقَرَةَ». فَحَسَبُوا، وَقَالُوا: كَيْفَ نَدْخُلُ فِي دِينِ مَذَّتِهِ أَحَدِي وَسَبْعُونَ سَنَةً؟

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالُوا: وَهَلْ غَيْرُهُ؟

فَقَالَ: «آلَمِص» وَ«آلَر» وَ«آلَمِر».

فَقَالُوا: خَلَطْتَ عَلَيْنَا، فَلَا نَدْرِي بِأَيِّهَا نَأْخُذُ! فَإِنْ تَلَاوْتَهُ إِيَّاهَا بِهَذَا التَّرْتِيبِ وَتَقْرِيرِهِمْ عَلَى اسْتِنْبَاطِهِمْ دَلِيلَ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

وقيل^(٣): يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى الْإِشَارَةِ بِصُورِهَا الْكِتَابِيَةِ الرَّقْمِيَّةِ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى؛ كَمَا يُشِيرُونَ «بِالْأَلْفِ» إِلَى الْوُجُودِ النَّازِلِ مِنْ عَلَوٍّ غَيْبِ الْإِبْطَاقِ إِلَى مَرَاتِبِ التَّقْيِيدِ مِنْ غَيْرِ انْعِطَافٍ. وَ«بِالْلامِ» (إِلَيْهِ، مَعَ انْعِطَافٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتِمَّ دَائِرَتُهُ. [و] ^(٤) «بِالْمِيمِ» إِلَى تَعَامٍ دَائِرَتِهِ، فَيَعَمُّ مَرَاتِبَ الْوُجُودِ.

وقيل: يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَ تِلْكَ الْحُرُوفُ إِشَارَةً إِلَى كَلِمَاتٍ، هِيَ مِنْهَا اقْتَصَرَ عَلَيْهَا^(٥). «فَالْأَلْفُ» آلاءُ اللَّهِ. «وَالْلامُ» لُطْفُهُ. «وَالْمِيمُ» مُلْكُهُ.

وروي: أَنَّ «الْمَ» مَعْنَاهُ: أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَنَّ «الْأَلْفَ» مِنْ اللَّهِ. «وَالْلامُ» مِنْ جِبْرِئِيلَ. وَ«الْمِيمُ» مِنْ مُحَمَّدٍ؛ أَيْ^(٦): الْقُرْآنَ مَنْزِلَ مِنْ اللَّهِ، عَلَى لِسَانِ جِبْرِئِيلَ، إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

(عَنْ أَبِي^(٧) مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ ﷺ قَالَ^(٨)): قَالَ الصَّادِقُ ﷺ: [ثُمَّ^(٩) «الْأَلْفُ» حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ قَوْلِكَ: «اللَّهُ»، دَلٌّ «بِالْأَلْفِ» عَلَى قَوْلِكَ: «اللَّهُ» وَدَلٌّ «بِالْلامِ» عَلَى قَوْلِكَ: «الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الْقَاهِرُ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ» وَدَلٌّ «بِالْمِيمِ» عَلَى أَنَّهُ

١. معاني الأخبار، ٢٢. في باب (معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن).

٢. ما بين القوسين مشطوب في الأصل وغير موجود في ر، و ج.

٣. أنوار التنزيل، ١٣/١.

٥. ما بين القوسين ليس في أ.

٦. ليس في أ.

٨. تفسير العسكري ﷺ، ٦٣.

٧. في ج: وعن.

٩. ليس في ج.

«المجيد المحمود في كل أفعاله».

(وفي شرح الآيات الباهرة^(١))^(٢): روى^(٣) علي بن ابراهيم عليه السلام عن أبيه، عن محمد ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن المفضل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام [قال]^(٤): «الم» وكل حرف في القرآن منقطعة^(٥) من حروف اسم الله الأعظم. الذي يؤلفه الرسول والإمام عليه السلام، فیدعو [به]^(٦) فيجاء.

(وفي كتاب معاني الأخبار^(٧): بإسناده إلى أحمد^(٨) بن زياد بن جعفر [الهمداني]^(٩) عن^(١٠) علي [بن ابراهيم]^(١١)، عن أبيه، عن يحيى بن [أبي]^(١٢) عمران، عن يونس [بن عبد الرحمن]^(١٣)، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الم» هو حرف من حروف اسم الله الأعظم، المقطع في القرآن الذي يؤلفه النبي عليه السلام والإمام، فإذا دعا به أجيب. وبإسناده^(١٤) إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: أما «الم» في أول البقرة، فمعناه: أنا الله الملك.

وبإسناده^(١٥) إلى محمد بن قيس، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن حياً وأبا ياسر ابني أخطب، ونفراً من يهود أهل نجران أتوا رسول الله عليه السلام فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل الله عليك «الم»؟ قال: بلى.

قالوا: أذاك بها جبرئيل من عند الله؟

-
١. تأويل الآيات الباهرة، ٣١/١.
 ٢. ما بين القوسين ليس في أ.
 ٣. المصدر: قال.
 ٤. من المصدر.
 ٥. وفي المصدر: مقطعة.
 ٦. من المصدر.
 ٧. معاني الأخبار، ٢٣.
 ٨. في ج: محمد.
 ٩. يوجد في المصدر. وبعد «الهمداني»: عليه السلام.
 ١٠. المصدر: قال حدثنا.
 ١١. من المصدر.
 ١٢. من المصدر.
 ١٣. من المصدر.
 ١٤. نفس المصدر ١٩، ضمن ح ١.
 ١٥. نفس المصدر، ٢٣. ح ٣.

قال: نعم.

قالوا: لقد بعثت^(١) أنبياء قبلك، وما نعلم نبياً منهم أخبر ما^(٢) مدة ملكه وما أجل أمته غيرك!

قال: فأقبل حيي بن أخطب على أصحابه، فقال لهم: «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون. فهذه إحدى وسبعون سنة. فعجب ممن^(٣) يدخل في دين مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة!

قال: ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال له: يا محمد! هل مع هذا غيره؟

قال: نعم.

قال: فهاته^(٤)!

قال: «المص».

قال: هذه أثقل وأطول. «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون، و«الصاد» تسعون. فهذه مائة وإحدى وستون سنة.

ثم قال لرسول الله ﷺ: فهل مع هذا^(٥) غيره؟

قال: نعم.

قال: هاته!

قال: «الر».

قال: هذه أثقل وأطول. «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الراء» مائتان.

ثم قال [لرسول الله ﷺ]: فهل مع هذا^(٦) غيره؟

قال: نعم.

٢. المصدر: أخبرنا.

٤. المصدر: هاته.

٦. مابين المعقوفتين ليس في ج.

١. النسخ: بعث.

٣. النسخ: أن.

٥. في ج: هذه.

٧. في ج: هذه.

قال: هاته!

قال: «المر».

قال: هذه أنقل وأطول، «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون، و«الراء» مائتان.

ثم قال له: فهل^(١) مع هذا غيره؟

قال: نعم.

قالوا: قد التبس علينا أمرك، فما ندري ما أعطيت!

ثم قاموا عنه.

ثم قال أبو ياسر لحبي^(٢) أخيه: ما يدريك لعلَّ محمدًا قد جمع له هذا كله وأكثر منه. قال: فذكر أبو جعفر عليه السلام: أن هذه الآيات أنزلت فيهم: «منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات»^(٣). قال: وهي تجري في وجه آخر على غير تأويل حبي وأبي ياسر وأصحابهما.

وفيه^(٤): في حديث طويل، عن أبي محمد العسكري عليه السلام: وجعل هذا القول حجة على اليهود. وذلك أن الله تعالى^(٥) لما بعث موسى بن عمران ثم من بعده من الأنبياء إلى بني إسرائيل، لم يكن فيهم قوم^(٦) إلا أخذوا عليهم العهود والمواثيق ليؤمننَّ بمحمد العربي الأمي المبعوث بمكة، الذي يهاجر إلى المدينة، يأتي بكتاب بالحروف^(٧) المقطعة افتتاح بعض سورة. يحفظه أمته، فيقرؤونه قياماً وقعوداً ومشاة وعلى كل الأحوال. يسهل الله ﷻ حفظه عليهم [و]^(٨) يقرنون بمحمد ﷺ أخاه ووصيه علي بن

١. المصدر: هل.

٢. المصدر: للحبي.

٣. آل عمران / ٧.

٤. نفس المصدر ٢٤-٢٨، ح ٤.

٥. ليس في المصدر وج.

٦. المصدر: أحد.

٧. المصدر: من الحروف.

٨. من المصدر.

أبي طالب ﷺ، الآخذ عنه علومه التي علمها، والمتقلد عنه الأمانة التي قلدها^(١).
 ويدلّل^(٢) كلّ من عاند محمداً بسيفه الباتر، ويفحم كلّ من حاوله^(٣) وخاصمه بدليله
 القاهر^(٤)، يقاتل عباد الله على تنزيل كتاب الله، حتّى يقودهم إلى قبوله طائعين
 وكارهين. ثمّ إذا صار محمداً إلى رضوان الله ﷻ ارتدّ^(٥) كثير ممن كان أعطاه ظاهر
 الإيمان، وحرّفوا تأويلاته، وغيروا معانيه، ووضعوها على خلاف وجوها. قاتلهم
 بعد ذلك على تأويله، حتّى يكون إبليس الغاوي لهم، هو الخاصى^(٦) الذليل المطرود
 المغلول.

قال: فلمّا بعث الله محمداً وأظهره بمكة، ثمّ سيّره منها إلى المدينة وأظهره بها، ثمّ
 أنزل عليه^(٧) الكتاب، وجعل افتتاح سورته^(٨) الكبرى «بآلم» يعنى: «الم، ذلك
 الكتاب» وهو ذلك الكتاب الذي أخبرت الأنبياء^(٩) السالفين أنّي سأنزله عليك، يا
 محمداً «لا ريب فيه»، فقد ظهر كما أخبرهم به أنبياءهم أنّ محمداً ينزل عليه كتاب
 مبارك لا يحويه الباطل، يقرؤه هو وأمتة على سائر أحوالهم. ثمّ اليهود يحزفونه عن
 جهته ويتناولونه^(١٠) على غير وجهه، ويتعاطون التوصل إلى علم ما قد طواه الله عنهم
 من حال آجال هذه الأمة وكم مدّة ملكهم.

فجاء إلى رسول الله ﷺ جماعة منهم^(١١)، فولّى رسول الله ﷺ علياً ﷺ
 مخاطبتهم^(١٢).

فقال قائلهم: إن كان ما يقول محمداً حقاً، لقد علمناكم قدر ملك أمتة، هو احدى^(١٣)

-
- | | |
|-------------------------|------------------------|
| ١. المصدر: قدرها. | ٢. المصدر: مذلّل. |
| ٣. المصدر: جادله. | ٤. المصدر: الظاهر. |
| ٥. المصدر: وارتدّ. | ٦. المصدر: الخاسر. |
| ٧. المصدر: إليه. | ٨. النسخ: سوره. |
| ٩. المصدر: أنبيائي. | ١٠. المصدر: يتناولونه. |
| ١١. المصدر: منهم جماعة. | ١٢. المصدر: فخطبهم. |
| ١٣. النسخ: أحد. | |

وسبعون سنة. «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون.

فقال علي عليه السلام: فما تصنعون «بالمص»، وقد أنزلت^(١) عليه؟

فقالوا^(٢): هذه إحدى وستون ومائة سنة.

قال^(٣): فماذا تصنعون «بالر»، وقد أنزلت عليه؟

فقالوا: هذه أكثر. هذه مائتان وإحدى وثلاثون سنة.

فقال علي عليه السلام: فما تصنعون بما أنزل عليه «المر»؟

قالوا: هذه مائتان وإحدى وسبعون سنة.

فقال علي عليه السلام: فواحدة من هذه له، أو جميعها له؟

فاختلط كلامهم. فبعضهم قال: له واحدة منها. وبعضهم قال: بل يجمع^(٤) له كلها

وذلك سبعمائة وأربع [وثلاثون سنة]^(٥) ثم يرجع الملك إلينا؛ يعني: إلى اليهود.

فقال علي عليه السلام: أكتاب من كتب الله ﷻ نطق بهذا، أم آراؤكم دلتكم عليه؟

فقال^(٦) بعضهم: كتاب الله نطق به. وقال آخرون منهم: بل آراؤنا دلت عليه.

فقال علي عليه السلام: فائتوا بالكتاب من عند الله ينطق بما تقولون.

فعجزوا عن إيراد ذلك.

وقال^(٧) للآخرين: فدلّونا على صواب هذا الرأي.

فقالوا: صواب رأينا دليله أن هذا حساب الجمل.

فقال علي عليه السلام: كيف دلّ على ما تقولون، وليس في هذه الحروف إلا ما اقترحتم بلا

بيان؟ أرايتم إن قيل لكم: أن هذه الحروف ليست دالة على هذه المدة لملك أمة

محمد ﷺ ولكنها دالة على أن كل واحد منكم قد لعن بعدد هذا الحساب، أو أن عدد

١. المصدر: أنزل.

٢. المصدر: قالوا.

٣. في ج: قال علي عليه السلام.

٤. في ج: قال علي عليه السلام.

٥. من المصدر وهو الصواب، وفي النسخ: سبعمائة وأربع سنين.

٦. المصدر: فقال.

٧. المصدر: قال.

ذلك لكل واحد منكم ومنا بعدد هذا الحساب دراهم^(١) أو دنائير. أو أَنَّ لعلِّي [على]^(٢) كل واحد منكم دين^(٣)، عدد ماله مثل عدد هذا الحساب!

فقالوا: يا أبا الحسن! ليس شيء مما ذكرته منصوفاً عليه في «الم» و«المص» و«الر» و«المر».

فقال علي عليه السلام: ولا شيء مما ذكرتموه منصوفاً عليه في «الم» و«المص» و«الر» و«المر». فَإِنْ بطل قولنا لما قلنا، بطل قولك لما قلت.

فقال خطيبهم ومنطيقهم: لا تفرح يا علي! بأن عجزنا عن إقامة حجة [فيما نقول]^(٤) على دعوانا. فأَي حجة لك في دعواك إِلَّا أَنْ تجعل عجزنا حجتك، فإذا مالنا حجة فيما نقول، ولا لكم حجة فيما تقولون.

قال علي عليه السلام: لا سواء^(٥)، إِنَّ لنا حجة هي المعجزة الباهرة.

ثم نادى جمال اليهود: يا أيتها^(٦) الجمال! اشهدي لمحمد ولوصيه.

فتبادرت^(٧) الجمال: صدقت صدقت، يا وصي محمد! وكذب هؤلاء اليهود.

فقال علي عليه السلام: هؤلاء جنس من الشهود. يا ثياب اليهود التي عليهم! اشهدي لمحمد ولوصيه.

فنطقت ثيابهم - كلها -^(٨): صدقت صدقت، يا علي! نشهد أَنَّ محمداً رسول الله^(٩)

حقاً وأَنَّك يا علي وصيه حقاً. لم يثبت محمد^(١٠) قدماً في مكرمة، إِلَّا وطئت على موضع

قدمه بمثل مكرمته. فأنتما شقيقان، من أشرف^(١١) أنوار الله تميزتما^(١٢) اثنين. وأنتما في

الفضائل شريكان، إِلَّا أَنَّهُ لا نبي بعد محمد ﷺ.

١. ليس في المصدر.

٢. من المصدر.

٣. النسخ: ديناً.

٤. من المصدر.

٥. النسخ: لا سواء.

٦. يوجد في المصدر والنسخ: أيها.

٧. المصدر: فتبادر.

٨. النسخ: كلهم!

٩. في ج بعد «رسول الله ﷺ».

١٠. من ج ونور الثقلين ج ١ ص ٧، ص ٣٠: محمد.

١١. المصدر: اشراق.

١٢. المصدر: فميزتما.

فعند ذلك خرست اليهود، وآمن بعض النظارة منهم برسول الله ﷺ وغلب^(١) الشقاء على اليهود وسائر النظارة الآخرين. فذلك ما قال الله تعالى: «لاريب فيه» أنه كما قال محمد^(٢) ووصي محمد، عن قول محمد ﷺ عن قول رب العالمين.

وفي مجمع البيان^(٣): اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتحة^(٤) بها السور. فذهب بعضهم إلى أنها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها. ولا يعلم تأويلها إلا هو. وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام.

وروت^(٥) العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي.

وروى أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره حديثاً مسنداً^(٦) إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: سئل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قوله: «الم»؟

فقال: في «الألف» ست صفات من صفات الله تعالى:

الابتداء، فإن الله تعالى ابتداء^(٧) جميع الخلق، و«الألف» ابتداء الحروف.

والاستواء، فهو عادل غير جانث، و«الألف» مستو في ذاته.

والانفراد، فالله فرد، و«الألف» فرد.

واتصال الخلق بالله. والله لا يتصل بالخلق. وكلهم يحتاجون إليه^(٨)، والله غني

عنهم. والألف كذلك^(٩) لا يتصل بالحروف، والحروف متصلة به، وهو منقطع عن^(١٠)

غيره.

والله تعالى بائن بجميع صفاته من خلقه.

١. المصدر: فغلب.

٣. مجمع البيان، ٣٢/١-٣٣.

٥. كذا المصدر والنسخ: روى.

٧. المصدر: ابتداء.

٩. المصدر: كذلك الألف.

٢. في المصدر: محمد عليه السلام.

٤. كذا المصدر والنسخ: المفتح.

٦. كذا المصدر و«ج» والنسخ: سنداً.

٨. المصدر: يحتاجون إلى الله.

١٠. المصدر: من.

ومعناه من الألفه، وكان^(١) الله ﷻ سبب ألفه الخلق، فكذلك الألف عليه تألفت الحروف، وهو سبب ألفتها^(٢).

وأقول^(٣): ويحتمل أن يكون الكل، مع احتمالات أخر، لا ينافي الشرع. ليس هاهنا موضع ذكرها مراداً^(٤). والله أعلم بحقيقة الحال.

وهذه الأسماء معربة. وإنما سكتت سكون زيد وعمر وبكر، حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه. والدليل على أن سكونها وقف، أنه يقال: «ص» و«ق» و«ن» مجموعاً فيها بين الساكنين. وإذا وقف على آخرها قصرت؛ لأنها في تلك الحالة خلية بالأخف الأوجز، ومُدت في حال الإعراب. وهي إمّا مفردة كـ «ص» أو على زنة مفرد كـ «حم». فإنه كهابل، أو لا.

الأول: يجوز فيه الإعراب والحكاية.

والثاني: ليس فيه إلا الثاني.

فقوله: «الم» في محل النصب، على حذف حرف القسم، وإعمال^(٥) فعله. أو الجزر على تقديره. أو الرفع على أنه مبتدأ ما بعده خبره، أو خبر محذوف المبتدأ.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، مركّب من اسم وحرفين.

فالاسم «ذا» للمذكر الواحد.

أما ذكورة المشار إليه، فلتأثيره في نفس المخاطب، وانتاجه فيها معرفة الحق وصفاته سبحانه.

وأما افراده، فلأنّ المشار إليه وإن كان متعدداً في نفسه لكنه ملحوظ من حيث أحدية الجمعية؛ كما تدل عليه الاخبار عنه «بالكتاب» المنبئ عن الجمعية أو توصيفه به.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. أ: مراراً.

١. المصدر: فكما أن. وج: فكان.

٣. ليس في أ.

٥. أ: أعماله.

وأحد الحرفين «اللام» الدال بتوسطه بين اسم الإشارة والمخاطب، على بعد المسافة بينه وبين المشار إليه. ووجد البعد عدم إمكان إحاطة فهم المخاطب بما يقصد به.

والآخر «الكاف»، الدال على ذكورة المخاطب وإفراده.

وأما ذكورة المخاطب فلأنَّ المخاطب أولاً هو النبي ﷺ بحسب حقيقة مرتبة الأبوة، بالنسبة إلى جميع أفراد آدميين؛ كما قيل بلسان مرتبته:

واني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وأما إفراده، فلانمحاء كثرته النسبية في الواحدة الحقيقية.

﴿الْكِتَابُ﴾: الكتب، الجمع.

يقال: كتبت القربة: أي: جمعتها^(١). ومنه الكتيبة للجيش. والكتاب بمعناه سمي به

المفعول مبالغة.

وقيل: فعال^(٢)، بني للمفعول كاللباس. ثم أطلق على الحبارات المنظومة قبل الكتابة، لأنَّ من شأنها أن تكتب. والحقائق العلمية إن كانت معتبرة لأحوالها تسمى حروفاً غيبية، ومع أحوالها كلمات غيبية، والوجودية بلا أحوالها حروفاً وجودية، ومع أحوالها كلمات وجودية. والدالة على جملة مفيدة آية. والبعض الجامع لتلك الجمل سورة. ومجموع تلك المعقولات والموجودات «كتاباً» و«فرقانا» و«قرآناً» - أيضاً - باعتباري التفصيل والجمع.

وفي تركيب قوله: «الم» مع ما بعده، أوجه:

أن جعلت «الم» اسماً للسورة أو للقرآن، إن يكون «الم» مبتدأ، و«ذلك» مبتدأ ثانياً، «والكتاب» خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول. ومعناه: أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كان ما عداه من الكتب في مقابلته^(٣) ناقص. وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً؛

١. النسخ: جمعته.

٢. ليس في أ.

٣. أ: مقابله.

كما تقول: هو الرجل؛ أي: الكامل في الرجولية، الجامعة لما يكون في الرجال من مرضي الخصال.

وأن يكون «الم» خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الم. ويكون «ذلك» خبراً ثانياً، أو بدلاً على أن «الكتاب» صفة.

وأن يكون^(١) «هذه الم» جملة، و«ذلك الكتاب» جملة أخرى.

وأن جعلت «الم» بمنزلة الصوت، كان «ذلك» مبتدأ، خبره «الكتاب»؛ أي: ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل.

أو «الكتاب» صفته^(٢) وما بعده خبره. أو قدر مبتدأ محذوف؛ أي: هو؛ يعني: المؤلف من هذه الحروف «ذلك الكتاب».

وقرأ عبدالله: «الم تنزيل الكتاب». وتأليف هذا ظاهر.

وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين. وأما عندهم «فالم» في مواقعها^(٣). والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحمل، آية. وحمل عسق، آيتان. والبواقي ليست بآيات^(٤). قيل: إن المفسرين متفقون على أن «ذلك» في موضع الرفع. فإما أن يكون خبراً عن «الم»، أو عن محذوف، أو مبتدأ وخبره «الم».

وأقول: المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين، وجب تقديم المبتدأ. فالخبر في هذه الصورة مع كونه معرفة، كيف يجوز تقديمه؟

«لَا رَيْبَ فِيهِ»: «الريب» في الأصل مصدر رابني الشيء: إذا حصل فيه الريبة، وهي قلق^(٥) النفس واضطرابها^(٦).

١. أ: كان.

٢. أ: صفة.

٣. في ج: مواقعها.

٤. أنوار التنزيل، ١٤/١.

٥. أ: قلق.

٦. مجمع البيان، ٣٧/١. وأنوار التنزيل ١٤/١. إلا أن في أنوار التنزيل «فيك» بدل «فيه».

قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنَّ الشك ريبة، والصدق طمأنينة»^(١).
أي: كون الأمر مشكوكاً فيه، مما ينقلق^(٢) النفس له ولا يستقر، وكونه صحيحاً
صادقاً مما يطمئن له ويسكن. ومنه «ربة الزمان» لما يقلق^(٣) النفوس من نوائبه.
فالمراد به الشك، لا معناه المصدري.

وضمير «فيه»، راجع إلى الحكم السابق، إن كان هناك حكم. أو إلى «الكتاب»، أو
إلى «ذلك».

وإنما نفى الريب مع كثرة المرأتين؛ لأن الريب مع وضوح مزيجه^(٤)، كلا ريب.
ويحتمل أن يكون المراد أنَّ القرآن ليس مظنة للريب. بمعنى: أنَّ العاقل إذا رجع
إلى عقله وترك العناد، ظهر حقيقته وصدقه عليه غاية الظهور، ولم يبق معه شك
وريب، أصلاً.

وأن يكون أنَّ «لا ريب فيه» «للمتقين»، و«هدى»، حالاً عن الضمير المجرور.
وأن يكون الريب المنفي هو الريب بمعناه المصدري؛ أي: ليس فيه إيقاع شك، بأن
يكون فيه شيء يوقع في الشك؛ كالاختلاف المذكور في قوله تعالى^(٥): «ولو كان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً».

وأن يكون أنَّه لا ريب فيه، في الواقع، وإن كانوا مظهرين للريب؛ كما روي عن أبي
محمد العسكري^(٦)، أنَّه قال ﷺ: «لا ريب فيه» لا شك فيه لظهوره عندهم؛ كما
أخبرهم أنبياءهم: أنَّ محمداً نزل^(٧) عليه كتاب لا يمحوه الماء، يقرؤه^(٨) هو وأُمَّته على
سائر أحوالهم.

١. أنوار التنزيل، ١٥/١.

٢. أ: ينقلق.

٣. في أ: يطلق.

٤. أ: مزيجه.

٥. النساء ٨٢/.

٦. تفسير العسكري ﷺ، ٦٢/١.

٧. المصدر: ينزل.

٨. المصدر: يقرأ.

ولم يقدّم الظرف، كما قدّم في قوله: «لا فيها غول»^(١) لأنّه لم يقصد - هنا - انحصار نفي الريب فيه، كما قصد - هناك - انحصار نفي الغول في خمور الجنة.
وقرأ أبو الشعثاء^(٢) «لا ريب فيه» بالرفع. والفرق (الأول ونظيره)^(٣) بينها وبين القراءة المشهورة، أنّ المشهورة توجب الاستغراق، وهذه تجوّزه^(٤). والوقف على - فيه - هو المشهور.

وعن نافع وعاصم: أنّهما وقفا على «لا ريب»، ولا بدّ للواقف من أن ينوي خبراً ليتّم الكلام الأول. ونظيره قوله تعالى: «قالوا لا ضير»^(٥)، وقول العرب: «لا بأس». وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز. والتقدير: «لا ريب فيه» فيه.

فعلى التقدير الأول، يحتمل أن يكون «فيه» صفة «للريب»، والخبر محذوفاً. وأن يكون هو الخبر، والمجموع جملة وقعت مؤكّدة «لذلك الكتاب»، أو خبراً بعد خبر «لذلك»، أو لقوله: «الم».

وعلى التقدير الثاني، يحتمل - أيضاً - تلك الاحتمالات، وأن يكون «فيه» الثاني خبر «الهدى» مقدّماً عليه.

(وفي تفسير عليّ بن ابراهيم^(٦): حدثني أبي، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن سعدان بن مسلم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكتاب» عليّ عليه السلام لا شك فيه)^(٧).

﴿هُدًى﴾: هو مصدر على فعل؛ كالسرى والبكى. وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، بدليل وقوع الضلالة في مقابله. قال الله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى»^(٨).

٢. أ: الشعثاء.

١. الصافات ٤٧.

٤. في ج: المشهورة.

٣. من أ.

٦. تفسير القمي، ٣٠/١.

٥. الشعراء ٢٦.

٨. البقرة ١٧٥.

٧. ما بين القوسين يوجد في أ.

ويقال: «مهدي» في موضع المصحح، كمهتد. ولأن «اهتدى» مطاوع «هدى»، ويكون^(١) المطاوع في خلاف معنى أصله. ألا ترى إلى قولهم^(٢): غمّه فاغتمّ، وكسره فانكسر. وأشباه ذلك؟

وهو إمّا مبتدأ، خبره مقدّم عليه أو محذوف. وعلى التقديرين فهو على حقيقته^(٣)، أو خبر مبتدأ محذوف، أو خبر بعد خبر، أو حال كما سبق. إمّا على المبالغة، كأنه نفس الهدى. أو على حذف المضاف، أي: ذو هداية. أو على وقوع المصدر، بمعنى اسم الفاعل.

(قال أبو جعفر^(٤) عليه السلام: «الكتاب» أمير المؤمنين، لاشك فيه أنه إمام هدى)^(٥). ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٦): «المتقي» اسم فاعل، من قولهم: وقاه^(٧)، بقي، والوقاية: فرط الصيانة وشدة الاحتراس من المكروه. ومنه فرس واق: إذا كان يقي حافره أذى شيء يصيبه.

وهو في عرف الشرع، اسم لمن يقي نفسه عما يضرّه في الآخرة. وله ثلاث مراتب:

الأولى - التوقّي عن الشرك المفضي إلى العذاب المخلد. وعليه قوله تعالى: «والزّمهم كلمة التقوى»^(٨).

والثانية - التجنّب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك، حتى الصغائر عند قوم. وقيل: الصحيح أنها لا يتناولها؛ لأنها تقع مكفرة عن مجتنّب الكبائر.

والثالثة - أن يتنزّه عما يشغل سرّه عن الحق. ويتبتّل إليه بكليّته. وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: «واتقوا الله حقّ تقاته»^(٩).

١. أور: وأن يكون.

٢. أ: نحو.

٣. أ: حقيقة.

٤. تفسير القمي، ٣٠/١.

٥. ما بين القوسين مشطوب في الأصل وغير موجود في روج.

٦. في ج: وقى.

٧. الفتح، ٢٦.

٨. آل عمران، ١٠٢.

قيل^(١): ومن جملة معاني باب «الافتعال» الاتخاذ. فمعنى «اتقى» على هذا: اتخذ الوقاية. ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم»^(٢): اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا ما بطن منكم وهو ربكم وقاية. فإن الأمر ذم وحمد. فكونوا وقايته في الذم. واجعلوه وقايتكم في الحمد، تكونوا أدباء عالمين. فإن توحيد الأفعال يقتضي إسناد المحامد والمذام إلى الله. فالسالك إذا أسندهما إليه قبل زكاء^(٣) النفس وطهارتها، يقع في الإباحة. وبعد طهارتها يكون مسيئاً للأدب بإسناد القبائح إليه. فعلى هذا «المتقون»، هم الذين يتخذون ربهم وقاية لأنفسهم. وينسبون الكمالات إلى ربهم، لا إلى أنفسهم، ليكون لهم الخلاص^(٤) من ظهور نياتهم^(٥)، ويتخذون أنفسهم وقاية ربهم، وينسبون النقائص إلى أنفسهم لا إلى ربهم، ولو كانت في حقيقة التوحيد منسوبة إلى الله تعالى^(٦) لئلا يسيئون الأدب إليه سبحانه. وإنما قال: «هدى للمتقين»، مع أن المتقين مهتدون، إمّا بناء على أن المراد بالمتقين: المشارفون على التقوى، أو المقصود زيادة هدايتهم، بأن يراد بالهدى زيادة الهدى إلى مطلب آخر، أو الثبّت على ما كان حاصلًا لهم. ويحتمل أن يراد بالمتقي: الموحّد مطلقاً.

روى الصدوق في كتاب التوحيد^(٧): بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «هو أهل التقوى وأهل المغفرة»^(٨) قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا أهل أن اتقى، ولا يشرك بي عبدي^(٩) شيئاً. وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً^(١٠) أن أدخله الجنة.

١. في ج: وقيل: من.

٣. أ: نكاه.

٥. أ: أمنيّاتهم.

٧. التوحيد / ٢٠.

٩. ليس في أ.

٢. النساء / ١.

٤. أ: إخلاص.

٦. في ج: «إليه» بدل «إلى الله».

٨. المدثر / ٥٦.

١٠. ليس في ج.

قال صاحب الكشف^(١): الأظهر، أنه لا يحتاج إلى أحد التجوزين، من حمل «الهدى» على الازدياد، «والمعني» على المشارف؛ لأنه إذا قيل: السلاح عصمة للمعتصم أو عصام له، والمال غنى للغني - على معنى سبب غنائه - لم يلزم أن يكونا سببي عصمة وغنى، حادثين غير ما هما؛ أي: المعتصم والغني فيه، إذ لا دلالة له^(٢) على الزمان.

وأجيب: بأن المتبادر إلى الفهم من تعلق الفعل بشيء، هو اتصاف ذلك المتعلق بما عبّر عنه عند اعتبار المتعلق^(٣)، حتى يقال فيه: شفاء للمريض، ومرض للصحيح. ولو عكس لم يصح إلا بتأويل.

وعن أبي محمد العسكري^(٤) عليه السلام: أن معناه: بيان وشفاء للمتقين، من شيعة محمد وعلي عليهم السلام. اتقوا أنواع الكفر فتركوها، واتقوا الذنوب الموبقات فرفضوها، واتقوا إظهار أسرار الله تعالى وأسرار أزكياه عباده الأوصياء بعد محمد صلوات الله عليهم فكنتموها، واتقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقين لها ففهم^(٥) نشرها.

(وفي شرح الآيات الباهرة^(٦)) - في الحديث المنقول سابقاً - عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: قوله: «ذلك الكتاب لا ريب فيه».

قال^(٧): «الكتاب» أمير المؤمنين عليه السلام لا شك فيه أنه إمام «هدى للمتقين».

وفي كتاب معاني الأخبار^(٨): حدثنا محمد بن القاسم الإسترآبادي المعروف بأبي الحسن الجرجاني المفسر عليه السلام قال: حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن

١. الكشف والبيان، مخطوط والنسخة التي عثرنا عليها ناقصة الأول.

٢. ليس في أ. ر: التعلق.

٣. المصدر: وفيهم.

٤. تفسير العسكري عليه السلام ٦٧.

٥. المصدر: فقال.

٦. تأويل الآيات الباهرة، ٣١/١.

٨. معاني الأخبار، ٢٤-٢٥.

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنه قال: كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا: سحر مبين [تقوله] ^(١).

فقال الله: «الم، ذلك الكتاب» أي: يا محمد! هذا الكتاب الذي أنزلته ^(٢) عليك هو بالحروف المقطعة، التي منها «الف، لام، ميم»، وهي بلغتك وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهادتكم. ثم بين أنهم لا يقدرّون عليه بقوله ^(٣): «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً».

ثم قال الله: «الم»، هو القرآن الذي افتتح به «الم» هو «ذلك الكتاب» الذي أخبرت به موسى، فمن بعده من الأنبياء. فأخبروا بني إسرائيل أنني سأنزل عليك يا محمد! كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ^(٤)، «لا ريب فيه» لا شك فيه لظهوره عندهم؛ كما أخبرهم [به] ^(٥) أنبياءهم، أن محمداً ينزل عليه كتاب لا يلحقه ^(٦) الباطل، يقرؤه هو وأمتّه على سائر أحوالهم. «هدى» بيان من الضلالة «للمتقين» الذين يتقون الموبقات، ويتقون تسليط السفه على أنفسهم، حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه، عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم ^(٧).

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يحتمل الرفع والنصب والجر. والظاهر الجر، على أنه صفة «للمتقين»، كما هو الظاهر، أو بدل، أو عطف بيان.

فأما الرفع، فإما على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين يؤمنون. أو مبتدأ، خبره «أولئك على هدى».

٢. المصدر: أنزلناه.

٤. فصلت / ٤٢.

٦. المصدر: يمحوه.

١. من المصدر.

٣. الإسراء / ٨٨.

٥. من المصدر.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

وأما النصب، فعلى المدح بتقدير: أعني.

وإذا كان صفة، فهي إما مقيدة إن فُسِّرَ التقوى: بترك ما لا ينبغي؛ كما هو المناسب لمعناه اللغوي، وهو الاحتراز، فحينئذ يراد بالمتقي: من يحترز عن المعاصي، أي: فعل القبائح والمنهيات. سواء يمثل الأوامر ويأتي بالحسنات، أم لا. فعلى هذا تكون الصفة مقيدة مخصصة.

فإن قلت: اجتناب المعاصي كلها يستلزم الإتيان بالطاعات؛ لأنَّ ترك الطاعة معصية.

قلت: إنَّ المراد بالمعاصي، كما هو المتبادر، ما يتعلق به صريح النهي، وترك الأمور به منهية عنه - ضمناً. أو أنَّ مبنى هذا الكلام على أنَّ المعصية فعل ما نهى عنه، وأنَّ الترك ليس بفعل. وكذا إن أريد بالتقوى الأولى من مراتبها الثلاث، فإنَّ المراد بالمتقين حينئذ: من يجتنبون عن الشرك. فتوصيهم «بالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» لا يكون إلاَّ تقييداً وتخصيصاً، أو كاشفة إن فُسِّرَ بما يعمُّ فعل الحسنات وترك السيئات، وحمل «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» - إلى آخره - على ما يساويه، والتقوى بهذا المعنى: بعينه، هو المرتبة الثانية من مراتبه. وهو حقيقة معناه عند الجمهور.

وأما إذا أريد به المرتبة الثالثة التي لا يتحقَّق بها إلاَّ الخواص، فيمكن أن يكون - أيضاً - صفة^(١) كاشفة يظهر وجهه للمتأمل الصادق فيما سيأتي من بعض بطون الآية. أو مادحة، ذكرت لمجرّد المدح والثناء. وتخصيص ما ذكر، إظهاراً لفضله على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى.

وقد فُزِق بين المدح صفة والمدح اختصاصاً، بأنَّ الوصف في الأول أصل والمدح تبع. وفي الثاني بالعكس. وبأنَّ المقصود الأصلي من الأول إظهار كمال الممدوح والاستلذاذ بذكره، ومن الثاني إظهار أنَّ تلك الصفة أحقُّ باستقلال المدح من باقي

١. ليس في أ.

صفاته الكمالية، إما مطلقاً أو بحسب ذلك المقام.

و«الإيمان»: إفعال، من الأمن. المتعدّي إلى مفعول واحد.

والهمزة للتعدية إلى مفعولين. تقول: أمنت عمرو أو آمينته زيد، أي: جعلني آمناً منه.

وقيل: الهمزة للصيرورة، نحو: أعشب المكان، بمعنى: صار ذا عشب. فمعنى أمن: صار ذا أمن.

وقيل: المطاوعة، نحو: كبّه فأكبّه^(١)، أي: أمنه فأمن. ثم نقل إلى التصديق ووضع له لغة. ثم إنك إذا صدقت زيدا، فقد اعترفت بكلامه. فعُدّي بالباء على تضمين معنى الاعتراف.

وفي عرف الشرع: هو التصديق بما علم بالضرورة، من دين محمد ﷺ؛ كالتوحيد والنبوة والإمامة والبعث والجزاء - كما هو ظاهر.

وقيل: مجموع ثلاثة أمور: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه. وهذا مذهب المعتزلة والخوارج. فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق. ومن أخل بالإقرار فكافر. ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقاً، وكافر عند الخوارج، خارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة^(٢).

واختلف القائلون بأن الإيمان هو التصديق وحده، في أن مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف في المقصود، أو لابد من انضمام الإقرار للمتمكّن^(٣) منه؟

ولعل الحق هو الثاني؛ لأنه تعالى ذم المعاند أكثر من ذم الجاهل المقصر، وللمانع أن يجعل الذم للإنكار لالعدم الإقرار.

ولابأس علينا أن نذكر معنى «التضمين» هنا، فإنه يناسبه. فنقول: «التضمين» أن يقصد بفعل معناه الحقيقي، ويلاحظ معه فعل آخر يناسبه ويدلّ عليه بذكر شيء من

٢. أنوار التنزيل، ١٦/١.

١. تفسير البحر المحيط، ٣٨/١.

٣. أ: للتمكّن.

متعلقات الآخر؛ كقولك: أحمد إليك فلاناً. فإنك لما جعلت فيه مع الحمد معنى الإنهاء، ودلت عليه بذكر صلته؛ أعني: كلمة «إلى» كأنك قلت: أنهى حمده إليك. ثم إنهم اختلفوا.

فذهب بعضهم إلى أن اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكر ما هو من متعلقاته. فتارة يجعل المذكور أصلاً والمحذوف قيداً على أنه حال، وتارة يعكس.

وذهب آخرون إلى أن كلا المعنيين مراد بلفظ واحد على طريق الكناية، إذ يراد بها معناه الأصلي، ليتوسل بفهمه إلى ما هو المقصود الحقيقي. فلا حاجة إلى تقدير إلا لتصور المعنى.

وفيه ضعف؛ لأن المعنى: المكنى به في الكناية قد لا يقصد ثبوته، وفي «التضمنين» يجب القصد إلى ثبوت كل من المضمن والمضمن فيه. والأظهر أن يقال: اللفظ مستعمل في معناه الأصلي، فيكون هو المقصود أصالة. لكن قصد بتبعيته^(١) معنى آخر، يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ ويقدر لفظ آخر. فلا يكون من باب الكناية، ولا من الإضمار، بل من قبيل الحقيقة التي قصد بمعناها الحقيقي معنى آخر يناسبه ويتبعه في الإرادة. فاحفظ هذه المسألة، فإنها مفيدة^(٢).

﴿بِالْغَيْبِ﴾: «الغيب» مصدر غاب غيباً، حمل على «الغائب» مبالغة، أو على حذف مضاف، أو على جعل المصدر، بمعنى اسم الفاعل. وإما مخفّف فيعل؛ كهين وهين وأمثاله.

ورُدّ ذلك بأنّ هذا لا يدعى إلا فيما يسمع مثقلاً^(٣) كنظائره. وذلك ليس من هذا القبيل. والمراد به الخفي الذي لا يكون محسوساً ولا في قوة المحسوس كالمعلومات ببديهة العقل. وذلك كذاته سبحانه وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأحوال الآخرة،

٢. أ: مفيدة.

١. أ: بتبعية.

٣. أ: مثقلاً. وج: مثقلاً.

إلى غير ذلك من كل ما يجب على العبد أن يؤمن به، وهو غائب عنه، لا يشاهده ولا يعاينه. فالإيمان لا يكون عن المؤمن إلا عن غيب، سواء كان تقليداً أو نظراً أو استدلالاً.

قيل^(١): فإذا ارتفع عن درجة الإيمان، كان عارفاً مشاهداً. ولهذا فُرق جبرئيل بين درجة الإيمان وما فوقه عند سؤاله النبي ﷺ^(٢) حيث قال: يا محمد! أخبرني ما الإيمان وما فوقه؟

قال ﷺ: «الإيمان» أن تؤمن بالله والملائكة والكتب والنبیین، وتؤمن بالقدر كله. ثم قال: يا محمد! أخبرني ما الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنك تراه، (فإن لم تكن تراه)^(٣) فإنه يراك. فقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»، أي: تعبه حين تراه بعين بصيرتك وقوة يقينك، كأنك تراه. فكما أن المبصر بعين البصر لا يحتاج إلى الاستدلال، فكذلك بعين البصيرة وقوة اليقين لا يحتاج إليه. فهو بالنسبة إليك بمنزلة المشهود المحسوس. فدرجة الإحسان فوق درجة الإيمان، وإنما سمّي ذلك إحساناً لأنه إنعام من الله تعالى وفضل، ليس للعبد فيه تسبب، بخلاف الإيمان فإنه مكتسب. ويمكن أن يراد «بالغيب» غيب الغيوب، الذي هو ذاته المطلقة وهويته الغيبية السارية في الكل، علماً وعيناً.

و«الباء» على هذه التقادير^(٤) للتعدية^(٥)، متعلقة المضمن للإيمان. ويمكن أن تكون للمصاحبة، متعلقة بمحذوف يقع حالاً. و«الغيب» بمعناه المصدرى، أي: يؤمنون حال كونهم متلبسين بغيبتهم عن المؤمن به، أو بغيبة المؤمن

١. ليس في أ.

٢. سنن الترمذي ١٢٠/٤، ضمن حديث طويل مع بعض الاختلاف.

٣. ليس في ج. ٤. في ج: التقدير.

٥. ليس في ج.

به عنهم. أو المعنى: أنهم يؤمنون غائبين عنكم، لا كالمناققين الذين «إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمناً وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم»^(١).

وأن تكون للاستعانة، أي: يؤمنون باستعانة غيوبهم التي هي نفوسهم الناطقة وأرواحهم المعجزة، التي هي غيب وجوداتهم. فإن نسبة الحق سبحانه إلى العالم كنسبة النفس الناطقة إلى البدن، فبالقياس إليها يعرفون الحق سبحانه ويؤمنون به وبصفاته الكمالية. وعلى هذا، حمل بعضهم قوله ﷺ: من عرف نفسه فقد عرف ربه. وقيل: المراد «بالغيب» القلب، أي^(٢): يؤمنون بقلوبهم، لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم»^(٣).

ومفعول «يؤمنون» على هذه التقادير، محذوف يعم جميع ما يجب أن يؤمن به. ويحتمل أن يكون المراد «بالغيب» قيام القائم ﷺ.

(وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): حدثني^(٥) أبي، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن سعدان بن مسلم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «الذين يؤمنون بالغيب»، قال: يصدقون بالبعث والنشور والوعد والوعيد.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٦): بإسناده إلى عمر بن عبد العزيز، عن غير واحد [من أصحابنا]^(٧) عن داود بن كثير الرقي، عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله ﷻ: «هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب». قال: من أقر بقيام القائم ﷺ أنه حق.

وبإسناده^(٨) إلى علي بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي القاسم، قال: سألت الصادق جعفر بن محمد ﷺ عن قول الله ﷻ: «الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب».

٢. المصدر: لأنه مستور والمعنى.

١. البقرة / ١٤.

٤. تفسير القمي، ٣٠/١.

٣. أنوار التنزيل، ١٧/١.

٦. كمال الدين وتمام النعمة ٣٤٠/٢، ح ١٩.

٥. في ج: حدثنا.

٨. نفس المصدر ٣٤٠/٢، ح ٢٠.

٧. من المصدر.

فقال: «المتقون» شيعة علي عليه السلام و«الغيب» هو الحجة الغائب. وشاهد ذلك قول الله تعالى: «ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الغيب لله فانظروا أنني معكم من المنتظرين»^(١).

فأخبر عليه السلام أن «الآية» هي «الغيب»، و«الغيب» هو «الحجة». وتصديق ذلك قول الله تعالى: «وجعلنا ابن مريم وأمه آية»^(٢)، يعني: حجة.

وفي مجمع البيان^(٣): «يؤمنون بالغيب» قيل: بما غاب عن العباد علمه، عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة. وهذا أولى لعمومه. ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من [زمان] ^(٤) غيبة المهدي عليه السلام ^(٥) ووقت خروجه ^(٦).

(ويدل عليه ما روي^(٧) عن داود [بن كثير] الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «(هدى للمتقين)»^(٨) الذين يؤمنون بالغيب» قال: من أقر بقيام القائم عليه السلام أنه حق.

وروي^(٩) - أيضاً - بإسناده عن يحيى بن أبي القاسم، قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: «آلم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب». فقال: «المتقون»، شيعة علي عليه السلام و«الغيب» هو الحجة الغائب^(١٠).

«وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ»: «القيام» في الأصل: الانتصاب. وإقامة الشيء: جعله منتصباً. فكأنهم يجعلون الصلاة منتصبة من حضيض ذلّ العدم أو النقصان، إلى ذروة عزّ الوجود أو الكمال، أي: يحصلونها أو يأتون بها على ما ينبغي. و- أيضاً- «قيام الشيء» وجوده. ومنه قولهم: أنه قائم بنفسه أو بغيره. وقولهم: القيوم؛ هو القائم

١. الأعراف / ٧١. ٢. المؤمنون / ٥٠.

٣. مجمع البيان، ٣٨/١. ٤. من المصدر.

٥. من المصدر. ٦. ما بين القوسين ليس في أ.

٧. كمال الدين وتمام النعمة ٣٤٠ ح ١٩؛ ج ١٧/١.

٨. ما بين القوسين ليس في المصدر. ٩. نفس المصدر.

١٠. ما بين القوسين مشطوب في المتن وغير موجود في روح.

بنفسه، المقيم لغيره. والقوام؛ لما يقام به الشيء، أي: يحصل. فعلى هذا، معنى «إقامة الصلاة»: تحصيلها وإيجادها كما في الوجه الأول من الإقامة بمعنى: الانتصاب. ويلاتنم الوجه^(١) الثاني، جعله من أقام العود: إذا قومه، أي: سواء، على أن يستعار من تسوية الأجسام كالعود ونحوه لتعديل الأركان، نقلاً من المحسوس إلى المعقول. ويحتمل أن يجعل من «قامت السوق»: إذا نفقت، أي: راجت. وأقامها، أي: جعلها نافقة رائجة، ويقصد بها الدوام والمحافظة عليها؛ لأنها إذا حوفظت عليها، كانت كالشيء النافق الذي يتوجه إليه الرغبات. وإذا عطّلت وأضيعت، كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه.

وأن يجعل من قولهم: قام بالأمر، أي: تجلّد وتشمّر له. بإقامة الصلاة على هذا، جعلها متجلّدة متشمّرة^(٢) لإخراج المصلّي عن عهدة أدائها، أو إنقاذها عن تبعة تركها، ولا يتيسّر ذلك إلّا بتجلّد المصلّي وتشمّره لها، فجعل كناية عنه. وبالجملة، فالمراد بإقامتها: تحصيلها الذي هو أداؤها مطلقاً، أو تعديل أركانها الظاهرة، وتقويم حقائقها الباطنة، أو الدوام والمحافظة عليها، أو التجلّد والتشمّر لأدائها.

و«الصلاة» فعلة، من «صلى»، كالزكاة من زكى، كتبت بالواو، على لفظ المفخم اسم الفاعل. والتفخيم هنا إمالتها نحو الواو. وقيل: للدلالة على أنها واوية.

والمشهور أنها في اللغة، بمعنى: «دعا» وورود «الصلاة» بمعنى «الدعاء» في كلام العرب، قبل شرعية الصلاة المشتملة على الأركان المخصوصة، وفي كلام من لا يعرفها، دليل على ذلك. ثم نُقلت إلى ذات الأركان لاشتغالها على الدعاء. أو لأنها دعاء بتمامها، بالألسنة الثلاثة: القول والفعل والحال. ووجه إطلاق المصلّي على الداعي ظاهر.

٢. في «ج» بعد «متشمّرة»: أي: كالتجلّد المتشمّرة.

١. أ: الوجود.

وقيل: إنها من « صلى » بمعنى: حرك الصلوتين^(١)، أي: طرفي الأليتين، وذلك لأن أول ما يشاهد من أحوال الصلاة إنما هو تحريك الصلوتين للركوع، فإن القيام لا يختص بالصلاة، وإنما سمي الداعي مصلياً، تشبيهاً له في تخضعه بالراكع والساجد. وإقامة الصلاة أعم من المفروضات والمسنونات.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢): «الرزق» في الأصل: الإخراج؛ لأن التركيب وقلبه - أعني رزق - يدل أن عليه.

وشاع في اللغة أولاً على إخراج حظ إلى آخر ينتفع به. وهذا يلائم ما يذهب إليه بعضهم، حيث يجعلون الرزق عاماً بحيث يتناول كل غذاء جسماني كالأطعمة والأشربة وغيرهما، وروحاني كالعلوم والمعارف.

ثم شاع - استعمالاً وشرعاً - على إعطاء الحيوان ما ينتفع به، ويستعمل بمعنى المرزوق كثيراً.

والمعتزلة لما استحالوا من الله أن يمكن من الحرام؛ لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه، قالوا: الحرام ليس برزق. وأسند الرزق هنا^(٣) إلى نفسه إيداناً بأنهم ينفقون الحلال [المطلق]^(٤)، فإن إنفاق الحرام لا يوجب المدح، وذمّ المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله: «قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً»^(٥).

والأشعرية جعلوا الإسناد للتعظيم والتحريض على الإنفاق، والذمّ لتحريم ما لم يحرم. واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة. وتمسكوا في شمول الرزق له بقوله ﷺ في حديث عمرو بن قرّة: لقد رزقك الله طيباً، فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله. وبأنه لو لم يكن رزقاً، لم يكن المغتذي به طول

٢. في المصدر: ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق ها هنا

٤. يونس / ٥٩.

١. أنوار التنزيل ، ١٧/١.

٣. من المصدر.

٥. أنوار التنزيل ، ١٧/١.

عمره مرزوقاً. وليس كذلك لقوله تعالى: «وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها»^(١).

وأنفق الشيء وأنفده، أخوان. وكذا كل ما كان فاؤه نوناً وعينه فاء، يدل على معنى الذهاب والخروج.

والمراد من «إنفاق ما رزقهم الله»: صرف المال في سبيل الخير، من الفرض والنفل^(٢). ومن فسرَه بالزكاة، ذكر أفضل أنواعه، والأصل فيه^(٣)، أو خصَّصه بها لاقترائه بما هو شقيقها.

وتقديم المفعول للاهتمام. أو لتخصيص الإنفاق ببعض المال الحلال، تأكيداً لما يفيدُه^(٤) «من» التبعية، أو للمحافظة على رؤوس الآي.

و«ما» المجرورة موصولة، أو موصوفة، والعائد محذوف، والتقدير: رزقناهموه، أو رزقناهم إيَّاه. وإنما حذف العائد الذي هو كناية عن الرزق لا العائد إلى المرزوقين. ليكون الوجود اللفظي على طبق الوجود العيني؛ لانطواء الرزق في المرزوق واختفائه فيه.

ويحتمل أن يكون «ما» مصدرية، ويكون المصدر بمعنى المفعول، وأن يكون «من» لا ابتداء الغاية، لا للتبعض.

أقول: إنما كتبت بضمير الجمع عن نفسه، وهو واحد لا شريك له؛ لأنه خطاب الملوك وهو مالك الملوك.

ووجه ذلك عند بعضهم، أن ما يصدر عن الله سبحانه من الأفعال إنما هو بواسطة^(٥)

١. هود/٦.

٢. أ: النقل.

٣. قوله: «ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه» كون الزكاة أفضل أنواع الإنفاق، لأن الأفضلية باعتبار أكثرية الثواب فإن ثواب الفرض أكثر من ثواب النفل. وأما كون الزكاة أصلاً في الإنفاق فباعتبار أن الزكاة من أصول الإسلام، بخلاف سائر أنواع الإنفاقات فإنها من الفروع.

٥- أ: بواسطة.

٤. يقيد.

الأسماء. وللأسماء جهتان: وحدة حقيقية من حيث الذات، وجهة كثرة نسبية^(١) من حيث النسب والاعتبارات. فإذا اقتضى المقام اعتبار الجهة الأولى، أتى بما يدل على الوحدة^(٢). (وإذا اقتضى المقام اعتبار الجهة الثانية، أتى بما يدل على الكثرة)^(٣). ولما اعتبر هنا جانب المرزوقين روعيت الجهة الثانية، فإن لكل مرزوق استعداداً خاصاً يطلب رزقه من اسم خاص يناسبه.

قيل: ولا يبعد أن يقال: المراد «بالانفاق» أنهم يتصدقون للفرط حين يصومون، ولأداء الزكاة عند وجود النصاب وحولان الحول، وينفقون لأداء الحج للزاد والراحلة لأنفسهم ولرفقائهم. فيكون قوله تعالى: «بالغيب» إشارة إلى أول ركن من أركان الإسلام. وقوله: «ويقيمون» إلى ثانيها. وقوله: «ومما رزقناهم» إلى الثلاثة الباقية.

وقد^(٤) روي^(٥) في معنى الآية: أن المتقين هم الشيعة الذين يؤمنون بالغيب. وهو البعث والنشور وقيام القائم والرجعة. و«مما رزقناهم ينفقون»: مما علمناهم من القرآن يتلون.

(وفي مجمع البيان^(٦): «ومما رزقناهم ينفقون» روى محمد بن مسلم، عن الصادق عليه السلام أن معناه: ومما علمناهم يتنون^(٧)).

«وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ»: مرفوع، أو منصوب، عطفاً على «الذين يؤمنون بالغيب»، أو مجرور، عطفاً عليه، أو على «المتقين».

فعلى الأول، يكون دخوله تحت «المتقين» دخول أخصين تحت أعم. إذ المراد «بأولئك»: «الذين آمنوا» عن شرك وإنكار، وبهؤلاء مقابلوهم. فيكون الآيتان تفصيلاً «للمتقين».

١. أ: نسية.

٢. أ: الكثرة.

٣. ما بين القوسين غير موجود في أ.

٤. ليس في أ.

٥. تفسير العياشي، ٢٦/١.

٦. مجمع البيان، ٣٩/١.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

وعلى الثاني، لا يكون مندرجاً تحت «المتقين»، والمعنى: «هدى للمتقين» عن الشرك، و«الذين آمنوا» من أهل الملل.

فعلى هذا، يكون المراد بالأولين: المؤمنين عن الشرك، وبالأخيرين^(١): المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه.

وعلى التقديرين، يحتمل أن يراد بهم: الأولون بأعيانهم.

ووسط العاطف، كما وسط في قوله:

إلى الملك القزم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم

وقوله:

يا كهف^(٢) زياية^(٣) للحارث الصالح^(٤) والغانم^(٥) فلايب

والمعنى: أنهم الجامعون بين الإيمان بما يدركه العقل جملة، والإتيان بما يصدق من العبادات البدنية والمالية، وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع.

وكثر الموصول تنبيهاً على^(٦) تباين السبيلين، أو طائفة منهم، وهم مؤمنوا أهل الكتاب، ذكرهم مخصصين عن الجملة، كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة، تعظيماً لشأنهم وترغيباً لأمثالهم^(٧).

ويحتمل أن يكون مع ما عطف عليه مبتدأ، و«أولئك» خبره.

و«الإنزال» تحريك الشيء من العلو إلى السفلى.

فالمراد بالمنزل، إن كان الكلام الذي هو صفته، فإنزاله: تحريكه بالحركة المعنوية إلى مظاهره السفلية، بعد ظهوره في المظاهر العلوية. فإنه يظهر أولاً في المظاهر العقلية، ثم النفسية، ثم المثالية، ثم الحسية.

١. في ج: الآخرين.

٣. في أنوار التنزيل: ذنابه.

٥. المصدر: فالغانم.

٧. أنوار التنزيل، ١٨١.

٢. المصدر: يالهِف.

٤. في أنوار التنزيل وج: الصائح.

٦. في المصدر: على تغاير القبيلين و....

(وإن كان كلامه الذي هو القرآن المنتظم من الحروف والكلمات، فإنزاله: تحريكه من المعاني العلمية الإلهية العقلية النفسية^(١))، ثم إلى صور الحروف والكلمات المثالية، ثم الحسية^(٢)).

وعلى هذا^(٣)، يكون الإنزال مستعملاً في معناه المجازي، فيكون من قبيل المجاز في المفرد. ولك أن تجعله من قبيل المجاز في الاسناد، بأن يكون الإنزال مستعملاً في معناه الحقيقي، ويسند إلى القرآن باعتبار حامله الذي هو جبرئيل عليه السلام.

وإنما جاء بصيغة الماضي - وإن كان بعضه مترقياً - تغليياً للموجود على ما لم يوجد، أو تنزيلاً للمنتظر منزلة الواقع. ونظيره قوله تعالى^(٤): «إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى» فإن الجن لم يسمعوا جميعه، ولم يكن الكتاب كله حينئذ منزلاً. والمعنى: «الذين يؤمنون بالقرآن الذي أنزل إليك بعد ظهورك» بالوجود الجسماني الشهادي. وإنما قيدنا بذلك لأنه بحسب الوجود الروحاني العيني مقدم على الكل.

قال عليه السلام: كنت نبياً مبعوثاً^(٥) من عند الله في العالم الروحاني إلى الأرواح البشريين والملكيين، وآدم بين الماء والطين، أي: لم يكمل بدنه الجسماني الشهادي بعد، فكيف من دونه من أنبياء أولاده؟

والإيمان به جملة فرض عين، وتفصيلاً^(٦)، من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض لكن على الكفاية؛ لأن وجوبه على كل أحد يوجب الحرج وفساد المعاش.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾: مجرور، معطوف على «ما أنزل قبله»، أي: قبل وجودك الجسماني الشهادي. والمراد به: التوراة والإنجيل وغيرهما، والإيمان به جملة فرض عين.

١. في ج: إلى العقلية ثم النفسية. وهو الأصوب. ٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. في ج: على. ٤. الأحقاف، ٤٦.

٥. في ج: أي مبعوثاً.

٦. في أنوار التنزيل ١٨/١ هكذا: والإيمان بهما جملة فرض عين، وبالأول دون الثاني تفصيلاً.

وقرأ يزيد بن قطيب: «بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك» على لفظ ما سُمِّيَ فاعله .
أقول: ومن جملة ما أنزل إلى النبي وإلى الأنبياء قبله ﷺ بل العمدة والأصل .
خلافه علي بن أبي طالب عليه السلام عنه بلا وساطة^(١) أحد غيره .

يدلّ على ذلك ما روي في التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري^(٢) عليه السلام: أنه قد
حضر رجل عند علي بن الحسين عليه السلام فقال^(٣): ما تقول في رجل يؤمن بما أنزل على
محمد وما أنزل [علي] ^(٤) من قبله، ويؤمن بالآخرة، ويصلي ويؤتي الزكاة، ويصل الرحم،
ويعمل الصالحات، لكنه يقول مع ذلك^(٥): لا أدري الحق لعلّي أو فلان؟

فقال [له] علي بن الحسين عليه السلام: ما تقول أنت في رجل يفعل هذه الخيرات كلها
إلا^(٦) أنه يقول: لا أدري النبي محمد أو مسيلمة؟ هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟
فقال: لا .

فقال^(٨): فكذلك^(٩) صاحبك هذا . كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب (وبالآخرة أو
منتفعاً بشيء) ^(١٠) لا يدري^(١١) أم محمد النبي أو^(١٢) مسيلمة [الكذاب]؟^(١٣) فكذلك
كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب وبالآخرة^(١٤) أو منتفعاً بشيء^(١٥) (من أفعاله)^(١٦) من
لا يدري أعلّي المحقّق أم فلان؟

(وفي شرح الآيات الباهرة^(١٧)، منقول عن التفسير المذكور: قال الإمام عليه السلام: قال

١. أ: واسطة . ٢. تفسير العسكري عليه السلام ، ٨٩ .

٣. في ج: فقال له . ٤. من المصدر .

٥. المصدر: مع ذلك يقول . ٦. من المصدر .

٧. أ: علي . ٨. ليس في المصدر . وفي ج: قال .

٩. المصدر: وكذلك .

١٠. ما بين القوسين مشطوب في المتن وغير موجود في روح . ويوجد في المصدر .

١١. المصدر: من لا يدري . ١٢. المصدر وأ: أم .

١٣. من المصدر . ١٤. ليس في المصدر .

١٥. المصدر: به بشيء . ١٦. ليس في المصدر .

١٧. تأويل الآيات الباهرة ، ٨٨/١ .

الحسن بن علي عليه السلام: من دفع فضل أمير المؤمنين عليه السلام فقد كذب بالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وبسائر كتب الله المنزل. فإنه ما (نزل) ^(١) شيء منها إلا وأهم ما فيه بعد الأمر بتوحيد الله والإقرار بالنبوة، الاعتراف بولاية علي والطيبين من آله ^(٢) ^(٣).

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ①: معطوفة على «يؤمنون»، أي: يوقنون إيقاناً زال معه ما كانوا عليه، من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى. وأن النار لم تمسهم إلا أياماً معدودة، واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره، وفي دوامه وانقطاعه.

و«الآخر» اسم فاعل من «آخر» بالتخفيف، بمعنى: تأخر. إلا أنه لم يستعمل. و«الآخرة» تأنيثها. وهي صفة الدار أو النشأة، بدليل قوله: «تلك الدار الآخرة» ^(٤) و«ينشئ النشأة الآخرة» ^(٥)، وهي صفة غالبية على «تلك الدار» أو «النشأة». كالدنيا على هذه حتى قلما يستعملان ^(٦) في غيرهما. وقد جرتا ^(٧) مع تلك الغلبة مجرى الأسماء بترك موصوفيهما، حتى كأنهما ليستا من قبيل الصفات.

وإنما سميت «آخرة» لتأخرها عن الدنيا، كما سميت «الدنيا» دنيا لكونها أدنى وأقرب إلينا من الآخرة. أو لكونها أقرب النشآت إلى الآخرة. وذلك لأنّ للنفس ^(٨) الناطقة حالتين: حالة تعلّقها بالبدن، واشتغالها ^(٩) بتدبيره، والإتيان بواسطته بالأعمال الحسنة والسيئة. وحالة انقطاعها عن البدن وعدم التمكن من الاشتغال بتدبيره وترتب الأجزية على أعمالها من اللذات والآلام.

٢. في المصدر وج: من آله عليه السلام.

٤. القصص / ٨٣.

٦. أ: يستعملون.

٨- في ج: النفس. وهو خطأ.

١. المصدر: أنزل.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. العنكبوت / ٢٠.

٧. في ج: جريا.

٩. أ: اشغالها.

ولا شك أن الانتقال من الحالة الأولى التي هي الدنيا إلى الثانية التي هي الآخرة، أني دفعي، لا زمني تدريجي، بخلاف سائر النشآت، فإنه يتخلل بينها وبين الآخرة النشأة الدنيوية.

وعن نافع^(١)، أنه خففها بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام. و«الإيقان»: إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال. ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى والعلوم الضرورية.

لا يقال: أيقنت أن السماء فوقي. يقال: يقنت - بالكسر - يقيناً. وأيقنت واستيقنت وتيقنت - كله - بمعنى، وهو في أصل اللغة ينبئ^(٢) عن السكون والظهور. يقال: يقن الماء: إذا سكن، فظهر ما تحته. وقرئ: «يوقنون» بقلب الواو همزة لضم ما قبلها، إجراء لها مجرى المضمومة في وجوه «ووقت» ونظيره:

لحب الموقدان^(٣) الي موسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود

وفي هذا الكلام تقديمان، يفيد كل منهما القصر:

أحدهما: تقديم الظرف، أعني: «بالآخرة» للقصر عليه، كما في قوله تعالى: «لأبلى الله تحشرون»^(٤)، يعني: إنهم يوقنون بحقيقة الآخرة، لا بما هو على خلاف حقيقتها، كما يزعم بعض اليهود.

وثانيهما: تقديم المسند إليه، أعني «هم» وبناء الفعل عليه، كما في قولك: أنا سعت في حاجتك، يعني: أن الإيقان بالآخرة مقصور عليهم، لا يتجاوزهم إلى أهل الكتاب.

وفي هذين القصرين، التعريض ببعض أهل الكتاب، وبما هم عليه من أمر الآخرة.

١. أنوار التنزيل ١/ ١٨٨.

٢. أ: بنى.

٤. آل عمران / ١٥٨.

٣. أ: المؤتدان.

(وفي شرح الآيات الباهرة^(١) : قال الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام : ثم وصف هؤلاء الذين يقيمون الصلاة ، فقال : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك » يا محمد ! « وما أنزل من قبلك » على الأنبياء الماضين ، كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله^(٢) المنزل على أنبيائه ، بأنها^(٣) حق وصدق من عند رب العالمين العزيز الحكيم^(٤) ، « وبالأخرة هم يوقنون » بالدار الآخرة بعد هذه الدنيا يوقنون ، لا يشكّون فيها أنّها الدار التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل مما عملوا^(٥) ، وعقاب الأعمال السيئة بمثل ما كسبوا^(٦))^(٧) .

« **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ** » : الجملة في محل رفع^(٨) ، إن جعل أحد^(٩) الموصولين مفصلاً عن « المتقين » ، خبر له . وكأنّه لما قيل : « هدى للمتقين » ، قيل : ما بالهم خُصّوا بذلك ؟ فأجيب بقوله : الذين - الخ . وإلا فاستئناف لا محلّ لها . وكأنّه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة ، أو جواب سائل قال : [ما]^(١٠) للموصوفين بهذه الصفات : اختصّوا بالهدى .

ويحتمل أن يكون الموصول الأول موصولاً « بالمتقين » ، والثاني مفصلاً عنه^(١١) . مبتدأ « وأولئك » خبره .

و « أولئك » اسم إشارة ، يشترك فيه جماعة الذكور والإناث . وهي هنا إشارة إلى « المتقين » الموصوفين بتلك الصفات ، لا إلى ذواتهم المجردة ؛ لأنّه مأخوذ في حدّ اسم الإشارة أن يكون المشار إليه محسوساً ، أو في حكم المحسوس ، وإنّما صار المشار إليه هنا في حكم المحسوس بإجراء هذه الأوصاف عليه وتميّزه بها عمّا عداه .

١ . تأويل الآيات الباهرة ، ٨٨/١ .

٢ . المصدر : الكتب .

٣ . المصدر : فأنّها .

٤ . المصدر : ربّ عزيز وصادق حكيم .

٥ . في ج : عملوه .

٦ . المصدر وج : بما كسبوه .

٧ . ما بين القوسين ليس في أ .

٨ . في ج : الرفع .

٩ . في ج : أوّل .

١٠ . أنوار التنزيل ١٨/١ . وج . ووجودها هو الصحيح .

١١ . أ : منه .

فيجب أن يكون ملحوظة في الإشارة. فإذاً يكون قوله: «أولئك على هدى من ربهم» كالبناء على المشتق. ففيه إعلام بأن الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة علة، لكون المذكورين «على الهدى».

وكلمة «أولئك» يمدّ ويقصر، والمدّ أولى.

وكلمة «على» هذه استعارة تبعية.

وإنما كانت استعارة لأنه شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار. فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء، كما شبه استعلاء المصلوب على الجذع باستقرار المظروف في الظرف^(١) لجامع^(٢)، فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية.

وإنما كانت تبعية لأن الاستعارة في الحرف يقع أولاً في متعلق معناه كالاستعلاء والظرفية - مثلاً - ثم تسرى إليه تبعيته، كما حقق في موضعه.

ولك أن تعتبر تشبيه هيئة^(٣) منتزعة من «المتقي» و«الهدى» وتمسكه به بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه، فيكون هناك استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيها، أو تعتبر تشبيهه بالمركوب على طريقة الاستعارة بالكناية، وتجعل كلمة «على» قرينة لها.

وتنكير «هدى» للتعظيم؛ أي: هدى لا يُبلّغ كنهه، ولا يقادر قدره، وكيف يبلغ كنهه^(٤) وقد منحوه من عند ربهم، وأوتوه من قبله، أو للنوع^(٥).

و«من» للابتداء.

وقيل^(٦): إنما قال: «من ربهم» لا «من الله» تنبيهاً على أن لكل أحد اسماً خاصاً من أحدية جمع الأسماء هو ربه، ومنه يصل إليه ما يصل، وليس لأحد أحدية جمع

١. للظرف.

٢. أ: لجامع.

٣. أ: ر: هيئته.

٤. ليس في أ.

٥. يعني: أو وتنكير «هدى» للنوع.

٦. ليس في أ.

الاسماء إلا للإنسان الكامل، فإن ربه الخاص به هو الاسم^(١) الجامع. فمعنى قوله: «من ربهم» أن لكل أحد هدى من ربه الخاص، لا من غيره.

والنكتة في إضافة «الهدى» إلى «الكتاب» أولاً وإلى «ربهم» ثانياً: أن المتقين قبل كشف حجب المظاهر عن نظر شهودهم كانوا يشاهدون «الهدى» عن مظاهر الاسم التي كان «ذلك الكتاب» واحداً منها، فلذلك أضيف إليه «الهدى» أولاً، فلما تمكنوا في التقوى وتحققوا بالصفات الجارية عليهم، كشف عنهم حجب المظاهر وشاهدوا فيها الظاهر، فلهذا أضيف إليه ثانياً. وهو - أي قوله: «من ربهم» - إما في محل الجر صفة «لهدى»، أو النصب على أنه حال من «هدى».

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٥: عطف على الجملة الأولى.

وأصل «الفلاح» القطع والشق. ومنه سمى الزارع^(٢) فلاحاً؛ لأنه يشق الأرض. والزراعة: فلاحه. ومنه المثل: الحديد بالحديد يفلح. بل كلما يشاركه في الفاء والعين يدل على ذلك المعنى، نحو: فلق وفلذ وفلا وفلج - بالجيم -.

و«المفلح» هو الفائز بالمطلوب، كأنه الذي انفتحت له وجوه الفوز والظفر، ولم تستغلق عليه.

وكثر اسم الإشارة للتنبية على أن كل واحد من المسندين على انفراده يكفي في إثبات الفضيلة للمسند إليهم، فلا احتياج إلى انضمام الآخر ليعد من الفضائل، بخلاف ما لو اقتصر على واحد منهما، فإنه يمكن أن يتوهم حينئذ أن الفضيلة في الجمع بينهما، لا في كل واحد.

و«هم» فصل. وفيه ثلاث فوائد وثلاث مذاهب.

أما الفوائد:

فالأولى منها، الدلالة ابتداء^(٣) على أن ما بعده خبر، لا نعت. ولذلك سمى فصلاً.

والثانية، تأكيد الحكم لما فيه من زيادة الربط .

وقيل : تأكيد المحكوم عليه ؛ لأنه راجع إليه ، فيكون تكريراً له .

والثالثة، إفادة قصر المسند على المسند إليه .

فإن قلت : إنَّ هذا إنَّما يتم إذا ثبت القصر في مثل : « زيد هو أفضل من عمرو » مما^(١) الخبر فيه نكرة . وإلا فتعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدأ وإن لم يكن هناك ضمير فصل ، مثل : زيد الأمير .

قلت : ندعي القصر في صورة النكرة أيضاً ، فإنَّ قولك : « زيد هو أفضل من عمرو » معناه بالفارسية : زيد أوست كه أفضل است از عمرو . فعلى هذا ، قد اجتمع في قولك : « زيد هو الأمير » ، أمران يدلان على قصر المسند أحدهما تأكيد للآخر : تعريف المسند . وضمير الفصل^(٢) .

ونوقش : بأنَّ تعريف المبتدأ بلام الجنس يفيد قصره على الخبر دون قصر الخبر عليه وإن كان مع ضمير الفصل ، كقولك : الكرم هو التقوى ، أي : لاكرم إلا التقوى . وأجيب بأنَّ القول بإفادة الفصل ، قصر المسند على المسند إليه إنَّما هو على تقدير أن لا يكون هناك معارض ، كتعريف المسند إليه لإفادة قصره على المسند في هذه الصورة .

وأما المذهب :

فأحدها ، أنَّ ضمير الفصل حرف لا محلَّ له ، وفائدته ما مرَّ .

وثانيها ، أنَّه اسم لا محلَّ له ، وهو سخيْف ؛ لأنه ليس له نظير في كلام العرب من اسم لا يكون له محل .

وثالثها ، أنَّه اسم مرفوع المحلَّ . فعلى هذا يجوز أن يكون « هم » مبتدأ ، و« المفلحون » خبره ، والجملة خبر « أولئك » .

٢. أ : ضمير الفصل من عمرو .

١. أ : ومما .

و«اللام» إمّا للعهد، أي: المتقون هم الذين بلغك أنّهم يفلحون واشتهروا بذلك، فإنّهم حصّة معيّنة من جنس المفلحين مطلقاً. وإمّا للجنس، أي: جنس المفلحين، مقصور على المتقين، لا يتجاوزهم إلى غيرهم.

والمبالغة في الثاني أنّ قصر الجنس يستلزم قصر الحصّة من غير عكس. وهاهنا معنى^(١) آخر أدقّ وألطف، ذكرها^(٢) الشيخ في دلائل الإعجاز، وهو: أن تشير باللام إلى حقيقة، ثمّ تصوّر تلك الحقيقة في الوهم بصورة تناسب ما يحكم بها عليه، ثمّ تحكم بالاتحاد بين تلك الحقيقة المصورة بهذه الصورة الوهمية وبين المبتدأ من غير ملاحظة الحصر من أحد الجانبين، وإنّما اعتبرت الصورة الوهمية المناسبة؛ لأنّ الحقيقة لو تركت على حالها لم يكن ادّعاء كون المبتدأ متّحداً بها مستحسنًا مقبولاً. فالمراد «بالمفلحين» على هذا المعنى: جنس المفلحين، مصوراً بصورة وهمية يلائم المتقين، يحكم بالاتحاد بينها وبين المتقين.

لا يقال: على هذا التقدير لم يتصوّر هناك حصر أصلاً، فكيف يستعمل فيه ضمير الفصل؟

قلنا: يجرّد حينئذ لتمييز الخبر عن النعت، وتأكيد الحكم دون القصر. فإن قلت: قوله: «أولئك على هدى من ربّهم وأولئك هم المفلحون» جملتان مصوغتان لمدح المتقين، فلم وقعت إحداهما بطريق القصر والحكم بالاتحاد، والأخرى بدونه؟

قلنا: لظهوره التلازم بين مسنديهما، فقصر أحدهما في قوّة قصر الآخر^(٣). وكذلك الحكم بالاتحاد في إحداهما^(٤) في قوّة الحكم بالاتحاد في الأخرى. وإنّما اختير ذلك في الجملة الأخيرة، ليقع خاتمة صفاتهم على وجه أبلغ.

٢. الأظهر: ذكره.

١. أ: غير معنى.

٤. هكذا في ج: وفي النسخ: أحدهما.

٣. هكذا في ج: وفي النسخ: الأخرى.

وفي التفسير المنسوب إلى أبي محمد العسكري صلوات الله عليه وعلى آبائه^(١): قال الإمام عليه السلام: ثم أخبر عن جلالة هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات الشريفة، فقال: «أولئك» أهل هذه الصفات، «على هدى» بيان^(٢) وصواب، «من ربهم» وعلم بما أمرهم به، «وأولئك هم المفلحون» الناجون مما منه يوجلون، الفائزون بما يؤملون. قال: وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! إن بلالاً كان ينظر اليوم فلاناً، فجعل يلحن في كلامه، وفلان يعرب ويضحك من بلال.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبدالله! إنما يراد إعراب الكلام وتقويمه لتقويم الأعمال وتهذيبها. ماذا ينفع فلاناً إعرابه وتقويمه لكلامه، إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن؟ وما يضّر بلالاً لحنه في كلامه، إذا كانت أفعاله مقومة أحسن تقويم، مهذبة أحسن تهذيب؟

قال الرجل: يا أمير المؤمنين! وكيف ذلك؟

قال عليه السلام: حسب بلال من التقويم لأفعاله والتهذيب لها^(٣) أنه لا يرى أحداً نظيراً لمحمد رسول الله ﷺ ثم لا يرى أحداً بعد محمد^(٤) نظيراً لعلي بن أبي طالب عليه السلام. ويرى أن كل من عاند علياً فقد عاند الله ورسوله، ومن أطاعه فقد أطاع الله ورسوله. وحسب فلان من الإعوجاج واللحن في أفعاله التي لا يستفيع معها بإعرابه لكلامه بالعربية وتقويمه للسانه، أن يقدم الأعجاز على الصدور والأستاذ^(٥) على الوجوه، وأن يفضل الخل في الحلاوة على العسل، والحنظل في الطيب والعدوبة على اللبن. يقدم على ولي الله عدوّ الله^(٦) الذي لا يناسبه بشيء^(٧) من الخصال في^(٨) فضله، هل هو إلا

١. تفسير العسكري عليه السلام، ٩٠/١.

٢. المصدر: وبيان.

٣. أ: لما، المصدر: بها.

٤. المصدر: بعده.

٥. أ: الاسماء.

٦. ليس في أ.

٧. المصدر: في شيء.

٨. أ: من.

كمن قدّم مسيلمة على محمّد في النبوة في^(١) الفضل^(٢). ما هو إلّا من الذين قال الله تعالى: «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»^(٣).

قال بعض الفضلاء: وإذا انتهى الكلام إلى هاهنا، فحريّ بنا أن نشير إلى بعض بطون هذه الآيات، فنقول: هذا^(٤) كلام من باطن الجمع إلى ظاهر الفرق، يخاطب أكمل صورة أوّلاً ومتابعيه آخرأ.

فيقول: «الم»، أي أقسم بالأوّل وذو الأمر والخلق، أنّ «ذلك» الموجود المعلوم المشهود، أعني: العالم، هو «الكتاب» الجامع لحروف وكلمات مخطوطة مرقومة في رقّ الوجود المنشور، للدلالة على أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ولا يزال الكتابة فيه دائمة أبداً لا ينتهي. «لاريب فيه» لأنّ تلك الدلالة قطعية عقلية أو كشفية، لا مجال للريب والشك فيها. «هدى» للمشارفين على الترقّي من الحجب المانعة عن التحقق بشهود الوحدة والكثرة «الذين يؤمنون بغيب» الهوية وسرياتها أوّلاً في الصور العلمية الباطنة التي هي الأعيان الثابتة ولها الأوّلية، وثانياً في الصور العينية الظاهرة التي هي الأعيان الخارجية ولها الأخرية، فهو الأوّل والآخر، والظاهر والباطن. وبعد الإيمان بها، يسلكون طريق الوصول إلى شهودها في تلك الصور بوحدتها، ف«يقيمون الصلاة» التي هي العبادة التامة الجامعة الموصلة إلى شهود الجمعية الإلهية، بتحريك صلاتهم الروحانية والجسمانية، للسير إليها والفناء فيها. «ومما» أفيض عليهم بعد الفناء من أنوار المعرفة وأسرار الوحدة، يفيضون على من سواهم لجعلهم بالتربية والكمال مستعدين لفيضانها. و«الذين» يصدّقون، لصفاء استعدادهم «بما أنزل إليك» وبما أنزل إلى الأنبياء والمرسلين من تلك الأنوار والأسرار، حيث يفهمونها بلسان الإشارة عنك، فيرغبون فيها ويسلكون للوصول إليها. «وبالآخرة» أي: بعاقبة

٢. أ: وظاهر في الفضل.

٤. في ج: هاهنا.

١. المصدر: و.

٣. الكهف / ١٠٤.

سلوكهم ومآل أمرهم إلى فيضان تلك الأنوار والأسرار، في أثناء سلوكهم لظهور آثارها متيقنون. «أولئك على هدى» مشهود «من ربهم» الظاهر بالاسم الهادي في مظاهره، لا يحتجبون بالمظاهر^(١) عن الظاهر. و«أولئك هم المفلقون» الذين خرقوا حجب المظاهر وشقوها، فيشاهدون مشهودهم كفاحاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لَمَّا ذَكَرَ خَاصَّةَ أَوْلِيَاءِهِ وَخَالِصَةَ عِبَادِهِ بِصِفَاتِهِمُ الَّتِي أَهْلَتْهُمْ لِإِصَابَةِ الزَّلْفَى عِنْدَهُ، وَبَيَّنَّ أَنَّ «الْكِتَابَ» هَدَى وَلَطَفَ لَهُمْ خَاصَّةً، فَقَى عَلَى أَثَرِهِ بِذِكْرِ أَضْدَادِهِمْ، وَهُمْ الْعَتَاةُ الْمَرْدَةُ مِنَ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ^(٢) لَا يَنْفَعُ فِيهِمُ الْهُدَى، وَلَا يَجْدِي عَلَيْهِمُ اللَّطْفُ. «سواء عليهم» وجود الكتاب وعدمه، وإنذار الرسول وسكوته^(٣).

وروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام^(٤) في معنى الآية: أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَدَحَهُمْ، ذَكَرَ الْكَافِرِينَ الْمُخَالَفِينَ لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ. فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بِاللَّهِ وَبِمَا آمَنَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِوَصِيَّةِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيِّ اللَّهِ وَوَصِيِّ رَسُولِهِ، وَبِالْأُتَمَّةِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ خِيَارِ عِبَادِهِ الْمَيَامِينِ، الْقَوَّامِينَ بِمَصَالِحِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم»، أَي: خَوْفَتَهُمْ أَوْ^(٥) لَمْ تَخَوْفَهُمْ، أَخْبَرَ عَنْ عِلْمِ بَأْنِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ. انْتَهَى كَلَامُهُ عليه السلام.

ولم يوسط العاطف بين الجملتين لتباينهما في الغرض والأسلوب.

أما الغرض، فلأنَّ الغرض من الأولى، بيان كون الكتاب بالغاً في الهداية حدَّ الكمال. ومن الثانية، وصف الكفار بأنَّه لا يؤثر فيهم الانذار.

وأما في الأسلوب، فلأنَّ الطريق الأولى، الحكم على الكتاب بجمله محذوفة المبتدأ موصولة بغيرها، من ذكر المتقين وأحوال المؤمنين. وطريق الثانية، الحكم على الكافرين قصداً بجمله تامّة مصدرة بـ «إِنَّ» المشعرة بالأخذ في فن آخر لتجرّد

٢. النسخ: الذي.

١. ليس في أ.

٤. تفسير العسكري عليه السلام، ٩١، باختلاف فيه.

٣. أ: وسكوته.

٥. في ج: أم.

الأولى عنها، بخلاف قوله: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ»^(١) لتوافقهما في الغرض والأسلوب، وهو ظاهر.

ويحتمل أن يقال: لمّا كانت النسبة بين المؤمنين والكافرين كمال المبانية، وبين الكافرين والمنافقين (على ما هو في شأن المنافقين)^(٢)، كمال المناسبة، قطع ما كان في شأن الكافرين عما كان في شأن المؤمنين، وعطف ما كان في شأن المنافقين على ما هو في شأن الكافرين، تنبيهاً على تينك النسبتين.

و«إِنَّ» من الحروف التي شابها الفعل في عدد الحروف، والبناء على الفتح، ولزوم الأسماء، وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة، في دخولها على اسمين. ولذلك أعملت عمله الفرعي، وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني، إيذاناً بأنه فرع في العمل. وقال الكوفيون: الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية، وهي بعدُ باقية مقتضية للرفع قضية^(٣) للاستصحاب، فلا يرفعه الحرف.

ورُدّ: بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلّفه عنها في خبر «كان»، وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف، وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها. ولذلك يُتلقى بها القسم، ويُصدّر بها الأجوبة، وتذكر في معرض الشك.

روي: أَنَّ الكندي المتفلسف ركب (الى المبرّد)^(٤) وقال: إِنِّي أَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ حَشَوًا؛ أَجِدُ الْعَرَبَ يَقُولُ: عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ. ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ. ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لِقَائِمٌ!

فقال المبرّد: المعاني مختلفة، فقولهم: عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ، إخبار عن قيامه. وقولهم^(٥): إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ، جواب عن سؤال سائل. وقولهم: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لِقَائِمٌ، جواب عن إنكار منكر لقيامه.

١. الانفتار ١٣/ ١٤.

٢. ما بين القوسين ليس في ج.

٣. أ: قضيته.

٤. ليس في أ.

٥. أ: قوله.

و«الكفر» لغة: ستر النعمة. وأصله الكفر، بالفتح، وهو الستر. ومنه سَمِيَ الليل: كافراً لستره الأشياء بظلمته. والزارع: كافراً؛ لأنه يستر الحب في التراب. وكمام الثمرة: كافوراً، لسترها الثمرة.

وفي الشرع: إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول ﷺ به؛ كوجوب الصوم والصلاة والزكاة وغير ذلك.

وإنما عُدَّ لبس الغيار وشَدَّ الزنار كُفْراً؛ لأنَّهما تدلَّان على التكذيب، فإنَّ من صدَّق الرسول ﷺ لا يتجرأ^(١) عليهما^(٢)، لا لأنَّهما^(٣) كفر في أنفسهما.

واحتجَّت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي، على حدوثه، لاستدعائه سابقة مخبر عنه.

وحيث لا يصحَّ الحكم على الكافرين مطلقاً باستواء الانذار وتركه لتحقيق الإيمان من بعضهم، فتعريف الموصول إمَّا للعهد، والمراد به ناس بأعيانهم؛ كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأخبار اليهود، فإنَّ هؤلاء وأضرابهم أعلام الكفرة، فهم كالحاضرين في الذهن. فإذا أطلق اللفظ، التفَّت الخاطر إليهم. أو لاستغراق الجنس، وهو الشائع في الاستعمال، أمَّا مطلقاً فيستغرق المصرِّين وغير المصرِّين، وخُصَّ منه غير المصرِّين بقرينة الخبر.

أقول: وإمَّا^(٤) مقيّد بالإصرار بهذه القرينة، فإنَّه - أيضاً - جنس، فيستغرق أفراد جنس المصرِّين فقط، أو لبعض أفراد الجنس من غير عهد واستغراق، ويكون تعيين المصرِّين بقرينة الخبر.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد به، مالك بن الضيف، وكعب بن أشرف، وحيي بن أخطب وحدي بن أخطب^(٥) تابعي^(٦) أبي لبابة بن المنذر، يدلُّ على إرادة ذلك ما روي

٢. هكذا في ج: وهو الصحيح.

٤. أ: ويحتمل وأما.

٦. في ج: وتابعي.

١. أ: لا تجرء. وفي ج: لا يجترئ.

٣. أ: لأنَّها. وهو خطأ.

٥. ليس في أ.

عن محمد بن علي الباقر عليه السلام ^(١): أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وظهرت آثار صدقه وآيات حقه وبينات نبوته كادته اليهود أشد كيد، وقصدوه أفبح قصد، يقصدون أنواره ليطمسوها، وحججه ^(٢) ليبتلوها. فكان ممن قصده للرد عليه وتكذيبه مالك بن الضيف، وكعب بن أشرف ^(٣)، وحبي بن أخطب ^(٤)، وحدي بن أخطب ^(٥)، وأبو لبابة ابن عبد المنذر ^(٦) وشيعته.

فقال مالك لرسول الله ﷺ: يا محمد! تزعم أنك رسول الله؟

(قال رسول الله ﷺ): ^(٧) كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين.

قال: يا محمد! لن نؤمن أنك رسوله ^(٨)، حتى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتي، ولن نشهد لك أنك عن الله جئتنا حتى يشهد لك هذا البساط!

وقال أبو لبابة بن عبد المنذر: لن نؤمن لك [يا محمد] ^(٩) أنك رسول الله، ولا نشهد لك به حتى يؤمن لك ^(١٠) ويشهد لك ^(١١) هذا السوط الذي في يدي!

وقال كعب بن أشرف ^(١٢): لن نؤمن لك أنك رسول الله، ولن نصدقك به، حتى يؤمن لك هذا الحمار الذي أركبه!

فقال رسول الله ﷺ: [إنه] ^(١٣) ليس للعباد الاقتراح على الله، بل عليهم التسليم لله والانقياد لأمره والاكتفاء بما جعل ^(١٤) كافياً. أما كفاكم إن نطق التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم بنبوتى، ودل على صدقي، وبين فيها ذكر أخي ووصيي وخليفتي في

١. تفسير العسكري عليه السلام، ٩٢.

٢. أ: حجته.

٣. المصدر: الأشرف.

٤. المصدر: الأخطب.

٥. المصدر: وحدي بن الأخطب وأبو ياسر بن الأخطب.

٦. المصدر: المنذر.

٧. ليس في أ.

٨. أ: لرسوله.

٩. من المصدر.

١٠. ليس في المصدر.

١١. المصدر: به هذا.

١٢. المصدر: الأشرف.

١٣. من المصدر.

١٤. المصدر: جعله.

أمتي وخير من أتركه على الخلائق من بعدي علي بن أبي طالب، وأنزل علي هذا القرآن الباهر للخلق أجمعين^(١)، المعجز لهم عن أن يأتوا بمثله وأن تكلفوا^(٢) شبهه؟ وأما^(٣) الذي اقترحتموه، فلست أقترحه على ربِّي ﷻ، بل أقول: أن ما أعطاني^(٤) ربِّي ﷻ من دلالة^(٥) هو حسبي وحسبكم. فإن فعل ﷻ ما اقترحتموه، فذاك زائد في تطوُّله علينا وعليكم. وإن منعنا ذلك، فلعلمه^(٦) بأن الذي فعله^(٧) كاف فيما أراده منا.

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه هذا، أنطق الله البساط. والحديث طويل، مضمونه: أن كلًّا من البساط والوسط والحمار شهد بالوحدانية والنبوة والولاية، وظهر من كلِّ منها آيات عجيبة. ولم يؤمن أحدهم إلا بأولبابة، فإنه أظهر الإسلام ولم يحسن إسلامه.

ثم قال ﷺ: فلما انصرف القوم من عند رسول الله ﷺ ولم يؤمنوا، أنزل الله: يا محمد! إن الذين كفروا سواء عليهم في العظة^(٨) «أأنذرتهم» ووعظتهم وخوفتهم «أم لم تنذرهم لا يؤمنون»، لا يصدّقون بنبوّتك، وهم قد شاهدوا هذه الآيات وكفروا، فكيف يؤمنون [بك عند قولك ودعائك]^(٩).

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٠) ﴿٦﴾: «سواء» اسم مصدر، بمعنى: الاستواء. أجرى على ما يتّصف بالاستواء، كما يجري^(١١) المصادر على ما يتّصف بها. وهو مرفوع على أنه خبر «إن».

وقوله: «أأنذرتهم أم لم تنذرهم» بتأويل المصدر مرفوع على الفاعلية، أي: إن

-
- | | |
|----------------------|--------------------------|
| ١. المصدر: أجمع. | ٢. أ: تكلفوا. |
| ٣. المصدر: وأنا هذا. | ٤. المصدر: أعطانيه. |
| ٥. المصدر: دلالة و. | ٦. أ: فلعله. |
| ٧. في ج: كان. | ٨. ليس في المصدر. |
| ٩. من المصدر. | ١٠. لا يؤمنون» ليس في ج. |
| ١١. في ج: تجري. | |

الذين كفروا مستوي عليهم إنذارك وعدمه، أو هو مرفوع بالابتداء، و«سواء» خبره مقدماً عليه.

والفعل إنما يمتنع الاخبار عنه، إذا أريد به تمام ما وضع له. أما لو أطلق وأريد به اللفظ و^(١) مطلق الحدث المدلول عليه - ضمناً - على الاتساع، فلا. وإنما عدل عنه إلى الفعل، لما فيه من إيهاً التجدد وحسن دخول الهمزة.

قيل ^(٢): لا يجوز أن يكون «سواء» خبراً؛ لأنَّ الجملة لما كانت مصدرة بالاستفهام، لا يجوز تقديم ما في حيزها عليها.

ورَدَّ بأنَّ «الهمزة» و«أم» دخلتا عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده، فإنَّهما جرَّتا عن معنى الاستفهام لمجرّد الاستواء، كما جرّدت حرف النداء عن الطلب لمجرّد التخصيص في قولهم: «اللَّهِمَّ اغفر لنا أيتها العصابة» ^(٣)، بل هو أولى من أن يكون فاعلاً للاستواء؛ لأنَّه لما كان اسماً غير صفة فالأصل أن لا يعمل، وإذا جعله بمعنى اسم الفاعل، فأنت المبالغة المقصودة من الوصف بالمصادر. ووجه افراده على الأول ظاهر، وعلى الثاني لجهة مصدريته، ولما كان الاستواء المستفاد من الحرفين غير الاستواء المفهوم من «سواء»، فلا تكرار.

وذهب بعض النحاة إلى أنَّ «سواء» في ^(٤) مثل هذا المقام خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمران سواء عليهم.

وأنَّ الهمزة بما بعدها، بيان للأمرين. والفعالان في معنى الشرط، على أن يكون الهمزة بمعنى أنَّ الشائع استعمالها في غير المتيقن.

و«أم» بمعنى «أو»؛ لأنَّ كليهما لأحد الأمرين.

والجملة الاسمية - أعني ^(٥): «الأمران سواء» - دالة على الجزاء، فعلى هذا يكون

١. في ج: أو.

٢. ليس في ج.

٣. أي: أخص هذه العصابة بالمغفرة لهم.

٤. في: من نسخة ج.

٥. ر: يعني.

خبر «إنّ» هو الجملة الشرطية. والمعنى: إنّ الذين كفروا إنّ أنذرت أو لم تنذر. فهما سواء عليهم.

و«عليهم» متعلّق بالاستواء.

و«الإنذار»: التخويف. أريد به التخويف من عقاب الله، وإنّما اقتصر^(١) عليه دون البشارة؛ لأنّه أوقع في القلب وأشدّ تأثيراً في النفس، من حيث أنّ دفع الضرّ أهمّ من جلب النفع، فإذا لم ينفع فيهم، كانت البشارة بعدم النفع أولى.

وقرئ «أنذرتهم» بتحقيق الهمزتين، وتخفيف الثانية بين وقلبها ألفاً، وهو لحن؛ لأنّ المتحركة لا تقلب، ولأنّه يؤدّي إلى التقاء الساكنين على غير حدّه، وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها. والثانية بين بين، وبحذف الاستفهامية وبحذفها، وإلقاء حركتها على الساكن قبلها.

«لا يؤمنون» تأكيد أو بيان للجملة التي قبلها - أعني: «سواء عليهم» أنذرتهم أم لم تنذرهم - وحينئذ يكون محله الرفع، إن جعل ما قبله جملة من مبتدأ وخبر، لا صفة مع الفاعل، فإنّه على هذا التقدير لم يكن لقوله: «يؤمنون» محل، أو خبر بعد خبر، أو جملة مستأنفة، أو حال من مفعول «أنذرتهم»^(٢).

قيل: أو خبر.

وقوله: «سواء» الخ، اعتراض بين المبتدأ والخبر.

وردّ بأنّ الإخبار عن المصّرّين على الكفر بعدم الإيمان لا فائدة فيه.

واحتجّت المجوّزة لتكليف ما لا يطاق بالآية، بأنّه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان، فلو آمنوا انقلب خبره كذباً، وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون، فيجتمع الضدّان!

والجواب: أنّ الإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه، كإخباره تعالى

١. أ: اقتضت.

٢. قوله: «أو خبر بعد خبر.... الخ» أي: أو «لا يؤمنون» خبر بعد خبر... الخ.

عما يفعله هو العبد باختياره. وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة وحياسة الرسول فضل^(١) الإبلاغ، ولذلك قال: «سواء عليهم»، ولم يقل «سواء عليك». كما قال لعبدة الأصنام: «سواء عليكم أَدَعَوْتُمُوهُمْ أم أنتم صامتون» وقد حَقَّق الكلام في هذا الجواب العلامة التحرير القزويني^(٢) - أدام الله ظلَّه العالي - في حاشيته الشريفة على العدة.

(وفي أصول الكافي^(٣): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القسم^(٤)) ابن يزيد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله تعالى.

قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه:

فمنها كفر الجحود، على وجهين، فالكفر^(٥) بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم.

فأمَّا كفر الجحود، فهو الجحود بالربوبية. وهو قول من يقول: لا رب ولا جنة ولا نار. وهو قول صنفين من الزنادقة، يقال لهم: الدهرية. وهم الذين يقولون: «وما يهلكنا إلا الدهر»^(٦). وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان، فهم على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون. قال الله تعالى^(٧): «إن هم إلا يظنون» إنَّ ذلك كما

١. أ: أفضل.

٢. هو العالم الفاضل المدقق المولى خليل بن الغازي القزويني الأصل والمسكن والوفاء. ذكره الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل ١١٢/٢ والميرزا عبد الله الأفندي في رياض العلماء، ٢٦١/٢.

كتب وألف العديد من المؤلفات منها: «شرح الكافي» فارسي، وشرح عربي و«رسالة الجمعة» و«حاشية مجمع البيان» و«الرسالة النجفية» و«الرسالة القمية» و«الجمال» في النحو و«رموز التفسير الواقعة في الكافي والروضة» و«شرح العدة».

كانت وفاته عليه السلام بقزوين، سنة تسع وثمانين بعد الألف، ودفن بها في المدرسة المعروفة به. (عدة الأصول، المقدمة، ٢١-٢٢).

٣. الكافي، ٣٨٩/٢.

٤. ر. و. ج. والكفر.

٥. الجانية / ٢٤.

٦. المصدر: القاسم.

٧. الجانية / ٢٤.

يقولون. وقال^(١): «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»، يعني بتوحيد الله [تعالى]^(٢). فهذا أحد وجوه الكفر. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن ابراهيم^(٣): حدثني أبي، عن بكر بن صالح، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه^(٤). فمنه كفر الجحود^(٥)، وهو على وجهين: جحود بعلم، وجحود بغير علم.

فأما الذين جحدوا بغير علم، فهم الذين حكى الله عنهم في قوله تعالى^(٦): «فَقَالُوا وَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَىٰ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ». وقوله^(٧): «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ». فهؤلاء كفروا وجحدوا بغير علم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة^(٨).

«خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ»: بيان وتأکید للحکم السابق، أو تعليل له.

و«الختم» قريب من الكتم، لفظاً، لتوافقهما في العين واللام ومعنى؛ لأن «الختم» على الشيء يستلزم كتم ما فيه، فيناسبه في اللازم.

و«الغشاوة» فعالة. من غشاه إذا غطاه. بنيت لما يشتمل على الشيء كالغشاوة والعمامة. ولا ختم ولا تغشية، ثم^(٩): على الحقيقة، بل على سبيل المجاز والاستعارة. فإن كان المشبه به في «ختم الله على قلوبهم» المعنى: المصدري الحقيقي للختم،

٢. من المصدر.

٤. المصدر: وجوه.

٦. الجائية / ٤٤.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

١. البقرة / ٦.

٣. تفسير القمي، ٣٢/١.

٥. المصدر: بجحود.

٧. البقرة / ٦.

٩. ثم أي: هناك.

والمشبه إحداه حاله في قلوبهم مانعة من نفوذ الحق فيها، كان طرفا التشبيه مفردين^(١)، والاستعارة مصرحة.

وإن جعل المشبه به هيئة مركبة منتزعة من الشيء والختم الوارد عليه ومنعه صاحبه من الانتفاع به، والمشبّه هيئة منتزعة من القلب والحالة الحادثة فيه ومنعها صاحبها عن الانتفاع به في الأمور الدينية^(٢)، كان طرفا التشبيه مركبين والاستعارة تمثيلية. قد اقتصر فيها من ألفاظ المشبه به، على ما معناه عمدة في تصوير تلك الهيئة واعتبارها - أعني: الختم - وباقي الألفاظ منوي مراد وإن لم يكن مقدراً في نظم الكلام، والاقتصار على بعض الألفاظ للاختصار في العبارة^(٣) وتكثير محتملاتها، بأن يحمل تارة على التشبيه وتارة على التمثيلية وأخرى على غيرهما، ولو صرح بالكل، تعيّن التمثيلية. وإن قصد تشبيه قلوبهم بأشياء مختومة، وجعل ذكر «الختم» الذي هو من روافد المشبه به المسكوت عنه تنبيهاً عليه ورمزاً، كان من قبيل الاستعارة بالكناية. وقس عليه قوله: «وعلى أبصارهم غشاوة».

والمعتزلة لما اضطرت في معنى ظاهر الآية، ذكروا له وجوهاً من التأويل: منها: أن القوم لما أعرضوا وتمكّن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم، شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه.

ومنها: أن المراد «بالختم»: وسم على^(٤) قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة، فيغضونهم، ويتنفرون عنهم. وعلى هذا يحمل كل ما يضاف إلى الله من طبع وإضلال. يدل^(٥) على هذا التأويل ما روي في تفسير الحسن العسكري عليه السلام^(٦) عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما دعا هؤلاء المعينين^(٧) في الآية المقدمة^(٨).

٢. أ: الدنيوية.

١. في ج: مفردين.

٤. ليس في أ.

٣. أ: العبادة.

٦. تفسير العسكري عليه السلام، ٩٩.

٥. في ج: ويدل.

٨. المصدر: المتقدمة.

٧. في النسخ: المعينين، والمثبت من المصدر.

[في قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] ^(١) وأظهر لهم ^(٢) تلك الآيات، فقابلوها بالكفر، أخبر الله ﷻ [عنهم] ^(٣) بأنه «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» ختماً يكون علامة للملائكة ^(٤) المقربين القراء لما في اللوح المحفوظ من أخبار هؤلاء المذكورين فيه أحوالهم، حتى إذا نظروا إلى أحوالهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ^(٥)، شاهدوا ما هنالك ^(٦) من ختم الله ﷻ عليها ازدادوا بالله معرفة، وعلموا بما يكون قبل أن يكون ^(٧) يقيناً.

قال ^(٨): فقالوا: يا رسول الله! فهل من عباد الله من يشاهد هذا الختم كما يشاهده ^(٩) الملائكة؟

فقال رسول الله ﷺ: بلى، محمد رسول الله يشاهده ^(١٠) بإشهاد ^(١١) الله ﷻ له ^(١٢). ويشاهده من أمتة أطوعهم لله ﷻ وأشدّهم جداً ^(١٣) في طاعة الله وأفضلهم في دين الله. فقالوا: من هو، يا رسول الله؟ - وكلّ منهم تمنى أن يكون هو -.

فقال رسول الله ﷺ: دعوه يكن من شاء الله. فليس الجلالة في المراتب عند الله ﷻ بالتمني ولا بالتظنّي ولا بالافتراح، ولكنه فضل من الله ﷻ على من يشاء، يوفّقه للأعمال الصالحة تكرمه لها ^(١٤)، فيبلغه أفضل الدرجات وأشرف المراتب. إنّ الله سيكرم بذلك من تريكموه ^(١٥) في غد، فجدوا في الأعمال الصالحة. فمن وفق الله

١. من المصدر.
٢. أ: أظهرهم.
٣. من المصدر.
٤. أ: الملائكة.
٥. ليس في المصدر.
٦. المصدر: هؤلاء.
٧. ليس في المصدر وفيه يوجد كذا: المختومين على جوارحهم يجدون على قروء من اللوح المحفوظ، وشاهدوه في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، ازدادوا نعم الله بالغائبات.
٨. ليس في المصدر.
٩. النسخ: يشاهدها.
١٠. النسخ: يشاهدها.
١١. أ: بشهادة.
١٢. ليس في أ.
١٣. ليس في أ.
١٤. في ج: بها.
١٥. أوج: يريكموه.

له^(١) ما يوجب عظيم كرامته عليه^(٢)، فلله عليه بذلك الفضل العظيم.

قال: فلما أصبح رسول الله ﷺ وغص مجلسه بأهله، وقد جد بالأمس كل من خيارهم في خير عمله وإحسانه إلى ربّه^(٣) قدم يرجو أن يكون هو ذلك الخير الأفضل، قالوا: يا رسول الله! من هذا؟ عرفناه بصفته، وإن لم تنص لنا على اسمه.

فقال رسول الله ﷺ: هذا الجامع للمكارم، الحاوي للفضائل، المشتمل على الجميل. ثم بعد ذكر كلام طويل، مشتمل على كرامات ومجاهدات وقعت في تلك الليلة من أمير المؤمنين عليه السلام ذكر أنّه^(٤) قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: انظر!

فنظر إلى عبدالله بن أبي وإلى سبعة من اليهود، فقال: شاهدت ختم الله على قلوبهم وأسماعهم^(٥).

فقال رسول الله ﷺ: أنت يا علي! أفضل شهداء الله في الأرض بعد محمد رسول الله.

قال: فذلك قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة» تبصرها الملائكة فيعرفونهم بها، ويبصرها رسول الله محمد^(٦)، ويبصرها خير خلق الله بعده علي بن أبي طالب.

وفي عيون الأخبار^(٧): بإسناده إلى ابراهيم بن أبي محمود، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم».

قال: «الختم» هو الطبع على قلوب الكفار، عوقبة على كفرهم، كما قال^(٨) عليه السلام: «بل يطبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا»^(٩).

٢. ليس في المصدر.

٤. ليس في أ.

١. ليس في المصدر.

٣. ليس في المصدر.

٥. المصدر: على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة.

٧. عيون الأخبار، ١: ١٢٣.

٦. في ج بعد رسول الله ﷺ.

٩. النساء / ١٥٥.

٨. في ج: قال الله.

١٠. ليس في أ.

و«على سمعهم» يحتمل أن يكون معطوفاً على «قلوبهم» ومعطوفاً عليه لـ «على أبصارهم». ورُجِّح الأول بقوله^(١): «وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة». وبالوقف «على سمعهم» اتفاقاً، ولأنَّهما لما كان إدراكهما من جميع الجوانب، جعل المانع عنه بما يكون كذلك لظهور أنَّ الغشاء^(٢) يكون بين المرئي والرائي.

وكَرَّرَ الجار للدلالة على أنَّ الختم يتعلَّق بكل واحد منهما بالاستقلال، فيكون أشدَّ، ولأنَّ تعلَّق فعل بمجموع أمرين لا يستلزم تعلُّقه بكل واحد.

وإفراد «السمع» للأمن من اللبس مع الخفة والتفنُّن، أو لأنَّه في الأصل مصدر، وهو لا يجمع، أو على تقدير مضاف، أي: مواضع سمع، أو لرعاية المناسبة بين المدرك والمدرك، فإنَّ مدرك السمع واحد، وهو الصوت، ومدركاتها أنواع. وقرئ: «وعلى أسمعهم».

وجه الترتيب: أنَّه تعالى لما ذكر هذه الطائفة أولاً بالكفر وثانياً باستواء الإنذار وعدمه عليهم، فالختم على قلوبهم ناظر إلى كفرهم؛ لأنَّ الكفر والإيمان من صفات القلب. والختم على سمعهم ناظر إلى ذلك الاستواء؛ لأنَّ محل ورود الإنذارات ليس إلا السمع. ولما حكم عليهما بالختم، فصار مكان أن يقال: علمنا وقوع الختم عليهما: ألم يكن لهم أبصار يبصرون بها الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة؟ فقال: «وعلى أبصارهم غشاوة». ولما لم يكن في نظم الكلام ما ينظر إليه التغشية. غير الأسلوب.

و«البصر» قوة أودعت في ملتقى العصبيتين المجوفتين، النابتتين^(٣) من مقدم الدماغ، وقد يطلق على العضو. وكذلك «السمع»، وهو قوَّة أودعت في باطن الصماخ^(٤).

و«غشاوة»، مرفوع مبتدأ و«على أبصارهم» خبره عند سيبويه. وفاعل الظرف عند

١. الجانية / ٢٣.

٢. أ: الفناء.

٣. أ: النابتين.

٤. الصماخ: قناة الأذن التي تنفخ إلى طلبته.

الأخفش لاعتماده على ما قبله، ويؤيده العطف على الجملة الفعلية.

وقرئ بالنصب، على معنى وجعل على أبصارهم غشاوة. أو على حذف الجار، وإيصال الفعل نفسه إليها، والمعنى: وختم على أبصارهم بغشاوة.

وقرئ بالضم والرفع، وبالفتح والنصب.

و^(١) «غشوة» بالكسر، مرفوعة. و(بالفتح، مرفوعة)^(٢) ومنصوبة.

و^(٣) «عشاوة»، بالعين الغير معجمة^(٤). من العشا، مصدر الأعشى، وهو الذي لا يبصر بالليل.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٥): وعيد وبيان لما يستحقونه.

«والعذاب» كالنكال، بناءً ومعنى. يقال: أعذب عن الشيء ونكل: إذا أمسك عنه. ومنه الماء العذب؛ لأنه يقمع العطش ويردعه. فسمي «العذاب» عذاباً؛ لأنه يردع الجاني عن المعاودة إلى الجناية. ثم اتسع، فأطلق على كل ألم شديد وإن لم يكن نكالاً، أي: عقاباً يرتدع به الجاني عن المعاودة.

وقيل^(٦): اشتقاقه من التعذيب، الذي هو إزالة العذب^(٧) كال تغذية والتمريض.

أو من العذبة، وهي القذاة. وماء ذو عذب، أي: كثير القذى. فكما أن القذاة تنقص^(٨) الماء كذلك^(٩) العذاب ينقص^(١٠) العيش.

أو من أعذب حوضك، أي: انزع ما فيه من قذى. فكذلك العذاب ينزع^(١١) من الجاني ما فيه من الجناية.

-
١. أي: وقرئ.
 ٢. ليس في أ.
 ٣. أي: وقرئ.
 ٤. في ج: المعجمة.
 ٥. أنوار التنزيل، ٢١/١ - ٢٢.
 ٦. أ: العذاب.
 ٧. أي: تنقص.
 ٨. في النسخ: وكذلك!
 ٩. أ: ينقص.
 ١٠. أ: نزع.
 ١١. أي: ينزع.

أو من العذوبة؛ لأن عذاب كل أحد مما^(١) يستعذبه به ضده، فعذاب الكافرين مما يستعذبه المؤمنون.

و«العظيم» ضد الحقير، والكبير ضد الصغير. كما أن الحقير دون الصغير، فالعظيم فوق الكبير.

قيل^(٢): ومعنى التوصيف به: أنه إذا قيس بسائر ما يجانسه، قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه. ومعنى التنكير في الآية أن على أبصارهم غشاء^(٣) ليس مما يتعارفه الناس، وهو التعامي عن الآيات. ولهم من الآلام العظام نوع [عظيم، لا]^(٤) يعلم كنهه إلا الله تعالى، أي: في الآخرة.

وقال بعضهم: إن لهم عذاباً في الدنيا والآخرة؛ لأن عذابهم الأخروي ليس إلا صور اعتقاداتهم ونتائج أعمالهم من دركات النيران وما فيها من الآلام كانت في الدنيا معاني فصارت في الآخرة صوراً، فهم دائمون فيها. لكنهم لا يتألمون بها في الدنيا لكثافتهم (وغلظ حجابهم)^(٥). والذين صاروا في الدنيا أهل الآخرة يرونهم داخلين في النار، وما فيها من أنواع العذاب.

قال بعض الصوفية: وإذا قد علمت ما بين لك من المعاني الظاهرة، فألق سمعك تسمع بطناً من بطونها:

فقول: «إن الذين كفروا» خرجوا^(٦) من الإيمان الرسمي المنوط بغيبتهم عن المؤمن به، ودخلوا في الكفر الحقيقي بستر وجوداتهم في الفناء في الله. «إن أنذرتهم» بسوء عاقبة ارتدادهم من هذا الكفر إلى ذلك الإيمان، «أم لم تنذرهم» فهما سيان عليهم^(٧)؛ لأنهم «لا يؤمنون»، أي: لا يرجعون إلى الإيمان الرسمي أبداً؛ لأن الفاني

٢. نفس المصدر، ٢٢/١.

١. ليس في أ.

٤. من المصدر.

٣. في المصدر: «نوع غشاوة» بدل «غشاء».

٦. أور: أي خرجوا.

٥. ليس في أ.

٧. أ: لهم عليهم.

لا يرد. وكأنه إلى هذا الإيمان والكفر أشار من قال :

كفرت بدين الله والكفر واجب^(١) لديّ وعند المسلمين قبيح

« ختم الله على قلوبهم »، فلا يدخل فيها شيء مما سوى الله وإن دخل فيها شيء فهو صورة من صور تجلياته انخلعت من لباس الغيرية. وختم « على أسماعهم » فلا يسمعون شيئاً مما سواه، فإنه المتكلم على السنة الموجودات. فكلما يسمعون بلسان الحال أو المقال، فهو من صور كلامه لا غير.

و« على أبصارهم غشاوة » مانعة من رؤية غيره سبحانه. فكلما يرونه ليس إلا من صور تجلياته، تجلّى به على نظر شهودهم.

« ولهم عذاب » أي : أمر يعذّه^(٢) المحجوبون عذاباً. وهو استهلاكهم في الوجود الحق، وإسآكهم عن اللذات العاجلة والراحات الآجلة.

« عظيم » أي : جليل قدره، لا يعرفه إلا من ذاقه^(٣).

(وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي رحمه الله : بإسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أنه

قال في قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ولهم عذاب عظيم »، أي : وسمها بسمه يعرفها^(٥) من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها، بأنهم الذين لا يؤمنون. « وعلى سمعهم » كذلك بسمات^(٦) « وعلى أبصارهم غشاوة ». وذلك لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه، وقصروا فيما أريد منهم، وجهلوا ما لزمهم من الإيمان [به] ^(٧)، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه. فإن الله تعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبتة ولا بالمصير إلى ما قد صدّهم بالقسر عنه.

١. ليس في أ.

٢. أ: بعده.

٣. أ: ذاته.

٤. الاحتجاج، ٢/٢٦٠.

٥. النسخ : يعرف.

٦. في ج: سمات.

٧. من المصدر.

[ثُمَّ] ^(١) قال: «ولهم عذاب عظيم» يعني: في الآخرة، العذاب المعد للكافر، وفي الدنيا - أيضاً - لمن يريد أن يستصلحه بما نزل ^(٢) به من عذاب الاستصلاح لينتبه لطاعته، أو من عذاب الاصطلام ^(٣) ليصيره إلى عدله وحكمته ^(٤).

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا» : لإنشاء الإيمان. أو للإخبار بوقوعه فيما مضى.

وإفراد الضمير في «يقول» بالنظر إلى اللفظ، وجمعه فيما بعد بالنظر إلى المعنى؛ لأنهم في قولهم: «آمنّا» بمنزلة شخص واحد، لا تفاقم عليه في ^(٥) غير اختلاف. وأما إتيانهم بما ينافي الإيمان، فالتعدد فيه ممكن، بل واقع. فذلك لوحظ فيه جهة كثرتهم بإيراد ضمير الجماعة.

و«الناس» اشتقاقه من الأناس، حذفت همزته تخفيفاً [و] ^(٦) منه انسان وأناس وأنس. وحذفها ^(٧) مع لام التعريف واجب، لا يكاد يقال: الأناس. وهو مأخوذ من الأنس - بالضم - ضد الوحشة؛ لأنهم مدنيون بالطبع، يستأنسون بأمثالهم أشد استئناس. أو من الإنس - بالكسر - بمعنى الأيناس، وهو الابصار.

قيل: وهذا أشبه ليناسب المقابل، أعني: الجن؛ لأنهم سموا به لاجتماعهم. ويوافق اسمه الآخر، أعني البشر؛ لأنه من البشرة ^(٨) ظاهر الجلد.

وذهب الكسائي إلى أنه من نون وواو وسين. والأصل: نوس. فقلبت الواو ألفاً، لتحركها وانفتاح ما قبلها. والنوس: الحركة.

وقيل ^(٩): «من نسي، فقلبت اللام إلى موضع العين فصارت نيس» ^(١٠). ثم قلبت الياء ألفاً. سموا بذلك لنسيانهم. فوزنه على الأول عال، وعلى الثاني فعل، وعلى الثالث فلغ.

٢. المصدر: ينزل.

١. من المصدر.

٤. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. الاصطلام. الاستيصال.

٦. من ج: ووجوده هو الصحيح.

٥. في ج: من.

٨. أ: البشيرة.

٧. أي: الهمزة.

١٠. أ: فصار نيسا.

٩. تفسير البحر المحيط، ٥٢/١.

قيل: لا يجب في كل لفظ أن يكون مشتقاً من شيء آخر، وإلا لزم التسلسل. وعلى هذا، لا حاجة إلى جعل لفظ «الإنسان» مشتقاً من شيء آخر.

ورد بأن المقصود من ذلك، تقليل اللغات بحسب الوسع، ولا شك أن الألفاظ المتعددة إذا ردت إلى أصل واحد صارت اللغات أقل.

و«اللام» فيه لتعريف الجنس. أو العهد، إشارة إلى «الذين كفروا» أي: المصرين على الكفر مطلقاً، أو مقيداً بكونهم غير ماحضين، أو جماعة معهودين منهم. فلها أربع احتمالات.

و«من» في «من يقول» إمّا موصولة، أو موصوفة^(١). إمّا لتعريف الجنس، أو العهد، إشارة إلى جماعة معهودين؛ كابن أبي وأضرابه. ففيها ثلاثة احتمالات، يحصل من ضربها في أربع احتمالات اثنا عشر وجهاً. فعليك بالتأمل حتى يظهر وجهها.

ثم المراد «بالذين كفروا» إن كان ناساً معهودين ماحضين للكفر غير منافقين. أو الجنس المخصوص مما عدا المنافقين، إمّا بقرينة المقابلة، أو لتبادر الفهم إليه من إطلاق المعرف بلام الجنس. فالمقصود من هذه الآيات استيفاء الأقسام، حيث ذكر أولاً المؤمنين^(٢)، ثم الماحضين ثم المنافقين.

وإن كان المراد بهم ما يعم الماحضين والمنافقين، فذكر المنافقين من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ لكمال الاهتمام بالنداء على تفاصيل صفاتهم الذميمة^(٣) وأعمالهم الخبيثة، لكونهم أخبث الكفرة وأبغضهم إليه تعالى؛ لأنهم خلطوا الإيمان بالكفر تمويهاً وتديساً، وبالشرك استهزاء وخداعاً.

و«القول»: هو التلّفظ بما يفيد. ويقال: بمعنى القول، وللمعنى المتصور في النفس والمعبر عنه باللفظ وللرأي^(٤) والمذهب مجازاً.

١. في ج: إمّا موصوفة أو موصولة.

٢. المتن: للمؤمنين.

٣. أ: الذميمة.

٤. هكذا في أنوار التنزيل ٢٢/١، وج. وهو الصحيح. وفي النسخ: والرأي.

وقصة المنافقين ، معطوفة على قصة الذين كفروا . وليس ذلك من باب عطف جملة على جملة ليطلب مناسبة الثانية مع السابقة ، بل من باب ضمّ جمل مسوقة لغرض إلى آخر مسوقة لآخر ، وشرطه المناسبة بين الغرضين . فكلّما كانت المناسبة أشدّ^(١) وأمكن ، كان العطف بينهما أشدّ وأحسن .

قال بعض المفسرين^(٢) : هذه الآية مع الاثني عشر الآيات التي بعدها أنزلت في ذم المنافقين ، الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر لمصالح دعتهم إلى ذلك .

ثم قال : ودخل فيهم من كان على صفة النفاق حال نزول الآية واشتهر به ، أو كان ولم يشتهر ، وظهر بعد ذلك نفاقه وخبثه ، أو حدث النفاق^(٣) بعد ذلك في زمان النبي ﷺ^(٤) أو بعد زمانه . فإنّ كل هؤلاء مصداق هذه الآيات .

ثم قال : ولا يتوهم أنّه يلزم في الدخول تحقّق المخاطبات التي ذكرت في الآيات الآتية ، فيخرج من لم يتحقّق فيه تلك الأقوال . فلا يمكن أن يقال : إنّ^(٥) الآيات نزلت فيهم ؛ لأن الشرطية لا تقتضي وقوع الطرفين .

أقول : يظهر من كلام ذلك الفاضل ، أنّ « إذا » الواقعة في تلك الآيات شرطية . ويرد احتمالها التأمل الصادق في تلك الآيات . ويحتمل أن يكون المراد منه الخلفاء الثلاثة مع شيعتهم .

(يدل على ذلك ما روي عن أبي محمّد العسكري ﷺ^(٦))^(٧) وفي شرح الآيات الباهرة^(٨) : قال العالم^(٩) موسى بن جعفر ﷺ : إنّ رسول الله ﷺ لما أوقف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ، قال^(١٠) : يا عباد الله ! أنسبوني .

٢ . وهو الزمخشري ، انظر الكشاف ٥٤/١ .

٤ . في ج : صلى الله عليه وآله .

٦ . تفسير العسكري ﷺ ، ١١١ .

٨ . تأويل الآيات الباهرة ، ٣٤/١ .

١٠ . أ : ثم قال .

١ . في ج : أشهد .

٣ . ليس في ج .

٥ . في ج : تلك .

٧ . ما بين القوسين ليس في ج .

٩ . في ج بعده الباهرة : قال الإمام ﷺ .

فقالوا: أنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف .
ثم قال: أيها الناس! ألسن أولى بكم من أنفسكم^(١)، وأنا مولاكم وأولى^(٢) بكم
منكم بأنفسكم؟
قالوا: بلى، يا رسول الله!
فنظر إلى السماء، وقال: اللهم اشهد. يقول هو^(٣) ذلك ثلاثاً، ويقولون ذلك
ثلاثاً^(٤).

ثم قال: ألا من^(٥) كنت مولاؤه وأولى به، فهذه علي مولاؤه وأولى به. اللهم وال من
والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.
ثم قال: قم يا أبابكر! فبايع له^(٦) بإمرة المؤمنين.
ثم قال: قم يا عمر! فبايع له بإمرة المؤمنين^(٧) (٨).
فقام، فبايع له بإمرة المؤمنين^(٩).
ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة من رؤساء^(١٠) المهاجرين والأنصار، فبايعوه كلهم.
فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب، فقال: يخ بخ يا ابن أبي طالب! أصبحت^(١١)
مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

ثم تفرقوا عن ذلك. وقد أكدت^(١٢) عليهم العهود والمواثيق.
ثم إن قوماً من متعديهم وجبايرهم تواطئوا^(١٣) بينهم: لئن كانت لمحمد ﷺ^(١٤)

١. المصدر: ثم قال: أيها الناس! ألسن أولى بكم من أنفسكم بأنفسكم، قالوا: بلى. قال ﷺ.

٢. المصدر: مولاكم أولى. ٣. ليس في أ.

٤. المصدر: يقول هؤلاء ذلك وهو يقول. ٥. المصدر: فمن.

٦. ليس في أ. ٧. ليس في أ.

٨. في ج بعد « بإمرة المؤمنين » هكذا: ثم قال: قم يا عمر! فبايع له بإمرة المؤمنين. فقام، فبايع له بإمرة
المؤمنين. (وأسلوب ج هو الأصح). ٩. ليس في أ.

١٠. أ: لرؤساء. ١١. ليس في أ.

١٢. المصدر: وكدت. ١٣. أ: وطئوا.

١٤. ليس في ج. والأظهر عدم وجودها.

كائنة لندفعن^(١) هذا الأمر عن^(٢) علي، ولا نتركه^(٣) له.

فعرف الله تعالى ذلك^(٤) من قلبهم. وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ويقولون: لقد أقمت علينا^(٥) أحب الخلق^(٦) إلى الله وإليك والينا، فكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا والجبارين في سياستنا. وعلم الله تعالى من قلوبهم خلاف ذلك من مواطاة بعضهم لبعض، أنهم على العداوة مقيمون ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون.

فأخبر الله ﷻ محمداً عنهم، فقال: «يا محمد! ومن الناس من يقول آمنا بالله الذي^(٧) أمرك بنصب علي إماماً وسائساً^(٨) ولأمتك مدبراً^(٩)»، وما هم بمؤمنين «بذلك، ولكنهم يتواطؤون على إهلاكك وإهلاكه^(١٠)»، ويوطئون أنفسهم على التمرد على علي علي إن كانت بك كائنة.

«بِاللهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ»: أي بالمبدأ والمعاد، اللذين هما المقصود الأعظم من الإيمان. ولهذا احتضاً بالذكر.

والمراد «باليوم» الذي هو اسم لبياض النهار: زمان ممتد من وقت الحشر إلى الأبد، أو إلى زمان استقرار كل في مستقره من الجنة والنار. وهذا أشبه باليوم الحقيقي في تحقق الحد من الطرفين.

وأما كونه «آخرأ»، فلتأخر^(١١) هذين الزمانين عن الأيام الدنيوية المنقضية.

وقيل في الثاني: لأنه آخر الأوقات المحدودة^(١٢) الذي لا وقت بعده.

ورد بأنه لا شك أن في كل من الجنة والنار أحوالاً وحوادث كلية يمكن تحديد

١. المصدر: ليدفعن.

٢. المصدر: من.

٣. المصدر: ولا يتركونه.

٤. ليس في أ.

٥. أ: علياً.

٦. المصدر: خلق الله.

٧. ليس في أ.

٨. ليس في المصدر.

٩. المصدر: ومدبراً. وفي ج: هلاكك وهلاكه.

١٠. ليس في المصدر.

١١. ر: فلتأخره من.

١٢. الكشاف ٥٦٨، أنوار التنزيل، ٢٢/١.

الأوقات بها، وقد شهدت الكلمات النبوية بوجودها. اللهم إلا أن يقال: المنفي، هو الحد المشهور غاية الاشتهار.

وفي تكرير «الباء» ادعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة والاستحكام.

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨): نفي لما ادّعوا. والأصل يقتضي أن يقول: «وما آمنوا» ليطابق قولهم، لكنه قدم المسند إليه وجعل المسند صفة، فصارت الجملة اسمية غير دالة على زمان^(١)؛ لأن في ذلك سلوكاً لطريق الكناية في ردّ دعواهم الكاذبة. فإنّ انخراطهم في سلك المؤمنين وكونهم طائفة من طوائفهم، من لوازم ثبوت الإيمان الحقيقي لهم. وانتفاء اللازم، دلّ على انتفاء الملزوم. ففيه من التأكيد والمبالغة ما ليس في الملزوم ابتداءً. وأيضاً فيه مبالغة في نفي اللازم، بالدلالة على دوامه المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقاً. وأكد ذلك النفي «بالباء» أيضاً، وأطلق الإيمان لزيادة التأكيد على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء. أو أراد: وما هم بمؤمنين بالله وبالיום الآخر، بقرينة ما أجيب به عنه، ولما اعتبر التأكيد والاستمرار بعد ورود النفي، لم يفد إلا تأكيد النفي. واستدلّ من ذهب إلى أن الإيمان ليس هو الإقرار فقط بالآية.

وأقول: الآية تدلّ على أنّ من ادّعى الإيمان، وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد، لم يكن مؤمناً. ولا تدلّ على أنّ من تكلم بالشهادتين بدون الاعتقاد، لم يكن مؤمناً. وهو المتنازع فيه.

(وأيضاً يجوز أن يكون قولهم: «آمنّا» لإخبار الإيمان، لا لإنشائه)^(٢).

وقوله: «وما هم بمؤمنين» جملة متعلّق خبره محذوف. والتقدير: وما هم بمؤمنين بالله واليوم الآخر، أو بشيء من الأشياء.

فعلى الأول، وجهه ظاهر.

وعلى الثاني، توجيهه: أنّ نفي الإيمان منهم مطلقاً، مع أنّ منافقي أهل الكتاب كانوا

مؤمنين بالله واليوم الآخر، بناء على أن إيمانهم (كلاً إيمانهم)^(١) لا اعتقاد التشبيه، واتخاذ الولد، وأن الجنة لا يدخلها غيرهم، وأن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة. فلو قالوا ما قالوه^(٢)، لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم هذه لم يكن إيماناً، كيف وقد قالوه تمويهاً على المسلمين وتهكماً بهم، فظهر من ذلك أن إطلاق رفع الإيجاب الكلي والسلب الكلي في هذه الحملية، مسامحة ارتكبتها العلامة السبزواري، حيث قال في توجيه التقدير الثاني: إن قولهم هذا، كناية عن تصديقهم بجميع الشرائع. فإذا لم يؤمنوا ببعض، صدق رفع الإيجاب الكلي.

مع أنه يمكن أن يقال: عدم الإيمان ببعض، كاشف عن عدم الإيمان بالكل. فيصح السلب الكلي على أنه يرد احتمال أن لا يكون قولهم هذا كناية عن الإيمان بالجميع. وأيضاً، لو قدر المتعلق خاصاً بقرينة سابقة، كان رفعاً للإيجاب الكلي، فلا حاجة حينئذ إلى تقدير عموميه. فليتأمل.

وأقول: يحتمل أن يكون قوله: «بمؤمنين» غير متعدي إلى شيء أصلاً. والمعنى: ليس لهم وجد حقيقة الإيمان، بل ما وجد لهم من النفاق.

وفي كتاب الخصال^(٣) عن الأصعب بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: والنفاق على أربع دعائم: على الهوى، والهوىنا^(٤)، والحفيظة^(٥)، والطمع.

فالهوى^(٦) على أربع شعب: على البغي، والعدوان، والشهوة، والطغيان. فمن بغى، كثرت^(٧) غوائله وعلاته. ومن اعتدى، لم تؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه. ومن لم يعزل نفسه عن الشهوات، خاض في الخبيثات. ومن طغى، ضل على غير يقين. ولا حجة له.

١. ليس في أ.

٢. في ج: ما قالوا.

٣. الخصال، ٢٣٤/١.

٤. الهوىنا تصغير الهوى، مؤنث الاخوان. والمراد منه التهاون في أمر الدين وترك الاهتمام به.

٥. والحفيظة: الحمية والغضب.

٦. المصدر: والهوى.

٧. في ج: كثر.

وشعب الهوينا: الهيبة والغزة^(١)، والمماطلة^(٢) والأمل. وذلك لأنَّ الهيبة تردُّ على دين الحق، وتفطر المماطلة في العمل حتَّى يقدم الأجل. ولو لا الأمل علم الانسان حسب ما هو فيه. ولو علم حسب ما هو فيه، مات من الهول والوجل.

وشعب الحفيظة: الكبر، والفخر، والحمية، والعصبية. فمن استكبر، أدبر. ومن فخر، فجر. ومن حمى، أضُرَّ. ومن أخذته العصبية، جار. فبئس الأمر أمر بين الاستكبار والإدبار، وفجور وجور.

وشعب الطمع أربع: الفرح، والمرح، واللجاجة، والتكاثر. فالفرح مكروه عند الله ﷻ والمرح خيلاء. واللجاجة بلاء لمن اضطرتَّه إلى حبال الأنام. والتكاثر لهو وشغل واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. فذلك النفاق ودعائه وشعبه.

(وفي أصول الكافي^(٣): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن معلّى بن عثمان، عن أبي بصير، قال: قال لي: إِنَّ الحكم بن عيينة^(٤) مَمَّن قال الله تعالى: «ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» فليشرق^(٥) الحكم وليغرب. أما والله! لا يصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل ﷺ^(٦)).

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: «الخدع»: أن توهم صاحبك خلاف ما تريد به من المكروه وتصيبه به، مع خوف واستحياء من المجاهرة به.

وقيل: للإصابة؛ لأنَّ مجرد الإرادة لا يكفي في تحقُّق الخدع.

١. الغزة: الغفلة.

٢. المماطلة: التسويف.

٣. الكافي ٣٩٩/١، ح ٤.

٤. المصدر: عتبة. الحكم بن عتبة الكوفي الكندي كان من فقهاء العامة. وقيل: إنه كان زنديقاً. وحكي عن ابن فضال أنه قال: كان الحكم من فقهاء العامة، وكان أستاذ زرارعة وحرمان والطيار قبل أن يروا هذا الأمر، وقيل: كان مرجياً. مات حدود سنة ١١٥. وقد ورد في دَمَة روايات كثيرة، منها هذه الرواية. وإن شئت تفصيل الحال فراجع تنقيح المقال وغيره من كتب الرجال.

٥. المتن ور: فليترق.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

وقوله: مع خوف أو^(١) استحياء ليخرج الاستدراج الذي هو من أفعال الله تعالى، لعدم جواز الخوف^(٢) والحياء عليه سبحانه.

وهو من قولهم: ضَبَّ خادع أو خَلَدَ: إذا أَحَسَّ بالحارِش - أي: الصائد - على باب حجره وأوهمه إقباله عليه من هذا الباب، ثم خرج من باب آخر.

وأصله: الاخفاء. ومنه المخدع، على صيغة المفعول، للخبزانة. والاختدان، لمرقين خفيين في العنق.

وصيغة المخادعة، يقتضي صدور الفعل من كل واحد من الجانبين متعلقاً بالآخر. وخداعهم مع الله ليس على ظاهره؛ لأنه لا يخفى عليه خافية، ولأنهم لم يقصدوا خديعته. بل المراد إمّا مخادعة رسوله، على حذف المضاف، أو على أن معاملته الرسول معاملة الله، من حيث أنه خليفته، كما قال تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»^(٣). [و] «الذين يبايعونك إنما يبايعون الله»^(٤).

يدل على ذلك ما روي في شرح الآيات الباهرة: عن أبي محمد العسكري عليه السلام^(٥) عن^(٦) موسى بن جعفر عليه السلام: لَمَّا اتَّصَلَ ذَلِكَ مِنْ مَوَاطِنِهِمْ وَقِيلَ لَهُمْ^(٧) فِي عَلِيٍّ وَسُوءِ تَدْبِيرِهِمْ عَلَيْهِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَعَاهُمْ^(٨) وَعَاتَبَهُمْ، فَاجْتَهَدُوا فِي الْإِيمَانِ.

فقال^(٩) أولهم: يا رسول الله! والله ما اعتددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة. ولقد رجوت أن يفسح الله بهالي في قصور الجنان، ويجعلني فيها من أفضل النزال والسكان.

وقال ثانيهم: بآبي أنت وأمي يا رسول الله! ما وثقت بدخول الجنة والنجاة من النار

-
- | | |
|------------------------|--------------------|
| ١. في ج: و. | ٢. في أ: أو. |
| ٣. النساء / ٨٠. | ٤. الفتح / ١٠. |
| ٥. تفسير العسكري، ١١٣. | ٦. ليس في أ. |
| ٧. المصدر وأ: قبلهم. | ٨. المصدر: فدعاهم. |
| ٩. المصدر: وقال. | |

إلا بهذه البيعة . والله ما يسرنني أن نقضتها أو نكثت بعد ما أعطيت من نفسي ما أعطيت ، ولو أن لي ^(١) طلاع ^(٢) ما بين الثرى إلى العرش لثالي رطبة وجواهر فاخرة .

وقال ثالثهم : والله ^(٣) يا رسول الله ! لقد صرت من الفرح بهذه البيعة والسرور ^(٤) والفسح من الآمال في رضوان الله ^(٥) ، وأيقنت أنه لو كانت ذنوب أهل الأرض كلها عليّ ، لمحقّت ^(٦) عني بهذه البيعة . وحلف ^(٧) على ما قال من ذلك ، ولعن من بلّغ عنه رسول الله ﷺ خلاف ما حلف عليه .

ثم تتابع بمثل هذا الاعتذار ، من بعدهم من الجبابرة والمتمردين .

قال الله ﷻ لمحمد ﷺ : « يخادعون الله » ، يعني : يخادعون رسول الله بأيمانهم خلاف ما في جوارحهم ، « والذين آمنوا » لذلك ^(٨) أيضاً ، الذين سيدهم وفاضلهم عليّ ابن أبي طالب عليه السلام .

ويحتمل أن يقال : المقصود أن بينهما حالة شبيهة بالمخادعة - لا حقيقة المخادعة - صورة صنعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر ، وضع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم - وهم عنده أخبث الكفار - استدراجاً ^(٩) لهم ، وامتنال الرسول والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم ، صورة صنع المخادعين ^(١٠) . فشبهت تلك الصورة بهذه الصورة . فاستعمال لفظ هذه فيها إن وقع كان استعارة تصريحية ، واشتقاق « يخادعون » منه استعارة تبعية .

أو ^(١١) يقال : « المخادعة » محمول على حقيقتها ، لكنّها ترجمة عن معتقدتهم الباطل

١ . و : أن لي . ٢ . طلاع الشيء : ملؤه .

٣ . ليس في المصدر . ٤ . ليس في المصدر .

٥ . المصدر : وما . ٦ . أ : لمحضت .

٧ . أ : خلف . ٨ . المصدر : فقال .

٩ . في ج : كذلك .

١٠ . هكذا في أنوار التنزيل ٢٢/١ ، وج . وفي النسخ : واستدراجاً .

١١ . أ : الخادعين . ١٢ . أ : و .

وظنهم الفاسد؛ كأنه قيل: يزعمون أنهم يخدعون، وأنه يخدعهم، وكذلك المؤمنون يخدعونهم.

أو يقال: المراد: يخدعون الذين آمنوا.

وذكر «الله» ليس لتعليق الخدع به، بل لمجرد التوطئة. وفائدتها التنبيه على قوة اختصاص المؤمنين بالله وقربهم منه، حتى كان الفعل^(١) المتعلق بهم دونه يصح أن يعلق به أيضاً. وكذلك الحال في «أعجبتني زيد وكرمه»، فإن ذكر زيد توطئة وتنبيه على أن الكرم قد شاع فيه وتمكّن، بحيث يصح أن يسند إليه - أيضاً - الإعجاب الذي لكرمه. ومثل هذا العطف، يسمّى جارياً مجرى التفسير.

وجه العدول عن خدع إلى خادع، قصد المبالغة؛ لأنّ المفاعلة في الأصل للمغالبة^(٢)، وهي أن يفعل كلّ من الجانبين مثل صاحبه ليغلبه. وحيث يقوى الداعي إلى الفعل، ويجيء أبلغ وأحكم.

«ويخادعون» بدل أو بيان «ليقول»؛ لأنّه وإن كان واضحاً في نفسه، ففيه خفاء بالنسبة إلى الغرض. ولما كان خفاؤه باعتبار الغرض منه، اكتفى في بيانه بذكره وهو الخداع.

ويجوز أن يكون مستأنفاً؛ كأنه قيل: ولم يدّعون الإيمان كاذبين؟ فقيل: يخادعون. وكان غرضهم من المخادعة إمّا دفع المضرة عن أنفسهم كالقتل والأسر، أو جذب المنفعة كأخذ الغنائم، أو إيصال^(٣) المضرة إلى المؤمنين كإفشاء أسرارهم إلى أعدائهم من الكفار.

أقول: ويحتمل أن يكون معنى «يخادعون»: يريدون أن يخدعوا. إمّا لدلالة جوهر الصيغة عليه، وإمّا باعتبار أنّ الأفعال التي من شأنها أن تصدر بالإرادة والاختيار، إذا نسبت إلى ذوي الاختيار، فهم إرادتها.

٢. أ: المبالغة.

١. أ: العقل.

٣. أ: ابصار.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو^(١).

والمعنى: أن دائرة المخادعة التي سبقت - وهي المخادعة المستعارة - للمعاملة الجارية بينهم وبين الله والمؤمنين، المشبّهة بمعاملة المخادعين. أو المخادعة المحمولة على حقيقتها، لكن في ظنهم الفاسد. أو المخادعة الواقعة بينهم وبين الرسول.

أو بينهم وبين المؤمنين راجعة إليهم، وضررها يحيق بهم لا يعدوهم. أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غرّوها بذلك، وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأمانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية. فعلى الأول، يكون العبارة الدالة على قصة المخادعة مجازاً، أو كناية عن انحصار ضررها فيهم. ويحتمل أن يجعل لفظ الخداع مجازاً مرسلًا عن ضرره في المرتبة الأولى أو الثانية.

وعلى الثاني، يكون المخادعة مستعملاً في معناه حقيقة.

وقرأ الباقر: وما يخدعون.

قيل^(٢): لأن المخادعة لا يتصور إلا بين اثنين.

أقول: نعم، لكن الاثنين أعم من أن يكون اثنين حقيقة أو اعتباراً. اللهم إلا أن يقال: الاثنينية الحقيقية مشروطة لحسن^(٣) المخادعة.

وقرئ: «يُخَدَعُونَ» من خَدَعَ. ويخدعون، بفتح الياء، والأصل يخذعون، بمعنى: يخدعون؛ كيقنّدون، بمعنى: يقنّدون، فأدغم. ويخدعون، ويخدعون، على لفظ ما لم يسم فاعله. وحينئذ يكون «إلا أنفسهم» معناه: إلا عن أنفسهم، على حذف حرف الجر. يقال: خدعت زيداً نفسه، أي عن نفسه؛ نحو: «واختار موسى قومه»^(٤). ويحتمل النصب على التمييز عند من يجوز كونه معرفة.

٢. أنوار التنزيل، ٢٣/١.

٤. الأعراف، ١٥٥.

١. أور: أبو عمر.

٣. أ: بحسن.

واستعمال الخدع بناء على تضمينه معنى الصدور، أي: ما يخدعون إلا خدعاً صادراً عن أنفسهم، منشأ عنها.

والنفس: الذات. ويقال للقلب بمعنى العضو الصنوبري: نفس؛ لأن قوام النفس بمعنى الذات بذلك. ولهذا المعنى - أيضاً - يقال للروح وللدم: نفس. وللماء: لفرط حاجتها إليه. وللرأي، في قولهم: فلان يؤامر نفسه، أي: يشاورها؛ لأنه ينبعث عنها تسمية للمسبب باسم السبب، أو يشبه ذاتاً تأمره وتشير عليه، فيكون استعارة مبنية على التشبيه.

والمراد بالأنفس - هنا - ذواتهم. ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم. قيل: إن المختار عند المحققين من الفلاسفة وأهل الإسلام من الصوفية وغيرهم: أنها - أي النفس - جوهر مجرد في ذاته، متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف. ومتعلقه - أولاً - هو الروح الحيواني القلبي، المتكوّن في جوفه الأيسر من بخار الغذاء ولطيفه، ويفيد قوة لها يسري في جميع البدن فيفيد كل عضو قوة بها يتم نفعه. وقد يطلق على هذا الجوهر المجرد: القلب والروح - أيضاً -. فعلى هذا يمكن أن يراد بالأنفس: النفوس المتعلقة بأبدانهم على سبيل الحقيقة، بأن يكون موضوعاً لهذا الجوهر المجرد؛ كما للذات. [و] ^(١) على تقدير وضعه للذات - فقط - إطلاقه عليه إما بالحقيقة أو المجاز. فإن الذات لو كانت عبارة من ^(٢) مجموع الجثة والروح المجرد، فإطلاق النفس عليه من إطلاق اسم الكل على الجزء. وإن كانت عبارة عن الجثة فقط، فإطلاقه عليه لعلاقة واقعة بينهما. وإن كانت عبارة عن الروح المجرد فقط - وهو الظاهر - فإن الذات في الحقيقة ما يعبر عنه بلفظ «أنا»، وهو الباقي من أول العمر إلى آخره، وما عداه كالعوارض بالنسبة إليه. ولا شك أن هذا الأمر، هو الروح المجرد لا الجثة، فإنها كل يوم تتبدل. فعلى هذا إطلاق النفس - بمعنى الذات - عليه حقيقة، وفيما عداه مجاز.

١. من ج. ووجوده هو الصحيح.

٢. في ج. عن.

وإذا أريد « بأنفسهم » النفوس الناطقة المتعلقة بأبدانهم ، أو القلوب ، أو الأرواح بمعناه^(١) ، فلا شك أن ضرر المخادعة الواقعة بينهم وبين الله والمؤمنين راجع إليها ، مقصور عليها ، لكن قصراً إضافياً . فإن ذلك الضرر يعود إلى جثتهم وقلوبهم الصنوبرية وأرواحهم الحيوانية أيضاً ، فإن عذابهم لا يكون روحانياً فقط .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٢) : معطوف على قوله : « وما يخدعون » ، أو على قوله : « يخادعون » .

وقيل : معترضة ، من الشعور ، وهو إدراك الشيء بالحاسة . مشتق من الشعار ، وهو ثوب يلي شعر الجسد . ومنه مشاعر الإنسان ، أي : حواسه الخمسة التي يشعر بها ؛ لأنها متلبسة بجسده كالشعار . أو من الشعر ، وهو إدراك الشيء من وجه يدق ويخفى .
والأول أبلغ وأنسب بالمقام ؛ لأن فيه إشعاراً بانحطاطهم عن مرتبة البهائم ، حيث لا يدركون أجلى المعلومات - أعني المحسوسات - التي تدركه البهائم . ولذلك اختاره على ما يعلمون .

ومفعوله محذوف . فإما أن يقدر للعلم به ، والمعنى : وما يشعرون أن وبال خداعهم^(٣) راجع إلى أنفسهم . أو اطلاع الله عليهم . أو ينزل منزلة اللازم ، ولا يقدر له مفعول . وحينئذ إما أن لا يجعل كناية عنه متعلقاً بمفعول خاص ، أو يجعل والثاني أبلغ^(٤) من الأول ، والثالث أبلغ منه .

(وفي شرح الآيات الباهرة^(٥) - في الحديث السابق - : عن موسى بن جعفر عليه السلام : ثم قال : و « ما يخدعون إلا أنفسهم »^(٦) ، وما يضرّون بتلك الخديعة إلا أنفسهم ، فإن الله غني^(٧) عن نصرتهم . ولو لا إمهاله لهم^(٨) ، لما قدروا على شيء من فجورهم

١ . ليس في ج .

٢ . في ج : إخداعهم .

٣ . أ : والثاني أبلغ والثالث أبلغ منه .

٤ . تفسير العسكري عليه السلام ، ١١٤ : تأويل الآيات ، ٣٦١ .

٥ . ليس في المصدر : أي « يخدعون أنفسهم » .

٦ . المصدر : غني عنهم .

٧ . النسخ : إمهالهم .

وطغيانهم. «وما يشعرون» أن الأمر كذلك، وأن الله يطلع نبيّه على نفاقهم وكفرهم وكذبهم، ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين الناكثين. وذلك اللعن لا يفارقهم في الدنيا، يلعنهم خيار عباد الله. وفي الآخرة يبتلون بشدائد عذاب^(١) الله.

وفي كتاب ثواب الأعمال^(٢): بإسناده إلى مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام: أن رسول الله ﷺ سئل فما^(٣) النجاة غداً؟

قال: إنما النجاة في أن لا تخادعوا الله، فيخدعكم. فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع^(٤) منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يشعر.

قبل به: وكيف^(٥) يخادع الله؟

قال: يعمل ما أمره الله ﷻ ثم يريد به غيره. فاتّقوا الله والرياء، فإنه شرك بالله.

وفي مصباح الشريعة^(٦): قال الصادق عليه السلام: واعلم! إنك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك عليه^(٧)، وتصير مخدوعاً بنفسك. قال الله تعالى: «يخادعون الله ورسوله^(٨) والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون»^(٩).

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: جملة مستأنفة لبيان الموجب لخداعهم، وما هم فيه من النفاق. ويحتمل أن يكون مقدرة^(١٠) لعدم شعورهم.

وقرئ «مَرَضٌ» بسكون الراء، وهو صفة توجب وقوع الخلل في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة. ويمكن اتّصاف القلب به، وذلك لأنّ الانسان إذا صار مبتلياً بالحسد والنفاق ومشاهدة المكروه، فإذا دام به ذلك، صار سبباً لتغيّر مزاج القلب وتألّمه. واتّصاف قلوب المنافقين بهذا التغيّر^(١١)، غير معلوم. فالمراد به هنا: المعنى

١. المصدر: عقاب.

٢. ثواب الأعمال، ٣٠٣.

٣. المصدر، فهم: وج: فيما.

٤. المصدر: ينزع.

٥. المصدر: فكيف.

٦. مصباح الشريعة، ٢٨١-٢٨٢.

٧. المصدر: عليك.

٨. ليس في المصدر.

٩. ما بين القوسين ليس في أ.

١٠. في ج: مقزرة. وهو الأظهر.

١١. أ: التفسير.

المجازي الذي هو آفته؛ كسوء الاعتقاد والكفر، أو هيئة باعثة على ارتكاب الرذائل، كالغل والحسد والبغض، أو مانعة عن اكتساب الفضائل، كالضعف أو^(١) الجبن والخوف؛ لأنّ قلوبهم كانت متصفّة بهذه الأعراض كلّها.

وفي تقديم الخبر فائدتان: تخصيص المبتدأ النكرة، وإفادة الحصر اذعاء. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: معطوف على الجملة السابقة. والمعنى: أنّه لما كان في قلوبهم مرض واستعداد للمرض، فزيد مرضهم.

والمراد «بالزيادة» الختم على قلوبهم حتّى لا يخرج شيء من هذه النقائص، ولا يدخل شيء ممّا لها^(٢) من النقائص. وإنّما أتى بالجملة الفعلية في المعطوف دون المعطوف عليه، لتجدّد ذلك التزايد يوماً فيوماً، بخلاف أصل المرض، فإنّه كان ثابتاً مستقراً في قلوبهم.

ويمكن أن يراد «بالزيادة» زيادته بحسب زيادة التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر، فحينئذ يكون إسناد الزيادة إلى الله من حيث أنّه مسبّب من فعله. أو دعائية، والمتعيّن حينئذ هو المعنى الأوّل.

و«الزيادة» يجيء لازماً ومتعدّياً إلى مفعولين؛ كما في الآية أيضاً. فحينئذ يكون مفعوله الثاني «مرضاً»، أو محذوفاً، أي: فزادهم الله مرضهم. وقيل: الأوّل محذوف. وهو تكلف.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قال البيضاوي^(٣): أي مؤلم. يقال: ألم فهو أليم، كوجع فهو وجيع^(٤). وصف به العذاب للمبالغة، كقوله:

تحية بينهم ضرب وجيع

وردّ بأنّ فعليل بمعنى مفعّل، اسم فاعل غير ثابت، على ما سيجيء في قوله: «بديع

١. في ج: و.

٢. في ج: له.

٣. أنوار التنزيل، ٢٤/١.

٤. أ: كرجع فهو رجيع.

السموات والأرض»^(١) فهو بمعنى المؤلم، اسم مفعول، كوجع فهو وجيع بمعنى الموجع. وإنما أسند إلى العذاب؛ لأنه من ملاسبات فاعله الذي هو المعذب؛ كما أسند الريح إلى التجارة في قوله تعالى^(٢): «فما ربحت تجارتهم» لأنها من ملاسبات التاجر. وفيه مبالغة وتنبيه على أن الألم بلغ الغاية بحيث عرض لصفة المعذب، كما عرض له. وعلى هذا يكون المجاز في الإسناد.

ولو جعل المؤلم^(٣) بمعنى ما يلابسه الألم؛ لأنهما متلاقيان في موصوف واحد، فيكون المجاز في المفرد، لكن يفوت المبالغة.

ووجه أنه تعالى قال في حق المصرّين على الكفر: «ولهم عذاب عظيم»، ولم يذكر له سبباً، وفي حق المنافقين: «ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون»، وبين أن سببه الكذب: أن الكافرين المصرّين هم المطرودون، فينبغي أن يكون عذابهم عظيماً، لكنهم لا يجدون شدة ألمه لعدم صفاء قلوبهم؛ كحال العضو الميت أو المفلوج إذا وقع عليه القطع. والمنافقين لثبوت استعدادهم في الأصل وبقاء إدراكهم في الجملة يجدون شدة الألم، فيكون عذابهم مؤلماً مسبباً عن الكذب ولو افاقه، بخلاف عذاب المصرّين، فإنه ذاتي لهم لا لأمر عارض.

وفي تقديم الخبر هاهنا - أيضاً - فائدتان: زيادة تخصيص المبتدأ النكرة، وإفادة الحصر ادعاءً.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٤): قراءة عاصم وحزمة والكسائي^(٥).

«والكذب»: الإخبار عن الشيء بغير ما هو عليه.

وقرئ «يكذبون» من كذبه، نقيض صدقه. أو من كذب، الذي هو للمبالغة

١. البقرة / ١١٧، الأنعام / ١٠١.

٢. البقرة / ١٦٧.

٣. ر. أنوار التنزيل، ٢٤/١.

٤. ليس في أ.

٥. أي: قراءة عاصم وحزمة والكسائي بفتح الياء في «يكذبون» والمعنى: بسبب كذبهم أو ببدله، جزاء لهم، وهو قولهم: «آمنّا».

والتكثير . أو من كَذَب الوحشي : إذا جرى شوطاً ، ووقف لينظر ما وراءه ، فإنَّ المنافق متحير متردد .

« والباء » للشيبة ، أو البدلية المتعلقة^(١) بالظرف في قوله : « لهم عذاب أليم » و « ما » مصدرية ، ويحتمل الموصولية والموصوفية .

واستدلَّ الذاهبون إلى قبح الكذب - مطلقاً - بالآية بأنه جعل عذابهم الأليم سبباً^(٢) لكذبهم . وتخصيصه بالذكر من بين جهات استحقاقهم إيَّاهَا مع كثرتها ، مبالغة في قبح الكذب لينزجر السامعون عنه .

وقيل : نمنع قبحه مطلقاً ، فإنه قد يمكن أن يتضمَّن عصمة دم مسلم بل نبيٍّ ، ولا يتيسَّر التعريض فيحسن .

وردَّ بأنَّ الحسن العارضي لا ينفي القبح^(٣) الذاتي . وهو المراد بالقبح هاهنا . فعلى هذا يحرم الكذب ، سواء تعلَّق به غرض ، أو لم يتعلَّق . أمَّا إذا لم يتعلَّق ، فظاهر . وأمَّا إذا تعلَّق ، فلأنَّ في المعارض لمندوحة عنه ، والتعريض ليس بكذب إذا كان المعرض به مطابقاً للواقع ، فإنَّ مرجع الصدق والكذب إلى المراد من الكلام الخبري لا إلى مطلق مدلوله . وما ينسب إلى إبراهيم من الكذبات الثلاث :

من قوله : « إني سقيم »^(٤) ، [أراد :^(٥) سأسقم ، وقد علمه بأمارة من النجوم . أو إني سقيم الآن ، بسبب غيظي وحنفي من اتخاذكم الآلهة .

وقوله : « بل فعله كبيرهم »^(٦) ، والمراد به : أنه إذا لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه وغيره ، فكيف يصلح إلهاً ! أو أنَّ تعظيمه كان هو الحامل له على كسرها .
وقوله : لملك الشام : أنَّ سارة أختي . ومراده الأخوة في الدين .

٢ . في ج : مسبأ .

٤ . الصافات / ٨٩ .

٦ . الأنبياء / ٦٣ .

١ . في ج : متعلقة .

٣ . في ج : القبيح .

٥ . من ج .

وقيل ^(١) كذباته الثلاث: قوله: في الكواكب: «هذا ربي» ^(٢) - ثلاث مرات - وقصد به الحكاية أو الفرض، ليرشدهم إلى عدم صلاحية الألوهية، فمحمول على التعريض. ولكن لما كان صورته صورة الكذب، سمي به.

ووجه إيراد «كان» الدالة على الماضي، و«يقولون» ^(٣) و«يخادعون» و«يخدعون» للحال، ووقوع كلام المنافقين قبلها، ليس بمعلوم أنّ كذبهم سبب لثبوت العذاب لهم في الاستقبال أو للحكم به في الحال، فينبغي أن يكون متقدماً على ما هو سبب له. فالمراد بالماضي هذا التقدم، سواء كان بالزمان أو بالذات.

قال بعض الفضلاء: وإذ قد أوقعنا المباحث اللفظية في وادي التفرقة، فلا بد أن نستريح باستشمام روائح رياض الجمعية، فنقول:

«من الناس» الناسين اعترافهم في معهد «ألست بربكم» بربوبية ربهم، بتجليه العلمي - أولاً - بصور أعيانهم الثابتة على نفسه، وتجليه الوجودي - ثانياً - بصور أعيانهم الخارجية، وترتيبه ^(٤) إياهم، طوراً بعد طور ومرتبة بعد مرتبة إلى أن وصلوا إلى هذه النشأة الجسمانية العنصرية. «من يقولون» بألسنة أقوالهم: «أمنّا بالله» أحدية جمع الأسماء الإلهية السارية بالكل في الكل. فلا فاعل بل لا موجود في الوجود إلا هو. فهو الفاعل في كل عين، إذ لا فعل للعين، بل الفعل له. ولكن فيها «وباليوم الآخر»، أي بتجليه ^(٥) النوري الوجودي آخرّاً بالاسم المجازي لجزاء ^(٦) الأعمال، فلا مجازي إلا هو. فهو العامل وهو المجازي على العمل. فهم وإن كانوا مؤمنين بالقول صورة، فما هم بمؤمنين بالحال حقيقة. إذ حقيقة الإيمان بالله سبحانه، يقتضي أن لا يسند الآثار إلا إليه، بل لا يرى في الوجود إلا هو. فحيث قالوا: «أمنّا» وما قالوا

١. الكشاف ٦١/١؛ أنوار التنزيل ٢٤/١.

٢. الأنعام / ٧٨.

٤. أ: ترتيبه.

٣. في ج: و«يقول» وهو الأظهر.

٦. في ج: بجزاء.

٥. وفي ج: بتجليه.

بتجلّى^(١) الحق في صورة منوطة باسمه المؤمن، اشتقوا الإيمان لأنفسهم. وهذا شركة^(٢) في التوحيد. «يخادعون الله»، أي يظهرون بالسنة أقوالهم الظاهرة مالم يتحققوا به في بواطنهم، وهو الإيمان بالله، فلا يوافق ظاهرهم باطنهم. وكذلك يخادعون «الذين آمنوا»، أي الذين تجلّى عليهم بالاسم المؤمن، فسوى^(٣) هذا التجلي في ظاهرهم وبواطنهم، فآمنوا صورة وحقيقة. «وما يخادعون إلا أنفسهم» إذ الأشياء في حقيقة الوحدة الجمعية إلهية^(٤)، متحدة بعضها مع بعض، ومع تلك الحقيقة - أيضاً -، فكل شيء نفس الأشياء الآخر ونفس تلك الحقيقة، - أيضاً - من هذه الحية. «و لكنهم» ما يشعرون «بذلك الاتحاد؛ لاغتشاء مشاعرهم بصورة^(٥) التعينات الحجابية والتعذدات المظهرية. «في قلوبهم» التي من صفتها صحة القلب مع الشؤون الإلهية، بحيث لا يحجبها شأن من شهوده تعالى «مرض» يضاد هذه الصحة. ويمنعها عن الظهور. «فزادهم الله مرضاً» على مرض، بازدياد أضداد تلك الصحة وتتابعها. «ولهم عذاب أليم» بسبب كذبهم في قولهم: «أما» وتكذيبهم إياه بحسب حالهم.

والغرض من نقل أمثال هذه المباحث، الاطلاع على الآراء الكاسدة والأهواء المضلة، فإن الحق يُعرف بضده.

و«في شرح الآيات الباهرة»^(٦): وقد جاء في هذه الآية منقبة عظيمة وفضيلة جسيمة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الإمام العسكري عليه السلام^(٧): قال: قال موسى ابن جعفر عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ لما اعتذر هؤلاء المنافقون^(٨) بما اعتذروا، وتكرّم

-
١. أ: تجلى.
 ٢. النسخ: شركه، والمثبت من ر.
 ٣. في ج: فسرئ.
 ٤. في ج: الإلهية.
 ٥. في ج: فصورة.
 ٦. ليس في أ: تأويل الآيات ٣٧/١.
 ٧. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٤.
 ٨. المصدر: لما اعتذر هؤلاء المنافقون إليه.

عليهم بأن قبل ظواهرهم، و«أما»^(١) بواطنهم إلى ربهم. لكن جبرئيل ﷺ أتاه فقال: [يا محمد] إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول: أخرج هؤلاء^(٢) المردة الذين اتصل بك عنهم في علي ونكثهم لبيعته وتوطينهم نفوسهم على مخالفته^(٣) (ما اتصل، حتى)^(٤) يظهر^(٥) من عجائب ما أكرمه الله به من طاعة^(٦) الأرض والجبال والسماء له وسائر ما خلق الله لما أوقفه موقفك وأقامه مقامك؛ ليعلموا أن ولي الله علي، غنى عنهم وأنه لا يكف عنهم انتقامه^(٨) إلا بأمر الله الذي له فيه وفيهم التدبير الذي هو بالغه، والحكمة التي هو عامل بها وممض لما يوجبها.

فأمر رسول الله ﷺ الجماعة [من الذين اتصل به عنهم ما اتصل في أمر علي ﷺ والمواظاة على مخالفته] بالخروج.

ثم قال^(١٠) لعلي ﷺ لما استقرّ عند سفح بعض جبال المدينة: يا علي! إن الله ﷻ أمر هؤلاء بنصرتك ومساعدتك، والمواظبة على خدمتك والجّد في طاعتك. فإن أطاعوك فهو خير لهم^(١١)، يصيرون في جنان الله ملوكاً خالدين ناعمين. وإن خالفوك فهو شرّ لهم، يصيرون في جهنّم خالدين معذبين.

ثم قال رسول الله ﷺ لتلك الجماعة: اعلموا أنكم إن أطعتم علياً، سعدتم. وإن خالفتموه^(١٢) شقيتم، وأغناه الله عنكم بمن سيريكموه^(١٣).

ثم قال رسول الله ﷺ: يا علي! سل ربك بجاه محمد وآله الطيبين، الذين أنت بعد محمد سيدهم، أن يقلب لك هذه الجبال ما شئت.

-
- | | |
|--|----------------------------|
| ١. المصدر: وكل. | ٢. من المصدر. |
| ٣. المصدر: بهؤلاء. | ٤. المصدر: في نعتهم علياً. |
| ٥. ليس في المصدر. | ٦. في النسخ: ليظهر. |
| ٧. المصدر: طواعة. | ٨. المصدر: انتقامه منهم. |
| ٩. من المصدر. | ١٠. المصدر: عليه فقال. |
| ١١. في ج: لكم. | ١٢. في ج: خالفتموه. |
| ١٣. المصدر: عن سيريكموه وبما سيريكموه. | |

فسأل ربه^(١)، فانقلبت الجبال فضّة. ونادته الجبال: يا علي! يا وصي رسول ربّ العالمين! إن الله قد أعدّنا لك. فإن أردت إنفاقنا في أمرك، فمتى دعوتنا أجبتك، لتمضي فينا حكمك وتنفيذ^(٢) فينا قضاءك.

ثم انقلبت^(٣) ذهباً^(٤) كلّها، فقالت مثل مقالة الفضة.

ثم انقلبت مسكاً وعنبراً وعنبراً وجواهر وياقوت.

وكل شيء ينقلب منها، يناديه^(٥): يا أبا الحسن! يا أخا رسول الله!^(٦) نحن المستخرات لك. ادعنا متى شئت لتنفقنا فيما شئت، نجيبك، ونحوّل لك إلى ما شئت. ثم قال رسول الله ﷺ: يا علي! سل الله بمحمد وآله الطيبين، الذين أنت سيدهم^(٧)، أن يقلب لك أشجارها رجالاً شاكين الأسلحة، وصخورها أسوداً ونموراً أفاعي.

فدعى الله عليّ ﷺ بذلك. فامتألت الجبال والهضبات وقرار الأرض من الرجال الشاكين^(٨) الأسلحة، الذين لا يفي^(٩) الواحد منهم عشرة آلاف من الناس المعنودين^(١٠). ومن الأسود والنمور والأفاعي^(١١). وكل ينادي: يا علي! يا وصي رسول الله! ها^(١٢) نحن قد سخرنا الله لك، وأمرنا بإجابتك كلّما دعوتنا إلى اصطلام كل من سلطتنا^(١٣) عليه فسمّنا ما شئت وادعنا^(١٤) نجيبك، وأمرنا^(١٥) نطعك.

يا علي! يا وصي رسول الله! إن لك عند الله من الشأن، إن سألت الله أن يصير لك أطراف الأرض وجوانبها هذه صرة واحدة كصرة كيس، لفعل. أو يحط لك السماء إلى

١. المصدر: ربه ذلك.

٢. أنفذ.

٣. أ: أنقلب.

٤. المصدر: ذهباً أحمر.

٥. المصدر: ولكنّها نادته.

٦. في ج: رسول الله ﷺ.

٧. المصدر: سيدهم بعد محمد رسول الله.

٨. المصدر: لا يفي.

٩. المصدر: لا يفي حتى طبقت تلك الجبال والأراضي والهضبات بذلك.

١٠. المصدر: ليس في المصدر.

١١. المصدر: فادعنا... فأمرنا به.

١٢. المصدر: فادعنا... فأمرنا به.

١٣. المصدر: فادعنا... فأمرنا به.

١٤. المصدر: فادعنا... فأمرنا به.

١٥. المصدر: فادعنا... فأمرنا به.

الأرض لفعل، ويرفع لك الأرض إلى السماء لفعل. أو يقلب لك ما في بحارها أجاجاً ماء عذباً أو زنبقاً أو باناً أو ما شئت من أنواع الأشربة والأدهان، لفعل. ولو شئت أن يجمد البحار ويجعل سائر الأرض مثل البحار، لفعل. ولا يحزنك تمرّد هؤلاء المتمردين وخلاف هؤلاء المخالفين، فكأنّهم بالدنيا وقد^(١) انقضت عنهم، وكأن لم يكونوا فيها، وكأنّهم بالآخرة إذا وردوا عليها^(٢) لم يزالوا^(٣) فيها.

يا علي! إنّ الذي^(٤) أمهلهم مع كفرهم وفسقهم في تمردهم عن طاعتك، هو الذي أمهل فرعون ذا الأوتاد ونمرود وكنعان^(٥) ومن ادّعى الإلهية من ذوي الطغيان، وأطغى الطغاة إبليس رأس الضلالات. وما خلقت أنت ولا هم لدار الفناء، ولكن^(٦) خلقت لدار البقاء، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار، ولا حاجة لربك إلى من يسوسهم ويرعاهم، ولكنّه^(٧) أراد تشريفك عليهم وإبانتك بالفضل فيهم^(٨). ولو شاء لهداهم أجمعين^(٩). قال: فمرضت قلوب القوم لما شاهدوا من ذلك، مضافاً إلى ما كان في قلوبهم من مرض^(١٠). فقال الله عند ذلك: «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: معطوف على «يكذبون»، أو على «يقول آمناً»، ورُجِحَ الأول بقرنه وبإفادته تسبّب الفساد. فيدلّ على وجوب الاحتراز عنه كالكذب.

وفيه بحث؛ لأنّه يفيد تسبّب هذا القول منهم في جواب «لا تفسدوا» للعذاب، لا تسبّب الفساد له. والثاني، تكون الآيات حينئذ على نمط تعديد قبائحهم وبإفادتها اتصافهم بكل من تلك الأوصاف استقلالاً، وبدلالاتها على أنّ لحوق العذاب الأليم

١. المصدر: فقد.

٢. المصدر: وردت عليهم.

٣. أو المصدر: وكان لم يزالوا.

٤. أ: الذين.

٥. المصدر: نمرود بن كنعان.

٦. أ: المصدر: بل.

٧. في ج: ولكنّهم.

٨. المصدر: منهم.

٩. ليس في المصدر.

١٠. المصدر: مرض أجسامهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

بسبب كذبهم الذي هو أدنى أحوالهم في كفرهم ونفاقهم، فما ظنك بسائرهما. ويحتمل أن تكون معطوفة على قوله: «ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر» إلى آخره، لكنه بعيد لعدم دلالة على اندراج هذه الصفة وما بعدها في قصة المنافقين وبيان أحوالهم. إذ لا يحسن حينئذ عود الضمائر التي فيها إليهم. ويخطر بالبال، احتمال أن يكون معطوفاً على قوله: «يخادعون الله» إلى آخره. و«إذا» ظرف زمان. ويلزمها معنى الشرط غالباً. ولا يكون إلا في الأمر المحقق، أو المرجح وقوعه. ويختص بالدخول على الجملة الفعلية، ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك.

و«الفساد»: خروج الشيء عن كونه منتفعاً به. والصلاح ضده. وكان من جملة فسادهم في الأرض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين ومعاونة الكفار عليهم، بإفشاء^(١) أسرارهم إليهم.

ومنها: الإخلال بالشرائع - التي برعايتها ينتظم العالم - بإظهار المعاصي. ومنها: الدعوة في السر إلى تكذيب المسلمين، وجحد الإسلام، وإلغاء السنة. والقائل، هو الله سبحانه، بلسان الرسول. أو الرسول. أو بعض المؤمنين. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (٣٠): جواب «إذا»، ورد للناصح على سبيل المبالغة؛ لأن «إنما» هي كلمة «إن» التي لإثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها «ما» الكافّة، لزيادة التأكيد، فقصداً بها قصر ما دخلته على ما بعده. فهذا من باب المسند على المسند، لكن قصر أفراد؛ لأنهم لما سمعوا قول المسلمين لهم: «لا تفسدوا في الأرض» توهموا أنهم يجعلونهم مصلحين تارة، ومفسدين أخرى؛ لاستبعادهم إن يجعلوهم مفسدين في جميع الأحوال.

فأجابوا بأنهم مقصرون على الإصلاح، لا يتجاوزونه إلى الإفساد. فإصلاحهم غير مشوب بإفساد.

وكلمة «إنما» دالة على أن ذلك أمر مكشوف لا ينبغي أن يشك فيه. فإن الشرط فيها أن يدخل على حكم يكون بيناً في نفس الأمر، أو بحسب الادعاء. وإنما قالوا ذلك لأنهم ممن زين له سوء عمله، فرآه حسناً.

وروي^(١) (في تفسير أبي محمد العسكري عليه السلام^(٢)) (٣): عن^(٤) العالم موسى [بن جعفر] عليه السلام في تفسير الآية: «إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير: «لا تفسدوا في الأرض» بإظهار نكت البيعة لعباد الله المستضعفين، فتشوشون عليهم دينهم. وتحثرونهم في مذاهبهم» قالوا إنما نحن مصلحون؛ لأننا لا نعتقد دين محمد ولا غير دين محمد، ونحن في الدين متحiron. فنحن نرضى في الظاهر محمداً، بإظهار قبول دينه وشريعته، ونفضي في الباطن إلى شهواتنا^(٥)، فنمتنع ونتركه^(٦) ونعتق أنفسنا من رق محمد ونفكها من طاعة ابن عمه علي، لكي لا^(٧) نذل^(٨) في الدنيا، كنا^(٩) قد توجهنا عنده، وإن اضمحل أمره كنا^(١٠) قد سلمنا على^(١١) أعدائه.

«أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ» ﴿٣٧﴾: «ألا، وأما» مركبتان من همزة الاستفهام وحرف النفي؛ لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها. فإن الاستفهام إذا كان للإنكار ودخل على النفي، أفاد تحقيقاً؛ لأن نفي النفي إثبات وتحقيق؛ كقوله: «أليس ذلك بقادر».

والأكثر على أنهما حرفان موضوعان لذلك المعنى لا تركيب فيهما. ويدخلان على الجملتين، ويشاركهما في الدلالة على معنى التنبيه «الهاء»، لكنها تختص بالدخول على أسماء الإشارة والضمائر غالباً.

-
- | | |
|---|--------------------------------|
| ١. ليس في ج. | ٢. ليس في أ. |
| ٣. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٤. | ٤. في ج: وروي عن |
| ٥. من المصدر. | ٦. في ج: شهواتنا. |
| ٧. المصدر: فتمتع ونترقه. أ: فتمتع ونترقه. | ٨. ليس في المصدر وأ. |
| ٩. المصدر وأ: أديل. | ١٠. أ: لنا. |
| ١١. أ: لنا. | ١٢. المصدر: من سبي. أ: من بين. |

ولما بالغ المنافقون في إظهار الإصلاح، بولغ في إفسادهم من جهات متعدّدة الاستئناف. فإنّه (١) يقصد به زيادة تمكّن الحكم في ذهن السامع لوروده عليه بعد (٢) السؤال والطلب، وما في كل واحدة من كلمتي «ألا» و«إن» من تأكيد الحكم وتحقيقه، وتعريف الخبر المفيد (٣)، وحصر المسند على المسند إليه قصر قلب، وتوسيط الفعل (٤) المؤكّد لهذا الحصر.

وقوله: «لا يشعرون» لدلالته على أن كونهم (٥) مفسدين قد ظهر ظهور المحسوس، لكن لا حسّ لهم ليدركوه.

وقيل المبالغة في تعريف المفسدين، على قياس ما مرّ في «المفلحين». أنّه إن حصلت صفة المفسدين وتحقّقوا تصوّروا بصورتهم الحقيقة، فالمنافقون هم (٦) هم لا يعدون تلك الحقيقة، فيكون الفصل مؤكّداً لنسبة الاتحاد الذي هو أقوى من القصر في إفادة المطلوب.

وروي في تفسير (أبي محمّد العسكري عليه السلام) (٧) عن موسى بن جعفر في تفسير (٨) تلك الآية: «ألا إنهم هم المفسدون» بما يغفلون أموراً لأنفسهم (٩)؛ لأنّ الله يعرف نبيهم (١٠) نفاقهم، فهو يلعنهم، ويأمر المسلمين بلعنهم. ولا يثق (١١) بهم - أيضاً (١٢) - أعداء المؤمنين؛ لأنّهم يظنون أنّهم ينافقونهم - أيضاً (١٣) - كما ينافقون أصحاب محمّد ﷺ فلا يرتفع (١٤) لهم عندهم منزلة، ولا يحلّون (١٥) عندهم محلّ أهل الثقة (١٦).

-
١. في ج: بأنّه.
 ٢. أ: بعض.
 ٣. الواو ليس في ج.
 ٤. في ج: الفصل. وهو الأظهر.
 ٥. في ج: كونه.
 ٦. ليس في أ.
 ٧. تفسير العسكري عليه السلام، ١١٨.
 ٨. المصدر: من أمور أنفسهم.
 ٩. أ: فهم.
 ١٠. المصدر: نبيه. أ: بينهم.
 ١١. ليس في أ.
 ١٢. المصدر: وأ: يرفع.
 ١٣. أ: يحل لهم. ر: يخلون.
 ١٤. أ: أهل النعمة.

﴿وَأِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾: هذا من تمام النصح والإرشاد، فإنّ الإيمان مجموع أمرين: الإعراض عمّا لا ينبغي، وهو المقصود بقول^(١) «لا تفسدوا». والإتيان بما ينبغي، وهو المطلوب بقوله: «آمنوا».

وأمرهم بالإيمان بعد نهيمهم عن الإفساد؛ لأنّ التحلية لا تيسّر إلا بعد التخلية^(٢).
﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾: «ما» في «كما» إمّا كافة، كما في قوله: «فبما رحمة من الله لنت لهم»^(٣). أو مصدرية، كما في قوله تعالى: «واذكروا الله كما هذاكم»^(٤). فإن كانت كافة للكف^(٥) عن العمل مصحّحة لدخولها على الجملة، كان التشبيه بين مضموني الجملتين، أي: حقّقوا إيمانكم، كما حقق الناس إيمانهم. وإن كانت مصدرية، فالمعنى: آمنوا إيماناً كما إيمانهم.

وعلى التقديرين، قوله: «كما آمن الناس» في موضع نصب، على المصدرية. و«اللام» للعهد، أي: كما آمن رسول الله ﷺ ومن معه؛ وهم ناس معهودون على الإطلاق عندهم. أو من آمن من أهل بلدتهم؛ كابن سلام وأصحابه، وهم ناس معهودون عندهم.

أو للجنس. والمراد به: الكاملون في الانسانية، العاملون بقضية العقل. فإنّ اسم الجنس، كما يستعمل لسمّاه^(٦) مطلقاً، يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه. ولذلك يسلب عن غيره، فيقال: زيد ليس بإنسان.

وقد جمع الاستعمالين [في]^(٧) قول الشاعر:

إذا الناس ناس والزمان زمان

٢. في ج: بقوله. التحلية.

٤. البقرة / ١٩٨. والصحيح: «واذكروه كما هذاكم».

٦. أ: السماء.

١. في ج: بقوله.

٣. آل عمران / ١٥٩.

٥. في ج: للكاف.

٧. ليس في ج. ووجودها خطأ. فإن كان لابد من وجودها فيجب أن نقول: وقد جمع الاستعمالان في قول الشاعر.

واستدل به على مطلبين: أحدهما، أَنَّ توبة الزنديق مقبولة. وثانيهما، أَنَّ الإقرار باللسان إيمان.

تقرير الأول: أَنَّ الكافرين مأمورون بالإيمان. فلو لم يكن توبتهم مقبولة، لم يكونوا مكلفين. ضرورة أَنَّ كونهم مكلفين مع عدم قبول توبتهم جبر. وهذا إِنَّمَا يَتِمُّ لو كان دعوة بعض المؤمنين إلى الإيمان تكليفاً. ولو سلم، فإِنَّمَا يَدُلُّ على ذلك لو كان قولهم ذلك بطريق دعوة^(١). والحق، أَنَّ توبة الزنديق عن غير فطرة مقبولة مطلقاً^(٢)، غير مقبولة ظاهراً. لكن لا بدلالة الآية، بل بدلالة الآيات الأخر والأحاديث المروية. وتقرير الثاني: أَنَّهُ لو لم يكن إيماناً، لم يقد التقييد بقوله: «كما آمن الناس»، والتالي باطل، فالمقدم مثله. والملازمة ممنوعة. والمستند أَنَّ ذلك مبني على أن يكون المراد من الناس: المنافقين المذكورين سابقاً، وليس كذلك، بل المراد: المؤمنون. وفائدة التقييد، التحريض. ونظيره قوله: أكرم أخاك، كما أكرمه عمرو.

(وبعض استدل من قوله: «ومن الناس من يقول آمناً وما هم بمؤمنين» على أَنَّ الإقرار فقط ليس بإيمان. وهو - أيضاً - باطل، لجواز أن يكون قولهم: «آمناً» لإخبار الإيمان، لا إنشائه^(٣)).

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: «الهمزة» فيه للإنكار مجازاً. إذ الأصل فيها^(٤) الاستفهام، استعملت فيه لعلاقة عدم اعتقاد الثبوت فيهما. وإذا كانت للاستفهام، يطلب بها التصور والتصديق؛ (كما يطلب بهل التصديق)^(٥) وبباقي أدوات الاستفهام التصور. والحق أَنَّ الكلَّ لطلب التصور في المآل. ومعنى الإنكار فيه أَنَّ ذلك لا يكون أصلاً.

و«اللام» للعهد، إشارة إلى «الناس» المذكور سابقاً.

١. في: الدعوة.

٢. ليس في أ.

٣. ما بين القوسين مشطوب في المتن وليس في ر وج.

٥. ما بين القوسين ليس في ج.

٤. أ: فيه.

أو الجنس . وهم مندرجون تحت مفهومه ، على زعمهم وتسفيهمهم ، إمّا لجعل الإيمان سفهاً ، أو لجعل المؤمنين المشهورين به ، أو ليجعلونهم مشهورين به ، أو لاعتقادهم فساد رأيهم ، أو لتحقير شأنهم ، فإن أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال . أو للتجلّد وعدم المبالاة لهم بمن آمن منهم ، إن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه .

و« السفه » خفة العقل وقلته . ويقابله الحلم - بالكسر - وهو الأناة . وكأن هذا الكلام مقولاً فيما بينهم ، لا في وجوه المؤمنين ؛ لأنهم كانوا منافقين ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . فأخبر سبحانه بذلك نبيه ، وردّ عليهم أبلغ ردّ وقال :

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مُمّ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧) : تفصيل هذه الآية « بلا يعلمون » والتي قبلها « بلا يشعرون » لأنه أكثر طباقاً لذكر السفه ، ولأنّ الوقوف على أمر الدين والتميز بين الحق والباطل ممّا يفتقر إلى نظر وتفكر ، وأمّا النفاق وما فيه من النقص والفساد فممّا (١) يدرك بأدنى تفتّن وتأمّل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم .

وروي في تفسير تلك الآية (في تفسير أبي محمّد العسكري (عليه السلام)) (٣) (٢) عن موسى (عليه السلام) : إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة ، قال لهم خيار (٤) المؤمنين كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار : « آمنوا » برسول الله وعلي (عليه السلام) الذي أوقفه موقفه ، وأقامه مقامه ، وأناط (٥) مصالح الدين والدنيا كلّها به ، و« آمنوا » بهذا النبي ، وسلّموا لهذا الإمام ، وسلّموا له ظاهرة (٦) وباطنة ، « كما آمن الناس » المؤمنون (٨) ، قالوا في الجواب (لمن) يفيضون إليهم (٩) لا لهؤلاء المؤمنين ، فإنهم لا يجرؤون على مكاشفتهم بهذا

١. أ: فلما .

٢. ما بين القوسين ليس في أ .

٣. تفسير العسكري (عليه السلام) ، ١١٩ .

٤. أ: خيارهم .

٥. المصدر: بعلي .

٦. النسخ: ناط .

٧. المصدر: ظاهر الأمر .

٨. أ: المتقدمون ، المصدر: المؤمنون ، كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار .

٩. المصدر: إليه .

الجواب (١). ولكنهم يذكرون لمن يفيضون إليهم (٢) من أهلهم (٣) الذين يثقون بهم [من المنافقين ومن المستضعفين، أو المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون بهم] (٤)، يقولون لهم: «أنؤمن كما آمن السفهاء! يعنون سلمان وأصحابه، لما أعطوا علياً خالص دينهم وودّهم، ومحض طاعتهم، وكشفوا رؤوسهم لموالاته (٥) أوليائه ومعاذة أعدائه (حتى إن اضمحل أمر محمد، طحطحهم أعداؤه وأهلكهم يسائر (٦) الملوك والمخالفين لمحمد، أي: فهم بهذا التعرض لأعداء محمد جاهلون سفهاء. قال الله تعالى: «ألا إنهم هم السفهاء» الأخفاء العقول والآراء (٧).

(فردّ الله عليهم) (٨) الذين لم ينظروا في أمر محمد (٩) حق النظر، فيعرفوا نبوته ويعرفوا به صحة ما ناطه بعلي عليه السلام من أمر الدين والدنيا، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين، وصاروا خائفين وجلين من محمد وذريته (١٠) (ومن مخالفهم، لا يؤمنون أنهم يغلبون (١١) فيهلكون معه (١٢). فهم السفهاء حيث لا يسلم لهم بنفاقهم هذا جنبه (١٣) جنبه (١٤) محمد والمؤمنين، ولا جنبه اليهود وسائر الكافرين: لأنهم (١٥) يظهرون لمحمد عليه السلام من موالاته وموالاته أخيه علي، ومعاذة أعدائهم اليهود والنصارى (١٦) والنواصب، كما (١٧) يظهرون لهم من معاذة محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما وموالاته أعدائهم. فهم يقدّرون (١٨) أن نفاقهم معهم كنفاقهم مع محمد

-
١. ما بين القوسين ليس في أ.
 ٢. المصدر: إليه.
 ٣. المصدر: أهلهم.
 ٤. من المصدر.
 ٥. أو المصدر: بموالاته.
 ٦. في ج: سائر.
 ٧. ما بين القوسين ليس في أ.
 ٨. ما بين القوسين، مشطوب في المتن وموجود في أ.
 ٩. الذين ينظرون أوامر محمد.
 ١٠. ليس في أ.
 ١١. المصدر: أيهم يتغلب.
 ١٢. المصدر: لا جنبه وج: جنبته.
 ١٣. المصدر: لأنّه به وبهم.
 ١٤. ليس في ج.
 ١٥. المصدر: لأنّه به وبهم.
 ١٦. ليس في المصدر.
 ١٧. المصدر: وهو كما.
 ١٨. المصدر: يقدرون فيهم.

وعلي عليه السلام ^(١). «ولكن لا يعلمون» أن الأمر كذلك، وأن الله يطلع نبيه عليه السلام على أسرارهم، فيخسئهم ^(٢) ويلعنهم ويسفهمهم ^(٣).

قال بعض الفضلاء: وإذا سمعت شطراً من الأحكام اللفظية، فاسمع نبذاً من المعاني البطنية. فنقول:

«وإذا قيل» لهؤلاء المتوسمين بالإيمان الرسمي، المدعين التوحيد الحقيقي: «لا تفسدوا في أرض» استعدادكم لذلك التوحيد، ولا تبذروا فيها بذر فساد الشرك بإضافة الأفعال إلى أنفسكم. «قالوا إنا نحن مصلحون» لها، بارتكاب الأعمال الصالحة واكتساب الأفعال الحسنة. ليرتب عليها الأجرية ^(٤) الأخروية، من الجنات وما فيها من أنواع النعيم المقيم. فقيل في ردهم: «ألا إنهم هم المفسدون» لها، فإن ترتب تلك الأجرية لا يتوقف إلا على نفس الأعمال، لا على إضافتها إلى أنفسهم. بل بهذه الإضافة يبقون محرومين عن التوحيد، ولا يتحققون به أصلاً. وكيف يتحققون وهم لا يصلون إلى توحيد الأفعال، فكيف بتوحيد الصفات والذات. فلا يحظون بما يترتب عليه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ولكنهم «لا يشعرون» بذلك الإفساد؛ لأنه من قبيل الشرك الخفي، الذي هو أخفى من ديب النمل. «وإذا قيل لهم آمنوا» إيماناً حقيقياً «كما آمن الناس» المتحققون بحقائق الحقيقة الانسانية الكمالية، الباذلون وجودهم بالفناء ^(٥) في الله. «قالوا» أنؤمن كما آمن السفهاء؟ فإن من السفه بذل الوجود الذي هو رأس مال الحظوظ ^(٦) العاجلة والآجلة. فقيل في ردهم: «ألا إنهم هم السفهاء». فإن من يبذل وجوده الفاني يبقى بقاء الحق سبحانه. وأين الوجود الفاني من البقاء بالحق؟ «ولكنهم لا يعلمون» ذلك؛ لأن هذا العلم لا يحصل بالحجة والبرهان، بل بالذوق والوجدان.

٢. المصدر: فيخسئهم.

٤. أ: الأجرية.

٦. أ: الخطوظ.

١. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. المصدر: يسفهمهم.

٥. في ج: بالفناء.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾: وقرئ «ولاقوا».

هذه الجملة مع ما عطف عليها في حكم كلام واحد، مساقاة لبيان معاملتهم مع المؤمنين وأهل دينهم وتنافي قولهم لهما. بخلاف صدر قصتهم، فإنه مسوق^(١) لبيان أصل نفاقهم من غير تعرض للقائهم المؤمنين وقولهم معهم، ولخلوهم مع شياطينهم وقولهم لهم فيما يتوهم في أجزاء الشرطية الأولى من التكرار^(٢)، مضمحل بالكلية. تقول: لقيته ولاقيته: إذا استقبلته قريباً منه. ومنه ألقيته: إذا طرحته؛ لأنك بطرحه جعلته بحيث يلقي.

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾: من خلوت بفلان وإليه: إذا انفردت معه، أي: إذا انفردوا مع شياطينهم. أو من خلاك ذم، أي: عداك ومضى عنك. ومنه القرون الخالية، أي: الماضية، أي: إذا مضوا عن المؤمنين إلى شياطينهم. واستعمال «خلا» بـ «إلى» على هذين المعنيين، ظاهر.

أو خلوت به: إذا سخرت منه^(٣). وحينئذ يحتاج في استعماله بـ «إلى» إلى تضمين معنى الإنهاء، أي: إذا سخرُوا من المؤمنين، منهين هذه السخرية إلى شياطينهم. وهذا كما تقول: أحمد إليك فلاناً، أي: أحمدته منهياً ذلك الحمد إليك. و«شياطينهم»: أصحابهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم، منافقين كانوا أو مشركين. فيكون من قبيل الاستعارة.

وجعل سيبويه تارة نونه أصلية، على أنه من شطن^(٤): إذا بعد، فهو بعيد عن الصلاح، ويشهد له قولهم: «تشيطن». وأخرى زائدة، على أنه من شاط: إذا بطل، ومن أسمائه الباطل.

﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: في عدم الإيمان بمحمد ﷺ.

وخاطبوا المؤمنين المنكرين بالفعلية مجردة عن التأكيد، وشياطينهم الذين

٢. في ج: التكرار.

٤. في ج: شيطان.

١. أ: مسبق.

٣. أ: ومنه.

لا ينكرون^(١) بالاسمية مؤكدة. والقياس العكس؛ لأنهم كانوا مع المؤمنين بصدد^(٢) الاخبار بحدوث الإيمان منهم، وتركوا التأكيد لعدم الباعث عليه^(٣) من بواطنهم من صدق رغبة^(٤) ووفور اعتقاد، أو لعدم رواجه عنهم عند المخاطبين الذين هم أرباب فهم وكياسة بلفظ التأكيد، بخلاف مخاطبتهم مع شياطينهم، فإنهم فيما أخبروهم^(٥) به على صدق رغبة ووفور نشاط، وهو رائج عنهم متقبل منهم على لفظ التأكيد.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾^(٦) تأكيد لسابقه. إذ معنى «إنا معكم»: هو الثبات على اليهودية. وقوله: «إنما نحن مستهزؤون» وإن لم يكن بظاهره تأكيداً لهذا المعنى، لكن له لازم، وهو أنه رد ونفي للإسلام يؤكد؛ لأن دفع نقيض الشيء تأكيد لثباته.

أو بدل. وتقريره: أنه لما كان قصدهم إلى إظهار تصلبهم^(٧) في دينهم، وكان في الكلام الأول قصور عن إفادته، إذ كانوا يوافقون المؤمنين في بعض الأحوال، فاستأنفوا القصد إلى ذلك بأنهم يعظمون كفرهم بتحقيق الإسلام وأهله، فهم أرسخ قدماً من شياطينهم.

أو استئناف. كأن الشياطين قالوا: إن صح ذلك، فما بالكم توافقون المؤمنين؟ فأجابوا بذلك. وهو أوجه لزيادة الفائدة، وقوة المحرك للسؤال.

وهذه الوجوه الثلاثة بيان لترك العاطف في كلامهم. وأما تركه في حكايته، فللموافقة فيما هو بمنزلة كلام واحد^(٨).

و«الاستهزاء»: السخرية والاستخفاف. يقال: هزأت واستهزأت، بمعنى: كأجبت واستجبت.

وأصله: الخفة، من الهزء - بالفتح - وهو القتل السريع. وهزأ يهزأ - بالفتح فيهما -:

-
- | | |
|---------------|---------------|
| ١. أ: يذكرون. | ٢. أ: بصدد. |
| ٣. أ: إليه. | ٤. أ: وفيه. |
| ٥. أ: جزائهم. | ٦. أ: تصلبهم. |
| ٧. أ: وواحد. | |

مات على المكان. وناقته تهزأ به، أي: تسرع وتخف.

(وفي مجمع البيان^(١)) وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أنهم قالوا: «إنا معكم»، أي على دينكم. «إنما نحن مستهزؤون»، أي: نستهزئ بأصحاب محمد ونسخر بهم في قولنا: «أما»^(٢).

«اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ»: المراد باستهزاء الله: مجازاته إياهم على استهزائهم بالمؤمنين، لما بين الفعل وجزائه ملازمة قوية ونوع سببية، مع المشاكلة المحسنة^(٣) من مقابلة اللفظ باللفظ والمماثلة في القدر، فيكون من قبيل المجاز المرسل.

وقد روى رئيس المحدثين، في كتاب التوحيد^(٤)، بإسناده عن علي بن الحسين^(٥) بن فضال، عن أبيه، عن الرضا علي بن موسى عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: «يسخر الله منهم»، وعن قوله تعالى: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ»، وعن قوله: «ومكروا ومكر الله»، وعن قوله: «يخادعون الله وهو خادعهم».

فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(وفي عيون الأخبار^(٦)، بإسناده عن الحسن بن علي بن فضال، قال: سألت الرضا عليه السلام إلى أن قال: فقال: إن الله تعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع. لكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٧)) انتهى.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. التوحيد، ١٦٣.

٦. عيون الأخبار، ١٢٦/١.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

١. مجمع البيان، ٥١/١.

٣. في ج المستحسنة.

٥. في ج: الحسن.

٧. في ج: إلى.

أو^(١) إنزال الهوان والحقارة بهم؛ لأنه الغرض من^(٢) الاستهزاء. فهذا أيضاً من المجاز المرسل، لعلاقة السببية في التصور والمسببية في الوجود. وفي هذا التوجيه تنبيه على أن مذهبهم حقيق بأن يسخر منه ويستهزئ به لأجله.

أو معاملته سبحانه، معاملة المستهزئ بمن يستهزئ به. واستعمل لفظ المشبه به في المشبه، فيكون استعارة. وهي في الدنيا فيأجرا أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة مع تماديهم في الطغيان، وفي الآخرة فبأن يفتح - وهم في النار - باب إلى الجنة فيسرعون إليه، فإذا قربوا منه شدّ عليهم.

أو إرجاع وبال الاستهزاء إليهم، فيكون كالمستهزئ بهم. فيكون استعارة أيضاً. أو لازم معناه. وهي إظهار خفة عقل المستهزأ به وقلته، فيكون سبحانه مستهزئ بهم في عين استهزائهم بالمؤمنين. فإن من استهزائهم بهم، مع ظهور أمرهم، يظهر خفة عقولهم وقلته.

وهو استثناء^(٣). فإنهم لما بالغوا في استهزاء المؤمنين مبالغة تامة، ظهر بها شفاعته ما تركبوه، وتعاضله على الأسماع على وجه يحرك السامع أن يقول: هؤلاء الذين هذا شأنهم، ما مصير أمرهم وعقبى حالهم، وكيف معاملة الله والمؤمنين إياهم؟

وفي تصدير الاستثناء بذكر «الله»، دلالة أولاً على أن الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الأبلغ الذي لا اعتداد معه باستهزائهم، وذلك لصدوره عن يضمن حل علمهم وقدرتهم في جنب علمه وقدرته. وثانياً، على أنه تعالى يكفي مؤنة عباده المؤمنين وينتقم^(٤) لهم ولا يحوجهم إلى معارضة المنافقين؛ تعظيماً لشأنهم.

وإنما قال: «يستهزئ»: ولم يوافق لقولهم^(٥)، ليفيد حدوث الاستهزاء وتجذده وقتاً بعد وقت.

١. أي: المراد باستهزاء الله مجازاته، أو إنزال الهوان ... الخ. فهو مربوط بما سبق.

٢. ليس في أ. في ج: سبحانه معهم.

٣. أي: «مستهزون».

٤. أ: ولا ينتقم.

أما إفادته الحدوث ؛ فلكونه فعلاً .

وأما إفادة تجددته وقتاً بعد وقت ؛ فلأن المضارع لما كان دالاً على الزمان المستقبل الذي يحدث شيئاً بعد شيء على الاستمرار ، مناسب^(١) أن يقصد به إذا وقع موقع غيره . أن معنى مصدره المقارن لذلك الزمان يحدث مستمراً استمراراً تجددياً لا ثبوتياً ؛ كما في الجملة الاسمية . وإنما أفيد ذلك ليكون على طبق نكايات الله فيها وبلاياه النازلة . أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ؟

﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٥ : من مدّ الجيش وأمدّه : إذا زاده وقوّاه . ومددت السراج والأرض : إذا استصلحتهما بالزيت والسماد . ومنه مدّ الدواة وأمدّها : إذا أراد أن يصلحها . لا من مدّ العمر ، بمعنى : الإملاء والإمهال ، فإنه يُعدّى باللام كأملى له . والحذف والإيصال خلاف الأصل ، فلا يصار إليه إلا بدليل . ويؤيده قراءة ابن كثير : «يُمدّهم» بضم الياء ، من الإمداد ، بمعنى إعطاء المدد . وليس من المدّ في العمر والإمهال في شيء .

والأصل في الطغيان - بالضم والكسر - كَلْفَيَانِ وَلِفَيَانِ : تجاوز الشيء عن مكانه . والمراد : تجاوز الحد في الكفر والغلو في العصيان . والمراد : زيادة طغيانهم بسبب تمكين الشيطان من إغوائهم .

أو أنه لما منعهم أطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدّهم^(٢) طرق التوفيق على أنفسهم ، فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً .

فإسناد الفعل إلى الله ، إسناد إلى المسبّب^(٣) . وإضافة الطغيان إليهم ، لثلاث يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة . و «العمه» قيل : مثل العمى . إلا أن العمى عام في البصر والرأي خاصة .

٢ . روج : صدهم .

١ . أ : ناصب .

٣ . في ج : السبب .

وقيل: العمى في العين، والعمه في القلب. هو التحير والتردد، لا يدري أين يتوجه. يقال: رجل عامه وعمه. وأرض عمهاء: لا مآز بها.

ولعل التخصيص يكون (حيث يكون) ^(١)المقابلة.

و«في طغيانهم» إما متعلق ب«يمدّهم»، وحينئذ يكون «يعمّهون» حالاً من مفعول «يمدّهم»، أو فاعل «الطغيان»، وإما متعلق ب«يعمّهون» قَدْماً عليه لرعاية الفاصلة، وحينئذ يتعيّن أن يكون حالاً من الأول.

(وفي كتاب الاحتجاج ^(٢) للطبرسي رحمته الله: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه: ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنت لك تأويلها، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه. ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه، كما ^(٣)قال ^(٤): «فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ». أغشى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك، فتركوه بحاله، وحجبوا عن تأكيد الملبس بإبطاله. فالسعداء يتبنّهون ^(٥)عليه، والأشقياء يعمّهون ^(٦)عنه ^(٧)).

قال بعض الفضلاء: وإذا قد وقع الفراغ من حلّ ظاهر عباراته، فاسمع بطناً من بطون إشارات. فنقول:

إذا لاقى المتوسّمون بالإيمان الرسمي، الذين آمنوا إيماناً حقيقياً وتحقّقوا بحقيقة التوحيد، وانعكست إليهم أنوارهم الإيمانية فتوهّموا أنّها من أنفسهم وملك لهم، قالوا بلسان حالهم: «أما» إيماناً كإيمانهم. و«إذا» فارقوا و«خلوا إلى شياطينهم» المبعدين، وانفصلت منهم تلك الأنوار، ورجعوا إلى ظلمتهم الأصلية الحجابية، وتضاعفت به ^(٨)ظلمتهم لاجتماعهم مع هؤلاء الشياطين، «قالوا» لهم: «إنا معكم» متفقون بكم فيما

٢. الاحتجاج، ٣٧٦/١.

٤. الأنعام/١٤٩.

٦. المصدر: يعمون.

٨. أ: به في.

١. ليس في أ.

٣. المصدر: كما قال الله تعالى.

٥. المصدر: ينهون.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

أمتهم فيه، من إثبات ذواتكم وإسناد الصفات والأفعال إليها «مستهزؤون» بالذين لا يثبتون إلا وجوداً واحداً، ويسندون إليه الأفعال والصفات كلها. فإن ذلك شيء^(١) لا يحكم بصحته العقل. «الله يستهزئ بهم» في عين استهزائهم بهم. ذلك^(٢) الاستهزاء فعل الحق فيهم، انصبع بصبغ الاستهزاء لإلحاق الهوان والحقارة بهم في^(٣) عيون أرباب البصيرة فيكون استهزاء بهم «ويمدهم في طغيانهم»، أي: غلّوهم في نفي التوحيد الحقيقي، مترددين متحيرين بين المؤمنين إيماناً حقيقياً وبين شياطينهم الجاحدين ذلك الإيمان، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾: معللة للجملة الدالة على استحقاقهم الاستهزاء، على سبيل الاستئناف. أو مقررّة لقوله: «يمدهم في طغيانهم» على سبيل التوكيد.

وأصل الاشتراء: بذل الثمن لتحصيل ما يُطلب من الأعيان. فإن كان أحد العوضين ناضباً، تعين من حيث أنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمناً. وبذله اشتراء، وأخذه بيع. ولذلك عُدت الكلمتان من الأضداد. والنض والناض: الدنانير والدراهم، عند أهل الحجاز. وإلا فأَيّ العوضين تصوّرت^(٤) بصورة الثمن، فبأذله مشتر وأخذه بائع. ثم استعير للأعراض عما في يده محصلاً به غيره، سواء كان من المعاني أو الأعيان. ثم اتسع فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره. فإن اكتفى بجعل الطرفين أعم من أن يكون الأعيان أو المعاني أو مختلفين، وبقي الاستبدال محفوظاً والاستبدال موقوف على تملك ما هو كالثمن، فاحتيج في اشتراء الضلالة بالهدى إلى أن نزل^(٥) التمكن من الهدى، بحسب الفطرة منزلة تملكه. فيكون التجوز في نسبة الهدى بالتملك إليهم، لا في نفسه.

٢. في ج: فإن ذلك.

١. ليس في أ.

٤. أ: بصورته.

٣. ليس في أ.

٥. في ج: ينزل. وهو الأظهر.

أو أريد « بالهدى » ما جبلوا عليه من تمكّنهم منه، وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها. فيكون التجوّز في نفس الهدى، لا في نسبته إليهم بالتملّك. فإنّ التمكن من الهدى ثابت لهم من غير تجوّز. وإن لم يبق الاستبدال أيضاً محفوظاً، كما إذا استعمل للرجعة عن الشيء طمعاً في غيره، فلا حاجة إلى ذلك التنزيل أو التجوّز.

﴿فَمَا رِيحَتْ بِجَارِئَتُهُمْ﴾: وقرأ ابن علة: «تجاراتهم» بصيغة الجمع.

وذكر «الريح» ترشيح للمجاز الواقع في كلمة «اشترى»، وهو أن يقرن بالمجاز ما يلائم المعنى الحقيقي. فإنّه لما استعمل الاشتراء في معاملتهم، أتبعه بما يشاكله تمثيلاً لخسارتهم.

والمعنى: ضرت تجارتهم؛ لأن عدم الريح، وإن كان أعمّ من الخسران لوجود الوساطة بينهما، لكن المقام يخصّه به؛ لأنّ المقصود ذم المنافقين، والذم في الخسران أكد من عدم الريح. وإنما عبّر عن الخسران بنفي الريح للتصريح أولاً بانتهاء ما هو مقصود من التجارة، والدلالة ثانياً على إثبات ضده، والإفادة ثالثاً المبالغة بأن نفي الريح بالبيع والشراء.

و«الريح» الفضل على رأس المال. وإسناده إلى التجارة - نفيّاً وإثباتاً - لتلبّسه بالتجارة، مجاز عقلي، وهو إسناد شيء إلى غير ما هو له نفيّاً أو إثباتاً؛ كما أنّ الحقيقة العقلية إسناده إلى ما هو^(١) كذلك. لكن في الحقيقة، فالموجبة^(٢) صادقة، والسالبة كاذبة. وفي المجاز بالعكس. فلا حاجة في كونه من المجاز العقلي إلى تأويل ما ربحت بـ «خسرت» ولا إلى أن يفرق بين إسناد النفي ونفي الإسناد. هكذا قيل، وفيه نظر يعرف بالتأمل والتحقيق، ما ذكره السكاكي من أنّ المراد بالتجارة: المشترون مجازاً، والإسناد حقيقة. فتأمّل!

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٣): عطف على «ماربحت تجارتهم»، أي: ما كانوا مهتدين لطرق التجارة. فحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وليمكن حمله على العموم وإن

اشتمل على تكرار « ما ». فالحمل على الأول أولى ؛ لأنه لما وصفوا بالخسارة في هذه التجارة أشير إلى عدم اهتدائهم لطرق التجارة ، كما يهتدي إليه التجار البصراء بالأموال التي يربح فيها ويخسر . فهو راجع إلى الترشيح .

ويحتمل عطفه على « اشتروا » بل هو أولى ؛ لأنَّ عطفه على « ما ربحت » يوجب ترتبه على ما تقدم « بالفاء » فيلزم تأخره عنه ، لكن الأمر بالعكس .

ويحتمل أن يكون حالاً من فاعل « اشتروا » ، أو « ربحت » ، أو ضمير « تجارتهم » . وإنما حكم بانتفاء الربح^(١) عن تجارتهم وعدم اهتدائهم لطرق التجارة ؛ لأنَّ مقصود التجار منها سلامة رأس المال والربح . وهؤلاء قد أضاعوا رأس المال ، فكيف يفوزون بالربح الذي هو الفضل عليه ؟

وروي (في تفسير أبي محمد العسكري عليه السلام)^(٢) عن موسى بن جعفر^(٣) ما معناه :^(٤) أنه حضر قوم عند رسول الله ﷺ وقالوا : سبحان الرازق ! كان فلان في ضنك وشدة ، فسافر ببضاعة جماعة وربح الواحدة عشرة . فهو اليوم من مياسير أهل المدينة . وقال جماعة أخرى بحضرته : إن فلاناً كان في سعة ودعة وكثرة مال ، فسافر في البحر ، فغرقت سفينته^(٥) ، وتلفت أمواله ، ونجى بنفسه في كمال الفقر والفاقة والحيرة . فقال لهم رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بالأحسن من الأول ، والأسوأ من الثاني ؟^(٦) فقالوا : بلى يا رسول الله !

فقال : أما الأول ، فرجل اعتقد في علي بن أبي طالب ما يجب اعتقاده ، من كونه وصي رسول الله وأخاه ووليه وخليفته ومفروض الطاعة ، فشكر له ربه ونبيه ووصي نبيه ، فجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة ، فكانت تجارتها أربح وغنيمة أكثر وأعظم .

١ . في ج : الرابع .

٢ . تفسير العسكري عليه السلام ، ١٢٦ ، مع اختلاف كثير في الألفاظ .

٣ . في ج : موسى بن جعفر عليه السلام .

٤ . ما بين القوسين ليس في أ .

٦ . المصدر : الثاني حالاً .

٥ . في ج : سفينة .

وأما الثاني، فرجل أعطى علياً بيعته، وأظهر له موافقته. ثم نكث بعد ذلك وخالفه ووالى أعداءه، فختم له سوء أعماله، فصار إلى عذاب لا يبيد ولا ينفذ^(١). «ذلك هو الخسران المبين»^(٢).

قال بعض الفضلاء: إن تأويل الآية، بالإشارة إلى بطن من بطونها، أن يقال: «أولئك» المتوسّمون بالإيمان الرسمي، هم «الذين اشتروا ضلالة»^(٣) ظلمة جحديّاتهم «بهدي» نور استعدادهم الفطري، لكشف حقائق التوحيد الحقيقي، واختاروها عليه. «فما ربحت تجارتهم» هذه؛ لأنهم أضاعوا رأس مالهم الذي هو هدى ذوي الاستعداد، فكيف تربح تجارتهم بعد إضاعتهم إياه. «و» الحال أنهم «ما كانوا مهتدين» لطرق تلك التجارة، سالكين سبيل الفوز بها، على وجه يربحون ولا يخسرون.

﴿مَثَلُهُمْ﴾: لَمَّا بَيَّنَّ حَقِيقَةَ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ، أَرَادَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهَا كَشْفاً^(٤) تَامّاً وَيَبْرِزَهَا فِي مَعْرِضِ الْمَحْسُوسِ الْمَشَاهِدِ. ففِيهَا يَضْرِبُ الْمَثَلُ مِبَالِغَةً فِي الْبَيَانِ، وَلأَمْرٍ مَا، أَكْثَرَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْأَمْثَالَ وَكَثُرَ فِي كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْحُكَمَاءِ، وَمِنْ سُورِ الْإِنْجِيلِ سُورَةُ الْأَمْثَالَ. وَ«الْمَثَلُ» فِي الْأَصْلِ، بِمَعْنَى: الْمِثْلُ. وَهُوَ النَّظِيرُ. يَقَالُ: مِثْلٌ وَمِثْلٌ وَمِثْلٌ؛ كَشَبَهُ وَشَبَهُ وَشَبِيه.

ثم قيل: مثل، للقول السائر. ويعتبر فيه أن يكون تشبيهاً تمثيلاً على سبيل الاستعارة. ومن ثم حوِّظ عليه، ولم يغيّر فيكون بعينه لفظ المشبه به. فإن وقع تغيير لم يكن مثلاً، بل هو مأخوذ منه وإشارة إليه؛ كما في قولك^(٥): بالصيف ضيّعت اللبن - بالفتح -.

وقيل: لم يغيّر؛ لأنه ينبغي أن يكون فيه غرابة من بعض الوجوه. فلو غيّر لرُبِمَا

١. ر: لا ينفذ.

٢. الحج ١١.

٣. في ج: الضلالة.

٤. ليس في أ.

٥. في ج: قوله.

انتفت تلك الغرابة. وإنما سمي مثلاً؛ لأنه جعل مضربه وهو ما يضرب فيه - ثانياً - مثلاً لمورده وهو ما ورد فيه أولاً.

ثم استعير لكل حال أو قصة، أو صفة لها بيان، وفيها غرابة. ويمكن حمله هناك على كل واحد من تلك المعاني.

﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: معناه: حالهم العجيبة الشأن، كحال من استوقد ناراً.

و«الذي» بمعنى الذين؛ كما في قوله: «وخضتم كالذي خاضوا»، إن جعل مرجع الضمير في «بنورهم»، وإنما جاز ذلك ولم يجز^(١) وضع «القائم» موضع «القائمين»؛ لأنه غير مقصود بالوصف، بل الجملة التي هي صلتها، وهو وصلة إلى وصف المعرفة بجملة موصولة بها؛ ولأنه ليس باسم تام بل هو كالجاء منه، فحقه أن لا يجمع كما لا يجمع أخواتها، ويستوي فيه الواحد والجمع، وليس «الذين» جمعه المصحح، بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى، ولذلك جاء بالياء - أبداً - على اللغة الفصيحة التي جاء التنزيل عليها. ولكونه مستطالاً بصلته استحقّ التخفيف، ولذلك بولغ فيه، فحذف ياءه ثم كسرتة، ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين. أو قصد به جنس المستوقدين، أو الفوج الذي استوقد.

وإن لم يجعل مرجعاً لذلك الضمير، فلا حاجة إلى ذلك؛ لأن المقصود تشبيه الحال بالحال، وهما متطابقتان. إلا أن يقصد رعاية المطابقة بين الحالين، في كونهما بالواحد أو^(٢) الجماعة - أيضاً - فإن المماثلة حينئذ أقوى، والتشبيه إلى القبول أقرب.

و«الاستيقاد»: طلب الوقود والسعي في تحصيله، وهو سطوع النار وارتفاع لهبها. واشتقاق «النار» من نار ينور؛ إذا نفر؛ لأن فيها حركة واضطراباً. و«النور» مشتق منها^(٣). فإن الحركة والاضطراب يوجد في النار أولاً وبالذات، وفي نورها ثانياً وبالعرض. فاشتقاق «النور» منها^(٤)، أولى من اشتقاقها^(٥) منه.

١. أ: ولم يخبر.

٢. في ج: و.

٣. في ج: عنها.

٤. في ج: عنها.

٥. هكذا في روج، وهو الصحيح. والنسخ: اشتقاقه.

﴿قَلَمًا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: عطف على الصلة . فيكون التشبيه بحال المستوقد الموصوف بمضمون الشرطية ، أعني : «لَمَّا» مع جوابه .

و«لَمَّا» تدلّ على وقوع الشيء لوقوع غيره ، بمعنى الظرف ، والعامل فيه جوابه .
و«الإضاءة» : فرط الإنارة ، كما أنّ الضوء فرط النور . ومصداق ذلك قوله تعالى :
« هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً »^(١) .

ويناسبه ما اصطلاح عليه^(٢) الحكماء من أنّ الضوء ما يكون للشيء من ذاته كما للشمس ، والنور ما يكون من غيره كما للقمر .
« وأضاء » في الآية :

إمّا متعدّ . فيكون « ما حوله » مفعولاً به ، أي : جعلت النار ما حول المستوقد مضيئاً .
وإمّا لازم . فيكون مسنداً إلى « ما حوله » ، أي : صارت^(٣) الأماكن والأشياء التي حوله مضيئة بالنار ، أو إلى ضمير « النار » .

[و] ^(٤) حينئذ ، إمّا أن يكون كلمة « ما » زائدة و« حوله » ظرفاً لغوأل « أضاءت » .
وإمّا موصولة ، وقعت عبارة عن الأمكنة ، فيكون مع صلتها مفعولاً فيه لـ « أضاءت » .

ويُردّ على الأول : أنّ إضاءة النار حول المستوقد يقتضي دورانها حوله ، وهو^(٥) خلاف المعهود .

وأجيب : بأنّ المراد دوران ضوئها ، لكنه^(٦) جعل دوران الضوء بمنزلة دوران النار إسناداً إلى السبب .

وعلى الثاني ، بأنّه^(٧) كان ينبغي أن يصرح بكلمة « في » ؛ لأنّ حذفها في لفظ مكان

٢ . ليس في ج .

٤ . من ج .

٦ . ر : لكنها .

١ . يونس / ٥ .

٣ . في ج : صارت .

٥ . ليس في أ .

٧ . أوج : أنّه .

إنما كان^(١) لكثرة الاستعمال، ولا كثرة في الموصول الذي عبّر به عن الأمكنة. اللهم إلا أن يحمل على أنه من قبيل: غسل الطريق الثعلب. وعلى هذا التوجيه، يلزم دوران مكان النار، وهو لا يستدعي استيعاب النار جميعه، بل بعضه^(٢).

و«حوله» نُصِبَ على الظرفية.

وتأليف حروفه على هذا الترتيب، للدوران والإطافة.

وقيل^(٣) للعام: حول؛ لأنه يدور.

ومنه حال الشيء واستحال: إذا تغيّر. وحال الانسان: وهي عوارضه التي تتغيّر عليه. والحوالة^(٤): وهي اسم من أحال عليه بدينه.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: جواب «لَمَّا»، كما هو الظاهر.

وفيه مانعان: لفظي ومعنوي:

الأول: توحيد الضمير في «استوقد» و«حوله» وجمعه في «بنورهم».

والثاني: أنّ المستوقد لم يفعل ما يستحقّ به إذهاب نوره، بخلاف المنافق، فجعله جواباً غير مناسب.

والجواب عن الأول: أنّ توحيد الضمير، بالنظر إلى لفظ الموصول وجمعه، بالنظر إلى معناه على أحد الوجوه المذكورة فيما سبق.

وعن الثاني: أنه يمكن أن يكون إذهاب نوره بسبب سماوي، ريح أو مطر، لا بسبب فعل المستوقد. ولذلك أسند إلى الله سبحانه. أو يكون المراد بالمستوقد: مستوقد نار لا يرضى^(٥) بها الله^(٦)، كما أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، فأطفأها الله.

ويحتمل أن يكون جواب «لَمَّا» محذوفاً. وقوله: «ذهب الله» - إلى آخره - استثناءً.

١. ليس في أ.

٢. أ: بقصد.

٣. أنوار التنزيل، ٢٧/١.

٤. ليس في ر.

٥. أ: يوضئها.

٦. في ج: لا يرضاها الله.

والمصحح لهذا الحذف، قرينة المقام، والمرجح المبالغة في سوء حال المستوقد بإيهام^(١) أن الجواب ممّا يقصر العبارة عنه.

وتقدير الاستئناف: أنه لما شُبِّهَتْ حالهم بحال المستوقد الذي خمدت ناره، سأل سائل وقال: ما بالهم قد شُبِّهَتْ حالهم بحال هذا المستوقد؟ فقليل له: ذهب الله بنورهم. وحينئذ يكون ضمير الجماعة للمناققين.

ويحتمل أن يكون بدلاً^(٢) من الجملة التمثيلية وبياناً له، كأنه قيل: كمثل الذي ذهب الله بنورهم. وحينئذ يكون مرجع الضمير «الذي استوقد» على أحد الوجوه التي سبقت.

وإنما قال: «بنورهم»، ولم يقل: «بنارهم» لأنه المقصود من إيقادها. ولم يقل: «بضونهم» كما هو مقتضى اللفظ؛ لأنّ في «الضوء» دلالة على الزيادة. فلو علق الذهاب به لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمّى نوراً. والمقصود إزالة النور عنهم رأساً.

وإنما اختير - أولاً - «أضاءت» على «أنارت»، تنبيهاً على مزيد الحيرة والخيبة، وإشعاراً بالبطلان، لما تقرر في الأذهان من قوة أمر الباطل في بدء الحال واضمحلاله سريعاً في المآل.

وإنما قال: «ذهب الله بنورهم» ولم يقل: «أذهب الله نورهم» - كما قرأ بعضهم - لأنّ معنى «أذهب»: أزاله، وجعله ذاهباً. ويقال: ذهب به: إذا استصحبه.

ومعنى «به»: معه. فإنّ «الباء» وإن كانت للتعدية كالهزمة، إلا أنّ فيها معنى المصاحبة واللصوق. وذهب السلطان بماله: أخذه، فالمعنى: أخذ الله نورهم وأمسكه. وما يمسك^(٣)، فلا مرسل له. وهو أبلغ من الإذهب لما فيه من معنى الأخذ والإمسك.

١. في ج: بإيهام.

٢. أي: «ذهب الله بنورهم» يكون بدلاً، فهناك ثلاثة احتمالات لـ «ذهب الله بنورهم»: إمّا جواب «لما» أو

٣. أ: يمسك.

استئناف أو بدل.

أما الأخذ بظاهر، وأما الإمساك فلما يقتضيه المصاحبة والصلوق.

قال بعض الفضلاء: وعند العارفين، النكتة فيه غير ما ذكر، فإن مجيء الله سبحانه بالنور ليس إلا بتجليه^(١) باسم النور على المتجلي له. فهو عند تجليه بالنور متلبس به، غير منفصل^(٢) عنه. وكذلك ذهابه بالنور ليس إلا متعلقاً دون هذا التجلي، فهو يذهب مكتسباً بالنور لا منفصلاً عنه. فهو المتلبس بالنور في الحالين، بل هو النور في العلم (والعين لا)^(٣) نور سواه.

ثم أكد ذلك، وقرّره بقوله:

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾^(٤): ففيه زيادة على ما يدلّ عليه إذهاب نورهم، من وقوعهم في الظلمة كمّاً وكيفاً. أما كمّاً، فلما (في الظلمات من) الجمعية. وأما كيفاً، فلما فيها من تنوين التعظيم وإردافها بقوله: «لا يبصرون»، فإنه يدلّ على أنها بحيث لا يترأى فيها شبحان.

و«الظلمة»: عدم النور - مطلقاً.

وقيل: عما^(٥) من شأنه ذلك.

وقال بعض المتكلمين: وهي^(٦) عرض ينافي النور.

فعلى الأول، التقابل بينهما، تقابل الإيجاب والسلب.

وعلى الثاني، تقابل العدم والملكة.

وعلى الثالث، (تقابل التضاد)^(٧) وهي مأخوذة من قولهم: ما ظلمك إن تفعل كذا،

أي: ما منعك؛ لأنها تسدّ البصر، وتمنع الرؤية.

وقرئ «في ظلمة» بالتوحيد. وتوحيدها ظاهر.

١. أ: يتجليه.

٢. ر: منفعل.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. أ: ما.

٥. أ: من.

٦. في ج: هي.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

وأما جمعها، فباعتبار انضمام ظلمة الليل إلى ظلمتي الغمام وتطبيقه مثلاً هذا على^(١) تقدير أن يكون ضمير الجماعة، كناية عن المستوقدين، كما هو الظاهر .
وأما إذا كان كناية عن المنافقين، فقيل: «ظلماتهم»، ظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة يوم القيامة. أو ظلمة الضلال، وظلمة سخط الله، وظلمة العقاب السرمدي .
وقيل: المراد بها على التقديرين: ظلمة شديدة، كأنها ظلمات متراكمة^(٢). فيكون الجمعية - أيضاً - لزيادتها في الكيف .

وقوله^(٣): «لا يبصرون» نزل منزلة اللازم. وقطع النظر عن مفعوله المتروك وقصد إلى نفس الفعل؛ كأنه قيل: ليس لهم أبصار. وهو أبلغ من أن يقدر المفعول، أي: لا يبصرون شيئاً؛ لأنَّ الأول يستلزم الثاني، دون العكس .
«ترك» في الأصل بمعنى: خلَّى وطرح. وله مفعول واحد .

وقد يضمن معنى: صبر، فيقتضي مفعولين. فعلى هذا قوله: «في ظلمات» مفعوله الثاني، وقوله: «لا يبصرون» حال من مفعوله الأول .

ويحتمل أن يترك على معناه الأصلي، ويكون «في ظلمات لا يبصرون» حالين مترادفين، أو متداخلين .

وفي آخر روضة الكافي^(٤): بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية، ما مضمونه: أنه أضاءت الأرض بنور محمد عليه السلام كما تضيء الشمس. فلما قبض الله محمداً ظهرت الظلمة، فلم يبصروا فضل أهل بيته عليهم السلام .

وفي عيون الأخبار^(٥): بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «وتركهم في ظلمات لا يبصرون» .

فقال: إنَّ الله تعالى لا يوصف بالترك، كما يوصف خلقه. ولكنهم^(٦) متى علم أنهم

١. أ: على هذا . ٢. انظر: أنوار التنزيل، ٢٨٠/١ .

٣. ليس في أ . ٤. الكافي، ٣٧٩/٨ .

٥. المصدر: لكنه . ٦. المصدر: لكنه .

١. أ: على هذا .

٣. ليس في أ .

٥. عيون الأخبار، ١٢٣/١ .

لا يرجعون عن الكفر والضلالة^(١)، منعهم المعاونة واللفظ، وخلق بينهم وبين اختيارهم.

﴿صَمُّ بَعْثٍ عَمِيٍّ﴾: خبر مبتدأ محذوف.

والضمير المحذوف، إن كان كناية عن المستوقدين، بإطلاق هذه الصفات عليهم على سبيل الحقيقة، والمعنى: أنهم أوقدوا ناراً، ذهب الله بنورهم. وتركهم في ظلمات هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم، فصاروا صماً بكماء عمياً. وإن كان عبارة عن المنافقين، بإطلاقها عليهم على طريقة التشبيه؛ لأنهم لما سدوا آذانهم عن إصغاء الحق، وألستهم عن النطق به، وأبصارهم عن مشاهدة آياته، جعلوا كأنما أيفت^(٢) مشاعرهم وانتفت لا على سبيل الاستعارة^(٣)، إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له، أي: لا يكون مذكوراً على وجه ينبي عن التشبيه. وهو أن يكون بين طرفيه حمل، أو^(٤) ما في معنا. كذا في الكشف^(٥).

قيل: وهنا بحث. وهو أنه لا نزاع في أن تقدير الآية: هم صم. لكن مع ذلك ليس المستعار له مذكوراً هاهنا؛ لأنه أحوال مشاعر المنافقين وحواسهم لا ذواتهم. ففي هذه الصفات استعارة تبعية مصرحة؛ لأنها استعير مصادرها لتلك الأحوال، ثم اشتقت هي منها.

أقول: فعلى هذا: «الصم» جمع الأصم، و«البكم» جمع الأبكم، و«العمي» جمع الأعمى. وقد صرح به بعض أهل اللغة. فحينئذ ما ذكره بعض المفسرين من أن الحمل على سبيل المبالغة في غاية السقوط.

وغاية ما يتكلف عما في الكشف، أن يقال: تشبيه ذوات المنافقين بذوات الأشخاص الصم متفرع على تشبيه حالهم بالصم. لكن القصد إلى إثبات هذا الفرع

٢. أيفت: أصابتها آفة، فهي مؤوفة.

٤. أ: وما.

١. المصدر: الضلال.

٣. وإنما على طريقة التمثيل.

٥. الكشف، ٧٥/١.

أقوى وأبلغ إشارة إلى أنّ المشابهة بين الحالين قويت حتى كأنّها تعدّت إلى الذاتين .
فحمل الآية على هذا التشبيه إنّما هو لرعاية المبالغة في إثبات الآفة^(١)، وإلّا^(٢)
فمقتضى ظاهر الصناعة الحمل على الاستعارة بتبعية المصادر .

و قرئ في الكلّ ، بالنصب على الحال ، من مفعول « تركهم » .

و « الصمم » الانسداد . تقول : قناة صماء : إذا لم تكن مجوّفة . وصممت القارورة : إذا
سدّتها و « الصّمَام » لما تسدّها به . فالأصمّ : من انسدت سامعته ، فلا يدخلها هواء
يسمع الصوت بتموّجه .

و « البكم » الخرس .

و « العمى » عدم البصر عمّا من شأنه أن يبصر . وقد استعير لعدم البصيرة .

﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^(٣) : يقال : رجع عن كذا إلى كذا . فالمعنى : إنّهم لا يرجعون عن
الضلالة التي اشتروها ، إلى الهدى الذي باعوه .

فيندفع ما قاله بعض المفسرين من أنّ المراد به^(٤) : لا يرجعون إلى الهدى ، أو عن
الضلالة .

وليعلم أنّ توضيح تمثيل المنافقين بالمستوقدين الموصوفين بما ذكر وتشبيه
حالهم العجيبة بحالهم ، موقوف على تحقيق طرفي التشبيه ووجه الشبه .

فنقول : أمّا المشبّه به فهو صفة المستوقدين ناراً ، كلّما أضاءت ما حولهم من
الأماكن والأشياء ، أذهب الله^(٥) نورهم عند الإضاءة وأمسكه ، وتركهم في ظلمات
متعددة شديدة أدهشتهم بحيث اختلّت مشاعرهم وقواهم ، فهم لا يقدرّون على
الرجوع إلى ما كانوا عليه من قبل .

وأمّا المشبّه به فهو صفة المنافقين الذين إظهارهم الإيمان باللسان بمنزلة إيقاد النار
العظيمة وانتفاعهم به ، بسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك ؛ كإضائها ما حولهم ،

١ . أ : الآية .

٢ . ليس في ج .

٣ . ليس في أ .

٤ . ليس في أ .

وزوال ذلك الاستنفاع عنهم على القرب بإهلاكهم. أو إفشاء نفاقهم^(١) على النبي ﷺ هو ذهاب نورهم وإلقاءهم في أحيان ظهور النفاق والوعيد بالعذاب السرمذ، أو الوقوع فيه على مراتبه^(٢) تركهم في الظلمات المتعددة الشديدة وعدم استعمالهم قواهم فيما خلقت له بمنزلة إخلالها، ورسوخهم وتمكنهم فيما أوقعهم فيه بما يخالف فطرتهم؛ كعدم القدرة من المستوقدين على الرجوع إلى ما كانوا عليه.

وأما وجه الشبه، فإن اعتبرته بين مفردين من مفردات طرفي التشبيه - كما سبقت الإشارة إليه - فذلك من قبيل التشبيه المفرد، وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها؛ كقوله:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعَنَابُ وَالْخَشَفُ الْبَالِي^(٣)
 وإن اعتبرته بأن تنزع من مفردات أحد الطرفين هيئة اجتماعية وحادانية^(٤) وشبهتها بهيئة انتزعتها من مفردات الطرف الآخر - من غير ملاحظة تفاصيل مفردات الطرفين ومشابهاة بعضها مع بعض - فذلك من قبيل التشبيه المركب المسمى عند أرباب البيان بالتمثيل. وهو الذي يهتم به أرباب البلاغة.

وكل كلام يحتملها فذكرهم الأول احتمال لفظي، ولا مساغ للذهاب إلّا إلى الثاني. وذلك لأنّه يحصل في النفس من تشبيه الهيئة المركبة ما لا يحصل من تشبيه مفرداتها. ولعبد القاهر^(٥) كلام مشهور، في أنّ اعتبار التركيب في قول الشاعر:

وَكأنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دَررُ نَثْرِن^(٦) عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقٍ
 أحقّ وأولى، وإن صحّ التشبيه بين مفرداته.

(وفي روضة الكافي^(٧): محمد بن يعقوب الكليني، قال: حدثني علي بن إبراهيم،

١. أ: نقاتهم. ٢. في ج: مراتبة.

٣. أنوار التنزيل، ٣١/١. ٤. في ج: وحادانية.

٥. انظر أسرار البلاغة، ١٦٩. ٦. النسخ: نثرن.

٧. الكافي، ٤٠٦/٨.

عن أبيه، عن ابن فضال، عن حفص المؤذن، عن أبي عبد الله عليه السلام. وعن محمد بن اسماعيل بن زريع، عن محمد بن سنان، عن اسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في رسالة طويلة إلى أصحابه: فَإِنَّ ذَلِكَ ^(١) اللسان فيما يكره الله وفيما نهى ^(٢) عنه مرداة للعبد عند الله، ومقت من الله، وصم وعمي وبكم يورثه الله إياه يوم القيامة. فتصيرا ^(٣) كما قال الله: «صم بكم عمي فهم لا يرجعون»، يعني: لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون ^(٤).

قال بعض الفضلاء: تأويل الآية ببعض بطونها، أن يقال: مثل المتوسمين بالإيمان الرسمي كمثل المستوقدين الذين سبق ذكرهم، حيث تنوّرت بواطنهم بارتكاب بعض العبادات في بعض الأوقات، فتنّبها ^(٥) لما في أنفسهم من النقائص ^(٦) والكمالات، ولم ينفذ فيهم ذلك النور بحيث يتعدّى من معرفة أنفسهم إلى معرفة ربهم، بل تنقص ببعض الغفلات فبقوا متروكين في ظلمات حجب أنبيائهم ^(٧)، لا يبصرون ما في الآفاق وما في أنفسهم من لوائح الوحداية. فهم صمّ عن سماع ما ينطق به دلالتها، بكم لا يسألونه بلسان استعدادهم، عمي لا يروونه بصير بصيرتهم. فهم لا يرجعون عما هم فيه من أسباب الشقاوة، إلى ما فاتهم من موجبات السعادة.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: ثُمَّ نَتَى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر، ليكون تحقيقاً لحالهم بعد كشف، وإيضاحاً غب ^(٨) إيضاح.

وكما يجب على البليغ في مظان ^(٩) الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع، أن يفصل ويشيع.

١. في المصدر وج: ذلق. وهو من قولهم: لسان ذلق؛ أي: فصيح بليغ ذرب. وفي نورالثقلين ج ١، ح ٢٧ ص ٣٧: «ذلق» بدل ذلق. وما في المصدر وج هو الأظهر.

٢. المصدر: ينهي.

٣. المصدر: فيصيرا.

٤. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. أ: فتسبها.

٦. أ: القايض.

٧. أ: نياتهم.

٨. غب، بمعنى: تغدّ.

٩. المظان: المراجع التي يشدّ فيها الباحث طليته.

وهو عطف على قوله: «كمثل الذي استوقد»، أي: مثلهم كمثل الذي استوقد. أو كمثل ذوي صيب.

وإنما قدّر كذلك، لتعيين مرجع الضمائر الآتية وتحصيل كمال الملائمة مع المعطوف عليه ومع المشبه - أيضاً - أعني^(١): مثلهم.

وأما نفس التشبيه فلا يقتضي تقدير شيء، إذ لا يلزم في التشبيه المركّب أن يكون ما يلي الكاف هو المشبه به؛ كما في قوله تعالى: «إنما مثل الحياة الدنيا، كماء»^(٢). ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله: «وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات»^(٣).

و«أو» موضوعه في أصلها للتساوي، ولذلك اشتهرت بأنها كلمة شك، فتكون مخصوصة بالخبر. ثم استعيرت للتساوي في غير الشك، فاستعمل في غير الخبر بالمعنى: المجازي فقط؛ كالتساوي في استصواب المجالسة في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين. وفي الخبر بكلا المعنيين، أعني: الحقيقي الذي هو الشك، والمجازي كالتساوي في الاستقلال بوجه التمثيل كما في هذه الآية. فيستفاد صحة التشبيه بكل واحد^(٤) من هاتين القصّتين صريحاً وبهما معاً بالطريق الأولى. وهذا بناء على تبادر معنى الشك منه. وهو المفهوم من الكشف^(٥).

والمفهوم من المفصل^(٦)، أن كلمة «أو» لأحد الأمرين. ولا شك أن هذا معنى يعمّ مواردنا من الإنشاء والإخبار كلها. وأما الشك والتشكيك والإبهام والتخيير والإباحة فليس شيء منها داخلاً في مفهومها، بل يستفاد من مواقعها في الكلام.

«والصيب» فيعمل، من الصوب. وهو فرط الانسكاب والوقوع. يقال على المطر وعلى السحاب. والآية يحتملها.

١. أ: أي.

٢. يونس / ٢٤.

٣. فاطر / ١٩ - ٢٢.

٤. في ج: واحدة.

٥. الكشف ج ١، ضمن ص ٧٨ - ٨٢.

٦. المفصل في النحو: ١٦٦.

وتنكيره؛ لأنه أريد به نوع شديد هائل.

وقرئ «كصائب»، والأول أبلغ.

و«السماء» هو المظلة. أو جهة العلو. وتعريفها للجنس، للدلالة على أَنَّ الصَّيْب منطق أخذ بأفاق السماء كلها. فإنَّ كل أفق ككل طبقة منها، يسمَّى سماء. فتعريف الجنس من غير قرينة البعضية يدلُّ على أَنَّهُ منطق^(١) أخذ بكلها، لا يختص بسماء دون سماء.

وفي الدلالة على التطبيق إمداد لسائر المبالغات التي في الصَّيْب، من جهة مادته الأولى، أي: الحروف، فإنَّ «الصاد» من المستعلية، و«الياء»، مشددة، و«الباء» من الشديده. ومادته الثانية: أي: الصوب، فإنَّه فرط الانسكاب كما مرَّ.

ومن جهة البناء، أعني: الصورة، فإنَّ «فيعلا» صفة مشبهة دالة على الثبوت. ومن جهة التنكير العارض؛ لأنه للتحويل والتعظيم، كتنكير النار في الآية الأولى.

وإذا أريد «بالصَّيْب» المطر، فيحتمل أن يراد «بالسماء» السحاب. ويجعل اللام لاستغراق جميع ما يمكن أن يظل قطعة من وجه الأرض، فإنَّه يصلح أن يطلق عليه اسم السحاب.

وإن أريد «بالصَّيْب» السحاب، وبالسماء - أيضاً - فالمعنى: هذا النوع من السحاب، وليس فيه كثير فائدة.

والتمثيل الثاني أبلغ؛ لأنه أدلُّ على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته. ولذلك أُخِر. وهم يتدرَّجون في نحو هذا، من الأهون إلى الأغلظ.

﴿فَبِهِ ظُلُمَاتٌ﴾: بضم الفاء والعين.

وقرئ بفتح اللام وسكوته. جمع ظلمة، بضم الفاء وسكون العين، فاعل الظرف لاعتماده على الموصوف.

١. في ج: مطبق.

ومن المتفق عليه بينهم، أنَّ الظرف إذا اعتمد على موصوف أو موصول أو حرف استفهام أو حرف نفي، فإنه يجوز أن يرفع الظاهر بخلاف ما إذا لم يعتمد، فإنه لا يجوز إعماله عند سيبويه.

ويجوز في جميع ذلك، أنَّ الظرف خبر متقدم على مبتدئه. فعلى هذا يظهر فساد ما قاله البيضاوي^(١) من أنَّ ارتفاعها بالظرف وفاقاً.

وإن أريد بالصيب المطر، فظلماته: ظلمة^(٢) تكاثفه وتتابع قطراته، لأنَّ تقارب القطرات ومتابعتها يقتضي قلة الهواء المتخلل المنير، وظلمة أظلام غمامه، وظلمة الليل المستفادة من قوله: «كلما أضاء لهم». والمراد بها ما يتوزع على الأجرام من ظلمته، لاظلمته كلها، حتى يرد أنَّ المطر في ظلمة، لاظلمة الليل فيه. ولا شك أنَّ نسبة الظلمة المتوزعة عليه كنسبة العرض إلى موضوعه والصفة إلى موصوفها، فيصح انتسابها^(٣) إليه.

وإن أريد به السحاب، فظلماته: ظلمة سحيمته^(٤)، أي: سواده المسبب عن تراكمه وكثرة مائه، وظلمة تطبيقه وإحاطته بجميع الآفاق، وظلمة الليل.

وعلى ما حققناه يندفع ما قاله بعض المفسرين من أنَّ الظرفية هنا باعتبار الملابس؛ لأنه يكون بناء عليه انتساب الظرف إلى مظهره بقي جائزاً، وهو غير جائز.

﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾: «الرعد» من الرعدة - بالكسر - وهو صوت يسمع من السحاب. وسببها - على المشهور - اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا ساقتها الرياح.

«والبرق» الأحسن فيه أن يكون معطوفاً على «رعد»، ويكون المجموع معطوفاً على «الظلمات» بعاطف واحد، من برق الشيء بريقاً: إذا لمع. وهو ما يلزم من السحاب بواسطة اصطكاكها.

١. أنوار التنزيل، ٢٩/١.

٢. أ: ظلمات.

٣. في ج: بانتسابها.

٤. أ: سحنه. المتن: سحيمته.

وقيل ^(١): «الرعد» ملك موكل بالسحاب، يستبح.

وقيل ^(٢): صوت ملك يزجر السحاب.

وقيل ^(٣): هو ريح تحتبس تحت السماء.

(وفي مجمع البيان ^(٤)): وقيل: «الرعد» هو ملك موكل بالسحاب، يستبح. وهو ^(٥)

المروي عن أئمتنا عليهم السلام.

وفي من لا يحضره الفقيه ^(٦): وقال علي عليه السلام ^(٧): «الرعد» صوت الملك. و«البرق»

سوطه.

وروي ^(٨): أن الرعد صوت ملك أكبر من الذباب، وأصغر من الزنبور.

وسأل أبو بصير ^(٩) أبا عبد الله عليه السلام عن الرعد، أي شيء يقول؟

قال: إنه بمنزلة الرجل يكون في الإبل، فيزجرها: هاي هاي، كهينة ذلك.

قال: قلت: جعلت فداك! فما حال البرق؟

قال ^(١٠): تلك مخاريق الملائكة تضرب ^(١١) السحاب. فتسوقه إلى الموضع الذي

قضى الله تعالى فيه المطر ^(١٢).

ولم يجمعا ^(١٣) كالظلمات، لمصدر يتهما في الأصل.

ويحتمل أن يكون المراد بهما معنيهما المصدرين ^(١٤) - أيضاً - أعني: الإرعاد

١. مجمع البيان، ٥٧/١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. المصدر: روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو

٦. من لا يحضره الفقيه، ٥٢٦.

٧. ليس في المصدر. والحديث الذي قبله عن أبي عبد الله عليه السلام.

٨. نفس المصدر، ٥٢٦.

٩. نفس المصدر، ٥٢٥.

١٠. المصدر: فقال.

١١. ر، المتن وج: لضرب. وفي المصدر: تضرب.

١٢. ما بين القوسين ليس في أ.

١٣. أي: الرعد والبرق.

١٤. أ: المصدرية. وج المصدرين.

والإبراق، ولأنّهما ليسا أنواعاً مختلفة بالنظر إلى أسبابهما^(١) كالظلمة.

وكينونتتهما في السحاب ظاهرة، وأمّا في المطر فلاّنتهما لمّا كانا في محلّ يتصل به أعلاه ومصّبّه - أعني: السحاب - جعلاً كأنّهما فيه، أو لأنّ المطر كما ينزل من أسفل السحاب، ينزل من أعلاه - أيضاً - فهو شامل للفضاء^(٢) الذي فيه السحاب، فهما في جزء من المطر يتصل بالسحاب.

وإنّما جاءت الأشياء نكرة؛ لأنّ المراد أنواع منها. كأنّه قيل: فيه ظلمات داجية^(٣)، ورعد قاصف^(٤)، وبرق خاطف.

والأصل في كلمة «في» أن تستعمل^(٥) في ظرفية^(٦) الأجسام للأجسام. ثمّ اتسع فيها، فاستعمل في ظرفية الزمان للأحداث، ولمحليّة المعروضات لأعراضها، والموصوفات لصفاتهما إلى غير ذلك.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: الضمانر ترجع إلى أصحاب «الصيّب». ولفظ «الأصحاب» وإن حُذف وأقيم «الصيّب» مقامه، لكن معناه باق، فيجوز أن يعول عليه. وهو استئناف لا محل له من الإعراب. فكأنّه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول، قيل: فكيف حالهم مع ذلك؟ فأجيب: بأنهم يجعلون أصابعهم في آذانهم^(٧).

فإن قلت: الجواب - حينئذ - لا يكون مطابقاً للسؤال. فإنّه بيّن - حينئذ - حالهم مع الصواعق دون الرعد.

قلت: لمّا كانت الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار، كان الجواب مطابقاً؛ كأنّه قيل: يجعلون أصابعهم في آذانهم من شدة صوت الرعد، وانقضاء قطعة نار معها.

٢. أ: للفضاء.

٤. أ: فاصف.

٦. أ: ظرفيه.

١. في غير أوج: أسبابها.

٣. أوج: واجبة، المتن: داجية.

٥. أ: يستعمل.

٧. أنوار التنزيل، ٢٩/١.

ويحتمل أن يكون حالاً من المضاف إلى الصيْب المحذوف^(١).

«وجعل» جاء متعدياً إلى مفعولين، نحو: جعلت الطين خزفاً، أي: صيرت. وإلى مفعول واحد، كقوله: «وجعل الظلمات والنور»^(٢)، أي: صنع. وبمعنى التسمية، كقوله: «وجعلوا لله أنداداً»^(٣)، أي: سمّوا له. وبمعنى أفعال المقاربة، نحو، جعل زيد يفعل. واليد تتجزأ^(٤) إلى الأنملة والإصبع والكف والساعد والعضد. والمتعين منها لسد الآذان أنملة السبابة. بإطلاق الأصابع موضع الأنامل - بل بعضها - من اتساعات اللغة. والنكتة المبالغة التي ليس في ذكر الأنامل وبعضها، وهي أنهم لشدة الأمر عليهم وخوفهم من تقصيف الرعد يجعلون أصابعهم بالكلية في آذانهم لئلا يسمعه أصلاً، أو لفرط دهشتهم وحيرتهم يفعلون ذلك ولا يدرون ما يفعلون.

وعدم تخصيص ما هو متعين لسد الآذان من الأصابع - أعني السبابة - للإشارة إلى أنه لم يبق لهم من فرط الدهشة والحيرة قوة التمييز^(٥) بينها^(٦). أو لما في السبابة من معنى السب. ولذلك استكروهوا، فكنوا عنها بالمسبحة والسبّاحة وغيرهما طوى ذكرها، إذ لم يكن لها اسم وراءها يتعارفه الناس في ذلك العهد.

﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾: متعلق بـ «يجعلون».

ولفظه «من» في أمثال ذلك ابتدائية على سبيل العلية. فيقال: قعد من الجبن. وقد يكون ما بعدها غرضاً مطلوباً ممّا وقع قبله إذا صرّح بما يدلّ على ذلك، كقولك: ضربت من أجل التأديب. بخلاف «اللام» فإنّها وحدها يستعمل في كل منهما. ويشاركهما في التعليل «في»، كما في قوله ﷺ: إِنْ امرأة دخلت النار في هرة ربطتها، ولم تدعها حتى تأكل من حشاش^(٧) الأرض.

١. أي: وجملة «يجعلون... الخ» يحتمل أن تكون حالاً من المضاف إلى الصيْب المحذوف، أي: أصحاب

الصيْب. ٢. الأنعام / ١.

٣. إبراهيم / ٣٠.

٤. أ: تنحري.

٥. أوج: بينهما.

٦. أ: حشاش.

٧. في ج: التميز.

و«الصواعق» جمع الصاعقة. وهي قصفة رعد، أي: شدة صوت منه ينقض معها شقة، أي: قطعة من نار. وهي في الأصل إما صفة لقصفة^(١) الرعد والتاء للتأنيث، أو للرعد والتاء للمبالغة، كما في الراوية، أو مصدر كالعافية والكاذبة.

وقرئ «من الصواعق»، وليس بقلب من الصواعق؛ لأنَّ كلاً من البنائين سواء في التصرف يبني على كل منها كثير من الأمثلة. تقول: صقع الديك: إذا صاح. وسقعه^(٢) على رأسه، وصقع رأسه، أي: ضرب صوقعته؛ وهي موضع البياض في وسط الرأس. وخطيب مصقع، أي: مجهر - بكسر الميم - وهو الذي من عادته أن يجهر بكلامه. أقول: الصاعقة والصاعقة، إذا كانتا اسمي صفتين فجمعهما على الفواعل^(٣) مطرد. وأما إذا كانتا مصدرين، فلا. لكن ذلك شيء ذكره صاحب الكشف والبيضاوي.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: وقرأ ابن أبي ليلى: «حذار الموت».

فقد جاء حذر، يحذر، حذار^(٤) وحذاراً، منصوب على أنه مفعول له لـ «يجعلون». فهو علة للجعل المعلن، أي: جعلهم أصابعهم في آذانهم^(٥) لأجل الصواعق، واقع لأجل الحذر من الموت المتوهم لشدة الصوت.

و«الموت» عدم الحياة عما من شأنه ذلك. فالتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة.

وقيل: عرض يمنع الاحساس، يعرض عقيب الحياة، أي: لا يجمعها، فيكون التقابل بينهما تقابل التضاد. واستدل عليه بقوله تعالى: «خلق الموت والحياة»^(٦)، فإنَّ الخلق والإيجاد لا يتعلق إلا بالأمر الوجودية.

وأجيب: بأنَّ المقصود من الخلق التقدير، ولو سلم فالعدم يمكن أن يخلق باعتبار استمراره. ولو سلم فالذي لا يخلق هو العدم، بمعنى السلب، والموت ليس كذلك كما مرَّ.

٢. في ج: وصقعه.

٤. في ج: حذاراً.

٦. الملك ٢/.

١. أ: لقصفة.

٣. أ: القوابل.

٥. انظر تفسير البحر المحيط، ٨٧/١.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(١): آمال أبو عمرو الكاف من «الكافرين» في موضع الخفض والنصب. وروي ذلك عن الكسائي. والباقون لا يميلون. ووجه حسنه لزوم كسرة الراء التي تجري مجرى الكسرتين، بعد الفاء المكسورة. وتلك اعتراضية، لا محل لها من الإعراب^(٢). وفائدتها، أَنَّ المحذر عن الموت لا يفيد. ووضع «الكافرين» موضع المضمر، للدلالة على أَنَّ أصحاب الصيِّب كفار، ليظهر استحقاقهم شدة الأمر.

وقيل: هذه المعترضة لبيان أحوال المشبه، على أَنَّ المراد «بالكافرين»: المنافقون، دلَّ بها على أَنهم لا مدفع لهم من^(٣) عذاب الله في الدنيا والآخرة. ووسطت بين أحوال المشبه به، مع أَنَّ القياس يقتضي تقديمها أو تأخيرها، تنبيهاً على شدة الاتصال بين المشبه والمشبه به، ودلالة على فرط الاهتمام بشأن المشبه.

وإحاطة الله مجاز. فإن شبه^(٤) شمول قدرته تعالى بإحاطة المحيط (بما أحاط به في امتناع فوات^(٥))، كان هناك استعارة تبعية في الصفة سارية إليها من مصدرها. وإن شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط^(٦) مع المحاط - أي: شبه^(٧) هيئة منتزعة من عدة أمور بأخرى مثلها - كان هناك استعارة تمثيلية^(٨) لا تصرف في^(٩) شيء من ألفاظ مفرداتها. إلَّا أَنه لم يصرح منها إلَّا بلفظ ما هو العمدة في الهيئة المشبه بها - أعني: الإحاطة - والبواقي من الألفاظ منوية^(١٠) في الإرادة.

وإحاطة الله سبحانه، عند الصوفية بالكافرين، بل بالموجودات كلها، عبارة عن تجلّيه بصور الموجودات. فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات

١. أي: وجملة «والله محيط بالكافرين» اعتراضية.... الخ.

٢. ر: عن.

٣. في ج: مشبه.

٤. في ج: الفوات.

٥. ليس في أ.

٦. في ج: شبهه.

٧. أ: تبعية تمثيلية.

٨. ليس في أ.

٩. في ج: معنوية.

كلّهما ذاتاً وعلماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات. والمراد بإحاطته تعالى، هذه السراية، أنّه لا يعزب^(١) عنه مثقال^(٢) ذرة في السماوات والأرض، إذ كل ما يعزب^(٣) عنه يلتحق بالعدم.

وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف، ولا كإحاطة الكل بأجزائه، ولا كإحاطة الكلي بجزئياته، بل كإحاطة الملزوم بلوازمه. فإنّ التعيّنات اللاحقة لذاته المطلقة إنّما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة. وبشرط أو بغير شرط. ولا يقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم، ولا تنافيها.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطُفُ أَبْصَارَهُمْ﴾: استئناف ثان، كأنّه قيل: ما حالهم مع تلك الصواعق؟ فأجيب^(٤).

و«يكاد» مضارع كاد. وهو من كدت، تكاد، كيداً ومكادة. وحكى الأصمعي: كوداً. فيكون كخفت، تخاف، خوفاً. والأول أشهر.

و«كاد» من أفعال المقاربة، وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه، لكنه لم يوجد إمّا لفقد شرط أو لعروض مانع. والشرط في خبره أن يكون فعلاً مضارعاً بدون «ان»، وقد يكون معها بخلاف «عسى» فإنّه لرجائه وقد يدخل على خبرها «ان».

وقرئ «يَخْطِفُ» بكسر الطاء، «يَخْتَفِ» و«يَخْطِفُ» بفتح الباء والخاء، وأصله يختطف، نقلت حركة التاء إلى الخاء، ثمّ أدغمت في الطاء. و«يَخْطِفُ» بكسرهما بحذف حركة التاء^(٥) للإدغام، وبتحريك الخاء بالكسر إمّا لالتقاء الساكنين، وإمّا لمتابعة الطاء، ويجعل حرف المضارعة تابعاً للخاء.

و«يَخْطِفُ» مضارع خطف، من باب التفعيل. و«يَخْطُفُ» مضارع تخطف، من باب التفعّل.

٢. ليس في أ.

١. ر: يغرب.

٤. انظر أنوار التنزيل، ٣٠/١.

٣. ر: يغرب.

٥. في ج: الطاء.

«كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا»: استئناف ثالث. جواب لمن

يقول: كيف يصنعون عند خفوق^(١) البرق وخفيه^(٢)؟(٣)

وكلمة «كل» في «كلما» منصوب على الظرفية باتفاق. وناصبها الفعل الذي هو

جوابها - أعني: «مشوا» - وإفادتها الظرفية من جهة «ما»، فإنها^(٤) محتملة لوجهين:

أحدهما: أن يكون حرفاً مصدرياً، والجملة صلة له، فلا محلّ لها. فالأصل: كل وقت أضاءته. ثم عبّر عن المصدر «بما» والفعل، ثم أنيبا^(٥) عن الزمان بتقدير «الوقت».

والثاني: أن يكون اسماً نكرة، بمعنى: وقت. فلا يحتاج على هذا إلى تقدير

«وقت»، والجملة بعده في موضع خفض على الصفة، فيحتاج إلى تقدير عائد فيها^(٦).

أي: كل وقت أضاء لهم البرق فيه. هكذا قيل.

وأقول: «ما» المصدرية قسمان: مصدرية صرفة ومصدرية ظرفية. وكلمة «ما»

المركبة مع «كل» مصدرية ظرفية. فعلى هذا لا حاجة إلى تقدير، ولا إلى حذف عائد.

و«أضاء» إما متعّد والمفعول محذوف. والتقدير: كلما أضاء طريقاً لهم مشوا فيه.

وضمير «فيه» حينئذ، إما عائد إلى المفعول المحذوف - وإليه ذهب المبرّد - أو إلى

«البرق» - وعليه الجمهور -.

وإما لازم، بمعنى: كلما لمع لهم مشوا فيه. ويتعين عود الضمير إليه. وإذا عاد

الضمير إلى «البرق» - على التقديرين - فلا بدّ في الظرفية من^(٧) تقدير مضاف، أي: في

ضوئه.

١. أ: خطوف.

٢. أ: خفية. وج: وخفيفه. والصحيح: خفيفة؛ أي: استتاره.

٣. أنوار التنزيل، ٣٠/١. ٤. أ: فاتها.

٥. أ: أبينا. ٦. أ: منها.

٧. أ: فلا بد من في الظرفية تقدير مضاف.

وكذلك «أظلم» إما لازم أو متعديّ من ظلم الليل - بالكسر - ويؤيده قراءة: «أظلم» على البناء للمفعول.

ورّد باحتمال أن يكون «عليهم» قائماً مقام الفاعل. فيكون تعديّة «أظلم» بـ «على»، لا بنفسه.

وأجيب بأنّ (عليهم)^(١) أن يقابل «لهم»، في «أضاء لهم»، فإن جعلاً مستقرين، لم يصلح «عليهم» لأن يقوم مقام الفاعل. وإن جعلاً صلتين للفعل، على تضمين معنى النفع والضرر^(٢)، لم يصلح «عليهم» لأن يقوم مقام فاعل المضمن ولا المضمن فيه. وعلى تقدير صلوحه، فعطف «إذا أظلم» على «كلما أضاء» مع كونها جواباً للسؤال عما يضعون^(٣) في تارتي خفوق^(٤) البرق. وخفيته^(٥) يقتضي أن يكون «أظلم» مسند إلى ضمير «البرق»؛ كأضاء، على معنى: كلما نفعهم البرق بإضاءته^(٦) افترضوه، وإذا ضرهم بإضلامه واختفائه دهشوا.

وقد يجاب - أيضاً - بأنّ بناء الفعل للمفعول من المتعدي بنفسه أكثر، فالحمل عليه أولى وأنسب. وإنما قال في الإضاءة: «كلما»، وفي الإظلام: «إذا»؛ لأنهم حرّاص على المشي. فكلمًا صادفوا منه^(٨) فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقف.

ومعنى «قاموا»: وقفوا. بدليل وقوعه في مقابلة «مشوا»، ومنه: قام الماء جمداً. وقام السوق: إذا كسد وسكن^(٩). وقد مرّ استعماله بمعنى نفق: مأخوذاً من القيام، بمعنى الانتصاب. فهو من الأضداد.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾: معطوفة إمّا على الجملة الاستثنائية

١. ليس في ج. ٢. أ: الضرر.

٣. كذا في ج وهو الصحيح. وفي النسخ «ولم». ٤. ر: يصنعون.

٥. أ: حقوق. ٦. أ: خفية.

٧. أوج: بإضاءة. ٨. ليس في أ.

٩. في أنوار التنزيل ٣٠/١: إذا جمده وقامت السوق: إذا ركدت.

- أعني: «يجعلون» - وإِما على^(١) جملة «كلما أضاء لهم مشوا فيه».

وكلمة «لو» عند المحققين، يدل^(٢) على ثلاثة أمور: عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها، وكونهما في الماضي وانتفاء السبب. ولا دلالة لها على امتناع الجواب. ولكنه إن كان مساوياً للشرط في الواقع، أو عند المتكلم - كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة، لكان النهار موجوداً. وقولك: لو جئتني، لأكرمك - لزم انتفاؤه. وإن كان أعمّ - كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة، لكان الضوء موجوداً - فلا.

وإنما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط، يعني: الضوء المستفاد من الطلوع في المثال المذكور مثلاً. ثم إنه يحتمل أن يكون المقصود هنا بيان^(٣) مسببية^(٤) ذهاب سمعهم وبصرهم لمشية الحق سبحانه، كما هو شأن الحوادث كلها، لا الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر. فلذلك قال بعضهم: «لو» هنا مستعمل لربط جزائنها بشرطها، مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر، فهو بمنزلة «إن».

وقد يقال: أنها باقية على أصلها، وقصد بها التنبيه على أن مشقتهم بسبب الرعد والبرق وصلت غايتها وقاربت إزالة الحواس، بحيث لو تعلّقت بها المشية لأزالت بلا حاجة إلى زيادة في وصف الرعد وضوء البرق، كما ذكر أولاً.

والنكتة في اختيار «ذهب بسمعهم وأبصارهم» على «أذهب سمعهم وأبصارهم» قد مرّ بيانها في «ذهب الله بنورهم».

والمعنى: لو شاء الله أن يذهب بسمعهم بشدة صوت الرعد، وأبصارهم بقوة لمعان البرق لذهب بهما. فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه. ولهذا تكاثر حذف المفعول في «شاء» و«أراد» ومتصرّفاتهما إذا وقعتا في حيز^(٥) الشرط، لدلالة الجواب على ذلك المحذوف ومع^(٦) وقوعه في محله لفظاً، ولأنّ في ذلك نوعاً من التفسير بعد

٢. أ، المتن: بدل.

١. ليس في أ.

٤. أ: مسببة.

٣. ليس في أ.

٦. كذا في ج وهو الأظهر. وفي النسخ: ومع.

٥. أ: خبر.

الإيهام. إلا في الشيء المستغرب فإنه لا يكتفي فيه بدلالة الجواب عليه، بل يصرح به إغناء بتعيينه ودفعاً لذهاب الوهم إلى غيره، بناء على استبعاد تعلق الفعل به واستغرابه، كقوله:

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتَه عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
وقرئ: «لأذهب بسمعهم وأبصارهم»، بزيادة الباء، كقوله تعالى^(١): «ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة»^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣): تقرير لما قبلها.
و«الشيء» يختص بالموجود في الأصل^(٤). مصدر شاء، أطلق بمعنى شاء^(٥) تارة،
وحينئذ يتناول الباري، كما قال: «أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد»^(٦). وبمعنى
مشيء أخرى^(٧)، أي: شيء وجوده. وما شاء الله وجوده، فهو موجود في الجملة.
قال المعتزلة: الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه^(٨).
وقيل: والشبهة^(٩) على قسمين: ثبوتية (وهي ثبوت)^(١٠) المعلومات في علم الله
تعالى، متميزاً بعضها عن بعض.

وهي^(١١) على ثلاثة أقسام.

أحدها: ما يجب وجوده في العين، كذات الواجب.

وثانيها: ما يمكن بروزه من العلم إلى العين، وهو الممكنات.

وثالثها: ما لا يمكن، وهو الممتنعات.

والثبوتية في الأول والثالث باعتبار الوجود العلمي، وفي الثاني باعتباره.

١. البقرة / ١٩٥.

٢. أنوار التنزيل، ٣٠/١.

٣. في أنوار التنزيل: لأنه في الأصل. وهو الأظهر.

٤. الأنعام / ٩.

٥. أي: بمعنى اسم فاعل.

٦. أنوار التنزيل، ٣٠/١.

٧. أي: بمعنى اسم مفعول أخرى.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

٩. ر: الشبهة.

١٠. أ: وهو.

وباعتبار الثبوت العيني - أيضاً - فإنهم قَسَمُوا الكون في الخارج إلى ما يترتب عليه الآثار الخارجية، وسمّوه وجوداً عينياً، وما لا يترتب عليه الآثار الخارجية سمّوه ثبوتاً خارجياً.

ومتعلق قدرة الله من تلك الأقسام هو الثاني، دون الأول والثالث. ومشية وجودها هي وجودها خارج العلم. والموجودات الخارجية من حيث تعلّق القدرة بإخراجها من العلم إلى العين لا يتعلّق بها قدرة أخرى، لاستحالة تحصيل الحاصل. فإن تعلّقت قدرة بها، فباعتبار إعدامها. فذات الواجب تعالى وصفاته والممتنعات والموجودات الممكنة، من حيث أنها تعلّقت القدرة بها، مستثناة - عقلاً - من الحكم على الله تعالى بأنّه على كل شيء قدير.

و«القدرة» في اللغة: التمكن.

وقدرة الله^(١) عند الحكيم، بمعنى: إنّه إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل. لكن شاء، ففعل بالمشية القديمة. وحاصله إمكان الفعل والترك بالنظر إلى الذات، ووجوب الفعل وامتناع الترك بالنظر إلى الإرادة.

وعند الأشاعرة: صفة يقتضي التمكن.

وقيل^(٢): قدرة الانسان هيئة بها يتمكّن من الفعل. وقدرة الله نفى العجز عنه. والقدير: الفعّال لما يشاء. ولذلك قلّما يوصف به غير الباري تعالى. وإنما سُمّي القدير قديراً؛ لأنّه يوقع الفعل على مقدار قوّته، أو على مقدار ما يقتضيه مشيئته، أو على مقدار علمه.

وعلى ما حقّقنا في الآية دليل على أنّ الحادث حال حدوثه، والممكن حال بقائه، مقدوران. وأنّ مقدور العبد مقدور الله؛ لأنّه شيء، وكلّ شيء مقدور. وهذا التمثيل كالتمثيل الأول، يحتمل أن يكون من قبيل تشبيه المفرد، وأن يكون من قبيل تشبيه

١. في ج: العقل.

٢. أنوار التنزيل، ٣١/١.

المركب. فشبهه على الأول ذوات المنافقين بأصحاب الصيب في اشتغال كل منهما على أمر كثير النفع، وشبهه إسلام المنافقين من حيث مطلق الأقسام لا من حيث أنه مضاف إليهم بالصيب، في أن كل واحد منهما سبب للحياة.

فالأول سبب لحياة القلوب. والثاني سبب لحياة الأرض.

وشبهت شبههم التي يتمسكون بها في الاستمرار على كفرهم ونفاقهم بالظلمات، ووعدهم^(١) في الظاهر على إسلامهم بالرعد فإنه صياح بلا طائل، ووعدهم في نفس الأمر بالبرق فإنه نار محرقة، وما يصيبهم من الأفزع والبلايا من جهة المسلمين بالصواعق، وإظهارهم الإيمان حذراً عن إصابة هذه المصيبات بجعل^(٢) الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت، واحتيازهم لما يلحق لهم وشديد ركونهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم، وتحيرهم وتوقفهم من الأمر حين يعن لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم.

وشبهه على الثاني، ما وقع المنافقون فيه من الضلالة، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة، بحال من أخذتهم السماء في ليلة تكاثف ظلمتها بتراكم السحب واتصال قطراتها، وتواتر فيها الرعود الهائلة والبروق المخفية والصواعق المهلكة، وهم في أثناء ذلك يزاولون غمرات الموت.

ولا شك أنك إذا تصوّرت حالهم بهذه المثابة، حصل في نفسك هيئة عجيبة توصلك إلى معرفة حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيهك إسلام المنافقين والشبهات.

(وفي كتاب التوحيد^(٣): بإسناده إلى أبي هاشم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: قولك إن الله قدير، خبرت أنه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه.

٢. أ: يجعل.

١. ر: ووعدهم.

٣. التوحيد، ١٩٣.

وبإسناده^(١) إلى أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله سبحانه والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور. فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور.

وبإسناده^(٢) إلى محمد بن أبي إسحاق الخفاف، قال: حدثني عدة من أصحابنا: أن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم، فقال له: ألك رب؟

فقال: بلى.

قال: قادر؟

قال: نعم، قادر قاهر.

قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة، لا تكبر البيضة ولا تصغر^(٣) الدنيا؟

فقال هشام: النظر.

فقال له: قد أنظرتك حولاً.

ثم خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له. فقال له: يا ابن رسول الله! أتاني عبد الله الديصاني بمسألة، ليس المعول فيها إلا على الله وعليك.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: عما [إذا] ^(٤) سألك؟

فقال: قال لي كيت وكيت.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام! كم حواسك؟

قال: خمس.

قال ^(٥): أيها أصغر؟

قال ^(٦): الناظر.

٢. نفس المصدر: ١٢٢.

٤. من المصدر.

٦. المصدر: فقال.

١. نفس المصدر ١٣٩، ح ١ وله تمة.

٣. المصدر: يصغر.

٥. المصدر: فقال.

قال^(١): وكم قدر الناظر ؟

قال : مثل العدسة ، أو أقلّ منها .

فقال له^(٢) : يا هشام ! فانظر أمامك وفوقك . فأخبرني بما ترى ؟

فقال : أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً و تراباً وجبالاً وأنهاراً .

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقلّ منها ، قادر

أن يدخل الدنيا كلها البيضة ، لا تصغر^(٣) الدنيا ولا تكبر^(٤) البيضة .

فانكبّ هشام عليه وقبل يديه ورجليه^(٥) ، وقال : حسبي ، يا ابن رسول الله

- والحديث طويل - ، أخذت منه موضع الحاجة .

وبإسناده^(٦) إلى ابن^(٧) أبي عمير ، عن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ ابليس قال

لعيسى بن مريم عليه السلام : أيقدر ربك على أن يدخل الأرض بيضةً ، لا تصغر الأرض ولا

تكبر البيضة ؟

فقال عيسى عليه السلام : ويليكَ ! إنّ الله تعالى لا يوصف بعجز ، ومن أقدر ممّن يلطف

الأرض ويعظم البيضة ؟

وبإسناده^(٨) إلى عمر بن أذينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : هل

يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة ، من غير أن تصغر^(٩) الدنيا أو تكبر^(١٠) البيضة ؟

قال : إنّ الله - تبارك وتعالى - لا يُنسب إلى العجز ، والذي سألتني لا يكون .

وبإسناده^(١١) إلى أبان بن عثمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى

١. المصدر : فقال .

٢. ليس في المصدر .

٣. المصدر : يصغر .

٤. المصدر : يكبر .

٥. في المصدر وج : يديه ورأسه ورجليه .

٦. نفس المصدر ١٢٧ ، ح ٥ .

٧. المصدر : محمّد بن .

٨. نفس المصدر ، ح ٩ .

٩. المصدر : يصغر .

١٠. المصدر : يكبر .

١١. نفس المصدر ، ح ١٠ .

أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة، ولا تصغر ^(١) الأرض ولا تكبر البيضة؟

فقال له ^(٢): ويلك! إن الله لا يوصف بالعجز. ومن أقدر ممن يلطّف الأرض ويعظّم البيضة؟

وبإسناده ^(٣) إلى أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال له: هل يقدر ربك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في [بيضة؟

قال: نعم، وفي أصغر من البيضة. وقد جعلها في عينك، وهو أقل من البيضة؛ لأنك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما ^(٤) فلو شاء لأعماك عنها ^(٥).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اخْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: لَمَّا عَدَدَ فرق المكلفين وذكر خواصهم [ومصارف أمورهم] ^(٦)، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات، تنشيطاً للسامع وتفخيماً لشأن العبادة.

و«يا» حرف وضع لنداء البعيد. وقد ينادى بها القريب، تنزيلاً له منزلة البعيد، إمّا لعظمته، أو لغفلته، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحثّ عليه ^(٧).

وإنما قال «ربكم» تنبيهاً على أن الموجب القريب للعبادة هي التربية.

(وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي ^(٨)) قال: حدثني عبيد بن كثير، قال: حدثنا أحمد بن صبيح، عن الحسين بن علوان، عن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قام رجل إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن الناس، وأشباه الناس، والنسائس.

١. المصدر: يصغر.

٢. ليس في المصدر.

٣. نفس المصدر، ح ١١.

٤. ما بين المعقوفتين ليس في ج.

٥. ما بين القوسين ليس في أ.

٦. من المصدر (أنوار التنزيل).

٧. أنوار التنزيل، ٣١/١.

٨. تفسير فرات، ٦٤.

قال: فقال [علي عليه السلام] ^(١): يا حسن! أجبه ^(٢).

قال ^(٣): فقال له الحسن عليه السلام: سألت عن الناس، فرسول الله ﷺ الناس؛ لأن الله يقول ^(٤): «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» ونحن منه. وسألت عن أشباه الناس فهم شيعتنا، وهم متأوهم أشباهنا ^(٥). وسألت عن النسناس، وهم هذا السواد الأعظم. وهو قول الله تعالى ^(٦): «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا».

وفي عيون الأخبار ^(٧)، فيما ذكره الفضل بن شاذان من العلل، عن الرضا عليه السلام أنه قال: فإن قال فلم يعبدونه؟ ^(٨)

قيل: لثلاثا يكونوا ناسين لذكره، ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه، إذا كان فيه صلاحهم وقوامهم. فلو تركوا بغير تعبد، لطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم. وفي كتاب التوحيد ^(٩)، خطبة للرضا عليه السلام يقول فيها: أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، بشهادة ^(١٠) العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، [وشهادة كل صفة وموصوف] ^(١١) بالاقتران بالحدث ^(١٢)، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث.

وفي أصول الكافي ^(١٣): علي بن ابراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبد الرحمن ابن أبي نجران، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام ^(١٤) وقلت له: جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد.

-
- | | |
|---|--|
| ١. من المصدر. | ٢. المصدر: أجبه يا حسن! |
| ٣. ليس في المصدر. | ٤. البقرة / ١٩٩. |
| ٥. المصدر: أشباحنا. | |
| ٦. الفرقان / ٤٤. في ج: أولئك كالأنعام... الخ إشارة إلى آية ١٧٩ من سورة الأعراف. | |
| ٧. عيون الأخبار، ١٠٣/٢. | ٨. المصدر: تعبدهم. |
| ٩. التوحيد، ٣٤. | ١٠. المصدر: لشهادة. |
| ١١. من المصدر. | ١٢. المصدر: بالحدث وشهادة الاقتران بالحدث. |
| ١٣. الكافي ٨٧/١ - ٨٨، ح ٣. | ١٤. المصدر: أو. |

قال : فقال : إنَّ من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء ، فقد ^(١) أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً . بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمى بهذه الأسماء دون الأسماء . إنَّ الأسماء صفات وصف بها نفسه تعالى .

عدَّة من أصحابنا ^(٢) ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أفضل العبادة إيمان التذكُّر في الله وفي قدرته .

محمد بن يحيى ^(٣) ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن معمر بن خلاد ، قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم ، إنَّما العبادة التفكُّر في أمر الله تعالى .

وبإسناده ^(٤) إلى الفضيل بن يسار ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنَّ أشدَّ العبادة الورع . وبإسناده ^(٥) إلى علي بن الحسين عليه السلام قال : من عمل بما افترض الله عليه ، فهو من أعبد الناس .

علي بن إبراهيم ^(٦) ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن جميل ، عن هارون بن خارجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : العبادة ^(٧) ثلاثة : قوم عبدوا الله تعالى خوفاً ، فتلك عبادة العبيد . وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب ، فتلك عبادة الأجراء . وقوم عبدوا الله تعالى حباً له ، فتلك عبادة الأحرار ، وهي أفضل العبادة .

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٨) : بإسناده إلى اسماعيل بن مسلم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : العبادة سبعون جزءاً ، أفضلها جزء طلب الحلال .

٢. نفس المصدر : ٥٥/٢ ، ح ٣ .

٤. نفس المصدر : ٧٧/٢ ، ح ٥ .

٦. نفس المصدر ، ح ٥ .

٨. معاني الأخبار ، ٣٦٧-٣٦٦ ، ج ١ .

١. ليس في المصدر .

٣. نفس المصدر ، ح ٤ .

٥. نفس المصدر : ٨٤/٢ ، ح ٧ .

٧. المصدر : العباد .

وفي عيون الأخبار^(١): بإسناده إلى الرضا عليه السلام أنه قال: النظر إلى ذريتنا عبادة .
 فقيل له: يا ابن رسول الله! النظر إلى الأئمة منكم عبادة، أو النظر إلى جميع ذرية
 النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: بل النظر إلى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله عبادة، ما لم يفارقوا منهاجه، ولم
 يتلوثوا بالمعاصي .

وفي كتاب الخصال^(٢): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت
 والمشي إلى بيته .

عن علي بن الحسين عليه السلام ^(٣) أنه قال: لا عبادة إلا بتفقه .
 وفيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله ^(٤) علياً عليه السلام ^(٥): يا علي! من أتى ^(٦) بما افترض الله عليه، فهو
 من أعبد الناس ^(٨) .

«الَّذِي خَلَقَكُمْ»: صفة جرت عليه للتعظيم ^(٩) .
 «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»: منصوب، معطوف على الضمير المنصوب في
 «الَّذِي خَلَقَكُمْ» ^(١٠) .

وقرئ: «من قبلكم»، على إقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً .
 «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ^(١١): حال من الضمير في «اعبدوا»، كأنه قال: اعبدوا ربكم، راجين
 أن تنحطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله ^(١٢) . أو
 من مفعول «خلقكم» ^(١٣)، والمعطوف عليه على معنى: أنه خلقكم ومن قبلكم في
 صورة من يرجى منه التقوى، لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي إليه .

-
- | | |
|---|--|
| ١. عيون الأخبار ٥١/٢، ح ١٩٦ . | ٢. الخصال ٣٥/١، ح ٨ . |
| ٣. نفس المصدر ١٨، ح ٦٢ . | ٤. في ج: النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> . |
| ٥. في ج: علياً <small>عليه السلام</small> . | ٦. نفس المصدر ١٢٥، ح ١٢٢ . |
| ٧. المصدر: أتى الله . | ٨. ما بين القوسين ليس في أ . |
| ٩. أنوار التنزيل، ٣٢/١ . | ١٠. ر. نفس المصدر . |
| ١١. نفس المصدر . | ١٢. أي: أو حال من مفعول «خلقكم» . |

وقيل: تعليل للخلق، أي: خلقكم لكي تتقوا^(١).

قال بعض الفضلاء: المنادى بـ «يا أيها الناس» هو الناس الناسي وطن الوحدة الأنس، بأحكام الكثرة، الواصل إلى غاية الحركة النزولية. وذلك أبعد مسافة يكون في الوجود، ولذلك استعمل فيه ما وضع لنداء البعيد. وحيث كان المنادى الحصّة الوجودية المتعينة، من الحقيقة المطلقة الغالبة^(٢) عليها، في مبدأ حالها الإطلاق والإبهام، ثم يتخصص^(٣) ويتخصص بالمرور على المراتب والاتصاف بأحكامها حتى يصل إلى المرتبة الانسانية الوجودية الشهادية العنصرية، عبر عنه - أولاً - بكلمة «أي» الدالة على الإبهام، ووصف - ثانياً - «بالناس» الدالّ على كمال تخصصها. ولما كان وصولها إلى هذه المرتبة بتوسط مراتب كثيرة منبعثة من باطن الغيب إلى أقصى مراتب الشهادة، أشير إليها بحرفي التنبيه، المنبعث أولهما من باطن القلب - أعني: الهاء - وثانيهما من ساذج^(٤) ماز^(٥) على المراتب كلها، أعني: الألف.

ومعنى قوله: «اعبدوا ربكم»: تحقّقوا بعبوديته^(٦) المحضّة التي لا يشوبها عبودية السوى، بأن توهّموا أنّ فيكم ربوبيته^(٧) بالنسبة إلى غيره سبحانه.

«الذي خلقكم»، أي: ظهر ظهوركم. فهو الظاهر فيكم، وأنتم المظاهر له. فما ظهر فيكم من خصائص الربوبية فهو من الرب الظاهر فيكم، لأنتم.

«وخلق الذين من قبلكم»، أي: ظهر بصورة من تقدّمكم بوصول آثار الربوبية منهم إليكم. فهو الظاهر فيهم، وهم المظاهر له. فما وصل منهم إليكم من آثار الربوبية فهو من الرب الظاهر لا منهم، ما انقطعت نسبة عبوديتكم عنهم. وحيث وصلتم إلى شهود هذا المعنى، فأنتم عبيد متصفون بمحض العبودية، لم يبق فيكم عبودية ولا ربوبية بالنسبة إلى غيره سبحانه.

٢. أ: الغالية.

١. نفس المصدر.

٤. أ: سارج.

٣. أ: بتخصص.

٦. أ: بعبودية.

٥. أ: ماو.

٧. ر: ربوبيه.

«لعلكم تتقون»، أي: عما يخرجكم عن العبودية المحضة. ولما كان كلامه سبحانه بصورة الصوت والحرف المثاليين أو الحسيين لا يصدر إلا بواسطة مظاهره المثالية أو الحسية، فلا يبعد أن يتحقق معنى الترجي بالنسبة إلى بعض هذه المظاهر، ويكون إيراد كلمة «لعل» بالنظر إليه. فإن نسبة مظاهر التكلم إلى المتكلم أقوى مما سواه إليه؛ كما لا يخفى على ذوي البصائر، والله سبحانه يتولى السرائر.

«الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا»: منصوب المحل، على الوصفية، كـ «الذي خلقكم»، أو على المدح، بتقدير: «أعني»، أو أخص، أو أمدح.

وفي كلام بعض النحاة، ما يشعر بأن القطع بالنصب إنما يجوز فيما إذا كان الموصوف مرفوعاً أو مجروراً، وهو الأظهر؛ لأن الإشعار بالمدح إنما يكون حيث يكون في التابع مخالفة للمتبوع وفي الصورة المفروضة، وإن كان مخالفة حكمية لكنه لا يظهر بالنسبة إلى المخاطب حتى يشعر بقصد المدح. أو على (أنه مفعول «تتقون»، أو مرفوع على الخبرية، وفيه ما في النصب من المدح. أو على^(١) الابتداء، بأن يكون خبره «فلا تجعلوا».

و«جعل» من الأفعال التامة، يجيء على ثلاثة أوجه: بمعنى: طفق، من أفعال القلوب، فلا يتعدى. وبمعنى: أوجد، فيتعدى إلى مفعول واحد؛ كقوله تعالى: «وجعل الظلمات والنور»^(٢). وبمعنى: صير، فيتعدى إلى مفعولين؛ كما في الآية. والتصيير يكون بالفعل تارة، وبالقول والعقد^(٣) أخرى. «فالأرض» مفعوله الأول، و«فراشاً»، مفعوله الثاني.

ويحتمل أن يكون من قبيل الاستعمال الثاني، أي: خلق الأرض، حال كونه مقدراً - بكسر الدال - إياها فراشاً، إذا كان «فراشاً» حالاً من الفاعل. أو حال كون «الأرض» مقدرة - بفتح الدال - «فراشاً»، إذا كان حالاً^(٤) من المفعول.

١. ما بين القوسين ليس في أ. ٢. الأنعام / ١.

٣. في ج: العقد. وفي أنوار التنزيل ٣٢/١: أو العقد. وهو الأظهر.

٤. ليس في أ.

و«لكم» متعلق «بالجعل».

واللام للانتفاع، أي: لانتفاعكم.

وقد جاء ناقصة، بمعنى: صار، في قول الشاعر^(١):

فقد جعلت قلو ص بني سهيل من الأكوار مرتعها قريب^(٢)

وقرئ «وجعلكم» بالإدغام، لاجتماع حرفين من جنس واحد، وكثرة الحركات.

و«الأرض» هي المفروشة، وقوائم الدابة، وعليه قول الشاعر:

وأحمر كالديباج أما سمائه فرياً وأما أرضه فتحول^(٣)

والرعدة، وعليه في كلام ابن عباس: أنزلت^(٤) الأرض، أم بي أرض^(٥).

و«الفراش»: ما يفترش ويستقر عليه.

وقرأ يزيد الشامي: «بساطاً» وطلحة: «مهاداً».

قال الجوهري في الصحاح^(٦): «المهد» مهد الصبي. و«المهاد» الفرش.

ومعنى جعلها فراشاً، أو بساطاً، أو مهاداً: أنه جعل بعض جوانبها على خلاف

طبعها، بارزاً من الماء، متوسطاً بين الصلابة واللطافة، حتى صارت^(٧) مهياة لأن يقعدوا

أو^(٨) يناموا عليها، كالفرش المبسوط.

ولا يدل الافتراض على التسطيح؛ لأن الكرة إذا عظم جرمها، غير مانعة من

الافتراض (عليها).

وفي نهج البلاغة^(٩): فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة

أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً، فوق بحر لجي^(١٠) راكد لا يجري،

٢. أنوار التنزيل، ٣٣/١.

٤. المصدر: أزلزلت.

٦. صحاح اللغة، ٥٤١/٢.

٨. في ج: و.

١. ر: الشاعرة.

٣. المصدر: فمحمول.

٥. مجمع البيان، ٦٠/١.

٧. ليس في أ.

٩. نهج البلاغة، ط/ ٢١١.

١٠. أي: كثير الماء، منسوب إلى اللجة وهي معظم الماء.

وقائم لا يسري، تكررته الرياح العواصف^(١)، وتمخضه الغمام الزوارف^(٢). «إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى»^(٣).

﴿وَالسَّمَاءِ بِنَاءً﴾: معطوفان على ما قبلهما بعاطف واحد. وإن أبيت، فقدّر فعلاً معطوفاً على الفعل الذي قبله.

و«السَّمَاءِ» اسم جنس. أو جمع «سَمَاء».

و«البناء» مصدر، بمعنى المفعول، أي: جعل السماء قبة، أو قباباً مبنية، أي: مضروبة عليكم. فإنّ المبني وإن كان أعمّ من القبة ولا دلالة للعام على الخاص^(٤)، لكنّه أشبه بالسماء لاستدارتها. ومنه بنى على امرأته؛ لأنّهم كانوا إذ تزوّجوا، ضربوا عليها خباء جديداً.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: عطف على «جعل»، أي: أنزل من جهة العلوّ.

أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة إلى جوّ الهواء، فتتعدّد سحباً مائراً، أو من السحاب، فإنّ ما علاك سماء.

ولفظة «من» لا ابتداء الغاية، فإنّ ابتداء نزول المطر إنّما هو من السماء بكل واحد من هذه المعاني.

ووضع هنا «أنزل» مكان «نزل»، للمناسبة مع ما عطف عليه.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾: «الباء» فيه للسببية، أي: جعل الماء سبباً في

خروج الثمرات ومادة لها وهو قادر على إيجاد الأشياء كلّها بلا أسباب ومواد؛ كما أبدع نفس الأسباب والمواد، إلّا أنّ له تعالى في إنشاء الأشياء بأسبابها من موادّها تدريجاً حكماً ليست في إنشائها مبادهة وبغته.

١. الكركرة: تصريف الريح السحاب إذا جمعت بعد تفريق. وأصله يكرر من التكرير فأعادوا الكاف. يقال:

كركرت الفارس عني، أي: دفعته ورددته. والرياح العواصف: الشديدة الهبوب.

٢. مخضت اللبن: إذا حركته لتأخذ زبدة. والزوارف، من ذرفت عينه، أي: دمعت.

٣. ما بين القوسين ليس في أ. ٤. ر: لما الخاص. ولفظ «الخاص» ليس في أ.

و«من» فيه تبعية، بشهادة قوله تعالى: «فأخرجنا به ثمرات»^(١) فإن تنكير «ثمرات» تدل على البعضية لتبادرها منه، سيما في جموع القلة. وبشهادة أن ما قبله وما بعده - أعني: «ماء» و«رزقاً» - محمولان على البعض^(٢)، فليكن هو موافقاً لهما بشاهدة الواقع. فإن الله سبحانه، لم ينزل من السماء كل الماء بل بعضه. إذ رُب ماء هو بعد في السماء، ولم يخرج بالماء المنزل منها كل الثمرات، بل بعضها، فكم من ثمرة هي غير مخرجة، ولم يجعل المخرج كل الرزق بل بعضه، والثمرات المخرجة بماء السماء كثيرة.

فالتعبير عنها بجمع القلة، إما بناء على أن «الثمرات» هنا جمع الثمرة التي يراد بها الكثرة؛ كالثمار، لا الوحدة؛ كما في قولك: أدركت ثمرة بستانه. ويؤيده قراءة من قرأ «الثمرة» على التوحيد، فيكون أبلغ ولا أقل من المساواة. أو على أنها جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة؛ كجَنَاتٍ، في قوله^(٣): «كم تركوا من جنات»، على أن المشهور أن الفرق بين الجمعيتين في القلة والكثرة إنما هو إذا كانا منكرين، وإذا عُرِف بلام الجنس في مقام المبالغة، فكل منهما للاستغراق بلا فرق.

و«الرزق» إن كان بمعناه المصدري، فنصبه إما على أنه مفعول له، والمعنى: أخرج شيئاً من الثمرات لأن يرزقكم. أو على المصدرية، فإن في إخراج الثمرات معنى الرزق. وعلى التقديرين يكون قوله: «لكم» ظرفاً لغواً مفعولاً به «لرزق»، أو «اللام» إما زائدة أو للتقوية. وإن كان بمعنى المرزوق، فانتصابه على أنه حال من مفعول «أخرج»، أي: «من الثمرات»، أو على أنه مفعول به لـ «أخرج»، و«من الثمرات» بيان له. فقدّم عليه، فصار حالاً منه. ولكن يكون «من» بيانية، لا تبعية. وعلى هذين التقديرين يكون «لكم» ظرفاً مستقراً صفة لـ «رزقاً»^(٤). ويحتمل على التقادير، أن يكون متعلقاً «بأخرج».

٢. في ج: وبشهادة. وهو الأظهر.

٤. كذا في ج: وفي النسخ «لرزق».

١. فاطر ٢٧.

٣. الدخان ٢٥.

وفي شرح الآيات الباهرة: (وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام^(١)) قال الإمام عليه السلام: قال رسول الله ﷺ قوله ﷻ: «جعل لكم الأرض فراشاً» تفرشونها لمنامكم ومقيلكم. و«السماء بناء» سقفاً محفوظاً، ارتفع عن^(٣) الأرض^(٤)، تجري شمسها وقمرها وكواكبها مسخرة لمنافع عباده وإمائه.

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تعجبوا لحفظه السماء أن تقع على الأرض، فإن الله ﷻ يحفظ ما هو أعظم من ذلك.

قالوا: وما هو؟

قال: من ذلك، ثواب طاعة^(٥) المحبين لمحمد وآله.

ثم قال: «وأنزل من السماء ماء»، يعني: المطر، ينزل^(٦) مع كل قطرة ملك يضعها^(٧) في موضعها الذي^(٨) يأمره^(٩) به ربه ﷻ.

فعجبوا من ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: أو تستكثرون عدد هؤلاء؟ إن^(١٠) الملائكة المستغفرين لمحبي علي بن أبي طالب أكثر من عدد هؤلاء، وإن^(١١) الملائكة اللاعنين لمبغضيه أكثر من عدد هؤلاء.

ثم قال ﷻ: «فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم»، ألا ترون كثرة هذه الأوراق والحبوب والحشائش؟

قالوا: بلى، يا رسول الله! ما أكثر عددها!

١. تفسير العسكري عليه السلام، ١٥٠.

٢. ما بين القوسين يوجد في ج.

٣. المصدر: أن تقع على.

٤. المصدر: الأرض بقدرته.

٥. المصدر: طاعات.

٦. ليس في أ.

٧. أ: يصنعها.

٨. المصدر: التي.

٩. أ: يأمر.

١٠. المصدر: إن عدد.

١١. المصدر: إن عدد.

فقال ^(١) رسول الله ﷺ: أكثر عدداً ^(٢) منها ملائكة يتبدلون ^(٣) في حمل أطباق النور، عليها التحف من عند ربهم، وفوقها مناديل النور، ويخدمونهم في حمل ما يحمل على آل محمد منها إلى شيعتهم ومحبيهم، وإن طبقاً من تلك الأطباق ^(٤) يشتمل ^(٥) من الخيرات على ^(٦) ما لا يفي بأقل جزء منه جميع أموال الدنيا.

(وفي كتاب علل الشرايع ^(٧): بإسناده إلى مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقول في المطر - أول مطر يمطر - حتى يبتل رأسه ولحيته وثيابه.

ف قيل له: يا أمير المؤمنين! الكن! الكن! ^(٨)

قال: هذا ماء قريب العهد بالعرش. ثم أنشأ يحدث.

فقال: إن تحت العرش بحراً فيه ما ينبت به أرزاق الحيوانات ^(٩). وإذا أراد الله ﷻ أن ينبت ما يشاء لهم ^(١٠) رحمة منه، أوحى الله ﷻ فمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى سماء الدنيا، فيلقيه إلى السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال. ثم يوحى الله ﷻ إلى السحاب: أطحنه وأذيبه ذوبان الملح في الماء، ثم انطلقني ^(١١) به إلى موضع كذا عياب أو غير عياب ^(١٢). فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها الله ^(١٣). فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها. ولم ينزل من السماء قطرة من مطر، إلا

١. المصدر: قال. ٢. أ: عدد.

٣. المصدر: يتبدلون لال محمد في خدمتهم اندرون فيما يتبدلون لهم.

٤. المصدر: الطبقات. ٥. أ: يشمل.

٦. ليس في المصدر. ٧. علل الشرايع ٤٦٣، ح ٨.

٨. الكن: كل ما يرذ الحر والبرد من الأبنية والغيران ونحوها.

٩. المصدر: الحيوان. ١٠. في ج: إليهم.

١١. في ج: انطلق.

١٢. في المصدر: عياب أو غير عياب. والعياب - بالضم - معظم الماء وكثرته وارتفاعه. وماء عياب: يسيل

سلياً كثرته. ١٣. المصدر: به.

بقدر معدود ووزن معلوم، إلا ما كان يوم الطوفان على عهد نوح، فإنه نزل منها منهمر بلا عدد ولا وزن^(١).

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَندَادًا﴾: متفرّع على الأمر بالعبادة^(٢). والمعنى: إذا استحقّ ربكم الذي خلقكم العبادة، وكنتم مأمورين بها، فلا تشركوا به أحداً لتكون عبادتكم مبنية على ما هو أصل العبادة وأساسها - أعني^(٣): توحيده - وأن لا تجعلوا له ندّاً^(٤).

أو معطوف على الأمر قبله. وفيه أنّ الأولى حينئذ العطف بالواو؛ كقوله: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً»^(٥).

أو منصوب بإضمار «ان» في جواب الأمر. كما في: زرني، فأكرمك. وفيه أنّ الشرط في ذلك كون الأول سبباً للثاني، والعبادة لا يكون سبباً للتوحيد الذي هو معناها.

أو منصوب بتقدير «أنّ» في جواب «لعلّ»، نَصْب «فأطلع» في قوله تعالى: «لعلّي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع»^(٦)، بناء على تشبيه «لعلّ» بـ «لَيْتَ»، والحقاق لها بالأشياء الستة التي يحذف «أنّ» عن^(٧) الفعل المضارع بعد الفاء الواقعة بعدها.

أو متعلق «بالذي جعل» إذا كان مرفوعاً، على أنّه خبر مبتدأ محذوف، فيكون نهياً مترتباً على ما يتضمّنه هذه الجملة، أي: هو الذي حفّكم بدلائل التوحيد، فلا تشركوا به شيئاً.

أو على أنّه مبتدأ، و«لا تجعلوا» نهى وقع خبراً عنه، على تأويل مقول فيه: لا تجعلوا.

١. ما بين القوسين ليس في أ.

٢. أو متعلّق بـ «اعبدوا»؛ لأنّ أوّل ما يعتبر من العبادة التوحيد.

٣. أ: يعني.

٤. في ج: أنداداً.

٥. النساء/ ٣٦.

٦. غافر/ ٣٦-٣٧.

٧. ر: من.

و«الفاء» للسببية، أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط.
والمعنى: أن من حَفَّكم بهذه النعم الجسام^(١)، ينبغي أن لا يشرك^(٢) به.
و«الجعل» هنا بمعنى التصيير^(٣). فيتعدى إلى مفعولين: أولهما «أنداداً»، وثانيهما
الجار والمجرور قبله. أو بمعنى الخلق والإيجاد.
والمعنى: لا توجدوا له في اعتقادكم وقولكم أنداداً.
والفائدة في تقديم المفعول الثاني أو الجار والمجرور إفادة الحصر، والإشارة إلى
أن المنهي عنه جعل الند لله تعالى. وأما بالنسبة إلى سائر^(٤) الفاعلين، فجعل الند
والشريك واجب لئلا يلزم التفويض؛ - كما قال عليه السلام^(٥) -: لا جبر ولا تفويض، بل أمر
بين أمرين^(٦).

وقرئ: «فلا تجعلوا لله ندّاً».

و«الند» المثل المناوئ، أي: المخالف. من ندّ ندوداً: إذا نفر.
وفي تسمية^(٧) ما يعبدونه «ندّاً» لما عظموه وسمّوه إلهاً وإن لم يزعموا أنه يماثله أو
يخالفه، تهكّم بهم.

وفي إيراد صيغة الجمع، حيث دلّت على أنهم جعلوا أنداداً لمن يمتنع أن يكون له
ندّ واحد، زيادة تهكّم.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨): حال من فاعل «فلا تجعلوا». والمقصود منه التوبيخ، لا تقييد
الحكم به. فإنّ العالم والجاهل المتمكّن من العلم، سواء في التكليف.

ومفعول «تعلمون» متروك، لتنزيله منزلة اللازم مبالغة، أي: وحالكم وصفتكم
أنكم من أهل العلم والتمييز بين الصحيح والفساد، ثم إنّ ما أنتم عليه من أمر دينكم من
جعل الأصنام لله أنداداً هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل.

١. في ج بعد «الجسام»: والآيات العظام.

٢. أ: تشرك.

٣. أ: التبصير.

٥. في عيون الأخبار، ج ١، ص ١٢٤، ضمن ح ١٧.

٦. أ: الأمرين.

٧. هكذا في ج وهو الأظهر. وفي النسخ «تسميته».

أو مقدر^(١) بوجود القرينة المقالية، أو الحالية، أي: وأنتم تعلمون أنه تعالى لا مثل له ولا ضد. أو وأنتم تعلمون ما بينه تعالى وما بينها^(٢) من التفاوت. أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله، إلى غير ذلك مما يناسب المقام.

وفي كتاب التوحيد^(٣)، في باب أن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح، روى بإسناده عن أبي محمد العسكري، عن آبائه، عن علي بن الحسين عليه السلام في قول الله تعالى: «الذي جعل لكم الأرض فراشاً»، قال: جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة لأجسادكم. لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة^(٤) فتجمدكم، ولا شديدة^(٥) طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم^(٦)، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم. ولا شديدة الصلابة فيمتنع^(٧) عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم. (ولكنه تعالى جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم)^(٨) وكثير من منافعكم. فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثم قال تعالى: «والسماء بناء» [أي: ^(٩) سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

ثم قال تعالى: «وأنزل من السماء ماء» يعني: المطر. ينزله^(١٠) من علو^(١١) ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتنشفه^(١٢) أرضوكم. ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة، فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

١. أي: أو مفعول «تعلمون» مقدر... الخ.

٣. التوحيد / ٤٠٤.

٤. المصدر: البرد.

٥. ر: شديد.

٦. أ: تعطبكم.

٧. المصدر: فتمتنع.

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

٩. من المصدر.

١٠. المصدر: نزله.

١٢. في ج: تنشفه.

١١. العلى.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: « فَأُخْرِجْ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا » (يعني: ممَّا يُخْرِجُهُ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا) (١) لَكُمْ. « فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا »، أَي: أَشْبَاهًا وَأَمْثَالًا مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ. وَ« أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْتَهَى.

وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ بَعِينَهُ فِي عَيُونِ أَخْبَارِ الرِّضَا، فِي بَابِ مَا جَاءَ عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي التَّوْحِيدِ (٢).

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي تَفْسِيرِهِ (٣). ثُمَّ قَالَ: فِيهِ التَّفْسِيرُ الْمُنْسُوبُ إِلَى مَوْلَانَا الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤) قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: قَوْلُهُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا » (٥)، يَعْنِي: سَائِرَ الْمَكْلُفِينَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. « اعْبُدُوا رَبَّكُمْ » أَطِيعُوا رَبَّكُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْتَقِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ (٦) عَدَلٌ لَا يَجُورُ (٧)، جَوَادٌ لَا يَخُلُ، حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ (٨). وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ. وَأَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ آلِ النَّبِيِّينَ. وَأَنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ آلِ مُحَمَّدٍ. وَأَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَفْضَلُ صَحَابَةِ الْمُرْسَلِينَ. وَأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ أُمَّةِ الْمُرْسَلِينَ. أَنْتَهَى.

ثُمَّ قَالَ: وَيَفْهَمُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، أَنَّ الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِتِلْكَ الْإِعْتِقَادَاتِ. وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ؛ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ.

أَقُولُ: كَانَ (٩) الْعَلَمَةُ ﷺ فَهَمَ ذَلِكَ مِنْ تَفْسِيرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » بِسَائِرِ الْمَكْلُفِينَ - يَعْنِي: جَمِيعَ الْمَكْلُفِينَ - وَهُوَ غُلَطٌ فَاحِشٌ، فَإِنَّ السَّائِرَ بِمَعْنَى: الْبَاقِي، مُبْتَذَلٌ فِي

١. ما بين القوسين ليس في الأصل والمصدر.

٢. عيون أخبار الرضا، ١/١٣٧.

٣. تفسير البرهان، ١/٦٧.

٤. تفسير العسكري عليه السلام، ١٣٥.

٥. ليس في المصدر، والظاهر هو الصواب.

٦. ليس في المصدر.

٧. أ: يجوز.

٨. في ج بعد « لا يعجل »: حكيم لا يخطئ.

٩. أ: لو كان.

اللغة. متعارف في العرف. قال بعض أهل اللغة: «السائر» مشتق من «السور». وهو بقية ما يُشْرَب. ولا يستعمل بمعنى الجميع، لا في اللغة ولا في العرف. وقد وقع ذلك في كلام بعض المفسرين.

قال بعض الفضلاء: وتأويل الآية في بعض بطونها، أن يقال: هو - أي: ربكم الذي أمرتم أن تعبدوه وتحققوا^(١) بعبوديته المحضة - هو الذي جعل لكم أرض العبودية فراشاً تَقْلِبُونَ^(٢) فيها أنواع^(٣) العبادات، وسماء الأسماء الربوبية فيه مضروبة عليكم، محيطة بكم بحيث لا يمكنكم الخروج عن إحاطتها وشمول آثارها، وأنزل من هذه السماء ماء العلوم والمعارف على تلك الأرض، فأخرج ثمرات الأحوال والأذواق والمواجيد رزقاً لكم تغتذون وتتقون به بقلوبكم وأرواحكم، «فلا تجعلوا لله أنداداً» تعبدونها كما تعبدونه. والحال إنكم تعلمون أنه لا معبود سواه، ولا ينبغي أن يجعل أحد قبلة عبادته إلا إياه.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: لما كانت العبادة المأمور بها موقوفة على أمرين: أحدهما إثبات الوجدانية وإبطال الاشراك - وقد أشير إليه بالأوصاف المجراة على ربهم الذي أمروا بعبادته - والثاني إثبات النبوة التي يقع بها الترغيب والترهيب وتعريف طرق العبادة وتعيينها، فلذلك أشار إليه بإزاحة الشبهة عن كون القرآن معجزاً دالاً على نبوة النبي ﷺ.

وهو معطوف على قوله: «يا أيها الناس» والظرف مستقر في موضع خبر «كان». والمعنى: وإن كنتم في ريب، يحيط بكم إحاطة الظرف بالمظروف.

﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: أي: من شيء. أو من الذي نزلناه.

ويحتمل مرجوحاً أن يكون المعنى: من تنزيلنا.

وإنما أتى بكلمة «إن» الدالة على عدم الجزم بالوقوع، و«الريب» متحقق من هؤلاء

٢. في ج: تتقَلَّبُونَ.

١. في ج: وتحققوا.

٣. في ج: بأنواع.

الكفار، تنبيهاً على أنه لا ينبغي حصول هذا الريب من العقلاء، فكيف يجزم به؟ بل لو جوزه مجوز، فإنما يكون بمحض الاحتمال العقلي. ولهذا السبب بعينه قال: «في ريب»، وإن كان أكثرهم ينكرون.

وإنما أتى «بالتنزيل» المنبيء عن التدريج؛ لأن النزول التدريجي كان أحد أسباب طعنهم وارتبابهم في القرآن. فإنهم كانوا يطعنون في القرآن ويرتابون فيه، من حيث أنه كان مدرجاً على قانون الخطابة والشعر، فإن الناصر لا يرمي بمجموع خطبه أو رسائله^(١) دفعة، والناظم لا يلقي ديوان شعره ضربة، بل^(٢) مفرقاً حيناً فحيناً وشيئاً فشيئاً. فكانوا يقولون: لو لا أنزل عليه القرآن خلاف هذه العادة جملة واحدة. فقليل لهم: إن ارتبتم في هذا الذي أنزل تدريجاً، فهاتوا أنتم بنجم من نجومه، وسورة من سوره. فإنه أيسر عليكم من أن تنزل الجملة دفعة واحدة، (ويتحدى بمجموعة)^(٣).

قليل: التدريج، هو الذي يعبر عنه بالتكثير، أي: يفعل مرة بعد مرة. والتضعيف الدال على ذلك من شرطه أن يكون في الأفعال المتعدية قبل التضعيف غالباً؛ نحو: فتحت الباب.

ولا يقال: جلس زيد، لإرادة التدريج والتكثير؛ لأنه لم يكن متعدياً قبل التضعيف، وإنما^(٤) جعله تضعيفه متعدياً.

وقولنا: «غالباً»؛ لأنه قد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللازم؛ نحو: مَوّت المال. ويعلم من ذلك أن التضعيف الدال على الكثرة لا يجعل اللازم متعدياً. فظهر من ذلك أن تضعيف «نزل» للتعدية دون التدريج. و- أيضاً - يحتاج قوله تعالى^(٥): «لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة»، وقوله^(٦): «لو لا نزل [عليه آية]»، وقوله^(٧): «لنزلنا»^(٨)

١. أ: وسائله.

٢. ليس في أ.

٣. ليس في أ.

٤. ليس في أ.

٥. الفرقان / ٣٢.

٦. الأنعام / ٣٧.

٧. الإسراء / ٩٥.

٨. ليس في ج.

عليهم من [السماء] ^(١) ملكاً رسولاً إلى تأويل .

وفي «نزلنا» التفات من الغيبة إلى التكلم؛ لأنَّ قبله «أعبدوا ربكم»، فلو جاء الكلام عليه، لقليل: «مما نزل ^(٢) على عبده» لكنه التفت للتفخيم. وعبر عنه بالعبد؛ لأنَّ أعلى المقامات مقام العبدية. (وأضافه إلى نفسه تشريفاً له. ولم يصرح باسمه ﷺ كما في قوله ^(٣)): «واذكر عبدنا أيوب» للدلالة على كماله في العبدية ^(٤)). فإنَّ المطلق لا ينصرف إلّا إلى الكامل.

وقرئ «على عبادنا». والمراد به نبينا ﷺ وأمه. فإنَّه كما نزل عليه بواسطة جبرئيل نزل على بعض أمته بواسطته، وينزل على بعضهم بواسطة البعض إلى يوم القيامة. أو جميع الأنبياء ﷺ.

(وفي مصباح الشريعة ^(٥)): قال الصادق ﷺ: وحروف العبد ثلاثة: العين والباء والdal. فالعين علمه بالله تعالى، والباء بونه ^(٦) عما ^(٧) سواه. والdal دنؤه من الله بلاكهم وكيف ^(٨) ^(٩)).

﴿فَاتَّخَذُوا بِسُورَةٍ﴾: جزاء للشرط.

والأمر تعجيزي، ليظهر عجزهم ويزول ريبهم.

و«السورة» طائفة من القرآن مترجمة، لا يكون أقل من ثلاث آيات.

فخرج بقولنا: «مترجمة» الآيات المتعددة من سورة واحدة أو متفرقة، وما هو أكثر من سورة ^(١٠) واحدة، كمجموع سورتين.

وبقولنا: «لا يكون أقل من ثلاث آيات» يخرج آية الكرسي وآية المداينة، من غير حاجة إلى أن يتكلف.

١. ليس في ج.

٢. أ: نزلنا.

٣. ص / ٤١.

٤. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. مصباح الشريعة، ٥٤١.

٦. البؤن والبؤن: المسافة بين الشئين.

٧. المصدر: عمن.

٨. المصدر: بلاكيف ولا حجاب.

٩. ما بين القوسين ليس في أ.

١٠. أ: منها.

ويقال : هذا مجرّد إضافة ، لم يصل إلى حدّ التسمية .

وواوها ، إن كانت أصلية ، فهي إمّا منقولة من سورة المدينة^(١) ، وهي حائطها على وجهين :

أحدهما ، أن يجعل السورة بمعنى المسوّرة ؛ كما يراد بالحائط : المحوّطة ، وهو البستان . ثم يُنقل إلى طائفة محدودة من القرآن ، وهو نقل مرتّب على تجوّز . وثانيهما ، أن ينقل من « سورة المدينة »^(٢) إليها بغير واسطة ؛ لأنّها تحيط بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على انفرادها ، أو محتوية على أنواع من العلم إحاطة سورة المدينة^(٣) بما فيها واحتوائها عليه .

وجمع سورة القرآن : السُور - بفتح الواو - وجمع سورة المدينة على سُور - بسكونها - أو من السورة ، بمعنى المرتبة . قال النابغة :

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب^(٤)

ثم إنّ المرتبة^(٥) ، إن جعلت حسيّة ؛ فلأنّ السور كالمراتب والمنازل ينقلب^(٦) فيها القارئ ويقف عند بعضها . أو لأنّها في أنفسها منازل مفصّلة بعضها من بعض ، متفاوتة في الطول والقصر والتوسط .

وإن جعلت معنوية ، فلتفاوتها في الفضل والشرف والبلاغة .

وإن كانت واوها مبدّلة عن الهمزة ، فمن « السّورة » التي هي البقية ، والقطعة من الشيء . وُضعف هذا الوجه إمّا من حيث اللفظ ، إذ لم يستعمل مهموزة في السعة^(٧) ولا في الشاذة المنقولة في كتاب مشهور ، وإن أشعر به كلام الأزهري حيث قال : وأكثر القراء على ترك الهمزة في لفظ السورة .

١ . كذا في ج . وهو الأظهر . وفي النسخ « سورة المدينة » .

٢ . الأظهر : سور المدينة . ٣ . الأظهر : سور المدينة .

٤ . أ : يذبذب . ٥ . في ج : الرتبة .

٦ . المتن وأ : تنقلب . ٧ . ر : السبعة .

وإما من حيث المعنى؛ فلأنها اسم ينبنى عن قلة وحقارة. و- أيضاً- استعماله^(١) فيما فضل بعد ذهاب الأكثر، ولا ذهاب هنا إلا تقديراً باعتبار النظر إليها نفسها. فكأنها قد ذهب ما عداها.

﴿ مِنْ مِّثْلِهِ ﴾: إما ظرف مستقر، صفة «لسورة»، أو ظرف لغو لـ «فانتوا». والضمير على كل من التقديرين، إما عائد إلى «ما نزلنا»، أو إلى «عبدنا». فهذه أربع صور:

أولها: أن يكون الظرف صفة «لسورة»، والضمير عائداً إلى «ما نزلنا»، وكلمة «مِنْ» بيانية؛ لأنَّ السورة المفروضة التي بها الأمر التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم والغرابة في البيان والعجز إنما هو عن الإتيان بالمثل الذي هو المأمور به. وإن جعلت تبعية، أو همت أنَّ للمنزل - مثلاً - عجزوا عن الإتيان^(٢) (ببعضه؛ كأنه قيل: فانتوا ببعض ما هو مثل للمنزل)^(٣). فالمماثلة المصرح بها ليست من تنمة المعجوز عنه، حتَّى يفهم أنَّها منشأ العجز. وكذا الحال إن جعلت ابتدائية، فإنَّها توهم أنَّ للمنزل - مثلاً - عجزوا عن الإتيان بسورة مبتدئة منه. فالمماثلة ليست من تنمة المعجوز عنه، مع أنَّ في مبدئية الكل للجزء خفاء.

وذهب الأخفش إلى أنَّها زائدة.

وثانيتها: أن يكون الظرف صفة^(٤) «لسورة»، والضمير عائداً إلى «عبدنا»، وحينئذ يتعيَّن أن يكون «مِنْ» ابتدائية، فإنَّ السورة مبتدئة ناشئة من مثل العبد، ولا وجه لساثر المعاني. ولا يذهب عليك أنَّ الإتيان بسورة من مثل هذا العبد ليس بمعجوز عنه، ما لم يعتبر مثلية سورة^(٥) للصور القرآنية في حسن النظم وغرابة البيان.

وثالثتها^(٦): أن يكون الظرف متعلقاً «بفانتوا»، والضمير عائداً إلى «ما نزلنا»، وهُجِر

٢. أ: الإتيان بسورة مبتدعة منه.

١. في ج: استعمل.

٤. أ: مع أنَّ في مبدئية الكل للجزء خفاء حتى.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٦. في ج: بسورة.

٥. في ج: منه.

٧. أ: ثالثها.

هذا الوجه. فإنَّ «فانتوا» أمر قُصد به تعجيزهم باعتبار المأتي به. فلو تعلق به «من مثله» وكان الضمير للمنزل، تبادر منه أنْ له مثلاً محققاً جامعاً لأمثال السور القرآنية، وأنْ عجزهم إنّما هو عن الإتيان بسورة منه، بخلاف ما إذا كان صفة «للسورة»، فإنَّ المعجوز عنه حينئذ هو الإتيان بسورة مماثلة للقرآن في حسن النظم وغرابة البيان، وهذا لا يقتضي وجود مثل ذلك.

وحاصله، أنْ قولنا: اثنت من مثل الحماسة بيت. يقتضي وجود^(١) المثل لها، بأن يكون هناك محقق^(٢) جامع لكثير أشعار بلغاء العرب ويؤتى بيت منه. بخلاف: اثنت بيت من مثل الحماسة، إذا كانت «من» بيانية. ويكون حاصل المعنى: بيت يماثل^(٣) الحماسة في الفصاحة والبلاغة. فإنَّ ذلك لا يقتضي تحقق كتاب جامع مثلها. نعم، إذا كانت «من» ابتدائية أو تبعيضية، يقتضي ذلك من غير فرق.

ورابعتها: أن يكون الضمير عائداً إلى «عبدنا»، وحينئذ يكون «من» ابتدائية. وهذا لا يقتضي إلا أن يكون «للعبد» مثل في كونه بشراً، عربياً، أمياً، لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء. ولا محذور في ذلك، لكن ينبغي أن يعتبر مثلية سورة للسور القرآنية، كما في الصورة الثانية.

ورد الضمير إلى المنزل أوجه، من ستة أوجه:

الأول: الموافقة لقوله تعالى: «فانتوا بسورة من مثله»^(٤) ونظائره؛ لأنَّ المماثلة فيها صفة للمأتي^(٥) به. فكذا هاهنا، إذا جعل الظرف صفة للسورة، والضمير عائداً إلى المنزل، و«من» بيانية أو زائدة.

والثاني: أن الكلام واقع في المنزل؛ لأنَّ ترتيبهم المفروض، إنّما وقع فيه. ولو ردَّ^(٦) الضمير إلى العبد، كان حق الترتيب أن يقال: إن كان لكم ريب في عبدنا المنزل عليه القرآن، فانتوا بسورة من مثله.

١. ليس في ج.

٢. في ج: كتاب محقق...

٣. في ج: مماثل.

٤. البقرة / ٢٣.

٥. في ج: المأتي.

٦. كذا في ج: وهو الصحيح. وفي النسخ «ولورود».

والثالث: أَنَّ الضمير إذا رَدَّ إلى المنزل، يكون طلب المعارضة من الجميع، وإذا كان للمنزل عليه يكون طلب المعارضة من واحد منهم. إذ لا معنى لخطاب الجماعة بأن انتوا بسورة من واحد منكم، بل الطلب بالحقيقة^(١)، من واحد منهم. كأنه قيل^(٢): فليأت واحد منكم بسورة. ولا شك أَنَّ طلب المعارضة من الجميع أبلغ من طلب المعارضة من واحد، لجواز عجز واحد وإتيان الجميع بها.

والرابع: أَنَّهُ معجز في نفسه، لا بالنسبة إلى مثله. لقوله تعالى: «لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله»^(٣).

والخامس: أَنَّهُ لو كان رجع الضمير إلى «العبد»، لكان ذلك يوهم أَنَّ صدور القرآن عمن لم يكن مثل العبد في كونه أمياً ممكن.

والسادس: أَنَّ رَدَّ الضمير إلى المنزل هو الملائم لقوله:

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾: لِأَنَّ معناه على الوجوه المذكورة فيما بعد راجع إلى ادعوا شهداءكم ليعاونوكم، أو يشهدوا لكم. وهذا المعنى لا يلائم إِلَّا رَدَّ الضمير في «مثله» إلى المنزل. ولما ترجع عود الضمير إلى المنزل بهذه الوجوه، ترجع بها^(٤) - أيضاً - كون الظرف صفة للسورة؛ لِأَنَّهُ إذا تعلق «بفائتوا» عاد الضمير إلى «العبد» لما تحققت. و«الشهداء» جمع شهيد، كالظرفاء جمع ظريف. بمعنى الحاضر، أو القائم بالشهادة، أو الإمام. فكأنه سَمَّى به لِأَنَّهُ يحضر النوادي ويبرم بمحضرة الأمور. ومنه قيل للمقتول في سبيل الله: شهيد؛ لِأَنَّهُ حضر ما كان يرجوه، أو الملائكة حضروه.

قال الجوهري في الصحاح^(٥): «الشهادة» الخبر^(٦) القاطع^(٧). تقول منه: شهد الرجل على كذا، أو شهد له بكذا؛ أي: أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد. ويقال:

١. في ج: الحقيقة.

٢. ليس في أ.

٣. الإسراء / ٨٨.

٤. ليس في أ.

٥. صحاح اللغة، ٤٩٤/٢.

٦. أ: الخير.

٧. المصدر: خبر قاطع.

شهادة، شهوداً؛ أي: حضره، فهو شاهد. و«الشهيد» الشاهد. والجمع الشهداء.
فالمراد «بالشهداء»، إمّا المقيمون للشهادة. والمعنى: ادعوا من دون الله شهداء،
يشهدون لكم بأنّ ما أتيتم به مثله.

أو الحاضرون الناصرون. والمعنى: ادعوا أعوانكم وأنصاركم، حتى يعينوكم على
إتيان مثله.

أو آلهتهم الذين عبدوهم وأطاعوهم. والمعنى: ادعوا آلهتكم الذين تعبدونهم
حتى يعينوكم بإتيان سورة واحدة من جنس ما أتى^(١) به عبدنا.

«مِنْ دُونِ اللَّهِ»: «دون» في أصله للتفاوت في الأمكنة. يقال لمن أنزل^(٢) مكاناً من
الأخر: هو دون ذلك. فهو ظرف مكان، مثل: «عند» إلّا أنّه ينبئ عن دنوّ أكثر وانحطاط
قليل. ومنه: تدوين الكتب؛ لأنّه إدناء البعض من البعض. ودونك هذا، أي: خذه من
أدنى مكان منك.

ثمّ اتسع فيه، واستعمل في انحطاط لا يكون في المكان، كقصر القامة مثلاً. ثمّ
استعير منه للتفاوت في المراتب المعنوية، تشبيهاً بالمراتب المحسوسة. وشاع
استعماله أكثر من استعماله في الأصل، نحو: زيد دون عمرو - أي: في الشرف - ومنه:
الشيء الدون.

ثمّ اتسع في هذا المستعار فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ، وإن لم يكن هناك
تفاوت وانحطاط. فهو في هذا المعنى مجاز في المرتبة الثالثة. قال تعالى: «لا يتخذ
المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين»^(٣)؛ أي: لا يتجاوز^(٤) ولاية المؤمنين إلى
ولاية الكافرين. وقال أمية:

يا نفس! مالك دون الله من واق

أي: إذا تجاوزت وقاية الله، فلا يقيك غيره.

١. ر: أوتي.

٢. في ج: أنزله.

٣. آل عمران / ٢٨.

٤. في ج: لا يتجاوزوا.

وهو بهذا المعنى قريب من أن يكون بمعنى «غير» كآته أداة استثناء. والأحسن هنا أن يكون بمنزلة أداة استثناء. أو بمعنى أدنى مكان من شيء. فيستعار لمعنى قدام الشيء وبين يديه.

وكلمة «من»، إذا كان «دون» بمعنى القدام^(١)، تبعية؛ لأن الفعل يقع في بعض الجهة. وهو ظرف لغو معمول «لشهادتكم»، إذ يكفيه راحة الفعل، فلا حاجة إلى اعتماد ولا إلى تقدير «يشهدوا».

وإذا كان بمعنى أدنى مكان من شيء، ابتدائية متعلقة بـ «ادعوا» وكذا إن كان بمعنى التجاوز عن حد إلى حد. لكنه ظرف مستقر وقع حالاً، والعامل فيها «ادعوا» أو «شهداءكم».

وقد يقال: كلمة «من» الداخلة على «دون» في جميع مواضعها بمعنى: في، كما في سائر الظروف غير المتصرفية^(٢)، أي: التي تكون منصوبة على الظرفية أبداً، ولا تنجز إلا بـ «من»^(٣) خاصة.

قال الشيخ الرضي^(٤): «من» في الظرف^(٥) كثيراً ما يقع^(٦) بمعنى: «في»، نحو: جئت من قبل زيد، ومن عنده. ومن بيننا وبينك حجاباً مستوراً^(٧). وكنت من قدامك. «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٨): في موضع الحال، من فاعل «فانتوا» ولهذا لا يحتاج إلى الجزاء.

أو جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله، ومفعوله محذوف. والمعنى: إن كنتم صادقين أنه من كلام البشر.

و«الصدق» الاخبار المطابق.

١. أ: القدام.

٢. في ج: المتصرف.

٣. لم ترد «إلا» في غير ج.

٤. شرح الكافية، ٣٢١/٢.

٥. المصدر: الظروف.

٦. المصدر: تقع.

٧. ليس في المصدر.

وقيل ^(١): مع اعتقاد المخبر أنه كذلك، عن دلالة أو أمانة؛ لأنه تعالى كَذَّبَ المنافقين في قولهم: «أَنْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ» لما لم يعتقدوا مطابقتها. وردَّ بصرف التكذيب إلى قولهم: «نشهد» لأنَّ الشهادة إخبار عما علمه، وهم ما كانوا عالمين [به] ^(٢).
أو إن كنتم صادقين في ريبكم. والصدق في الريب أن يكون ناشئاً عن شبهة، لا عن الجحود والإنكار. والمعنى: «إن كنتم في ريب مما نزلنا» «فائتوا بسورة من مثله». وادعوا الشهود للمعانة، ليظهر عجزكم وعجزهم، فيزول ريبكم.
وذلك بشرط أن تكونوا من الصادقين في ريبكم، وذلك إذا نشأ من شبهة. وأما إذا كان من الجحود والإنكار، فلا يمكن زواله.

وفي الآية، دلالة على نبوته ﷺ فإنه كان معلوم ^(٣) الحال موفور العقل والمعرفة بالعواقب. فلو ^(٤) تطرقت تهمة إلى ما ادعاه من النبوة، لما استجاز أن يتحداهم، ويبلغ في التحدي إلى نهايته، بل كان ينبغي أن يكون خائفاً، من أن يعارض فتدحض حجته. حاشاه من ذلك ﷺ.

(وفي عيون الأخبار ^(٥): حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور ﷺ قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر، قال: حدثنا أبو عبد الله السيارى، عن أبي يعقوب البغدادي، قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن الرضا ﷺ: لماذا بعث الله تعالى موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا ^(٦) وآلة السحر، وبعث عيسى بالطب، وبعث محمداً ﷺ بالكلام والخطب؟

فقال له أبو الحسن ﷺ: إن الله [تبارك وتعالى] ^(٧) لما بعث موسى ﷺ كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن ^(٨) من عند القوم وفي

٢. من المصدر.

١. أنوار التنزيل، ٣٦١.

٤. كذا في ج. وهو الصحيح. وفي النسخ «فلا».

٣. في ج: كان من المعلوم.

٦. المصدر: موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء.

٥. عيون الأخبار ٧٩/٢، ح ١٢.

٨. ليس في ج.

٧. من المصدر.

وسعهم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله تعالى بعث عيسى عليه السلام في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحياى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص - بإذن الله - وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال: والشعر - فأتاهم^(١) من كتاب الله صلى الله عليه وسلم ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم.

فقال ابن السكيت: تالله! ما رأيت مثل^(٢) اليوم قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: العقل، تعرف به الصادق على الله فتصدقه^(٣)، والكاذب على الله فتكذبه^(٤).

فقال له ابن السكيت: هذا والله الجواب^(٥).

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: لمّا بين لهم ما يتعرّفون به أمر الرسول وما جاء به وميّز لهم الحق عن الباطل، رتب عليه ما هو كالنتيجة له. وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته^(٦) وعجزتم جميعاً عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه، ظهر أنه معجز والتصديق به واجب، فأمنوا به واتقوا العذاب المعدّ لمن كذب.

فعبّر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعمّ الإتيان به وغيره إيجازاً. ونزل لازم الجزء منزلته على سبيل الكناية، تقريراً للمكّنّى عنه، وتهويلاً لشأن العناد وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز.

وإنما أتى بـ «إن» الذي للشك دون^(٧) «إذا» الذي للوجوب، مع أن ظاهر الحال

١. في ج: وأتاهم.

٢. المصدر: مثلك.

٣. المصدر: فيصدقه.

٤. المصدر: فيكذبه.

٥. ما بين القوسين ليس في أ.

٦. أ: معارضة.

٧. أ: ليس في أ.

يقتضي ذلك، تهكماً بهم تهكّم الواقع بغلبته على من يغاويه، حيث يقول له: إن غلبتك، لم أبقِ عليك. أو خطاباً معهم على حسب ظنهم، فإن العجز قيل^(١): لم يكن محققاً عندهم. أو حفظاً لمشكلة^(٢) صدر الآية السابقة. والمعنى: فإن لم تفعلوا، أي: لم تقدروا على الفعل الذي هو الإتيان المكيف بقريئة ما سبق، ومحقق أنكم لا تقدرون، بناء على أنه اعتراض، «فاتقوا النار» إلى آخره.

وبما قرّنا، ظهر فساد ما قاله العلامة السبزواري في تفسيره^(٣). قال: ويخطر بالبال ان الحالية في كمال الاستقامة، وإن أطبق المفسرون على أنها اعتراضية. والمعنى: أنكم لم تأتوا بسورة حال كونكم غير قادرين على الإتيان بها، وحينئذ ترتّب الجزاء على الشرط، إذ بمجرد عدم الفعل لا يعلم عدم صحّة القدرة حتى يترتب عليه اتقاء النار، بل يمكن أن لا يعتنوا بشأنه. وعدم القدرة من تأييد النفي، إذ لو تحقّق القدرة منهم لأتى واحد من هؤلاء بما طلبوا في زمان من الأزمنة ليتخلّصوا من القتل والغارة وذلك إعطاء الجزية.

ثم كتب في الحاشية: قال الشيخ الرضي في شرح الكافية: ويشترط في المضارع الواقع حالاً خلوه عن حرف الاستقبال، كالسين ولن ونحوهما. وذلك لأنّ الحال الذي نحن في بابه والحال الذي يدلّ عليه المضارع - وإن تباينا - حقيقة، لأنّ في قولك - مثلاً -: اضرب زيداً غداً يركب. لفظ «يركب» حال بأحد المعنيين، غير حال بالآخر؛ لأنّه ليس في زمان التكلّم^(٤)، لكنهم التزموا تجريد صدر هذه الجملة - أي: المصدرة

٢. أ: لمشاكلته.

١. أ: ر: قبل.

٣. الظاهر، هو المولى حسين بن علي الواعظ الكاشفي (م ٩١٠) وتفسيره الموسوم بجواهر التفسير لتحفة الأمير. ويقال له «العروس» أيضاً. وهو تفسير فارسي ألفه باسم الوزير الأمير نظام الدين علي شير الجغتائي الذي استوزره السلطان حسين ميرزا بايقرا في شعبان ٨٧٦، إلى أن توفي في ١١/ج ٩٠٦. وهذا التفسير لم يتم تأليفه، بل لم يبلغ حد النصف من الجزء الخامس. ثم إنه اختصره وكتب تفسيراً آخر سماه «بالمواهب العلية» ويسمى أيضاً هذا التفسير الآخر «بتفسير حسيني». (الذريعة ٢٦٦/٥ - ٢٦٥).

٤. في ج المتكلم.

بالمضارع - عن علم الاستقبال لتناقض الحال والاستقبال في الظاهر ، وإن لم يكن التناقض هنا حقيقياً . ولمثله التزموا لفظة « قد » إما ظاهرة أو مقدرة في الماضي إذا كان حالاً ، مع أنَّ حالته بالنظر إلى عامله . ولفظة « قد » تقرب الماضي من حال التكلم فقط . وذلك لأنَّه كان يتنافي في الظاهر لفظ الماضي والحالية ، فقالوا : جاء زيد العام الأول وقد ركب ، فالمجيء^(١) بلفظة « قد » هنا لظاهر^(٢) الحالية ، كما أنَّ التجريد عن حرف الاستقبال في المضارع لذلك ، انتهى .

والعلامة التفاضلاني ، اقتفى أثره في المطول . والمحقق الشريف في حاشية المطول ردَّ عليه ، وقال : وهذا الوجه ، وإن كان منقولاً في الموضوعين عن كلام الرضي ، لكنه غير مرضي كما ترى . والصواب أن يقال : إنَّ الأفعال إذا وقعت قيوداً لما له اختصاص بأحد الأزمنة ، فهم منها استقبالياتها وحالياتها وماضويتها بالقياس إلى ذلك المقيد لا إلى زمان التكلم ، كما في معانيها الحقيقية ، وليس ذلك بمستبعد ، انتهى .

وابن هشام في مغني اللبيب^(٣) ، في تمييز الجمل المعترضة^(٤) عن الحالية ، صرح بأنَّ المصدر بحروف الاستقبال اعتراضية . وشنع على من جعلها حالية ، لكن لم ينقل الوجه هنا^(٥) .

وأنا أقول : إن كان يُعلم من تتبع كلام الفصحاء ، من العرب العرباء ، أنَّ أمثال هذه الجمل اعتراضية وليست بحالية ، وأنهم لم يستعملوها حالاً ، لكان لكلام النحاة وجه ، ويحسن منهم ارتكاب ما ارتكبوا في هذا الباب . ومعلوم أنَّ الأمر ليس كذلك . وعدم شيوع دخول الحروف^(٦) الاستقبالية على الجمل الحالية لا يوجب الحكم بالامتناع ، وجوب خلو الحال عنها ، إذا لم يكن يلزم المفارقة في الزمان بينها وبين صاحبها ،

١ . هكذا في ج . وهو الأظهر وفي النسخ « المجيء » .

٢ . هكذا في ج . وهو الأظهر . وفي النسخ « الظاهر » .

٣ . مغني اللبيب ، ٣/٣٩٨ .

٤ . في ج : المعترضة .

٦ . أ : الحرف .

٥ . في ج : هذا .

وبمحض قول جماعة إذا علم مأخذ قولهم لا^(١) يجب متابعتهم وإن كانوا من المشاهير، خصوصاً إذا لم يوجد ذلك الاشتراط في كلام من هو أشهر منهم. انتهى كلام ذلك العلامة.

فلينظر إلى ما في هذا الكلام من الخبط !

ثم قال: وعلى التقديرين، هذا الكلام معجزة أخرى له ﷺ إذ أخبر وكان كما أخبر. أقول: على تقدير كونه (اعتراضاً، معجزة. وأما على تقدير كونه)^(٢) حالاً - كما قال - فلا. فإنَّ الجمل التي لها محل من الإعراب وقعت موقع المفردات، فتكون نسبتها ملحوظة إجمالاً، ولا يصح اتصافها بالصدق والكذب.

و«الوقود» - بالفتح - الحطب، يرفع به النار. وأما المصدر، فمضموم. وقد جاء فيه الفتح.

وقرئ بالضم:

إما^(٣) على أنه مصدر مستعمل، بمعنى المفعول^(٤)، مجازاً لغوياً، فأريد بالوقود ما يتوقّد به، كما يراد بفخر قومه: ما يفتخرون به. وبزين بلده: ما يتزين به بلده. أو على أنه حقيقة، والمجاز إسناد «الناس» إليه وحمله عليه، كما في قولك: حياة المصباح السليط، أي: الزيت الجيد. فقد جعل السليط - الذي به قوام حياته - عينها ومحمولاً لها.

وفي قراءة فتح الواو، على تقدير المصدرية، يجري هذان الوجهان، ووجه بتقدير مضاف، إما في جانب المبتدأ أو الخبر، كما يقال: أصحاب وقودها الناس والحجارة. أو وقودها إحراق الناس والحجارة^(٥).

و«الحجارة» جمع حجر، كجمالة، جمع جمل. وهو قليل غير منقاس.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. في ج: المفعول.

١. في ج: لما.

٣. ليس في أ.

٥. ليس في ر.

والمراد بها: إمّا أصنامهم التي نحتوها وعبدوها، كما يدلّ عليه قوله تعالى: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم»^(١)، وإمّا قرنوا بها لأنهم قرنوا بها أنفسهم بالعبادة لها.

أو لأنها كانت منشأ جرمهم فعذبوا بها، كما عذب الكافرون بما يكتزونونه .
أو لزيادة تحيّرهم، حيث ظهر منها خلاف ما توقّعوا منها من الانتفاع بشفاعتها واستدفاع المضارّ بمكانتها.

أو مطلق الأحجار، لما فيه من الدلالة على شدّة إيقاد النار وقوّته .
أو الذهب والفضة، اللذان كانوا يكتزونهما ويفتزون بهما .
أو حجارة الكبريت . وخُصّت بذلك لاختصاصها من بين الأحجار بسرعة الانقاد وبطء الخمود^(٢) وتنن الرائحة وكثرة الدخان وشدّة الالتصاق بالأبدان وقوّة حرّها إذا حمت . هكذا ذكروا .

وفي كتاب الاحتجاج^(٣)، للطبرسي رحمه الله: روي^(٤) عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد مررنا مع رسول الله ﷺ بجبل، وإذا الدموع تخرج من بعضه .
فقال له [النبي] ^(٥): ما يبكيك يا جبل؟

فقال: يا رسول الله! كان المسيح مَرَّ بي، وهو يخوف الناس بنار^(٦) وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة .
قال^(٧): لا تخف، تلك الحجارة الكبريت .
فقرّ الجبل وسكن وهدأ وأجاب .

١ . الأنبياء / ٩٨ .
٢ . ليس في أ .
٣ . الاحتجاج ، ٣٢٦/١ .
٤ . في ج: وروي .
٥ . المصدر: معه .
٦ . من المصدر .
٧ . المصدر: من نار .
٨ . المصدر: قال له .

ومضمون^(١) الصلة يجب أن يكون قصة معلومة للمخاطب، وهنا كذلك، إمّا بالسماع من أهل الكتاب، أو من النبي ﷺ أو بسماع آية سورة التحريم. ولا يرد أن سماعهم على هذه الوجوه لا يفيدهم العلم، إذ لا يعتقدون صدق ما يسمعون؛ لأنّ المراد من العلم^(٢)، معناه الأعمّ.

﴿أَعِدْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٥: أي هُيئت لهم، وجعلت عُدة^(٣) لعذابهم.

وقرئ: «اعتدت» من العتاد، بمعنى العدة.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾: عطف على الجملة السابقة.

والمقصود: عطف حال من آمن ووصف ثوابه على حال من كفر، وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب، تنشيطاً لارتكاب^(٤) ما ينجي، وتشبيطاً عن اقتراف ما يردى، لاعطف الفعل نفسه، حتّى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى فيعطف عليه.

و«الجنة» المرة^(٥) من الجنّ. وهو مصدر جنّه: إذا ستره^(٦). ومدار التركيب على الستر، سمّي بها الشجر المظلل^(٧)، لالتفاف أغصانه للمبالغة، كأنّه يستر ما تحته ستره واحدة.

(وفي كتاب علل الشرايع^(٨): بإسناده إلى يزيد بن عبدالله بن سلام، عن أبيه، عن النبي ﷺ حديث طويل، وفيه: قال: فلم سمّيت الجنة جنّة؟

قال: لأنّها جنية خيرة نقية، وعند الله تعالى ذكره مرضية^(٩)).

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: صفة «لجنات»، أي: من تحت أشجارها، على حذف

١. أ: ومضمون الجملة.

٢. أ: بالعلم.

٣. العدة: ما أعدّ لأمر يحدث.

٤. أ: الارتكاب.

٥. المتن: الحرة. و«المرة» موافق نسخة ر والمصدر (أنوار التنزيل).

٦. أ: سره.

٧. في ج: المظلم.

٨. علل الشرايع ٤٧٠، ح ٣٣.

٩. ما بين القوسين ليس في أ.

المضاف . أو إرادة الأشجار بالجنات مجازاً . أو من ضميرها ، على طريقة الاستخدام .
و « من » إما ابتدائية ، أو تبعية ، فإن الماء لا يجري في جميع أسافل الأشجار ، بل في بعضها .

ويحتمل بعيداً أن يكون المراد : في تحتها^(١) ، على ما مرّ .
و « الأنهار » جمع نهر - بالسكون ، أو بالفتح . - وهو الأفصح . و جاز فيما عينه أو لأمه
حرف حلق أربعة أوجه : فتح الفاء والعين . وفتح الأول ، وكسر الثاني ، وكسرهما ،
وكسر الأول مع سكون الثاني . لكن لم يسمع من هذه الوجوه « في النهر » إلا اثنان . وهو
المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر ؛ كالنيل والفرات .
والتركيب للسعة . والمراد : ماءها ، على الإضمار ، أو المجازي أنفسها .
وإسناد الجري إليها مجاز ، كما في قوله تعالى : « وأخرجت الأرض أثقالها »^(٢) ، أو
على التجوز في المفرد ، بإطلاق اسم المكان على المتمكن .

و « اللام » فيها إما للجنس ، من غير قصد إلى العموم والاستغراق ؛ كما في قولك :
لفلان^(٣) بستان فيه الماء الجاري . أو بدل^(٤) من الإضافة ، أي : أنهارها . أو للعهد ، إشارة
إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى : « أنهار من ماء غير آسن »^(٥) ، والأول أحسن .
والثاني : مذهب كوفي مرجوح . وقد منعه صاحب الكشف^(٦) ، حيث قال في قوله
تعالى : « فإنّ الجحيم هي المأوى »^(٧) ، المعني : فإنّ الجحيم هي مأواه ، وليس الألف
واللام بدلاً من الإضافة . ولكن لما علم أنّ الطاغية هو صاحب المأوى ، ولأنّه لا
يقصّ^(٨) الرجل طرف غيره ، تركت الإضافة .

والثالث ، مع توقّفه على سبق ذكر المنكر على المعروف فيه ، بعد لا يخفى .

١ . أي : أنّ « من » بمعنى « في » .

٢ . الزلزلة / ٢ .

٣ . ليس في أ .

٤ . أ : أول .

٥ . محمّد / ١٥ .

٦ . الكشف ، ٦٩٨ / ٤ .

٧ . النازعات / ٣٩ .

٨ . ر : يغص .

وإنما نعت الجنان^(١) بجري الأنهار تحتها؛ لأنّ الرياض وإن كانت أحسن شيء، إذا لم يجري فيها الماء كانت كتماثيل لأرواح فيها، وصور لا حياة لها. ولهذا قدّمها على سائر نعوتها.

وعن مسروق: إنّ أنهار الجنة تجري في غير أخدود. و«الأخدود»^(٢): الشقّ المستطيل في الأرض.

والمعنى: أنّ تلك الجنات تجري من تحتها أنهار^(٣) من ماء ولبن وعسل. **﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾**: صفة ثانية «لجنات»، وترك العاطف بينهما، تنبيهاً على أنّ كل واحد منهما صفة على الاستقلال.

أو استئناف. كأنّه لما قيل أنّ لهم جنات وقع في قلب السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أم أجناس آخر، فأزيح بذلك. أو خبر مبتدأ محذوف. والتقدير: هي، أو هم. وردّ ذلك الأخير: بأنّ تلك الجملة المحذوفة المبتدأ إن جعلت صفة أو استئنافاً، كان تقدير الضمير مستدركاً. وإن جعلت ابتداء كلام لا يكون صفة ولا استئنافاً، فلتكن كذلك بلا حذف.

وأجيب: بأنّ تقدير «هي» يظهر معنى الوصفية، وبتقدير «هم» يظهر تقوّي شأن الاستئناف، فلا استدراك، وفيه ضعف لا يخفى.

﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ «رزقوا».

﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: متعلق به - أيضاً -.

وكلمة «من» فيهما، لا ابتداء الغاية.

فإن قلت: لا يصحّ أن يتعلّق بفعل واحد حرفاً جرّاً يتحدان في المعنى عند النحاة، إلّا على قصد^(٤) الإبدال والتبعية.

١. في ج: الجنات.

٢. ر: قصة.

٣. أ: الأنهار.

٤. ر: قصة.

قلت: لا مجال لذلك في الآية الكريمة. فإنهما ليستا متعلقتين^(١) بفعل واحد، بل بفعلين مختلفين بالإطلاق والتقيّد. فالمطلق - أعني: «رزقوا» - جعل مبتدأ من «الجنات»، وبعد تقييده بالابتداء منها، جعل مبتدأ من «الثمرة»، مع أنه لقائل أن يمنع عدم صحة الإبدال هاهنا، فإنه يجوز أن يكون بدلاً من الأولى بتقدير صفة، أي: من ثمرة كائنة منها. وكلا الطرفين لغو «لِرُزُقُوا»، فلا حاجة إلى أن يجعل الأول حالاً من «رزقاً»، والثاني من ضميره^(٢) فيها، أي: الحال (منه ﷻ)^(٣).

﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: هذا الظاهر المحسوس من المرزوق، كالمرزوق الذي رزقناه في الشكل واللون لا في الطعم. فحذف أداة التشبيه ووجهه للمبالغة، كما في: زيد أسد^(٤).

ويحتمل أن يجعل «هذا» إشارة إلى نوع ما رزقوا، فلا حاجة إلى اعتبار التشبيه نوع المرزوق في الآخرة هو نوع المرزوق في الدنيا من قبل، أي: من قبل هذا في الدنيا. وإنما جعل الثمران^(٥) متشابهين؛ لأنّ الطبع إلى المألوف أميل، وإلى تناوله أسرع. ووجود المزية أظهر إذ لو كان جنساً لم يعهد ظنّ أنه لا يكون إلا كذلك، وإعجاب النفس به واستغرابه له أشدّ. أو في الجنة، لما روي: أنّ ثمار الجنة إذا جنت بدل الله مكانها مثلها^(٦). فقالوا: «هذا الذي رزقنا من قبل» لاشتباه الأمر عليهم، أو لاستغرابهم إيّاه وابتهاجهم به.

وفيه أن قول ذلك في المَرّة الأولى لا معنى له، كما يقتضيه عموم «كلما». و﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾: جملة معترضة بين أوصاف الجنة لتقرير ما قالوا. أو حال من فاعل «قالوا» بتقدير «قد» عند البصرية، كقوله تعالى: «جاؤوكم حصرت

١. في ج: متعلقين. ٢. ر: ضمير.

٣. ذكرت في هامش النسخ.

٤. أي: حذف أداة التشبيه وهي الكاف، ووجه الشبه وهو «في القوة»، وأصل الجملة: زيد كالأسد في القوة.

٥. هكذا في ج. وفي النسخ «الثمرات». ٦. أ: مثلاً.

صدورهم»^(١)، وبدونه عند الكوفية .

وللمرزوق والرزق، من حيث وحدتهما الجنسية، توحد. ومن حيث اثنييتيهما النوعية، تعدد. فإفراد الضمير، للجهة الأولى. وجعل «متشابهاً»، المقتضى تعدد الفاعل حالاً عنه بالاعتبار الثاني، والمعنى: وأتوا به متشابهاً به، أي: بهذا الجنس، حال كونه متشابهاً في كل من نوعيه نفسه في الآخر.

فمرجعه على الوجه الأول، هو الجنس المرزوق الشامل لكل من مرزوق الدنيا والآخرة، فإنه يفهم من مضمون ما تقدم، وعلى الوجه الثاني هو الرزق.

قال علي بن ابراهيم^(٢): يؤتون من فاكهة واحدة، على ألوان متشابهة.

«وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ»: «الزوج» يقال للذكر والأنثى. وهو في الأصل لما له قرين من جنسه. كزوج الخف.

فالذين آمنوا، إن كان شاملاً للمؤمنين والمؤمنات تغليباً، فمعنى لهم^(٣) أزواج: أن للذكور أزواجاً من جنس الأنثى. والمراد به إما الحور العين، أو نساء الدنيا سلبت عنها القذرات. وإرادة الأعم أولى. وللأنثى أزواجاً من جنس الذكور.

وإن كان خاصاً بالمؤمنين، اكتفاء بهم؛ لأنه يعرف حال المؤمنات بالقياس إلى حالهم، فمعناه: أن للمؤمنين أزواجاً مطهرة.

وقرى «مُطَهَّرَةٌ» بتشديد الطاء وكسر الهاء، بمعنى: مطهرة ومطهرات. وهي^(٤) تؤيد^(٥) الاحتمال الثاني؛ لأن القياس على الأول: مطهرون، فإنه لم يعهد تغليب النساء على الرجال. و«مُطَهَّرَةٌ» أبلغ من «طاهرة ومطهرة»؛ لأنها تنبئ من أن مطهراً^(٦) طهرها. وليس هو إلا الله ﷻ. والمراد بتطهرها^(٧): أن طهرت مما يختص بالنساء من الحيض

٢. تفسير القمي، ٣٤/١.

١. النساء / ٩٠.

٤. ر: هو.

٣. أ: لهم فيها.

٦. هكذا في ج. وهو الصحيح. وفي النسخ «مطهر».

٥. النسخ: يؤيد.

٧. في ج: أظهرها.

والاستحاضة. وما لا يختص من الأقدار والأدناس. ويجوز لإطلاقه أن يدخل تحته الطهر من ذمائم الأخلاق وقبائح الأفعال.

وإنما لم يجمع الصفة كالموصوف، إذا أتى بها على قاعدة الرجال والنساء، فعملت للتأويل بالجماعة. وهي لغة فصيحة.

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ❶ : دائمون.

والخلد والخلود، يطلق على الثبات المديد الدائم، وعلى غير الدائم، بالاشتراك المعنوي أو اللفظي، أو الحقيقة والمجاز.

والأول أولى، نفعاً للتجاوز والاشتراك اللذين هما خلاف الأصل.

ومنه قيل للأثافي^(١) والأحجار: خوالد. والجزء الذي يبقى من الإنسان، على حاله مادام حياً خلداً.

وقيل: وإلا يلزم أن يكون التقييد بالتأيد، في قوله تعالى: «خالدين فيها أبداً» لغواً. وبالجمله، المراد به: الدوام هنا عند الجمهور، لما يشهد له من الآيات والسنن. ثم إن مجامع اللذات، المسكن والمطعم والمنكح. فوصف الله تعالى المسكن بقوله: «جنات تجري من تحتها الأنهار»، والمطعم بقوله: «كلما رزقوا منها من ثمرة»، والمنكح بقوله: «ولهم فيها أزواج مطهرة». ثم إن هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوف الزوال، كان التنعم بها منقصاً^(٢)، فأزال تعالى هذا الخوف عنهم بقوله: «وهم فيها خالدون»، فصارت الآية دالة على كمال التنعم والسرور.

فإن قلت: فائدة المطعم، هو التغذي ودفع^(٣) ضرر الجوع. وفائدة المنكوح، التوالد وحفظ النوع.

قلت: مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات، ويسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل، ولا يشاركها

١. الأثافي - جمع أثفية -: أحد أجمار ثلاثة توضع عليها القدر.

٢. أ: منقصاً. ٣. أ: ليس في أ.

في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما يلزمها ويفيد عين فائدتها.

فإن قيل: الأبدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية، معرضة للاستحالة المؤدية إلى

الانفكاك والانحلال، فكيف يعقل خلودها في الجنان؟

قلت: إن الله تعالى يعيدها بحيث لا يعتمدها الاستحالة، بأن يجعل أجزائها - مثلاً -

مقاومة^(١) في الكيفية، متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على إحاطة الآخر، متعاقبة

متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، كما في بعض المعادن.

(وفي تفسير علي بن ابراهيم^(٢) - حديث طويل - عند قوله تعالى: «يوم نحشر

المتقين إلى الرحمن وفداً»^(٣) يذكر فيه ﷺ أحوال المتقين بعد دخولهم الجنة، وفيه:

ثم يرجعون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغسلون فيها وهي عين الحياة، فلا

يموتون)^(٤).

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن^(٦)

المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم، قال: قال أبو عبد الله ﷺ: إنما خلّد أهل

النار في النار^(٧)؛ لأنّ نيّاتهم كانت^(٨) في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً. وإنّما

خلّد أهل الجنة في الجنة؛ لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا، أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً.

فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء. ثمّ تلا قوله تعالى: «قل كل يعمل على شاكلته»^(٩). قال:

على نيّته.

والطائفة الإمامية، هي المقصودة من الآية. فإنّ من لم يؤمن بخلافة علي ﷺ عن

رسول الله ﷺ بلا واسطة، لم يؤمن بالقرآن. فهو خارج عن رتبة الإيمان^(١٠).

١. أ: متفاوتة.

٢. تفسير القمي، ٥٤/٢.

٣. مريم / ٨٥.

٤. مابين القوسين ليس في أ.

٥. الكافي ٨٥/٢، ح ٥.

٦. ليس في ج.

٧. ليس في أ.

٨. ر: كان.

٩. الإسراء / ٨٤.

١٠. أ: الإسلام.

يدلّ على ما ذكرنا، ما رواه ثقة الإسلام في الكافي^(١): عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا: «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا - في علي - فأتوا بسورة من مثله».

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال الإمام عليه السلام: قال علي بن الحسين عليه السلام: قوله ﷺ: «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا» في إبطال عبادة الأوثان من دون الله، وفي النهي عن موالات أعداء الله ومعاداة أولياء الله، وفي الحثّ على الانقياد لأخي رسول الله ﷺ واتخاذهم إماماً واعتقاده فاضلاً راجحاً لا يقبل الله ﷻ إيماناً ولا طاعة إلا بموالاته، وتظنون أنّ محمداً يقول من عنده، وينسبه إلى ربه، فإن كان كما تظنون «فأتوا بسورة من مثله»، أي: مثل محمد، أي: لم يختلف قط إلى أصحاب كتب وعلم. ولم يتلمذ لأحد ولا تعلّم منه. «وادعوا شهداءكم من دون الله» الذين يشهدون بزعمكم أنكم محقّون، وأنّ ما تجيئون به نظير لما جاء به محمد ﷺ «إن كنتم صادقين» في قولكم أنّ محمداً تقوله.

ثمّ قال الله: «فإن لم تفعلوا»، أي: ما يأمركم، وتقبلوا^(٣) ما يحدثكم به، «ولن تفعلوا»، أي: ولا^(٤) يكون ذلك منكم، ولا تقدرون عليه «فاعلموا» أنكم مبطلون، وأنّ محمداً الصادق الأمين المخصوص برسالة ربّ العالمين المؤيد بالروح الأمين وبأخيه أمير المؤمنين وسيد المتّقين، فصدّقوه فيما يخبركم به عن الله من أوامره ونواهيه، وفيما يذكره من فضل علي وصيّ وأخيه. و«اتقوا» بذلك عذاب «النار» التي «وقودها» وحطبها «الناس والحجارة» أشدّ حرّاً «أعدّت» تلك النار «للكافرين»

١. الكافي ٤/١٧١، ح ٢٦.

٢. تفسير العسكري عليه السلام، ٢٠٠، بتفاوت كثير.

٤. في ج: لا.

٣. في ج: ولم تقبلوا لما يحدثكم به.

بمحمّد والشاكّين في نبوته والمدافعين لحق أخيه علي، والجاحدين لإمامته.
ثم قال: «وبشّر الذين آمنوا» بالله، وصدّقوك في^(١) نبوتك واتخذوك نبياً، واتخذوا
أخاك علياً بعدك إماماً ولك وصياً مرضياً، وانقادوا لما يأمرهم به، وصاروا إلى ما
اختارهم إليه، ورأوا له ما يرون لك إلا النبوة التي أفردت بها، أن الجنان لا تصير لهم إلا
بموالاته وموالاته من نصّ عليه من ذريته وموالاته أهل ولايته ومعاودة أهل مخالفته
وعداوته، وأن النيران لا تهدن عنهم ولا تعدل بهم عن^(٢) عذابها إلا بتنبّئهم^(٣) عن
موالاته مخالفيهم، ومؤازرة شائنيهم^(٤). «وعملوا الصالحات» من أداء الفرائض
 واجتناب المحارم، ولم يكونوا كهؤلاء الكافرين بك، «أنّ لهم جنات تجري من تحتها
 الأنهار» من تحت شجرها ومسكنها. «كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي
 رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة» من أنواع الأقدار. «وهم فيها
 خالدون» مقيمون في تلك البساتين والجنات.

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي^(٥)، قال: حدثنا الحسن بن الحسين
 الأنصاري، قال: حدثنا حيان بن علي الغنوي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن
 عباس عليه السلام: «وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات» (الآية) نزلت في علي وجعفر
 وحزمة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنهم أجمعين^(٦).

قال بعض الفضلاء: وإن أردت تأويل الآية في بعض بطونها، فاعلم أنّ الجنات
 ثلاثة: جنة الاختصاص الإلهي، وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا، والمجانين
 الذين ما عقلوا، وأهل الفترات ومن لم يصل إليه دعوة رسول. والجنة الثانية: جنة

١. في ج: و.

٢. هكذا في تأويل الآيات الطاهرة ج ١، ص ٤٣ ح ١٧. وهو الأظهر. وفي النسخ «عنه».

٣. النسخ والمصدر: بتنبّئكم! والمتن موافق لتفسير البرهان، الذي نقل فيه عن المصدر.

٤. في ج: شائنيهم.

٥. تفسير فرات، ٥٣.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها. والجنة الثالثة: جنة الأعمال، وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان له من الأعمال أكثر كان له من الجنات أكثر. وفي شأن هذه الجنة^(١) ورد^(٢) عن النبي ﷺ: «أَنَّ الْجَنَّةَ قَاعٌ صَفْصَفٌ، لَيْسَ فِيهَا عِمَارَةٌ، فَأَكْثَرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا.

قيل: يا رسول الله! وما غراس الجنة؟

قال ﷺ: فهذه الجنة، ما فيها من الأشجار والأنهار والثمار وغيرها من الحور والقصور والغلمان والولدان هي أعمالهم وأخلاقهم ومقاماتهم وأحوالهم، مثلت وصوّرت في أمثلة وصور مناسبة، ثم ردت إليهم. ولهذا يقال لهم: إنّما هي^(٣) أعمالكم ترد إليكم.

وهذه الآية الكريمة إشارة إلى بشارة أهل هذه الجنة، يعني: «بشر الذين» تحققوا بالعلوم والمعارف الإيمانية المبنية عليه الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة «أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ» من أشجار ونخيل وأعناب، وهي صور هذه الأعمال والأفعال. «تجري من تحتها الأنهار» أي: أنهار تلك العلوم والمعارف النابتة أصول هذه الأشجار وفروعها منها. «كلما رزقوا منها من ثمرة» هي من صور نتائج أعمالهم. وتنبيهوا لما بين الصورة وذو الصورة من المناسبة والمباشرة، «قالوا هذا» المرزوق في الجنة بعينه هو «الذي رزقنا من قبل» في الدنيا. وهذا كما إذا رأيت ليلة في المنام أنك تشرب اللبن وحصل لك غداها نوع من العلم، تنبّهت لما بين ما رأيته في المنام وبين ما حصل لك من العلم من المشابهة، فإنّ اللبن كما أنّه غذاء صالح للأبدان، كذلك العلم غذاء^(٤) صالح للقلوب والأرواح، قلت: هذا ما رأيته البارحة في المنام، وأتيت بما رزقته في النوم واليقظة

٢. أ. ر: ورد ما ورد.

٤. أ: ليس في أ.

١. أ: الجهة.

٣. ليس في أ.

متشابهاً، أي: يشابه كل واحد منهما^(١) الآخر. وعلى هذا القياس معنى «أتوا به متشابهاً ولهم فيها» من صور أبتكار المعاني الغيبية التي يقتضيها خصوصيات استعداداتهم «أزواج مطهرة» من ملابس الأغيار، لم يطمئنهنّ إنس ولا جان. «وهم فيها خالدون» أي: دائمون لا يرحون عنها. وفي قوله: «وهم فيها خالدون» وإن كان لهم بشارة بالدوام والبقاء، ولكن فيه تعريض بشأنهم أنهم أخلدوا إلى أرض هذه الجنة، فلا يرحون عنها إلى ما فوقها. ولا يترقون إلى جنات النعيم وجنة الذات، (فهم لا يزالون مقيدّين بها، بخلاف أهل جنات الصفات، فإنّهم وإن كانوا غير مترقين إلى جنة الذات)^(٢) لكنهم ينزلون إلى جنات الأفعال ويتحظون^(٣) بما فيها من غير تقيّد بها. وأمّا أهل جنة الذات فلهم السراح والإطلاق، يظهرون في الجنات كلّها، ويتحظون بما فيها من غير تقييد بشيء منها. رزقنا الله وإياكم معالي الأمور، وهو سبحانه الودود الغفور.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾: لما كانت الآيات السابقة مشتملة^(٤) على أقسام من التمثيل، عقّب ذلك ببيان حسنه، وما هو الحقّ له، وما هو شرط فيه من موافقته للممثل له، من الجهة التي تعلّق بها التمثيل في العظم والصغر والشرف والخسة^(٥) دون الممثل. فإنّ التمثيل إنّما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له، ورفع الحجاب عنه وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه. فإنّ المعنى الصرف، إنّما يدركه العقل مع منازعة من الوهم؛ لأنّ من طبعه ميل الحس وحبّ المحاكاة لما قاله الجهلة، من أن ضرب الممثل^(٦) بالمحقّرات، كالنحل والذباب والعنكبوت والنمل، لا يليق بكلام الفصحاء من المخلوقين، ويخلّ بفصاحته، فكيف يليق بالقرآن الذي تدعون أنّه كلام الله، بالغ في الفصاحة حدّ الإعجاز؟

١. أ: منها.

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. أ: تحيظون. ر: يحظون.

٤. أ: المشتملة.

٥. أ: الحسنة.

٦. في ج: المثل.

وعن الحسن وقتادة^(١): أنه لما ذكر الله الذباب والعنكبوت^(٢) في كتابه وضرب به ضحك^(٣) اليهود. وقالوا: ما يشبه^(٤) هذا كلام الله. فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وقال: إن الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة، ما ترك من يستحي أن يمثل بها لحقارتها^(٥). وقد مثل في الانجيل بالنخالة لمن يقول بالبر ولا يعمل به، كالمنخل يخرج المنخول المختار ويمسك النخالة. قال: لا تكونوا كمنخل يخرج^(٦) منه الدقيق ويمسك النخالة. كذلك أنتم، تخرج الحكمة من أفواهكم وتبقون الغل في صدوركم. وبالحصاة للقلوب القاسية، حيث قال: قلوبكم كالحصاة لا ينضجها النار، ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرياح. وبالزنابير لمقاولة السفهاء، لما في اثارها من الضرر. قال: لا تثيروا الزنابير، فتلدغكم. فكذا لا تخاطبوا السفهاء فيشتمون.

و«الاستحياء» من الحياة. وهو انقباض النفس عن القبيح، مخافة الذم. وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها، والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً.

واشتقاقه من الحياة. يقال: حي الرجل: إذا اعتلت قوته الحيوانية، كما يقال: نسي وحشي: إذا اعتلت نساؤه وحشاه. والنساء - بفتح النون والقصر - عرق يخرج من الورك فيبتطن^(٧) الفخذين، ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. ومنه: مرض عرق النساء. والحشا ما احتوت عليه الضلوع. فكأنه جعل الحي^(٨) لما يعتره من التغير والانكسار متقص^(٩) الحياة، كما يقال: فلان هلك، أو مات، أو ذاب حياء من كذا.

و«استحيى» بمعنى حي، كاستقر، بمعنى قرّ. ويتعدى بنفسه وبحرف الجر. يقال: استحييته، واستحييت منه.

١. مجمع البيان، ٦٧/١. ٢. في ج: والعنكبوت والنمل.

٣. في ج: ضحكتم. ٤. أ: شبه.

٥. هكذا في ج. وهو الصحيح. وفي النسخ «لحقادتها».

٦. هكذا في ج: خرج. ٧. في ج: فيبتطن.

٨. أ: متقص. ٩. في ج: الحق.

والآية تحتل الوجهين. وإنما أتى بالمزيد، لما في المجزّد من توهم نفي الحياة. وروى ابن كثير: يستحي، بياء واحدة^(١).

ووجهه أنّه استقل اجتماع اليائنين، فحذفت احداهما بعد نقل حركتها إلى ما قبلها. ولما لم يجز على الله تعالى التغير^(٢) والخوف والذم، لم يجز وصفه بالحياء اللازم من نفي الاستحياء المقيد، فإنّه يفهم منه ثبوت مطلق الاستحياء كما يدلّ عليه حديث سلمان رحمة الله عليه^(٣)، صريحاً، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله حيي كريم، يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفراً^(٤) حتى ينزل^(٥) فيهما خيراً.

فلا بد أن يراد ما هي سبب عنه، أعني: ترك ما يستحي عنه فيكون مجازاً من باب إطلاق اسم^(٦) السبب على المسبب. أو يجعل^(٧) من قبيل الاستعارة التمثيلية، بأن يشبه حال الله سبحانه، مع ضرب المثل بالمحقرات، بحال المستحي مع ما يستحي منه. فكما أنّ المستحي يترك ما يستحي منه، كذلك سبحانه^(٨) يترك ضرب المثل بالمحقرات.

فإذا نفى ذلك المعنى، صار المعنى: أنّه ليس حاله سبحانه - مع ضرب المثل بها - كحال المستحي مع ما يستحي منه في الترك. فلا يترك سبحانه ضرب المثل، كما يترك المستحي ما يستحي منه.

فإن قلت: يلزم حينئذ وقوع الفعل، فيشكل ذلك من أنّه ما وقع في القرآن ذكر البعوضة والتمثيل بها ولا ذكر ما فوقها إذا أريد به، ما فوقها في الحقارة.

قلت: كما أنّ للاستحياء لازماً هو ترك المستحي منه، كذلك لعدم الاستحياء لازم

٢. في ج: التغير. ونغرفلان: غلى جوفه من الغيظ.

٤. أ: حقراً.

٦. ليس في أ.

٨. في ج: الله سبحانه.

١. الكشاف، ١١٤/١.

٣. الكشاف، ١١٢/٨.

٥. المصدر: يضع.

٧. في ج: أو يحتمل.

هو جواز وقوع الفعل . فإنه لا يلزم من عدم السبب إلّا جواز وقوع^(١) المسبّب لا وقوعه .

فيصير المعنى : أن الله سبحانه يجوز أن يقع منه ضرب المثل بالبعوضة فما فوقها . ولا شك أن الجواز لا يستلزم الوقوع .

ويجوز أن يكون هذه العبارة مما وقعت في كلام الكفرة ، فقالوا : أما يستحي ربّ محمّد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ؟ فجاءت هنا على سبيل المشاكلة . وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، كقوله : قالوا اقترح شيئاً^(٢) نجد لك طبخة .

قلت :

اطبخوا لي^(٣) جبة وقميصاً^(٤)

وقد يجاب بأن وقوعها في القرآن إنّما هو بالنظر إلى هذه الآية ، وبأن ترك^(٥) ضرب المثل بالبعوضة وبما فوقها يكون^(٦) بتركهما جميعاً ، فهو في قوة السلب الكلّي ، وهو يرتفع بالإيجاب الجزئي ، فليكن صدق نفي تركهما بوقوع ضرب المثل بما فوق البعوضة .

والأول ضعيف . فإنّها لم يقع على قصد التمثيل لها^(٧) وإن تكلف . ويقال : المراد^(٨) أنّه لا يستحي أن يضرب بها مثلاً للآلهة ، فإن المتبادر أنّها إخبار عما وقع خارجاً عن هذا الكلام .

والثاني لا يتأتى إلّا على تقدير أن يراد « بما فوقها » : ما يفوقها في العظم . مع أن حمله على ما يفوقها في الحقارة وإن لم يكن أولى ، فلا أقلّ من أن يكون مساوياً .

٢ . ليس في ج .

١ . في ج : وقوعه .

٤ . أ : قميصاً .

٣ . أ : إلى .

٦ . في ج : إنّما يكون .

٥ . ليس في ج .

٨ . المراد به .

٧ . في ج : بها .

قال العلامة السبزواري^(١): المعنى: لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيقية كالبعوضة، فضلاً عما هو أكبر منها كالذباب والعنكبوت، وما هو أعظم منهما. أو كالبعوضة فما فوقها في الصغر والحقارة؛ لأنّ جناح البعوضة أصغر منها وقد ضرب به المثل، وقد خلق الله من الحيوان ما هو أصغر حجماً من البعوضة بكثير.

أقول: لا يخفى على ما حقّقنا ما فيه فإنّه يدلّ على أنّه ضرب المثل بالبعوضة وما هو أصغر منها وليس كذلك. وأمّا ما روي عن الصادق عليه السلام^(٢) من أنّه قال: إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة؛ لأنّ البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره، وزيادة عضوين آخرين. فأراد الله سبحانه أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب صنيعته^(٣). فلا يدلّ على أنّ ضرب المثل بالبعوضة واقع من الله، بل على أنّه جاز وقوعه لهذا الوجه. وهذا المعنى: وإن كان خلاف ما هو المتبادر من لفظ الحديث، لكن يجب أن يصار إليه عند قيام القرينة.

«أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا»: في محل النصب، إمّا على أنّه مفعول الفعل المتقدم، أو بنزع الخافض. أو الجزّ بتقديره، كما في: الله لأفعلنّ.

وضرب المثل، اعتماده من ضرب الخاتم. وأصله: إيقاع شيء على شيء، كضرب الشيء باليد والعصى والسيف ونحوها. وضرب الدراهم، اعتباراً بضربه بالمطرقة. والضرب في الأرض: الذهاب فيها، وهو ضربها بالأرجل. وضرب الخيمة: لضرب أوتادها بالمطرقة. وضرب المثل: هو من ضرب الدراهم. وهو ذكر شيء يظهر أثره في غيره.

والاضطراب: كثرة الذهاب في الجهات، من الضرب في الأرض.

و«مثلاً» منصوب، على أنّه مفعول به «ليضرب».

و«بعوضة» بدل منه. أو عطف بيان. أو مفعول «ليضرب».

٢. مجمع البيان، ٦٧/١.

١. تفسير حسيني، ٧/١.

٣. أ: صفته. المصدر: صنعه.

و« مثلاً » حال تقدمت ؛ لأنه نكرة . أو هما مفعولاه لتضمنيه معنى الجعل أو لتجوزة عنه ، ويكون « مثلاً » مفعوله الثاني ؛ لأنه المناسب بحسب المعنى :

و قرئ بعوضة - بالرفع - على أنه خبر مبتدأ محذوف .

و« ما » هذه إبهامية ، تزيد للنكرة إبهاماً وعموماً ، تسد^(١) عنها طرق التقييد .

فإما اسم ، يقع صفة للنكرة . فمعنى قوله « مثلاً ما » : مثلاً أي مثل .

وإما زائدة . فيكون حرفاً ؛ لأن زيادة الحروف أولى من زيادة الأسماء ، لاستبدادها بالجزئية .

وأيضاً ثبت زيادتها في نحو : « فيما رحمة من الله لنت لهم »^(٢) . ووصفيتها لم تثبت ، فالحمل على ما ثبت في موضع الالتباس .

وفائدة « ما » هذه ، إما التحقير ، نحو : هل أعطيت إلا أعطية^(٣) ما . أو التعظيم ، نحو :

لأمر ما يسود من يسود

أو التنويع ، نحو : أضربه ضرباً ما ، أي : نوعاً من أنواع أيها كان .

وتجتمع هذه المعاني كلها في الإبهام وتأكيد التنكير ، أي : عطيةً لانعرف من حقارتها ، وأمر مجهول العظمة ، وضرباً مجهولاً غير معين .

أو غير إبهامية ، بل هي حرف زيدت لتأكيد معنى آخر ، غير التنكير والإبهام . فهي هنا :

إما لتأكيد ضرب المثل ، أو نفى الاستحياء ، أي : يضرب المثل البتة ، أو لا يستحيي البتة .

وإما موصولة . وذلك بشرط أن يقرأ « بعوضة » مرفوعة ، ويجعل مع مبتدئه المحذوف صلة .

وإما موصوفة . والجملة صفة ، ومحلها النصب على البدلية أو الاختصاص .

وإما استفهامية مرفوع المحل ، على أنه مبتدأ و«بعوضة» خبره . فإنه لما قال في رد استبعادهم ضرب الله الأمثال بالمحقرات : «إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً» لا يبعد أن يقال : معناه للمبالغة في الرد ، أن الله التمثيل بأشياء محقرة لا يتأتى لكم أن تدركوها من الحقارة ، فيحسن إرادفه «بما» إلى آخره . ومعناه : أي شيء البعوضة فما فوقها حتى لا يمثل بهما ؟ بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ، ونظيره : فلان لا يبالي بإعطاء المئات والألوف من الدينار ، ما دينار وديناران ، حتى لا يعطي ؟ وإما^(١) زائدة . أو صفة لنكرة ، و«بعوضة» خبر مبتدأ محذوف ، أي : مثلاً هو بعوضة .

و«البعوض» من البعض وهو القطع ، كالبضع ، والعضب . ومنه : بعض الشيء ، فإنه قطعة منه ، فمدار هذه الحروف على القطع ، كيفما يترتب . فهو في أصله صفة على فعول ، كالقطوع ، فُغَلِبَ على البقة كالخמוש - بفتح الخاء - فإنه أيضاً صفة على فعول ، من خمش وجهه ، يخمشه ؛ أي : يخدشه . فُغَلِبَ عليها .

و«ما» في «ما فوقها» إن نصبنا^(٢) «بعوضة» كانت معطوفة عليها موصولة أو موصوفة ، صلتها أو صفتها الظرف . وإن رفعناها ، وجعلنا «ما» الأولى موصولة أو موصوفة أو استفهامية ، فالثانية معطوفة عليها أو على «بعوضة» .

وإن جعلنا «ما» زائدة أو صفة نكرة و«بعوضة» خبراً «لهو»^(٣) مضمراً ، كانت «ما» معطوفة على «بعوضة» .

وإن جَوَزَ حذف الموصول مع بعض الصلة ، يجوز أن يكون «ما» في «ما^(٤) فوقها» استفهامية ، أي : فما الذي هو فوق البعوضة ؟ والمعنى : إن الله التمثيل بالبعوضة ، فأَيُّ شيء ما هو فوق البعوضة كالذباب والعنكبوت ، حتى لا يمثل به ؟ وحينئذ يكون في غاية الطباق لكلام الكفرة . هذا إذا لم يكن «ما» الأولى استفهامية .

٢. أ: نصبنا .

٤. أ: فما .

١. أ: وما .

٣. في ج: لهو .

فإذا كانت هي أيضاً استفهامية يكون ترقياً على ترقٍ. والمعنى: إنَّ الله التمثيل بأحقر شيء، فأَيُّ شيء البعوضة حتى لا يمثل بها؟ وبعد ذلك، أي شيء مافوق البعوضة كالذباب والعنكبوت، حتى لا يمثل به.

ومعنى «ما فوقها» أي: في الكبير، وهو أوفق لكلام الكفرة. أو في الصغر، وهو أشدَّ مبالغة في ردِّهم. وما فوق في الصغر، هو جناحها، كما ضربه ﷺ مثلاً للدنيا، روى الترمذي^(١)، عن سهل^(٢) بن سعد، عن رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ماسقى منها كافراً^(٣) شربة ماء.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ﴾: «أما» بفتح الهمزة وتشديد الميم في جميع اللغات، إلا عند بني تميم، فإنهم يقولون: «أيعا» حرف تفصيل؛ كما- بكسر الهمزة - مطلقاً عند المبرِّد.

وأما الأولى، عند غير المبرِّد، يفيد تفصيل مجمل متعدد سابق في الذكر صريحاً، كقولك: جاءني القوم، أما العلماء فكذا، وأما الجهلاء فكذا. أو في الذهن من غير سبق ما يدلُّ عليه بوجه ما، كقولهم في صدور^(٤) الكتب: أما بعد. أو مع سبقه، كما نحن فيه من الآية؛ لأنَّ قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» دلَّ على أنَّ ثمة من يداخله شبهة على ما مرَّ ويخطر منه بالبال مقابله، فيحصل في الذهن متعدد يفصله «أما» ويتضمَّن معنى الشرط، ولذلك يجاب بالفاء.

قال سيبويه: أما زيد فذاهب. معناه: مهما يكن^(٥) من شيء، فزيد ذاهب، (أي: هو ذاهب) لا محالة، وأنَّه منه عزيمة.

ففي تصدير الجملتين به، مبالغة في محمدة المؤمنين ومذمة الكافرين. وكان الأصل دخول «الفاء» على الجملة؛ لأنَّها الجزاء، لكنهم كرهوا إيلانها حرف الشرط فأدخلوا الخبر، وعوّضوا المبتدأ عن الشرط. «فالَّذِينَ آمَنُوا» مبتدأ، و«يعلمون»

١. سنن الترمذي ٣/٣٨٣، ح ٢٤٢٢.

٢. المصدر: مسهر.

٣. المصدر: كافراً منها.

٤. أ: صدر.

٥. أ: يمكن.

٦. ليس في ج.

خبره .

﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ : في موضع مفعولي « يعلمون »^(١) .

والحق أن « أن » الواقعة بعد العلم لا يغيّر معنى الجملة ، أي : لا يؤولها إلى المفرد .
فجزء الجملة منصوبان - محلاً - على أنهما مفعولاه^(٢) .

و « الحق » في اللغة : الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، يعمّ الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة . من قولهم : حق الأمر : إذا ثبت . ومنه : ثوب محقق : محكم النسيج . وفي العرف الأخير يخصّ الأخيرين . وفي اصطلاح أرباب المعقول يخصّ الأخير ، فيقولون للأقوال المطابقة للواقع : صادقة وحقّة^(٣) ، باعتبارين .

والضمير في « أنه » للمثل . أو لضربه . أو لترك الاستحياء .

﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ : في محل نصب ، على أنه حال من « الحق » ، أي : كائناً وصادراً من ربهم . أو من الضمير المستكن^(٤) ، وهو العامل فيه لكونه مشتقاً . والمعنى : أنه حقّ ، حال كونه من ربهم .

أو في محل الرفع ، على البدلية من « الحق » .

ويحتمل أن يجعل ظرفاً « للحق » ، أو « ليعلمون »^(٥) .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ﴾ : إنّما قال ذلك ، ولم يقل : فلا يعلمون كما هو مقتضى المقابلة ؛ لأنّ قولهم ذلك يستلزم عدم علمهم بالحق . فكان كذّكره مبرهنأ عليه ؛ لأنّ^(٦) مذمتهم بنفي العلم إنّما هي للتقصير في أسباب حصوله ، بخلاف القول السيّء فإنّه مذموم لذاته .

﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ ﴾ : « ما » للاستفهام ، مرفوع المحل ، على أنّه مبتدأ . و « ذا » بمعنى الذي ، موصول . وهو مع صلته خبره .

٢ . أ : مفعولاهما .

١ . أ : جعلوا .

٤ . أي : أو حال من الضمير المستكن .

٣ . وكاذبه .

٦ . في ج : ولأنّ . وهو الأظهر .

٥ . أ : ليعلموا .

أو منصوب المحل ، على أنه مفعول «أراد» قَدَّم عليه وجوباً ، لتضمُّنه معنى الاستفهام . وكلمة «ذا» حينئذ يكون زائدة ، لتزيين اللفظ^(١) .

وقيل^(٢) : على التقدير الثاني يكون «ما» مع «ذا» كلمة واحدة ، بمعنى أي شيء . والأصوب ، على الأول ، رفع جوابه . وعلى الثاني ، نصبه . ليشاكل الجواب السؤال . ويجوز العكس ، بناء على التأويل^(٣) الأول ، بأراد كذا . والثاني ، بمراده كذا ليحصل المشاكلة ، أو بدونه .

والاستفهام ، للتعجب والإنكار .

و«الإرادة» ضد الكراهة . وهي مصدر أردت الشيء : إذا طلبته نفسك ، ومال إليه قلبك . وفي عرف المتكلمين : نزوع النفس وميلانها إلى الفعل ، بحيث يحملها عليه . ويقال للقوة التي هي مبدأ^(٤) النزوع .

وشيء من تلك المعاني لا يتصوّر اتصاف البارئ تعالى به . ولذلك اختلف^(٥) في معنى إرادته ، فقيل : إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره ، ولأفعال غيره أمره بها . فعلى هذا ، لم يكن المعاصي بارادته .

وقيل^(٦) : علمه باشتغال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصح ، فإنه يدعو القادر إلى تحصيله .

وقيل^(٧) : ترجيح أحد مقدوريه على الآخر ، وتخصيصه بوجه دون وجه . أو معنى يوجب هذا الترجيح ، وهي أعم من الاختيار ، فإنه ميل مع تفضيل^(٨) .

«بهذا مثلاً» : متعلق «بأراد» .

والمشار إليه «بهذا» ، هو ما يرجع إليه الضمير في قوله : «أنه الحق» .

-
- | | |
|----------------------|----------------------------|
| ١ . أ: الفعل . | ٢ . ليس في أ . |
| ٣ . أ ، ر : تأويل . | ٤ . في ج : مبتدأ . |
| ٥ . في ج : اختلفوا . | ٦ . أنوار التنزيل ، ٤١/١ . |
| ٧ . نفس المصدر . | ٨ . أ : مع ميل تفضيل . |

و«مثلاً»، نصب على التمييز، كقولك لمن حمل سلاحاً رديئاً: كيف يستفعل بهذا سلاحاً؟ عن نسبة التعجب والانكار إلى المشار إليه. إذ لا إبهام فيه هنا، لأنه المثل. أو يقال: لما تعدد المشار إليه «بهذا» بحسب الاحتمال، ميّزه^(١) بقوله: «مثلاً» لتعين^(٢) ما هو المقصود.

فلا يرد: أنه لو كان «هذا» إشارة إلى «المثل»، لصار المعنى: ما ذا أراد الله بالمثل مثلاً.

ولا يحتاج إلى أن يجاب: بأن المشار إليه هو الذات، من غير وصف المثلية. وفي لفظ «هذا» استحقار واستبدال لشأنه.

أو على الحالية^(٣) من اسم الإشارة. والعامل فيه، إما الفعل المذكور، أو فعل التعجب والانكار المفهوم من الاستفهام، أو فعل الإشارة والتنبيه المفهومين من «هذا»، فحينئذ يكون ذو الحال، الضمير المجرور، في عليه أو إليه؛ كما في قوله تعالى: «هذه ناقة الله لكم آية»^(٤).

ولا يخفى أن في تفصيل هاتين الجملتين توضيحاً لما ذكر من قبل من اختصاص المتقين، بكون الكتاب هدى لهم دون غيرهم. ويزيد في هذا التوضيح ما أوردتهما به، أعني قوله:

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾: جواب «ما ذا» أي: إضلال كثير، وإهداء كثير. وضع الفعل موضع المصدر، لإرادة الحدوث والتجدد.

أو بيان للجملتين المصدرتين بـ «أما». وتسجيل بأن العلم بكونه حقاً وهدى وبيان، وأن الجهل^(٥) بوجه إirاده والانكار لحسن^(٦) مورده ضلال وفسوق. وكثرة القبيلتين حقيقية، لا بالقياس إلى مقابليهم، فإن المهتدين قليلون بالنظر إلى

١. أ: غيره.

٢. أ: لتعين.

٣. أي: أو «مثلاً» نُصِبَ على الحالية.

٤. الأعراف / ٧٣، هود / ٦٤.

٥. أ: الوجه.

٦. أ: بحسن.

أهل الضلال، كما قال الله: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ»^(١) وقال ﷺ: الناس^(٢) كإبل مائة، لا تجد فيها راحلة.

وإن كانت إضافية فكثرة^(٣) الضالين من حيث العدد، وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف، كقوله:

قَلِيلٌ إِذَا عَدَّوْا كَثِيرٌ إِذَا شَدَّوْا

وقوله:

إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلَّوْا كَمَا غَيْرَهُمْ قَلَّ وَإِنْ كَثُرُوا
وإِسْنَادُ الْأَضْلَالِ وَالْإِهْدَاءِ، إِمَّا بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَضَلَّ قَوْمًا ضَالًّا، وَأَهْدَى قَوْمًا
مُهْتَدِيًّا، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»^(٤) أَي: إِلَّا فَاسِقًا ضَالًّا.

أَوْ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّهُمَا بِسَبَبِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْكَفَّارَ يَكْذِبُونَ بِهِ وَيَنْكُرُونَهُ، وَيَقُولُونَ: لَيْسَ
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَيُضَلُّونَ بِسَبَبِهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ لَمَّا صَدَّقُوا بِهِ وَقَالُوا هَذَا فِي مَوْضِعِهِ
فَيَهْتَدُونَ بِسَبَبِهِ.

أَوْ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ «أَضْلَهُ» بِمَعْنَى نَسَبِهِ إِلَى الضَّلَالِ. وَ«أَكْفَرَهُ»: إِذَا نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ. قَالَ
كَمِيت^(٥):

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحَبْكُمِ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مَسِيءٌ وَمَذْنِبٌ

أَوْ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الْإِضْلَالَ بِمَعْنَى الْإِهْلَاكِ وَالتَّعْذِيبِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَبَا ضَلَّلْنَا فِي
الْأَرْضِ»^(٦) أَي: هَلَكْنَا.

أَوْ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الْأَضْلَالَ بِمَعْنَى التَّخْلِيَةِ عَلَى وَجْهِ الْعُقُوبَةِ، وَتَرَكَ الْمَنْعَ بِالْقَهْرِ، وَمَنْعَ
الْأَلْطَافِ الَّتِي تَفْعَلُ بِالْمُؤْمِنِينَ جَزَاءً عَلَى إِيْمَانِهِمْ. وَمِنْهُ: أَفْسَدْتَ سَيْفَكَ، لِمَنْ لَا يَصْلُحُ
سَيْفُهُ.

٢. ليس في أ.

٤. البقرة / ٢٦.

٦. السجدة / ١٠.

١. سبأ / ١٣.

٣. أ: لكثرة.

٥. مجمع البيان، ٦٨١.

وأما ما يقال من أن إسناد الإضلال وسائر الأفعال إلى الله سبحانه^(١)، إسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقي الذي لا مؤثر^(٢) في الوجود - عند الحكماء المتألهين والصوفية المحققين وجمهور أهل السنة والجماعة - إلا هو، فيؤدي إلى التظلم والتجويز، على ما يذهب إليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

و«الباء» في الموضعين - على جميع التقادير - للسببية.

و«الهداية» في القرآن، يقع^(٣) على وجوه:

الأول - الدلالة والإرشاد. وهو بهذا المعنى شامل لجميع المكلفين، فلا يكون بهذا المعنى مراده في الآية.

الثاني - زيادة الألفاظ التي بها يثبت على الهدى.

الثالث - الإثابة. ومنه قوله تعالى: «والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم»^(٤).

الرابع - الحكم بالهداية.

والخامس^(٥) - جعل الانسان مهتدياً، بأن يخلق الهداية فيه، كما يجعل متحرراً بجعل الحركة فيه.

وكل واحد من هذه الوجوه الأربعة الأخيرة، يمكن أن يكون مراداً في تلك الآية.

وقدّم الإضلال على الهداية، لزيادة الاهتمام بتعريضهم وتوبيخهم به. ولذلك سجل عليهم بمجامع الكفر والطغيان، وختمها بأن حصر فيهم الخسران بقوله:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٦) وقرئ^(٧): «يضل به كثير» «وما يضل به إلا

الفاسقون». على البناء للمجهول في الموضعين، ورفع «كثير» و«الفاسقون».

والفسق لغة: الخروج. يقال: فسقت الرطبة عن قشرها، أي: خرجت. قال رؤبة:

فواسقاً عن قصدها جواثرا

١. في ج: تعالى.

٢. في ج: لا مؤثر.

٣. في ج: فيقع.

٤. محمّد / ٤.

٥. في ج: الخامس.

٦. في ج: وقرئ به.

والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة. ومن الكبائر الإصرار على الصغيرة، فلا حاجة إلى ذكره. وله ثلاث مراتب:

أولها - التغابي، وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبلاً إياها.

وثانيتهما - الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها. وهو في هاتين المرتبتين مؤمن فاسق، لا تصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان.

وثالثتها^(١) - [الجحود. وهو]^(٢) أن يرتكبها مستصوباً إياها. فإذا شارف هذه المرتبة، خلع ربة الإيمان عن عنقه ولابس الكفر.

والمراد به في الآية يحتمل أن يكون مخصوصاً بالمعنى الأخير، لكنه أحسن. والمراد به في قوله تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(٣)، هو المعنى الأخير. وبهذا يندفع ما قاله البيضاوي^(٤)، من أن المراد به: الخارجون عن حد^(٥) الإيمان، بقوله تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

والمعتزلة لما قالوا: «الإيمان» عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل^(٦) و«الكفر» تكذيب الحق وجحوده جعلوا^(٧) قسماً ثالثاً بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما^(٨) في بعض الأحكام.

قال صاحب الكشف^(٩): معنى كونه «بين بين» أن حكمه حكم المؤمن، في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين. وهو كالكافر، في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته.

وحصر الاضلال فيهم مرتباً على صفة الفسق، يدل على أنه الذي أعد لهم الإضلال

٢. أنوار التنزيل، ٤١/٨.

١. في ج: وثالثها.

٤. انظر: أنوار التنزيل، ٤١/٨.

٣. التوبة / ٦٧.

٥. في ج: هذا.

٦. هنا تقديم وتأخير في العبارات، بين أونسختي ر والمتن.

٧. في ج وأنوار التنزيل ٤١/١: جعلوه. وهو الأظهر.

٩. الكشف، ١١٩/١.

٨. ليس في ج.

بضرب المثل . فطلبوا بلسان الاستعداد ، ان يوجد فيهم صفة الضلال به ، فوجد فيهم ، فأنكروه وانتهزوا به .

أقول : يحتمل أن يكون قوله : « يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً » ، مقول قول الكافرين . فحينئذ ، لا حاجة في إسناد الضلال إلى الله ، إلى هذه التوجيهات .

يدل على ذلك ، ما رواه علي بن ابراهيم ^(١) ، عن النضر بن سويد ، عن القاسم بن سليمان ، عن المعلى بن خنيس ، عن أبي عبد الله عليه السلام : « إن هذا المثل ، ضربه ^(٢) الله لأmir المؤمنين [علي] ^(٣) صلوات الله عليه فالبعوضة ^(٤) أمير المؤمنين ، وما فوقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والدليل على ذلك قوله : « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » ^(٥) ، يعني : أمير المؤمنين عليه السلام كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الميثاق عليهم له . « فأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً » . فرد الله عليهم . فقال : « وما يضل به إلا الفاسقين » - إلى آخر الآية - .

والمراد من قوله عليه السلام : « إن هذا المثل ، ضربه [الله] لأmir المؤمنين ، أنه يصير مصداق البعوضة المذكورة في الآية أمير المؤمنين . لا أن المثل ببعوضة وقع له . ومن قوله : فالبعوضة أمير المؤمنين ، أنه مع عظمتها بالنسبة إلى جبروته تعالى ، ليست له عظمة . وأنه بالنسبة إليه تعالى ، كالبعوضة بالنسبة إلى المخلوقين .

يدل على ذلك ، ما روي في التفسير المنسوب إلى مولانا العسكري عليه السلام ^(٦) من أنه قيل للباقر عليه السلام : « إن بعض من يتحل مولاتكم ، يزعم أن البعوضة علي ، وما ^(٧) فوقها وهو الذباب ، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال الباقر عليه السلام : سمع هؤلاء شيئاً ، لم يضعوه على وجهه . إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

١ . تفسير القمي ، ٣٤/١ .

٢ . ليس في ج .

٣ . ليس في المصدر .

٤ . في ج : بالبعوضة .

٥ . البقرة / ٢٦ .

٦ . تفسير العسكري عليه السلام ، ٢٠٩ .

٧ . أ : وإن ما .

قاعداً ذات يوم. وعلي^(١) إذ سمع قائلاً يقول^(٢): ما شاء الله وشاء محمد. وسمع آخر يقول: ما شاء الله وشاء علي.

فقال رسول الله ﷺ: لا تقرنوا محمداً وعلياً بالله ﷻ ولكن قولوا: ما شاء الله. ثم^(٣) ما شاء محمد، ما شاء الله. ثم^(٤) ما شاء علي. إن مشيئة الله هي^(٥) القاهرة التي لا تساوي ولا تكافأ^(٦) ولا تداني^(٧). وما محمد رسول الله في الله وفي قدرته، إلا كذبابة^(٨). وما علي في الله وفي قدرته، إلا كبعوضة في جملة هذه الممالك^(٩). مع أن فضل [الله على] محمد^(١٠) وعلي [هو] الفضل الذي لا يفي به فضل^(١١) على جميع خلقه، من أول الدهر إلى آخره. هذا ما قال رسول الله ﷺ في ذكر الذباب والبعوضة، في هذا المكان. فلا يدخل في قوله: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة» انتهى.

أقول: ولا يذهب عليك بعد ما ذكرنا، من الجمع بين الخبرين. والتأمل فيهما وملاحظة ارتباط الآية بما تقدمها، اندفاع ما قاله العلامة السبزواري في الجمع من أنه لعل المراد أنهما داخلان في مدلول الآية؛ لأن المراد هما فقط. ولا ريب أنهما وأولادهما، ضرب بهما المثل في كتاب الله تعالى.

«الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ»: منصوب المحل، على أنه صفة كاشفة للفاسقين أو على الذم.

أو مرفوع على الذم، أو على الابتداء. والخبر «أولئك هم الخاسرون»، أو على

١. المصدر: هو وعلي.

٢. أ: قائلاً يقول: ما شاء الله. ثم ما شاء محمد ما شاء الله. ثم ما شاء علي. إن مشيئة الله هي.

٣. «ما شاء الله ثم» ليس في المصدر. ٤. «ما»، ليس في المصدر.

٥. مقول قول «قائلاً يقول» ليس في أ، إلا ما ذكر في رقم ٤ الذي مر آنفاً.

٦. المصدر: تكافى. ٧. المصدر: تداني.

٨. المصدر: كذبابة تطير في هذه الممالك الواسعة.

٩. كذا في المصدر. وفي الأصل: ور: ممالك. ١٠. من المصدر.

١١. كذا في المصدر. وفي الأصل: ور: فضل. ١٢. من المصدر.

الخبرية . والمبتدأ محذوف ، أي : هم الذين يتقضون .

و «النقض» : فسخ التركيب . ولعلّه في طاقات الجمل ، استعير لإبطال العهد استعارة تحقيقية تصريحية ، حيث شبه إبطال العهد بفكّ تأليف الجبل . وأطلق اسم المشبه به على المشبه . و شرط حسنه ، اعتبار تشبيه العهد بالجبل ، لما فيه من ربط أحد المتاعدين ، بالآخر . فتشبيه العهد في النفس ، استعارة بالكناية وإثبات النقض - سواء أريد منه معناه الحقيقي ، أو المجازي له - قرينة لها .

لا يقال : إذا أريد بالنقض معناه الحقيقي ، فظاهر أنّه من لوازم الجبل . وأما إذا أريد به معناه المجازي ، فليس كذلك . فكيف يكون قرينة للاستعارة بالكناية ، لأننا نقول : المراد باللازم ، أعمّ من أن يراد معناه الأصلي الذي هو اللازم الحقيقي ، أو يراد ما هو مشبه^(١) بذلك المعنى منزّل منزلته . فإنّه إذا نزل^(٢) منزلة الحقيقي وعبر عنه باسمه ، صار لازماً ادعاءً . فاللازم على الأول ، مذكور لفظاً ومعنى حقيقة . وعلى الثاني مذكور لفظاً حقيقة . ومعنى ادعاءً ، وكلاهما يصلحان للقرينة .

والعهد الموثق ، أي : الميثاق . ويقال للأمان واليمين والذمة والوصية .

و وضعه لما من شأنه ، أن يراعى ويتعهد ، كالوصية واليمين .

ويقال للدار ، من حيث أنّها يراعى بالرجوع إليها وللتأريخ ؛ لأنّه يحفظ .

﴿ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ : متعلق بـ « يتقضون » .

و « من » لا ابتداء الغاية . فإنّ ابتداء النقض بعد الميثاق .

وقيل : زائدة .

و « الميثاق » : اسم لما يقع به الوثاقة ، وهي الأحكام . أو معنى التوثقة ، كالميلاد

والميعاد ، (بمعنى الولادة والوعدة) .

و مرجع الضمير : العهد ، أو الله .

وإضافته إلى العهد بمعناه الاسمي للتأكيد؛ لأنَّ ميثاق الميثاق، ممَّا يؤكِّده . ومعناه المصدرى، من إضافة المصدر إلى المفعول، وإلى الله، من إضافته إلى الفاعل .
وعهده الذي نقضوه من بعد ميثاقه، أمَّا ما ركز في عقولهم من قوة التفكير في مصوغاته التي هي دلائل توحيده سبحانه، أو هو الذي أخذه الله تعالى على بنى آدم، حين استخرجهم من ظهره، وأقرَّوا بربوبيَّته .

وميثاقه - على التقديرين - إرسال الرسل وإنزال الكتب، على وفقه .
ونقضه :

على الأول : ترك التفكير فيها المندوب إليه عقلاً وشرعاً .
وعلى الثاني : نسيانهم ما أقرَّوا به، وعدم جريهم على مقتضاه، لما أخذوا أرباباً من دون الله .

أو العهد : وصية الله إلى خلقه، وأمره إيَّاهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إيَّاهم عمَّا نهاهم عنه من معصيته، في الشرايع المتقدمة .
وميثاقه : شريعة نبينا ﷺ .

ونقضهم : إعراضهم عمَّا وصَّاهم الله به وعمَّا ونَّهه به .
أو هو ما عهده إلى من أوتي الكتاب، أن يبنوا نبوة محمد ﷺ، ولا يكتموا أمره .
وميثاقه : الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على نبوته ﷺ .

ونقضهم : كتمان أمره وإنكار نبوته .
فالآية على هذا، في أخبار اليهود .

وضَعَّف الشيخ الطبرسي ^(١) الوجه الثاني، بأنَّ الله تعالى لا يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه .
ولا يكون عليه دليل .

وزيف تضعيفه العلامة السبزواري، بأن مفاد الآية بأن هؤلاء من الفاسقين والخاسرين، بلا احتجاج عليهم بفعلهم هذا، كما إذا قيل: ولد الزنا لا يدخل الجنة، لا يحتاج عليه بفعل قبيح صدر عنه. وهو كون تولده من الزنا. بل المقصود أنه يصدر عنه أفعال اختيارية موجبة لخلود النار.

وأقول: مبنى كلام الشيخ، أن مفهوم الآية أن الله ذمهم بنقض العهد بعد الميثاق. وإذا كان العهد عبارة عما ذكر، كان الاحتجاج عليهم بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه، وظاهر أنه لا يرد على ذلك ما أورده العلامة. وإنما يرد عليه لو كان مراده أن التعليل يفهم من ترتب الحكم على الوصف، وليس كذلك.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: محل أن يوصل الجرّ على البدلية من الضمير. وحينئذ ما في أمر الله به، إما موصولة، أو موصوفة، أو منصوب على البدلية مما أمر الله به.

فكلمة «ما» موصوفة؛ لأن النكرة لا يبدل عن المعرفة، إلا إذا كانت مخصصة، نحو: «بالناصية، ناصية كاذبة»^(١).

والأول أحسن، لقرب المبدل منه. ولأن القطع، يقع على المتصل، لا على الوصل. قيل^(٢): ولاحتياج الثاني إلى تقدير مضاف، أي: يقطعون وصل ما أمر الله به أن يوصله.

وأقول: الاحتياج إلى ذلك إنما يكون إذا كان بدل الكل عن الكل. وأما إذا كان بدل الاشتمال فلا. والمراد بما أمر الله كلما لا يجوز قطعه - كائناً ما كان - والعمدة^(٣) فيه، صلة أمير المؤمنين عليه وصلة الرحم. روى الأول في تفسير علي بن إبراهيم^(٤)، والثاني في الكافي عن أبي عبد الله عليه^(٥).

١. العلق ١٦/.

٢. تفسير البحر المحيط، ١/١٢٨.

٣. أ: العمدة.

٤. تفسير القمي، ١/٣٥.

٥. الكافي، ٢/١٥٠.

و«الأمر» الذي واحد الأوامر: طلب الفعل، مع العلو. وقيل^(١): مع الاستعلاء.
والذي واحد الأمور: المأمور به. تسمية للمفعول به بالمصدر، كما سمي الشأن
بمعنى المشؤون.

و«الشأن»: الطلب والقصد. يقال: شأنت شأنه، أي: قصدت قصده.
﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالمنع من الإيمان، والاستهزاء بالحق، وقطع الوصل
التي بها نظام العالم وصلاحه.
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢): لاشترائهم النقص بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد
بالصلاح، في الدنيا.

وعقاب المشتري بثواب المشتري به في الآخرة، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو
الخسران المبين.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: الخطاب مع الذين كفروا، لما وصفهم بالكفر وتوابعه،
خاطبهم على طريقة الالتفات، انكاراً لكفرهم، وتوبيخاً لهم عليه، مع علمهم بحال
يقتضي خلاف ذلك، فإنَّ الانكار والتوبيخ، إذا توجَّه إلى المخاطب كان أبلغ، أو معهم،
مع المؤمنين، أو مع المؤمنين، فقط.

و«كيف» يصلح للسؤال عن الأحوال كلّها، لا بمعنى أنّه مستغرق لها، بل قد
يستغرق بمعونة المقام وقد لا يستغرق. فإذا قصد به الانكار وهو في معنى النفي ونفي
الحال التي يقتضيها. كيف إنّما يتحقّق بنفي جميع أفرادها، بل هي كالنكرة الواقعة في
سياق النفي، في إفادة العموم. فكأنّه قيل: لا يصحّ ولا ينبغي أن يوجد حال ما لكفركم.
وقد علمتم أنكم «كنتم أمواتاً» (الآية). وإذا لم ينبغ أن توجد حال من أحوال الكفر،
مع وجود هذا الصارف، أمّا لأنّه يتضمّن آيات بينات، أو نعماً جساماً حقها أن لا يكفر
بمولاها. فينبغي أن لا يوجد كفركم معه؛ لأنّ وجود ذات بلا حال محال. فإن وجد

معه، فهو مظنة توبيخ وانكار وتعجيب وتعجب. وخصّ بعضهم الحال بما له مزيد اختصاص بالكفر بالله. وهو العلم بالصانع والجهل به.

فالمعنى: أفي حال العلم بالله تكفرون؟ أم في حال الجهل؟ والحال حال العلم، بمضمون القصة الواقعة حالاً. والعلم به يقتضي أن يكون للعاقل علم بأن له صانعاً متصفاً بالعلم والقدرة وسائر صفات الكمال. وعلمه بأن له هذا الصانع، صارف قوي عن الكفر. وصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي، مظنة تعجيب وتعجب وانكار وتوبيخ.

فنفي الكفر، بمعنى لا ينبغي أن يقع، على كلا التقديرين، بطريق الكناية. لأنه كما^(١) لزم من إنكار الحال مطلقاً إنكار الكفر، لزم من انكار حاله - أعني: العلم والجهل - أيضاً إنكاره، إذ لا ثالث لهما. ولهذا صار «كيف تكفرون» أولى من «أتكفرون»، فاختر عليه. وأوفق^(٢) أيضاً لما بعدها من الحال. وهي في الآية منصوبة على التشبيه بالظرف، عند سيبويه، أي: في أي حال تكفرون. وعلى الحال عند الأخفش، أي: على أي^(٣) حال تكفرون.

والعامل فيها على التقديرين: تكفرون.

وصاحب الحال، الضمير فيه.

﴿وَكُنتُمْ أَمُوتَاتًا فَاُخْيَاكُمْ﴾: «الواو» للحال. والجملة حال بتقدير قد. وتأويلها بجملة اسمية، أو فعلية، مأخوذاً فيها العلم^(٤).

والمعنى: وقد علمتم، أو تعلمون، أو أنتم عالمون، أنكم كنتم أمواتاً. فإن بعض الجمل الواقعة في تلك القصة الواقعة حالاً ماض. وبعضها مستقبل لا يقارن مضمونها بمضمونه. فلا بد من أخذ العلم.

٢. ليس في أ.

٤. أ: فيه.

١. ليس في أ.

٣. أ: فيه.

[والمعنى : وقد علمتم أو تعلمون] (١).

وأيضاً مضمون تلك الجمل، بدون اعتبار تعلق علمهم بها، لا يصح أن يكون صارفاً. واعتبار تعلق علمهم بالموتة (٢) والإحياء الأولين (٣) ظاهر. وأما اعتبار تعلقه بالاحياء الثاني والرجوع، فلتمكنهم من العلم بهما، بالدلائل الموصلة إليه، فكان بمنزلة حصول العلم، سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما. وهو أنه تعالى، لمّا قدر أن أحياءهم أولاً، قدر أن يحييهم ثانياً. فإنّ بدء الخلق، ليس بأهون من إعادته. و«الأموات»: جمع ميت (بالتخفيف)، كالأقوال، جمع قيل.

والمعنى: «كنتم أمواتاً»، أي: عناصر ممتزجة منتقلة، من حال إلى حال، حتى استقر على مزاج معتدل قابل لنفخ الروح فيه. فأحياكم بنفخ الروح فيه. فعلى هذا، يكون استعمال الأموات في العناصر، استعارة لاشتراكهما، في أن لا روح ولا احساس لهما.

وإنما عطف بالفاء؛ لأنه متصل بما عطف عليه، غير متراخ عنه. بخلاف البواقي.

﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾: عند تقضي آجالكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: بحياة أبدية يوم النشور، أو في القبور للسؤال.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤): ليحاسبكم أو يجازيكم على أعمالكم.

وإن أريد بقوله: «يحييكم» الحياة في القبر، فينبغي أن يراد «ترجعون»: الاحياء يوم النشور. ويلزم منه إهمال إماتتهم في القبر. اللهم إلا أن يقال معنى «إليه ترجعون»: أنهم يرجعون بتلك الإماتة والإحياء يوم النشور.

ولو جعل «ثم يحييكم»، متناولاً لإحيائين جميعاً - أي: يحييكم مرة بعد أخرى - بقرينة المقام، يلزم أيضاً ذلك الإهمال. إلا أن يقال: يفهم من تعدد الإحيائين، تخلل إماتة بينهما. والظاهر أنه لم يعتد بالاحياء في القبر. لأنه ليس له زمان يعتد به.

١. لا يوجد في الأصل ور.

٢. أ: بالموتة.

٣. أ: الحينين.

وقرأ يعقوب: تَرْجِعُونَ - بفتح التاء - في جميع القرآن.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾: بيان نعمة ثانية مترتبة على النعمة الأولى. فَإِنَّ الانتفاع بالأرض والسماء وما فيهما، إِنَّمَا يكون بعد موهبة الحياة.

و«الخلق» في الأصل: التقدير. ويراد منه الإيجاد.

فإن أريد^(١) المعنى الأول، عمّ الأرض وجميع^(٢) ما فيها^(٣). وإن أريد الثاني، احتيج في شموله لما سوى العناصر، إلى ارتكاب تجوز.

و«اللام» للانتفاع.

والمعنى: خلق لانتفاعكم في الدنيا^(٤) والآخرة، ما في الأرض جميعاً. فعند الأشاعرة، مدخوله غاية. وعند الحكيم عناية، وعند المعتزلة وأهل الذوق غرض. لكن عند المعتزلة ذلك الغرض عائد إلى العبد. وعند أهل الذوق إلى المعبود. فإنهم قالوا: إِنَّ للحق كمالين:

كمالاً ذاتياً، كوجوب وجوده ووحدته وحياته وعلمه وغير ذلك من الصفات الذاتية التي لا يحتاج الحق سبحانه في الانصاف بها إلى سواه.

وكمالاً أسمائياً، يحتاج في الانصاف بها إليه. فَإِنَّ كمال الأسماء إِنَّمَا هو بظهور آثارها وترتب أحكامها عليها. وذلك لا يتم^(٥) إلا بوجود^(٦) المظاهر.

فنفي الاحتياج والاستكمال بالغير عنه، إِنَّمَا هو بالنظر إلى كماله الذاتي الذي له مرتبة الغنى عن العالمين. وأما بالنظر إلى كماله الأسمائي، فليس له هذه المرتبة.

وكلمة «ما» للعموم، خصوصاً إذا قيد بالحال الذي وقع بعده. وقد صرح به أئمة الأصول.

فدَلَّت الآية على إباحة جميع الأشياء على أي وجه، إلا ما أخرجه الدليل. واندفع ما

١. ليس في أ.

٢. ليس في أ.

٣. أ: فيه.

٤. ليس في أ.

٥. الوجود.

١. ليس في أ.

٢. ليس في أ.

٣. أ: فيه.

٤. ليس في أ.

٥. الوجود.

قال العلامة السبزواري من أنها لما كانت مجملة غير ظاهرة في العموم، لا يتم الاستدلال بها على ذلك.

والمراد «بالأرض» إما جهة السفلى، ليستعمل الغبراء وما فيها. وأما الغبراء، فلا يتناول إلا ما فيها، لامتناع^(١) ظرفية الشيء لنفسه.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد إليها بارادته، من قولهم: استوى إليه، كالسهم المرسل. إذا قصده قصداً مستوياً، من غير أن يلوي على شيء.

وأصل الاستواء: طلب السواء. وإطلاقه على الاعتدال، لما فيه من تسوية وضع الأجزاء. يقال: استوى العود وغيره، إذا قام واعتدل. ولا يمكن حمله عليه، لأنه من خواص الأجسام.

وقيل^(٢): استوى، استولى. قال:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق
وهذا المعنى غير مناسب للأصل والصلة المعدى بها..

وقيل^(٣): أقبل، كما يقال: كان فلان مقبلاً على فلان. ثم استوى إليّ وعليّ يكلمني، على معنى أقبل إليّ وعليّ.

وقيل^(٤): استوى أمره. وصعد إلى السماء.

قال العلامة السبزواري: وهذا بخلاف ما اشتهر أن أوامره وقضايه تنزل من السماء إلى الأرض، وفيه نظر؛ لأن المقصود صعد أمره في الخلق إلى السماء. وهذه الآية مع التي في سورة حم السجدة - أعني قوله^(٥): «قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين - إلى قوله -: ثم استوى إلى السماء» - حجة على من ذهب إلى تقدم خلق السماء على الأرض. وما هو في سورة والنازعات، من قوله: «والأرض بعد ذلك دحاها»^(٦).

٢. أنوار التنزيل، ٤٣/١.

٤. نفس المصدر، ٧١/١.

٦. النازعات / ٣٠.

١. ر: الامتناع.

٣. مجمع البيان، ٧٢/١.

٥. فصلت / ٩.

أي: بعد رفع سمك السماء وتسويتها، دحى الأرض وبسطها، حجة له .
وأجاب عن الأول، بأنَّ «ثمَّ» لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض، كقوله: «ثمَّ كان من الذين آمنوا»^(١)، للتراخي في الوقت . وبأنَّ الخلق في الآيتين بمعنى التقدير، لا بمعنى اليجاد .

وقد أولت الآية الثانية بأنَّ معناه: اذكر الأرض دحاها، بعد ذكر ما سبق .
والحق أنَّ خلق الأرض مقدم على خلق السماء . ودحوها مؤخر عنه . وهذا هو وجه الجمع بين تلك الآيات . يدل على ذلك ما روي من أنَّه خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر، عليها دخان ملتزق بها . ثمَّ أصدد الدخان، وخلق منه السموات . وأمسك الفهر في موضعها . وبسط منها الأرض . فذلك قوله: «كانت ارتقاء»^(٢) .
والفهر: حجر يملأ الكف، أي: في الاستدارة واكتنازها، بحيث لا يتخللها خلاء ولا يتميز فيها شيء عن شيء .

والرتق: الالتزاق .

قال العلامة السبزواري: وما قيل أنَّ هذا يناقض قوله تعالى: «والأرض بعد ذلك دحاها»^(٣) فغير موجه . أمَّا إذا كان الأرض بمعنى الجهة السفلية . فخلق ما في الأرض، لا يستلزم خلق ذلك الجسم المسمَّى بالأرض - أيضاً - لا الصغير منه ولا العظيم . وإن كان بمعنى التقدير، فلا يستلزم وجودها؛ لأنَّ إيجاد مادتها التي هي الماء، يكفي في اسناد الخلق بمعنى التقدير إليها .

أقول: لا يخفى أنَّ خلق ما في الأرض، يستلزم خلقها؛ لأنَّ المراد به الأجسام المواليد والعناصر الثلاثة الباقية، إن أريد بالأرض معناه الحقيقي، أو الأربعة إن أريد به جهة السفلى .

وظاهر، أنَّ وجود جميع ذلك، لا يمكن إلا بعد وجود الأرض .

[وفي كتاب العلل الشرائع^(١): بإسناده إلى محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، بإسناده رفعه، قال: قال علي عليه السلام: وقد سئل عن مسائل: وسميت السماء سماء؛ لأنها وسم الماء، يعني: معدن الماء.

والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن ابراهيم^(٢) حديث طويل، عن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وفيه يقول عليه السلام: ومنها استوى ربنا إلى السماء أي: استولى على السماء والملائكة^(٣).

﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: أي: عدل خلقهن، وقومه وأخلاه من العوج والفطور.

وضمير «هنَّ» إما راجع إلى السماء، إن فسرت بالأجرام؛ لأنه جمع، أو في معنى الجمع. أو مبهم، يفسره ما بعده، كما في رجلاً. وهو أولى، لما فيه من التفسير بعد الإبهام.

﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾: بدل أو تفسير. وعلى تقدير كون الضمير غير مبهم، بدل عن الضمير، أو حال عنه، أو مفعول للتسوية، على تقدير «فسوى منهن سبع سموات»، من قبيل «واختار موسى قومه»، أو مفعول ثان لجعل، على تضمين التسوية معنى الجعل، أو تجوزها عنه. لكن على الأخير يفوت معنى التسوية.

فإن قلت: إن أصحاب الأرصاد، أثبتوا تسعة أفلاك.

قلت: فيما ذكره شكوك. وإن صح فليس في الآية نفي الزائد. مع أنه لو ضم العرش والكرسي، لم يبق خلاف.

قيل: فوجه التخصيص على هذا، أن السموات على قسمين: قسم منها عنصري، يشترك مع الأرض وما فيها في المادة، عند المحققين، ويدل عليه الكتاب والسنة. وهو سبع. تسمى عند أهل الشرع بالسموات. وقسم منها طبيعي غير عنصري. وهو

٢. تفسير القمي، ٢/٢٧٢.

١. علل الشرائع، ٢/١.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

الباقيان . منها المسميان بالعرش والكرسي ، وعند غيرهم بالفلك الأطلس وفلك الثواب . ولا تميز بينهما عند غيرهم ؛ لأنّ الكل عندهم طبعي غير عنصري . وكان التميز بينها بلسان أهل الشرع ، إنّما وقع بناء على أنّ أحكام القيامة كالطي وتكوير^(١) الكواكب وانتشارها وغير ذلك مختص بالسموات السبع . لا يتعدّها إلى العرش والكرسي .

[وفي عيون الأخبار^(٢) : حدثنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن عليّ بن عبد الله البصري بإيلاق ، قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن جبلة الواعظ . قال : حدثنا أبو القاسم^(٣) عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي . قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام . قال : حدثنا أبي موسى بن جعفر . قال : حدثنا أبي جعفر بن محمد . قال : حدثنا أبي محمد بن عليّ قال : حدثنا أبي عليّ بن الحسين . قال : حدثنا أبي الحسين بن عليّ عليه السلام قال : كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في مسجد الجامع ، إذ قام إليه رجل من أهل الشام . فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّني أسألك عن أشياء . فقال : سل تفقّها ، ولا تسأل تعتأ .

فأحدق الناس بأبصارهم .

فقال : أخبرني عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى .

فقال : خلق النور .

قال : فممّ خلقت السماوات ؟

قال : من بخار الماء .

قال : فممّ خلقت الأرض ؟

قال : من زبد الماء .

قال : فممّ خلقت الجبال ؟

١ . أ : تكرير . ٢ . عيون أخبار ٢٤٠ - ٢٤١ ، ح ١ وللحديث تنمة طويلة .

٤ . ليس في المصدر .

٣ . المصدر و : القاسم .

قال: من الأمواج.

قال: فلم سميت مكة أم القرى؟

قال: لأن الأرض دحيت من تحتها.

وسأله عن السماء الدنيا، مما هي؟

قال: من موج مكفوف.

وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما.

قال: تسعمائة فرسخ، في تسعمائة فرسخ.

وسأله كم طول الكوكب وعرضه؟

قال: اثنا عشر فرسخاً، في اثني عشر فرسخاً^(١).

وسأله عن ألوان السماوات السبع وأسمائها.

فقال له: اسم سماء الدنيا: رقيق^(٢). وهي من ماء ودخان. واسم سماء الثانية:

قيدوم^(٣). وهي على لون النحاس. والسماء الثالثة اسمها: المأروم^(٤). وهي على لون

الشبه. والسماء الرابعة اسمها: أرفلون. وهي على لون الفضة. والسماء الخامسة

اسمها: هيعون. وهي على لون الذهب. والسماء السادسة اسمها: عروس، وهي من^(٥)

ياقوتة خضراء. والسماء السابعة اسمها: عجماء. وهي درة بيضاء.

والحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة^(٦).

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٧): اعترض لبيان أن خلق السموات على سبيل الاحكام

وخلق ما في الأرض، على حسب حاجات أهلها؛ لأن علمه الكامل، برهان لمي على

تحقق الاتقان في أفعاله. وظهور الاتقان فيها دليل إني على إثبات علمه.

١. المصدر: في مثلها. ٢. الأصل و: رقيق. وما في المتن موافق المصدر.

٣. كذا في المصدر وفي الأصل و: قديم. وفي تفسير نور الثقلين، ٤٨/١: قيدوم.

٤. كذا في المصدر. وفي الأصل و: المادوم. ٥. «من»، ليس في المصدر.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا^(١)، بإسناده، عن الحسن العسكري عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية^(٢): «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» لتعتبروا ولتتوصلوا به إلى رضوانه. وتوقوا به من عذاب نيرانه. «ثم استوى إلى السماء» أخذ في خلقها وإتقانها. «فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم» ولعلمه بكل شيء علم بالمصالح^(٣). وخلق^(٤) لكم كل ما في الأرض لمصالحكم، يا ابن آدم.

وقد سكّن نافع وأبو عمرو والكسائي «الهاء»، من نحو «فهو» و«وهو»، تشبيهاً له بعضد.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: تعداد لنعمة ثلاثة تعم الناس^(٥)، كلهم. فإنّ خلق آدم واکرامه إنعام يعم ذريته.

و«إذ» ظرف، وضع لزمان عيّن بإضافته إلى نسبة واقعة في الزمان الماضي، كما أنّ «إذا» موضوع لزمان عين، بإضافته إلى نسبة واقعة في الزمان المستقبل. ولهذا وجبت اضافتهما إلى الجملة. والغالب ظرفيتهما لنسبة أخرى مثلهما. وقد يستعمل «إذ» اسماً من غير ظرفية، كما وقع مفعولاً به في قوله^(٦): «واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم» وبُنيتا تشبيهاً بالموصولات.

ف«إذ» في الآية، منصوب المحل بتقدير: اذكر، أو اذكر الحادث، أو باقلوا، أو بمضمر. دل عليه مضمون الآية المتقدمة، مثل: وبدأ خلقكم إذ قال. وعلى هذا، فالجملة معطوفة على «خلق لكم»، داخلة في حكم الصلة.

وقيل: أنّه مزيد^(٧). والقول: الحكاية، نحو قولك: قال زيد: خرج عمرو^(٨).

١. عيون أخبار الرضا ١٢/٢، ح ٢٩. ٢. أ: في قول الله تعالى.

٣. المصدر: علم المصالح. أ: علم بالمصالح. ٤. المصدر: فخلق.

٥. أ: نعم. ٦. الأعراف ٨٦.

٧. أنوار التنزيل، ٤٤/١. ٨. مجمع البيان، ٧٢/١.

ويتعدى أبداً إلى مفعول واحد. ويكون جملة، أو ما يحكى معناها، إلا إذا ولي حرف الاستفهام ولم ينفصل عنه بغير ظرف. أو كظرف، أو معمول. فإنه حينئذ ينصب مفعولين، كظن إلا عند سليم، فإنهم ينصبون به مفعولين وإن لم يل الاستفهام.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: جمع ملئك، على الأصل. فإن أصل «ملك»، ملئك كالشمال، جمع شمل. واشتقاقه من م-ل-ك، بزيادة الهمزة لدورانها، مع الشدة والقوة.

ومعنى الشدة والقوة، يعم الملائكة عليهم السلام كلهم. والدليل عليه قوله تعالى: «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»^(١).

وإن الله، جعلهم وسائط معظم ما يظهره في هذا العالم. أو من الألوكة والألوكه - بفتح الهمزة -، بمعنى الرسالة. فالميم زائدة. وفيما بين العين والفاء قلب. والأصل: مألئك، على أنه موضع الرسالة.

أو مصدر، بمعنى المفعول. فعلى هذا يكون إطلاقه عليهم باعتبار بعضهم؛ لأن معنى الرسالة لا يعم كلهم، لقوله تعالى: «الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس»^(٢).

وأما قوله: «جاعل الملائكة رسلاً»^(٣)، فمخصوص جمعاً بين الآيتين. وقيل: قد جاء لأك بمعنى أرسل^(٤)، فلا قلب.

و«الناء»، إما لتأنيث الجمع. فإن الجمع مؤنث، بتأويل الجماعة. أو لتأكيد تأنيث الجمع. أو لتأكيد معنى الجمع. كما في علامة ونسابة.

واختلف العلماء في حقيقتهم، بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها. فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك. وهو الحق.

وقالت طائفة من النصارى: هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان.

١. الانبياء / ٢٠.

٢. الحج / ٧٥.

٣. فاطر / ١.

٤. مجمع البيان، ٧٣؛ البحر المحيط، ١٣٧١.

وقالت الحكماء: أنها هي العقول منقسمة إلى قسمين:

قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتزهد عن الاشتغال بغيره، كما وصفهم في محكم تنزيله، فقال: «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»^(١) وهم العلّيون، والملئكة المقربون.

وقسم تدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي. «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»، وهم المدبرات أمراً. فمنهم سماوية. ومنهم أرضية.

والمراد بها، إمّا كلهم، لعموم اللفظ وعدم المخصص. وإمّا إبليس ومن كان معه في محاربة الجن. فإنه تعالى أسكنهم في الأرض أولاً، فأفسدوا فيها. فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فدمرهم وفرقهم في الجزائر. وأمّا ملائكة الأرض - وهو أولى - والمخصص قوله: «في الأرض».

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: وقرئ «خليفة» - بالقاف -.

و«جاعل» إن كان متعدياً إلى مفعولين، «ففي الأرض» مفعوله الثاني. وإلا كان متعلقاً به.

و«الخليفة»: من يخلف غيره. و«الهاء» فيه للمبالغة.

والمراد به، إمّا آدم وحده، أو مع بعض بنيهِ، أو كلهم.

وإفراد اللفظ، أمّا للاستغناء بذكره، كما استغني بذكر أبي القبيلة في قولهم: مضر وهاشم، أو على تأويل من يخلفكم؛ أو: خلفاً يخلفكم.

فعلى الأول، المراد أنه خليفة الله في أرضه، أو خليفة من سكن الأرض قبله. وعلى الثاني والثالث، أنهم يخلفون من قبلهم، أو يخلف بعضهم بعضاً.

والاحتياج إلى الخليفة، إنما هو في جانب المستخلف^(٢) عليه، لقصورهم عن

قبول فيضه بغير وسط. ولذلك لم يستنبئ ملكاً. والأنبياء لما فاقت قريحتهم، أرسل إليهم الملائكة. ومن كان منهم أعلى رتبة، كلمه بلا واسطة، كما كلم موسى في الميقات ومحمداً في المعراج.

وفائدة قوله هذا للملائكة، تعليم للمشاورة وتعظيم لشأن المجعول، بأن بشر بوجوده سكان ملكوته. ولقبه بالخليفة، قبل خلقه وظهره فضله الراجح، على ما فيه من المفاسد، بسؤالهم وجوابه.

(وفي عيون الأخبار^(١)): حدثنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن اسحاق عليه السلام قال: حدثنا أبو سعيد النسوي. قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن هارون. قال: حدثنا أحمد بن الفضل^(٢) البلخي. قال: حدثني خالي^(٣) يحيى بن سعيد البلخي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة، إذ لقينا شيخ طوال، كثر اللحية، بعيد ما بين المنكبين. فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ورحب به. ثم التفت إلي، فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء، ورحمة الله وبركاته. أليس كذلك هو يا رسول الله؟

فقال [له] ^(٤) رسول الله صلى الله عليه وآله: بلى.

ثم مضى. فقلت: يا رسول الله! ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ، وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك، والحمد لله. إن الله ﷻ قال في كتابه: «إني جاعل في الأرض خليفة»، والخليفة المجعول فيها آدم عليه السلام. وقال ﷻ: «يا داود إنا جعلناك في الأرض خليفة فاحكم بين الناس بالحق»^(٥). فهو الثاني. وقال ﷻ حكاية عن موسى حين قال لهارون عليه السلام^(٦): «أخلفني»^(٧) في قومي وأصلح. فهو هارون، إذ استخلفه موسى عليه السلام في

٢. المصدر: أبو الفضل.

١. عيون الأخبار ٩/٢، ١٠، ح ٢٣.

٤. من المصدر.

٣. المصدر: خال.

٦. الأعراف ١٤٢.

٥. ص ٢٦.

٧. المصدر: وأخلفني.

قومه، وهو^(١) الثالث. وقال ﷺ: «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر»^(٢). وكنت^(٣) أنت المبلغ عن الله ﷻ وعن رسوله. وأنت وصيي ووزيرِي وقاضي ديني والمؤدِّي عني. وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي. فأنت رابع الخلفاء كما سلّم عليك الشيخ. أو لا تدري من هو؟

قلت: لا.

قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام فاعلم.

وفي أصول الكافي^(٤): بإسناده إلى محمد بن إسحاق بن عمار. قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: ألا تدلني على من أخذ عنه ديني؟

فقال: هذا ابني علي. إن أبي أخذ بيدي، فأدخلني إلى قبر رسول الله ﷺ. فقال: يا بني! إن الله ﷻ قال: «إني جاعل في الأرض خليفة» وإن الله ﷻ إذا قال قولاً وفى به.

وفي كتاب الخصال^(٥)، عن [أبي] لبابة بن عبد المنذر، قال: قال رسول الله ﷺ: إن يوم الجمعة سيّد الأيام وأعظم عند الله تعالى من يوم الأضحى ويوم الفطر. فيه خمس خصال: خلق الله فيه آدم. وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض. وفيه توفّي [الله] ﷻ^(٦) (آدم)^(٨).

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾: تعجّب من استخلاف من يفسد في الأرض، لاصلاحها، أو اختيار أهل المعصية على أهل الطاعة. واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة فيه، وعما يزيل شبهتهم، استكشاف المتعلم عن معلمه عما يخالجه صدره.

وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة.

٢. التوبة / ٣.

١. المصدر فهو.

٤. أصول الكافي ٣١٢/١، ح ٤.

٣. المصدر: فكنت.

٦. من المصدر وج.

٥. الخصال ٣١٥-٣١٦، ح ٩٧ (صدره).

٨. ما بين القوسين ليس في أ.

٧. من المصدر.

وإنما حكموا بذلك لما علموا أَنَّ المجعول خليفة، هو النوع الأخير من الحيوان، ولما كانوا يشاهدون من أنواعه المتقدمة عليه، وجود آثار القوة الشهوية والغضبية. تنبها لوجودهما فيه، وحكموا عليه بترتب آثارهما التي من جملتها الإفساد وسفك الدماء.

أو لمّا عرفوا ذلك باخبار من الله. أو تلق من اللوح المحفوظ. أو استنباط عما ثبت في علمهم، أَنَّ العصمة من خواصهم. أو قياس لأحد الثقلين على الآخر. والسفك والسبك والسفع والشن والسن، أنواع من الصب. فالسفك، يقال في الدم. والدمع والسبك، في الجواهر المذابة. والسفع في الصب من أعلى. والشن والسن والصب، عن فم القربة^(١) ونحوها. وقرئ: يسفك - بضم الفاء -.

ويسفك ويسفك: من أسفك وسفك^(٢).

ويسفك، على البناء للمفعول، فيكون ضمير «من» الموصولة، أو الموصوفة مقدراً، أي: يسفك الدماء فيهم.

و«الدماء» جمع الدم، بحذف لامه واو أو كان أو ياء، لقولهم: في ثنيتيه: دميان ودميان. «فالدماء» أصله: دماو، أو دماي. أعلت إعلال كساء ورداء.

(وفي عيون الأخبار^(٣))، في باب ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان، في جواب مسأله في العلل: وعلة الطواف بالبيت: أن الله تعالى قال للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟» فردوا على الله تعالى هذا الجواب، فندموا. فلاذوا بالعرش فاستغفروا. فأحب الله تعالى أن يتعب بمثل ذلك العبادة. فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش، يسمّى الضراح. ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى المعمور، بحذاء الضراح. ثم وضع هذا البيت بحذاء البيت

٢. أ: سفك.

١. ر: القرية.

٣. عيون الأخبار، ٩١/٢.

المعمور . ثم أمر آدم ﷺ فطاف به . فتاب الله ﷻ عليه . فجرى^(١) ذلك في ولده إلى يوم القيامة .

وفي بصائر الدرجات^(٢) : أحمد بن محمد ، عن أحمد بن محمد عن أبي نصر ، عن الحسين^(٣) بن موسى ، عن زرارة ، قال : دخلت على أبي جعفر ﷺ ، فسألني ما عندك من أحاديث الشيعة ؟

قلت : إنَّ عندي منها شيئاً كثيراً . قد هممت أن أوقد لها ناراً ، ثم أحرقتها .

قال : ولم ؟ هات ما أنكرت منها .

فخطر على بالي الأدمون . فقال لي : ما كان علم^(٤) الملائكة حيث قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » .

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي^(٥) ، قال : حدثنا علي بن حمدون . قال : حدثنا عيسى بن مهران . قال : حدثنا فرج بن فروة . قال : حدثنا سعد^(٦) ، عن صالح بن ميثم ، عن أبيه . قال : بينا أنا في السوق إذ أتاني الأصبع بن نباتة . فقال [لي]^(٧) ويحك يا ميثم ! لقد^(٨) سمعت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ^(٩) أنفاً ، حديثاً صعباً شديداً . فإنه^(١٠) يكون كما ذكر .

قلت : وما هو ؟

قال : سمعته يقول : إن^(١١) حديثنا أهل البيت صعب مستصعب . لا يحتمله^(١٢) إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان .

١ . المصدر : وجرى . ٢ . بصائر الدرجات ، ٢٣٦ .

٣ . المصدر : الحسن . ٤ . المصدر : علي .

٥ . تفسير فرات ، ٥٥ . ٦ . المصدر : سعدة .

٧ . من المصدر . ٨ . ليس في المصدر .

٩ . « علي بن أبي طالب ﷺ » ليس في المصدر . ١٠ . الأصل و : فإن .

١١ . ليس في المصدر . ١٢ . المصدر : لا يحتمله .

قال: فقمتم من فوري، فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام. فقلت: يا أمير المؤمنين! جعلت فداك! حديث أخبرني به الأصابع عنك، قد ضقت به ذرعاً.

قال: فما هو؟ فأخبرني به. [فتبسّم، ثم^(١)] قال لي: اجلس يا ميثم! أو كل علم العلماء يحتمل؟ قال الله لملائكته^(٢): «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» (إلى آخر الآية). فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم؟ قال: قلت هذه والله أعظم من تلك. [قال^(٣)]: والأخرى، من موسى عليه السلام أنزل الله عليه التوراة. فظن أن لا أحد في الأرض أعلم منه. فأخبره الله تعالى أن في خلقي من هو أعلم منك. وذاك إذ خاف على نبيه العُجب. قال: فدعا ربّه أن يرشده إلى [ذلك]^(٤) العالم. فجمع^(٥) الله بينه وبين الخضر عليه السلام، فخرق السفينة، فلم يحتمل ذلك موسى. وقتل^(٦) الغلام، فلم يحتمله. وأقام الجدار فلم يحتمل^(٧) ذلك. وأمّا المؤمن، قال: فنبينا محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيدي يوم الغدير، فقال^(٨): «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه. فهل رأيت المؤمنين احتملوا ذلك إلّا من عصمهم»^(٩) الله منهم. ألا فابشروا، ثم ابشروا. فإنّ الله قد خصكم بما لم يختص^(١٠) به الملائكة والنبيين والمؤمنين، بما احتملتهم من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١١).

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: حال من فاعل «تجعل»، يقرر معنى التعجب والاستكشاف المذكورين. ونظيره: أتحسن إلى فلان، وأنا أحق منه بالإحسان. والمعنى: أتستخلف عصاة؟ ونحن معصومون، أحقّاء بذلك.

-
١. من المصدر.
 ٢. ليس في المصدر.
 ٣. من ر والمصدر.
 ٤. يوجد في المصدر وج.
 ٥. الأصل ور: قال فجمع. والمتن موافق المصدر.
 ٦. المصدر: وقتل.
 ٧. المصدر: يحتمله.
 ٨. المصدر: فأما المؤمن، فإنّ نبينا محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيدي يوم غدير خم فقال ...
 ٩. المصدر: اعتصمه.
 ١٠. المصدر، ر: لم يخص.
 ١١. ما بين القوسين ليس في أ.

والمقصود، الاستفسار عن المرجح. لا العجب والتفاخر. وكأنهم علموا أن المجمعول ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهوية وغضبية يؤديان به إلى الفساد وعقلية، تدعوه إلى المعرفة. ونظروا إليها مفردة. وقالوا: ما الحكمة في استخلاف من هو باعتبار تينك القوتين؟ لا يقتضي الحكمة إيجاده، فضلاً عن استخلافه؟! وأما باعتبار القوة العقلية، فنحن نقيم ما يتوقع منها، سليماً عن المعارض.

وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين، إذا صارت مهبذة مطواعة للعقل، متمرنة على الخير، كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف. ولم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الأحاد، كالإحاطة بالجزئيات، واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات، من القوة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف، ولذلك^(١) حكم عليهم، بعدم العلم، بما يعلم هو تعالى.

و«التسبيح»: تبعيد الله من سوء، وكذلك التقديس، من سبوح في الأرض والماء، وقدس في الأرض: إذا ذهب فيها وأبعد. ويقال: قدس، إذا طهر؛ لأن مطهر الشيء مبعده عن الأقدار.

وفي كلام بعض الفضلاء: إن التسبيح: تنزيه الجنب الإلهي عن النقائص، ونفيها عنه. والتقديس: تنزيهه عن النقائص وعن صلاحية قبوله إياه وإمكانها فيه. فهو أبلغ من التسبيح. ولذلك أخر عنه في هذه الآية وفي قولهم: سبوح قدوس.

و«بحمدك» حال؛ أي: نسيح ونقدس، متلبسين بحمدك.

وقيل^(٢): «الباء للسببية» فيتعلق بالتسبيح.

والتسبيح، إشارة إلى الثناء عليه بالصفات الثبوتية، والتقديس إلى الثناء عليه بالصفات السلبية.

و«اللام» في «لك»، مزيدة لتأكيد تعلق التسبيح والتقديس به، لا لتقوية العمل، أو للتعليل.

والمعنى: نظهر نفوسنا [عن المعاصي، لأجلك].

وقيل ^(١): التسبيح والتقديس، يعدّى بنفسه، وباللام. فاللام في معنى يتعلق بهما ^(٢).

﴿قَالَ إِنِّي أَغْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٣): ومن جملة «إني أعلم» ان في ^(٤) هذا الجعل من الحكم والمصالح، وهو خفي عليكم.

روى علي بن ابراهيم في تفسيره ^(٥)، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو ابن أبي المقدام، عن ثابت الحذاء، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين صلوات الله عليه عن أبيه، عن آبائه صلوات الله عليهم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعد ما مضى من الجن والنسناس في الأرض، سبعة آلاف سنة. وكان من شأنه خلق آدم. (فكشف) ^(٦) عن أطباق السموات، وقال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي، من الجن والنسناس.

فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق، عظم ذلك عليهم. وغضبوا لله ^(٧) وتأسفوا على أهل الأرض، ولم يملكوا غضبهم. فقالوا: ربنا إنك أنت العزيز القادر الجبار القاهر العظيم الشأن. وهذا خلقك الضعيف الذليل. يتقلبون في قبضتك. ويعيشون برزقك. ويتمتعون بعافيتك. وهم ^(٨) يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام. لا تأسف عليهم، ولا تغضب، ولا تنتقم لنفسك، لما تسمع منهم وترى؟ وقد عظم ذلك علينا. وأكبرناه فيك.

قال: فلما سمع ذلك من الملائكة، قال: «إني جاعل في الأرض خليفة» تكون ^(٩)

١. نفس المصدر، بتفاوت.

٢. مابين القوسين ليس في ج.

٣. ليس في ج.

٤. تفسير القمي، ٣٦١.

٥. المصدر: كشط.

٦. ليس في أ.

٨. المصدر: يكون.

٧. ليس في ج.

حجة لي في أرضي^(١) على خلقي .

فقال الملائكة : سبحانك ! أتجعل فيها من يفسد فيها ، كما أفسد بنو الجان ؟
ويسفكون الدماء ، كما سفك^(٢) بنو الجان ؟ ويتحاسدون ؟ ويتباغضون ؟ فاجعل ذلك
الخليفة منا . فإننا لا نتحاسد ولا نتباغض ولا نسفك الدماء ، ونسبح بحمدك ونقدس
لك .

فقال جلّ وعزّ : إنّي أعلم ما لا تعلمون . إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي . وأجعل من
ذريّته الأنبياء والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمّة المهتدين . وأجعلهم خلفائي في
أرضي^(٣) . ينهونهم عن معصيتي . وينذرونهم من عذابي . ويهدونهم إلى طاعتي .
ويسلكون بهم طريق سبيلي . وأجعلهم لي حجة عليهم ، عذراً نذراً^(٤) . وأبىد النسانس
من أرضي . وأطهرها منهم . وأنقل مرده الجن العصاة من بريتي وخلقّي وخيرتي .
وأسكنهم في الهواء وأقطار الأرض . فلا يجاورون نسل خلقي منهم . وأجعل بين
الجن وبين خلقي حجاباً ، فلا يرى نسل خلقي الجن . ولا يجالسونهم ولا
يخالطونهم^(٥) . فمن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفتيهم ، أسكنتهم مساكن
العصاة وأوردتهم^(٦) مواردهم ، ولا أبالي .

قال^(٧) : فقالت الملائكة : يا ربّنا ! افعّل ما شئت . لا علم لنا إلّا ما علمتنا ، إنك أنت
العليم الحكيم .

قال : فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام .

قال : فلاذوا بالعرش ، وأشاروا بالأصابع . فنظر الربّ ﷻ إليهم ، ونزلت الرحمة .
فوضع لهم البيت المعمور .

١ . المصدر : في الأرض . ٢ . كذا في المصدر . والأصل ور : يفسكوا .

٣ . المصدر : أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين وأئمّة مهتدين . وأجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي .

٤ . عذراً نذراً ، ليس في المصدر . ٥ . أ : يجالسوهم ولا يخالطوهم .

٦ . المصدر : وأسكنتهم ... أوردتهم . ٧ . ليس في أ .

فقال: طوفوا به، ودعوا العرش، فإنه لي رضا.

فطافوا به. وهو البيت الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. لا يعودون إليه^(١) أبداً. فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السماء. ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض. فقال الله تبارك وتعالى: «إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»^(٢).

قال^(٣): وكان ذلك مقدمة^(٤) من الله في آدم، قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم. فاغترف ربنا ﷺ غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات. وكلتا يديه يمين. فصلصلها في كفه حتى جمدت.

فقال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأنمة المهتدين والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيامة، ولا أبالي. ولا أسأل عما أفعل، وهم يسألون.

ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج. فصلصلها في كفه، فجمدت. ثم قال لها: منك أخلق الجبارين والفراعنة والعتاة وإخوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم، ولا أبالي. ولا أسأل عما أفعل، وهم يسألون.

قال: وشرط^(٥) في ذلك البدء فيهم^(٦)، ولم يشترط في أصحاب اليمين البدء^(٧). ثم خلط^(٨) المائتين جميعاً في كفه، فصلصلها. ثم كفأهما^(٩) قدام عرشه، وهما سلالة من طين. ثم أمر الله الملائكة الأربعة، الشمال والجنوب والصبأ والدبور، أن يجولوا على هذه السلالة [من]^(١٠) الطين.

١. «إليه»، ليس في المصدر وهو الظاهر. ٢. الحجر / ٢٨.

٣. ليس في أ. ٤. ليس في المصدر.

٥. المصدر: شرطه. ٦. ليس في أ.

٧. ليس في المصدر. ٨. المصدر: أخلط.

٩. المصدر: كفهما. ١٠. من المصدر.

فأجروها^(١). وأنشئوها. ثم أبروها^(٢). وجزؤوها. وفصلوها. وأجروا فيها الطبائع الأربعة: الريح والدم والمرّة والبلغم. فجالت الملائكة عليها. وهي الشمال والجنوب والصبا والدبور. وأجروا فيها [الطبائع الأربعة]^(٣): (الريح في الطبائع الأربعة، من ناحية الشمال. والبلغم في الطبائع الأربعة، من ناحية الصبا. والمرّة في الطبائع الأربعة)^(٤)، من ناحية الدبور. والدم في الطبائع الأربعة، من ناحية الجنوب.

قال: فاستقلت^(٥) النسمة، وكمل البدن. فلزمه من ناحية الريح، حب النساء وطول الأمل والحرص. ولزمه من ناحية البلغم، حب الطعام والشراب والبر والحلم والرفق. ولزمه من ناحية المرّة، الغضب^(٦) والسفّه والشيطنة [والتجبر]^(٧) والتمرد والعجلة. [ولزمه]^(٨) من ناحيه الدم، حب [الفساد و]^(٩) اللذات وركوب المحارم والشهوات. قال أبو جعفر عليه السلام: وجدناه في كتاب علي عليه السلام فخلق الله آدم، فبقي أربعين سنة مصوراً. فكان يمر به ابليس اللعين [فيقول]^(١٠): لأمر ما خلقت؟

فقال العالم عليه السلام: فقال ابليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذه لعصيته^(١١).

قال ثم نفخ فيه. فلما بلغت الروح إلى دماغه، عطس^(١٢). فقال: الحمد لله. فقال الله: يرحمك الله.

قال الصادق عليه السلام: سبقت له من الله الرحمة.

[وفي الكافي^(١٣): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي عباد عمران بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام. قال: بينا أبي عليه السلام وأنا في الطواف، إذ أقبل رجل شرجب من الرجال.

-
١. أ، المصدر: فأمروها.
 ٢. أ: أبروها، المصدر: أنزوها.
 ٣. يوجد في المصدر.
 ٤. ما بين القوسين كررة في ج.
 ٥. أ: فاستهلت.
 ٦. المصدر: الحب والغضب.
 ٧. يوجد في المصدر.
 ٨. يوجد في المصدر وج.
 ٩. يوجد في المصدر.
 ١٠. يوجد في المصدر وج.
 ١١. كذا في المصدر وفي الأصل و ر. ولعل الصواب: لأعصيته.
 ١٢. المصدر: عطس عطسة جلس منها.
 ١٣. الكافي ١٨٧/٤، ح ١.

فقلت : وما الشرجب ؟ أصلحك الله .

فقال : الطويل . فقال : السلام عليكم . وأدخل رأسه بيني وبين أبي .

قال : فالتفت إليه أبي وأنا . فرددنا عليه السلام .

ثم قال : أسألك رحمك الله ؟

فقال له أبي : نقضي طوافنا ، ثم تسألني .

فلما قضى أبي الطواف ، دخلنا الحجر . فصلينا الركعات ^(١) .

ثم التفت ، فقال : أين الرجل ؟ يا بني !

فإذا هو وراءه قد صلى .

فقال : ممن الرجل ؟

فقال : من أهل الشام .

قال ^(٢) : ومن أي أهل الشام ؟

فقال : ممن يسكن بيت المقدس .

فقال : قرأت الكتابين ؟

قال : نعم .

قال : سل عما بدا لك .

قال : أسألك عن بدء ^(٣) هذا البيت ، وعن قوله : « ن ، والقلم وما يسطرون » ^(٤) وعن

قوله : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ^(٥) .

فقال : يا أخا أهل الشام ! اسمع حديثنا ، ولا تكذب علينا . فإن ^(٦) من كذب علينا في

شيء فقد كذب على رسول الله ﷺ ومن كذب على رسول الله ﷺ فقد كذب على الله .

٢ . المصدر : فقال .

١ . المصدر : الركعتين . وهو الظاهر .

٤ . القلم / ١ .

٣ . ر : بدو .

٦ . المصدر : فإنه .

٥ . المعارج / ٢٤ .

ومن كذب على الله، عذّبه الله ﷻ. أما بدء^(١) هذا البيت، فإنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة»، فردّت الملائكة على الله تعالى، فقالت: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» فأعرض عنها. فرأت أنّ في ذلك من سخطة، فلاذت بعرشه. فأمر الله ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة، يسمى الضراح، بإزاء عرشه. فصيّره لأهل السماء، يطوفون به سبعون ألف ملك في كل يوم، لا يعودون، ويستغفرون. فلما أن هبط آدم إلى السماء الدنيا، أمره بمرمة هذا البيت، وهو بإزاء ذلك. فصيّره لآدم وذريته، كما صيّر ذلك لأهل السماء.

قال: صدقت، يا بن رسول الله!

عليّ بن ابراهيم^(٢)، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر وابن محبوب، جميعاً عن المفضل بن صالح، عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كنت مع أبي في الحجر. فبينما هو قائم يصلي، إذ أتاه رجل فجلس إليه. فلما انصرف سلم عليه. ثم قال: إني أسألك عن ثلاثة أشياء لا يعلمها إلا أنت ورجل آخر.

قال: ما هي؟

قال: أخبرني أي شيء كان سبب الطواف بهذا البيت؟

فقال: إنّ الله تعالى لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام فردّوا^(٣) عليه، فقالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» قال الله تبارك وتعالى: «إني أعلم ما لا تعلمون»، فغضب عليهم. ثم سألوه التوبة. فأمرهم أن يطوفوا بالضراح، وهو البيت المعمور، ومكثوا يطوفون به سبع سنين ويستغفرون الله تعالى مما قالوا. ثم تاب عليهم من بعد ذلك ورضي عنهم. فهذا كان أصل الطواف. ثم جعل الله البيت الحرام حذو الضراح، توبة لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم.

فقال: صدقت.

٢. نفس المصدر ١٨٨/٤، ح ٢.

١. ر: بدو.

٣. المصدر: ردوا.

وفي كتاب علل الشرائع^(١): حدثنا محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لما أحب أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعد ما مضى من الجن والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة.

قال: فلما^(٢) كان من شأنه^(٣) أن يخلق آدم عليه السلام للذي أراد من التدبير والتقدير، لما هو مكوّنه في السماوات والأرض وعلمه لما أراد من ذلك كله، كشط عن أطباق السماوات، ثم قال للملائكة: أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي، من الجن والنسناس. فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق، عظم ذلك عليهم، وغضبوا لله، وأسفوا على أهل الأرض^(٤)، ولم يملكوا غضبهم أن قالوا: يا رب! أنت العزيز القادر الجبار القاهر العظيم الشأن. وهذا خلقك الضعيف الذليل في أرضك، يتقلبون في قبضتك، ويعيشون برزقك، ويستمتعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام. لا تأسف ولا تغضب، ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى. وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك، فلما سمع الله تعالى ذلك من الملائكة، قال: «إني جاعل في الأرض خليفة» لي عليهم. فيكون حجة لي عليهم في أرضي على خلقي. فقالت الملائكة: سبحانك! أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. [و]^(٥) قالوا: فاجعل منا. فإننا لا نفسد في الأرض، ولا نسفك الدماء.

قال الله تعالى: يا ملائكتي! إني أعلم ما لا تعلمون. إني أريد أن أخلق خلقاً بيدي، أجعل ذريته أنبياء مرسلين وعباداً صالحين وأمة مهتدين، أجعلهم خلفائي على خلقي

١. علل الشرائع، ١٠٤-١٠٥.

٢. المصدر: ولما.

٣. المصدر: شأن الله.

٤. المصدر: الأرض.

٥. يوجد في المصدر.

في أرضي، يهنونهم عن المعاصي^(١)، وينذرونهم عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي. وأجعلهم حجة لي عذراً ونذراً. وأبين النسانس من أرضي، فأطهرها منهم. وأنقل مرده الجن والعصاة عن بريتي وخلقتي وخيرتي. وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض، لا يجاورون نسل خلقي، وأجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً. ولا يرى نسل خلقي الجن، ولا يؤانسونهم^(٢) ولا يخالطونهم ولا يجالسونهم^(٣). فمع عصائي من نسل خلقي الذين أصطفيتهم لنفسي، أسكنتهم مساكن العصاة وأوردتهم مواردهم، ولا أبالي.

فقال الملائكة: يا ربنا! افعل ما شئت. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده^(٤) إلى يحيى بن أبي العلاء الرازي، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وقد سأله رجل فقال: وأخبرني عن هذا البيت، كيف صار فريضة على الخلق أن يأتوه؟

قال: [فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إليه وقال: ما سألتني عن مسألتك أحد قط قبلك] ^(٥) إن الله ﷻ لما قال للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة» فضجت الملائكة من ذلك. وقالوا: يا رب! إن كنت لابد جاعلاً في أرضك^(٦) خليفة، فاجعله منا من يعمل في خلقك بطاعتك.

فرد عليهم: «إني أعلم ما لا تعلمون».

فظنت الملائكة أن ذلك سخط من الله ﷻ عليهم. فلاذوا بالعرش يطوفون به. فأمر الله ﷻ لهم ببيت من مرمر، سقفه ياقوتة حمراء وأساطينه الزبرجد. يدخله كل يوم

١. كذا في المصدر. والأصل ور: معاصي. ٢. ليس في ج.

٣. كذا في المصدر. وفي الأصل وروج: لا يجانسونهم.

٤. علل الشرائع ٤٠٢، ضمن حديث ٢. ٥. يوجد في المصدر.

٦. المصدر: جاعل في الأرض.

سبعون ألف ملك ، لا يخرجونه بعد ذلك ، إلى يوم القيامة^(١).

وبإسناده^(٢) إلى علي بن حديد ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض^(٣) أصحابنا ، عن أحدهما عليه السلام : أنه سئل عن ابتداء الطواف . فقال : إن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قال للملائكة : «إني جاعل في الأرض خليفة» .

فقال ملكان من الملائكة : «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله تعالى . وكان تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة . فلما وقعت الحجب بينه وبينهما ، علما أنه قد سخط قولهما .

فقالا للملائكة : ما حيلتنا ؟ وما وجه توبتنا ؟

فقالوا : ما نعرف لكما من التوبة ، إلا أن تلوذا^(٤) بالعرش .

قال : فلأذا بالعرش ، حتى أنزل الله تعالى توبتهما ، ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما . وأحب الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة . فخلق الله البيت في الأرض ، وجعل على العباد الطواف حوله . وخلق البيت المعمور في السماء ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة .

وبإسناده^(٥) إلى أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لم صار الطواف سبعة أشواط ؟

قال : لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة : «إني جاعل في الأرض خليفة» ، فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا : «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟» قال الله : «إني أعلم ما لا تعلمون» . وكان لا يحجبهم عن نوره . فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام . فلأذا بالعرش سبعة آلاف سنة ، فرحمهم وتاب عليهم . وجعل لهم البيت

١ . المصدر : إلى يوم الوقت المعلوم .

٢ . نفس المصدر ٤٠٣ ، ح ٣ .

٣ . ليس في المصدر .

٤ . كذا في المصدر وفي الأصل : تلوذوا ... فلأذا .

٥ . ليس في المصدر .

٥ . نفس في المصدر ٤٠٦ - ٤٠٨ ، ح ١ .

المعمور الذي في السماء الرابعة . فجعله^(١) مثابة . ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور ، فجعله مثابة للناس وأمناً . فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد ، لكل ألف سنة شوطاً واحداً .

وفي عيون الأخبار^(٢) ، بإسناده إلى الحسين بن بشار ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام^(٣) . قال : سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان ، كيف كان يكون ؟ فقال : إن الله هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء . قال عليه السلام : « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون »^(٤) وقال لأهل النار : « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون »^(٥) . فقد علم عليه السلام أن لو ردّهم^(٦) لعادوا لما نهوا عنه . وقال للملائكة لما قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » .

فلم يزل الله عليه السلام علمه سابق الأشياء^(٧) قديماً قبل أن يخلقها . فتبارك الله ربّنا . وتعالى علواً كبيراً . خلق الأشياء كما شاء^(٨) وعلمه بها سابق لها كما شاء . كذلك ربّنا . لم يزل ربّاً عالماً سميعاً بصيراً .

وفي كتاب علل الشرايع^(٩) : بإسناده إلى أبي خديجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام . قال : سأل أبي عليه السلام رجلاً ، وقال : حدثني عن الملائكة ، حين ردّوا على الرب حيث غضب عليهم ، وكيف رضي عنهم ؟

فقال : إن الملائكة طافوا بالعرش سبع سنين^(١٠) . يدعونه ويستغفرونه^(١١) ،

١ . المصدر : وجعله . ٢ . عيون الأخبار ١/ ١١٨ ، ح ٨ .

٣ . المصدر : أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

٤ . الجاثية / ٢٩ . ٥ . الأنعام / ٢٨ .

٦ . المصدر : أنّه لو ردّوهم . ٧ . المصدر : سابقاً للأشياء .

٨ . « كما شاء » ، ليس في المصدر . ٩ . علل الشرائع / ٤٠٧ ، مقاطع من ح ٢ .

١٠ . يوجد في ر والمصدر . ١١ . ليس في ج .

ويسألونه أن يرضى عنهم. فرضي عنهم بعد سبع [سنين] ^(١).

فقال: صدقت. ومضى.

فقال أبي عليه السلام: هذا جبرئيل عليه السلام أتاكم يعلمكم معالم دينكم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان ^(٢): روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم. وقالوا: نحن نقدر عليك ونطيعك، ولا نعصيك كغيرنا.

قال: فلما أجيئوا بما ذكر في القرآن، علموا أنهم تجاوزوا ما لهم. فلاذوا بالعرش استغفاراً. فأمر الله تعالى آدم بعد هبوطه أن يبني في الأرض بيتاً، يلوذ به المخطئون، كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون. فقال الله تعالى للملائكة: إنني أعرف بالمصلحة منكم. وهو معنى قوله: أعلم ما لا تعلمون ^(٣).

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: وذلك إما بخلق علم ضروري بهافيه، أو إلقاء في روعه، لا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل.

و«التعليم»: جعل الشيء، عارفاً بشيء، من غير انتساب حكم إليه، من العلم المتعدي إلى مفعول واحد.

و«الإعلام»: جعل الشيء عالماً بنسبة بين الشيئين. من العلم المتعدي إلى مفعولين.

و«آدم»: إما من الأدمة - بضم الهمزة -؛ أي: السمرة. والأدمة - بفتحها - أي: الأسورة. أو الأدم والأدمة - بالفتح -؛ أي: الألفة. أو أديم الأرض، لما روي: أنه خمرت طينته من جميع وجه الأرض، وهو أديمها. ولذلك يأتي بنو أصنافاً ^(٤).

[وفي كتاب علل الشرائع ^(٥): بإسناده إلى محمد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

١. يوجد في المصدر.

٢. مجمع البيان، ٧٥/١.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. انظر علل الشرائع ٢/١، ح ١.

٥. نفس المصدر ١٤/١، ح ١.

إنما سمي آدم آدم، لأنه خلق من أديم الأرض.

وبإسناده^(١) إلى عبد الله بن يزيد بن سلام، أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن آدم لم سمي آدم؟

قال: لأنه من طين الأرض وأديمها.]

ووزنه على هذه التقادير: أفعل، أو اسم أعجمي على فاعل، كأذر وعاذر وشالغ. فلا يكون مشتقاً مما ذكر؛ لأن اشتقاق الأعجمي من العربي غير معهود.

قيل^(٢): وهو أولى، والأول تعسف^(٣) كاشتقاق ادريس من الدرس، ويعقوب من العقب، وإبليس من الإبلّاس، وهو اليأس.

والاسم في اللغة: ما يكون علامة للشيء، يرفعه من مكنن الخفاء إلى منصفة الظهور، من الألفاظ والصفات والأفعال. وفي العرف: اللفظ الموضوع لمعنى، مركباً أو مفرداً، فعلاً كان أو حرفاً، أو غيرهما. وفي الاصطلاح: ينخص القسم الأخير. والأول والثاني متلازمان هنا.

فإن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة، متوقف على العلم بالمعاني.

والمعنى: أنه سبحانه، أراه الأجناس التي خلقها، وألقى في روعه أن هذا، اسمه فرس. وهذا، اسمه بعير. وهذا، اسمه كذا. وهذا، اسمه كذا. وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية.

والذي يدل على إرادة العموم، ما رواه الشيخ الطبرسي، عن الصادق عليه السلام^(٤) أنه سئل عن هذه الآية. فقال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية. ثم نظر إلى بساط تحته، فقال: وهذا البساط مما علمه.

[وفي بصائر الدرجات^(٥): أحمد بن محمد ويعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي

١. نفس المصدر ٤٧/١، ح ٣٣. ٢. الكشف، ١٢٥/١.

٣. أ: نصف. ٤. مجمع البيان، ٧٦/١.

٥. بصائر الدرجات ٨٣، صدر حديث ١.

ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام. قال: أن رسول الله ﷺ قال: إن^(٢) الله مثل لي أمتي في الطين، وعلمني أسماءهم [كلها]^(٣) كما علم آدم الأسماء كلها.

محمد بن عيسى^(٤)، عن النضر بن سويد، عن الحسين بن موسى، عن الحسين بن زياد، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام [قال]^(٥): أهدي إلى رسول الله ﷺ والجوج، [فحال] فيه حب مختلط. فجعل رسول الله ﷺ يلقي إلى علي حبة حبة، ويسأله أي شيء هذا؟ وجعل علي يخبر.

فقال رسول الله ﷺ: أما إن جبرئيل أخبرني أن الله علمك اسم كل شيء كما علم آدم الأسماء كلها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦)، قوله: «وعلم آدم الأسماء كلها» قال: أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان^(٧).

وأما ما رواه رئيس المحدثين، في كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٨)، بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى علم آدم عليه السلام أسماء حجج الله تعالى كلها، ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة. فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين بأنكم أحقأ^(٩) بالخلافة في الأرض، لتسيحكم وتقديسكم، من آدم. قالوا: سبحانك! لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم.

قال الله تبارك وتعالى: يا آدم! أنبئهم بأسمائهم.

فلما أنبأهم بأسمائهم، وقفوا على عظيم منزلتهم، عند الله تعالى ذكره. فعلموا

١. المصدر: محمد بن الحلبي.

٢. «أن رسول الله ﷺ قال:» ليس في المصدر. والظاهر أنه سقط منه.

٣. يوجد في المصدر.

٤. نفس المصدر، ٤١٨.

٥. يوجد في ر والمصدر وج.

٦. تفسير القمي ٤٥/١.

٧. ما بين القوسين: ليس في أ.

٨. كمال الدين ١٣/١ - ١٤، مقدمة المصنف.

٩. المصدر: أحق.

أنهم^(١) أحقاء^(٢) بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته. ثم^(٣) غيَّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم. وقال لهم: ألم^(٤) أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض؟ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون؟

فبدل على العموم - أيضاً -.. فإنَّ المعنى: علَّم آدم ﷺ أسماء الأشياء؛ أي: صفاتهم المختصة بهم وصفات حججه صلوات الله عليهم - أيضاً - ليظهر أنهم أحقاء بأن يكونوا خلفاء في أرضه. فإنه لو لم يعلم أسماء الأشياء، لجاز عند عقولهم مساواة جميع ما سواهم في تلك الأسماء، فلا يظهر أحقيَّة الحجج بالخلافة.

لا يقال: المراد أحقيَّتهم بالنسبة إلى الملائكة. وهو يظهر بتعليم أسمائهم، فقط. قلنا: نعم. لكن أحقيَّتهم بالنسبة إلى سائر ما من نوعهم، كأنه معلوم للملائكة. والنزاع إنما وقع في أحقيَّتهم بالنسبة إليهم. لكن يظهر من تنزيههم فيها بعد واطمئنانهم أنه تعالى أظهر خاصية جميع الأشياء وأحوالها لهم وظهر لهم المزية. هكذا حقق المقام حتى تتفطن لما قاله العلامة السبزواري في الجمع بين الحديثين، خصوصاً من أنَّ الأخير لا ينافي العموم؛ لأنه ﷺ يمكن أن يقتضى في هذا الحديث على ما هو الأهم في هذا المقام، وهو إراءتهم الأنبياء والأوصياء، خصوصاً خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقرئ: وعلم آدم الأسماء - على البناء للمفعول -..
﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وقرأ أبي: ثمَّ عرضها. وقرأ ابن مسعود: ثمَّ عرضهنَّ. والضمير على الأول للمسميات: إما على الاستخدام. وهو أن يذكر لفظ وأريد معنى. وبضميره معنى آخر، كقوله:

إذا نزلت السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
أريد بالسماء المطر، وبضميره التبت الثابت به.

١. أ: أنه.

٢. المصدر: أحقَّ.

٣. ليس في ج.

٤. ليس في ج.

أو على حذف المضاف إليه، وإقامته مقامه في إفادة تعريف المضاف: نحو: «اشتعل الرأس شيباً»، ويكون من تغليب العقلاء الذكور على غيرهم.

وعلى الثاني والثالث، للأسماء: إما على الاستخدام - أيضاً - أو على حذف مضاف. والمعنى: عرض مسمياتهن، أو مسمياتها.

﴿فَقَالَ أَتَبْنُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾: الإنباء: إخبار فيه إعلام.

فطلب العالم الإنباء بما يعلمه، تحصيل للحاصل. وأمر الجاهل بالإنباء بما يجهله، تكليف بما لا يطاق.

فالأمر هنا، ليس على حقيقته. بل لإظهار عجزهم من أمر الخلافة. فإنَّ الجاهل بأحوال المستخلف عليهم، لا يتأتى منه ذلك.

﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦): فيما يلزم مقاتلكم. وهي أتجعل فيها - إلى آخره - من دعوى استحقاقكم الخلافة.

والتصديق: متعلق بالإنشاء باعتبار لازمه.

والمعنى: إن كنتم صادقين في دعواكم استحقاق الخلافة، فأنبنوني بأسماء المستخلف عليهم وأحوالهم. فإنَّ منصب الخلافة لا يتيسر بدون ذلك.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾: سبحان: مصدر، كغفران. ويندر انقطاعه عن الإضافة. ويمتنع حينئذ من الصرف. ويحكم عليه بأنه علم الجنس التسييح، قال:

سبحان من علقة الفاخر

وإذا أضيف، ينتصب بفعل مضمر؛ نحو: معاذ الله.

وتصدير الكلام به، لتنزيه الحق سبحانه عن منقصة ينبئ الكلام عنها، بالنسبة إلى غيره، كنفى العلم في الآية، والتوبة المنبئة عن الذنوب، في قول موسى عليه السلام: «سبحانك تبت إليك»^(١)، ونسبة الظلم، في قول يونس عليه السلام: «سبحانك إني كنت من الظالمين»^(٢).

وهو إما مصدر مضاف إلى المفعول، إن كان قائماً مقام فعل متعد؛ مثل: نسبحك. أو إلى الفاعل، إن كان قائم مقام فعل لازم؛ مثل: تنزهت.

والتقدير في قوله: «إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»، إمَّا إِلَّا علم ما علمتنا، أو بسبب ما علمتنا، إن كان «ما» موصولاً، أو بسبب تعليمك إيانا، إن كانت مصدرية. أو لا علم لنا إِلَّا ما أعطيتناه، على أن يراد بالتعليم جزء معناه. فَإِنَّ التعليم إعطاء العلم.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ ٣٨: الذي لا يخفى عليك خافية.

الحكيم المحكم لمدعائه الذي لا يفعل إِلَّا ما فيه حكمة بالغة.

و«أنت» فصل، أو تأكيد للكاف، كما في مررت بك أنت، وقد يجوز في المتبوع ما لا يجوز في التابع؛ نحو: يا هذا الرجل. أو مبتدأ خبره ما بعده، والجمله خبر أن.

قال العلامة السبزواري: يمكن أن يقال في بيان أنهم كيف يعلمون أن ما قرّره آدم وبيّنه لهم حق وصدق أنهم علموا بذلك لما شاهدوا تصديق الله إياه، أو خلق العلم الضروري فيهم عقيب تقريره، أو تصديق الملائكة الكروبيين إياه فيما ناله، أو حصول العلم عن المجموع بمجموع ما قاله وبيّنه على طريق التوزيع، فلمّا سمع الكل صدقوه في الجميع لمطابقة علمهم وتصديق نظرائهم، أو علمهم نبوته وبعثته على الجان وعلى أولاده اللذين سيوجد من صلبه بإخبار الله تعالى إياهم، أو بظهور خوارق العادة على يده مقارناً لدعوى النبوة.

وأقول: يحتمل أن يكون ذلك بإراءتهم عند ذلك في اللوح المحفوظ فيحصل لهم المطابقة مع ما فيه ليست حقيقة ولا مانعة الجمع وهو ظاهر العلم، فعلى هذا يلزم على العلامة إمّا إثبات قسم آخر للمنفصلة. أو إبطال منفصلته؛ لأنها ليست حقيقة، ولا مانعة الجمع. وهو ظاهر. ولا مانعة الخلو، لجواز ارتفاع جميع تلك الوجوه لما ذكرنا. اللهم إِلَّا أن يقال: أنها ليست منفصلة. ولا يخفى ما فيه.

[وفي كتاب التوحيد^(١): خطبة لعلي عليه السلام ويقول فيها: عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته وطول ولههم إليه وتعظيم جلال عزه وقربهم من غيب ملكوته، أن يعلموا من أمره إلا ما أعلمهم. وهم من ملكوت القدس بحيث هم، ومن معرفته على ما فطرهم عليه، أن قالوا: سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. فما ظنك أيها السائل بمن هو هكذا؟] (٢).

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾: للرد عليهم. والتنبيه على أن فيمن يستخلفه، فضيلة العلم التي هي مناط استئصال الاستخلاف.

وقرئ بقلب الهمزة ياء، وبحذفها - أيضاً - . والهاء مكسورة فيهما.

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾: حيث قلت إنني أعلم ما لا تعلمون.

﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فإن ما لا تعلمون، أعم من غيب السماوات والأرض. والقول بالعلم الأعم على وجه الشمول، قول بالعلم بالأخص.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٣): هذا - أيضاً - من تنمة مقول القول. وإنما يلزم القول به بالطريق الأولى؛ لأنه إذا علم ما لا يعلمون، فبالطريق الأولى يعلم ما يعلمون.

والمراد بالأول أحوالهم الظاهرة. وبالثاني الباطنة.

أو، بالأول قولهم: أتجعل - إلى آخره - . وبالثاني ما يلزمه من استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة.

أو، بالأول ما أظهروا من الطاعة. وبالثاني ما أسر منهم إبليس من المعصية. وفي الآية دلالة:

على أن العلوم كلها من جهته تعالى، والأمر كذلك؛ لأنها إما ضرورية فعلها الله، أو نظرية أقام الأدلة عليها. فالعلم كله من عند الله.

وعلى شرف الإنسان، من حيث أنه إنسان.

وعلى مزية العلم على العبادة.

وعلى أنه شرط في الخلافة.

وأنه لا يكون الأسفل خليفة للأفضل. وإن كان له شرف التقدم. وقد قال: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون»^(١).

قال بعض الفضلاء: وتأويل الآية في بعض بطونها، أن الله سبحانه «عَلَّمَ آدَمَ»؛ أي: الأناسي الكاملين «أسماء كلها»، سواء كانت إلهية، أو كونية. فإن الحقيقة الانسانية الكمالية أحدية، جمع^(٢) الحقائق المظهرية الكمالية، والأسماء الالهية الظاهرة فيها وبها. فإن الكل أسماء وتعينات وجوده. وتعليمهم إياه عبارة عن جعلهم عارفين بما في أنفسهم.

ثم عرضهم؛ أي: أوردتهم في معرض المعارضة للملائكة. فقال لهم - أي: للملائكة -: «أنبئوني» من حيث ظهوري فيهم. فإن إنبائي من هذه الحثية، إنباؤهم بأسماء هؤلاء الأناسي الكاملين؛ أي: بأسمائي المودعة فيهم، إلهية كانت أو كونية. وإنباؤكم عنها، لا يتصور إلا بتحققكم بها والظهور بأحكامها.

«قالوا: سبحانه لا علم لنا» بتلك الأسماء، «إلا ما علمتنا» بإيداعه فينا. وجعلنا عارفين به. وذلك هنا لا يستوعب جميع تلك الأسماء. فكيف ننبئهم بها؟ «إنك أنت العليم» بما فينا وفيهم، «الحكيم» المجري علينا أحكامنا على ما يقتضيه علمك. وبهذا ظهر عدم استحقاق الملائكة للخلافة؛ لأن من شرطها الإحاطة بأحوال المستخلف عليه.

ثم أقبل سبحانه على آدم لإظهار استحقاقه لها. «فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم» المودعة فيهم. فإنه بعض ما أودعنا فيك. فعلمك بتفاصيل ما فيك، يستلزم العلم بما فيهم.

« فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال لهم : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات » الأسماء ؛ أي : ما استجنّ فيها من الأحكام والآثار وغيب أرض الحقائق الإمكانية من الاستعدادات الغير الظاهرة ، إلّا بعد ظهور^(١) أحكام الأسماء وآثارها فيها . « وأعلم ما تبدون » لاقتضاء استعدادكم إيدائها من تلك الأحكام والآثار . « وأعلم ما كنتم تكتُمون » لعدم وفاء استعدادكم بإيدائه .

وإنما قال أولاً : « أنبئوني » وثانياً : « أنبئهم » إشارة إلى صحة إسناد الأفعال وإيقاعها على كل من الظاهر والمظهر .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ : عطف على الظرف السابق ، إن نصبته بمضمّر . وإلّا عطف ، مع ما يقدر عاملاً فيه ، على الجملة المتقدمة ، لبيان نعمة رابعة عامة لجميع الناس .

والمراد بالملائكة : كلهم .

وقيل : المراد ، ما عدا الملائكة المهيمين الذين منذ خلقوا هاموا في جمال الله وجلاله ، ولا شعور لهم بوجود العالم ، فكيف بوجود آدم ؟ وبعد ذلك ، إمّا مخصوصة بملائكة الأرضين ، أو أعم .

قيل : وهذا القول ، بعد الإنباء واطهار فضل آدم ، على الملائكة .

والأظهر ، أنه أمرهم به قبل أن يسوى خلقه ، لقوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين »^(٢) ، امتحاناً لهم واطهاراً لفضله . ولما روينا سابقاً من قول أمير المؤمنين عليه السلام وكان ذلك من الله تقدمة في آدم ، قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم .

و« السجود » : الخضوع والتذلل ، صورته الكاملة : وضع الجبهة على الأرض . وهو لله سبحانه على سبيل العبادة ، ولغيره على وجه التكرمة .

والمسجود له، إِمَّا الله سبحانه، وآدم جعل قبله، فاللام فيه كاللام في قوله حَسَنَ:
أليس أول مَنْ صَلَّى لقبلكم وأعرف الناس بالقرآن والسُّنن؟
أو سبباً لوجوبه، فاللام فيه كاللام في قوله: «أقم الصلوة لدلوك الشمس»^(١).
أو آدم، فاللام فيه كاللام في قولهم: سجدت له.

﴿فَسَجَدُوا﴾: قيل: الضمير راجع إلى المأمورين بالسجود، أعم من الملائكة
والجن. فَإِنَّ الجن كانوا - أيضاً - مأمورين، لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم. فَإِنَّه
إذا علم أَنَّ الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به، علم - أيضاً - أَنَّ الأصاغر
مأمورون به.

[وفي تفسير العياشي^(٢): عن بدر بن خليل الأسدي، عن رجل من أهل الشام، قال:
قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أول بقعة عبد الله عليها، ظهر الكوفة. لَمَّا أمر الله
الملائكة أن يسجدوا لآدم، سجدوا على ظهر الكوفة] ^(٣).

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: اختلفوا في أَنَّهُ من الملائكة، أو من الجن. والحق هو الثاني. يدل
عليه ما رواه علي بن ابراهيم^(٤)، قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن
أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عما ندب الله الخلق^(٥) إليه، أدخل فيه الضَّلال؟

قال: نعم. والكافرون دخلوا فيه، لأنَّ الله تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم،
فدخل في أمره الملائكة وإبليس، وإنَّ^(٦) إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله،
وكانت الملائكة تظنُّ أَنَّهُ معهم، ولم يكن منهم. فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم،
أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد. فعلم الملائكة عند ذلك أَنَّ إبليس لم يكن
منهم^(٧).

٢. تفسير العياشي ١/٣٤، ح ١٨.

١. الإسراء/٧٨.

٤. تفسير القمي ١/٣٥-٣٦.

٣. ما بين القوسين، ليس في أ.

٦. المصدر: فَإِنَّ من.

٥. ليس في أ.

٧. المصدر: مثلهم.

فقيل له ﷺ: فكيف وقع^(١) الأمر على إبليس وإنما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء، ولم يكن من جنس الملائكة. وذلك أن الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس فيهم^(٢) حاكماً في الأرض، فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله الملائكة فقتلوهم. وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء. فكان^(٣) مع الملائكة يعبد الله، إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم.

وما رواه الشيخ الطبرسي^(٤)، عن رئيس المحدثين أبي جعفر ابن بابويه ﷺ في كتاب النبوة، بإسناده عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سألت عن إبليس، أكان من الملائكة، أو كان يلي شيئاً من أمر السماء؟

قال: كان من الجن، وكان مع الملائكة. وكانت الملائكة ترى أنه منها. وكان الله سبحانه يعلم أنه ليس منها. فلما أمر بالسجود لآدم، كان منه الذي كان.

وما وقع في القرآن من قوله: «إلا إبليس كان من الجن»^(٥)، ومن قوله: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»^(٦)، فنفي المعصية عنهم، نفياً عاماً.

وفي روضة الكافي^(٧): أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن علي بن حديد، عن جميل بن دراج، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن إبليس، أكان من الملائكة، أم كان يلي شيئاً من أمر السماء؟

فقال: لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي من أمر السماء ولا كرامة، فأتيت الطيار فأخبرته بما سمعت، فأنكره وقال: كيف لا يكون من الملائكة؟ والله ﷻ يقول: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس». فدخل عليه الطيار، وسأله وأنا عنده. فقال له: جعلت فداك! أرايت^(٨) قوله ﷻ: «يا أيها الذين آمنوا»، في غير مكان من

مخاطبة المؤمنين؟ أيدخل في هذا المنافقون؟

١. كذا في المصدر. والأصل ور: وقع فكيف. ٢. المصدر: منهم.

٣. المصدر: وكان. ٤. مجمع البيان، ٨٢/١.

٥. الكهف / ٥٠. ٦. التحريم / ٦.

٧. الكافي ٢٧٤/٨، ح ٤١٣. ٨. المصدر: رأيت.

قال: نعم. يدخل في هذا المنافقون والضالّال وكل من أقر بالدعوة الظاهرة.
وفي أصول الكافي^(١): عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل،
قال: كان الطيار يقول لي: ابليس ليس من الملائكة. وإنما أمرت الملائكة بالسجود
لآدم، فقال ابليس: لا أسجد. فما لابليس يعصى حين لم يسجد، وليس هو من
الملائكة.

قال: فدخلت أنا وهو على أبي عبد الله عليه السلام.

قال: فأحسن والله في المسألة.

فقال: جعلت فداك! أرايت ما ندب الله ﷻ إليه المؤمنين من قوله: «يا أيها الذين
آمنوا»؟ أدخل في ذلك المنافقون معهم؟

قال: نعم. والضالّال وكل من أقر بالدعوة الظاهرة، وكان ابليس ممن أقر بالدعوة
الظاهرة معهم!

وبإسناده^(٢) إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الملائكة كانوا يحسبون أنّ ابليس منهم.
وكان في علم الله أنّه ليس منهم. فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب. فقال:
خلقتني من نار، وخلقته من طين.

الحسين بن محمّد^(٣)، عن معلى بن محمّد، عن أخبره، عن عليّ بن جعفر، قال:
سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لما رأى رسول الله ﷺ تيمناً وعدياً وبني أمية يركبون
منبره، أفضّعه. فأنزل الله تبارك وتعالى قرأناً يتأسى به: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلا ابليس أبى». ثمّ أوحى إليه: يا محمّد! إني أمرت فلم أطع. فلا تجزع أنت
إذا أمرت فلم تطع في وصيك!

وفي كتاب الاحتجاج^(٤)، للطبرسي عليه السلام: وروى عن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه،
عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم، قال

٢. نفس المصدر ٣٠٨/٢، ح ٦.

٤. الاحتجاج، ٣١٤/١.

١. أصول الكافي ٤١٢/٢، ح ١.

٣. نفس المصدر ٤٢٦/١، ح ٧٣.

لعلي عليه السلام في كلام طويل : هذا آدم ، أسجد الله له ملائكته ، فهل فعل بمحمد (١) شيئاً من هذا ؟

فقال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ، ولئن أسجد الله لآدم ملائكته ، سجدوهم لم يكن سجود طاعة [و] (٢) أنهم عبدوا آدم من دون الله ﷻ . ولكن اعترافاً لآدم (٣) بالفضيلة ، ورحمة من الله له . ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا ؛ إن الله ﷻ صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها ، وتعبد المؤمنون بالصلاة عليه ، فهذه زيادة له يا يهودي ! وفي عيون الأخبار (٤) ، عن الرضا عليه السلام حديث طويل ، وفيه : إن الله تبارك وتعالى خلق آدم وأودعنا (٥) صلبه . وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً . وكان سجدوهم لله تعالى عبودية ، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه . فكيف لا نكون أفضل من الملائكة ؟ وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة (٦) ، بإسناده إلى محمد بن الفضل ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل ، يقول فيه عليه السلام بعد أن ذكر وفاة آدم عليه السلام وهبة الله : حتى إذا بلغ الصلاة عليه ، قال هبة الله : يا جبرئيل ! تقدم ، فصل على آدم .

فقال له جبرئيل عليه السلام : يا هبة الله ! إن الله أمرنا أن نسجد لأبيك في الجنة ، فليس لنا أن نؤم أحداً من ولده .

وفي كتاب علل الشرائع (٧) : بإسناده إلى هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما أسري برسول الله ﷺ وحضرت الصلاة ، أذن جبرئيل وأقام الصلاة . فقال : يا محمد ! تقدم .

١. المصدر : لمحمد .

٢. يوجد في المصدر .

٣. ليس في المصدر .

٤. عيون الأخبار ٢٦٣/١ . والحديث عن الرضا ، عن آبائه . عن رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين .

٥. المصدر : فأودعنا .

٦. كمال الدين وتمام النعمة ، ٢١٤ .

٧. علل الشرائع ٨ ، ح ٤ .

فقال له رسول الله ﷺ: تقدم يا جبرئيل!

فقال له: إننا لا نتقدم على آدميين، منذ أمرنا بالسجود لآدم.

وفي كتاب التوحيد^(١): عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، يقول في آخره: لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد أو^(٢) ترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم؟! بلى والله لقد خلق الله^(٣) ألف ألف عالم وألف ألف آدم^(٤)، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين.

وقد سبق في الفاتحة.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥): بإسناده إلى العباس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه ذكر أن اسم ابليس الحرث^(٦)، وإنما قول الله ﷻ: يا ابليس! يا عاصي! وسمي ابليس، لأنه أبلس من رحمة الله ﷻ.

وفي كتاب الخصال^(٧)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الآباء ثلاثة: آدم، ولد مؤمناً. والجان، ولد كافراً ومؤمناً. وابليس، ولد كافراً. وليس فيهم نتاج. وإنما يبيض ويفرخ. وولده ذكور، ليس فيهم أنثى^(٨).

﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٩): أي: امتنع أشد امتناع عن قبول ما أمر به، وتعظم على آدم.

وكان في علم الله قبل ظهور هذا الامتناع والاستكبار، من الكافرين المطرودين. فظهر آخر ما كان أولاً.

[وفي أصول الكافي^(١٠): بإسناده إلى موسى بن بكير^(١١)، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام

٢. المصدر: و.

١. التوحيد ٢٧٧، ذيل حديث ٢.

٤. ليس في ج.

٣. ليس في ج.

٦. المصدر: الحارث.

٥. معاني الأخبار، ح ١٣٨، ج ١.

٨. ليس في ج.

٧. الخصال، ١٥٢/١.

١٠. أصول الكافي ٣٨٥/٢، ح ٦.

٩. ما بين القوسين ليس في أ.

١١. الأصل و: بكر.

عن الكفر والشرك، أيهما أقدم؟

قال: فقال لي: ما عهدي بك تخاصم الناس؟

قلت: أمرني هشام بن سالم أن أسألك عن ذلك.

فقال لي: الكفر أقدم، وهو الجحود. قال الله ﷻ: «إِلَّا ابليس أبى واستكبر. وكان من

الكافرين».

وفي شرح الآيات الباهرة^(١) ذكر في تفسير الحسن العسكري ﷺ: أن الحسين ﷺ

قال لأصحابه بالطف: أولاً أحدثكم بأول أمرنا وأمركم؟ معاشر أوليائنا ومحبينا والمبغضين لأعدائنا يسهل عليكم احتمال ما أنتم له معرضون.

قالوا: بلى، يا ابن رسول الله!

قال: إن الله لما خلق آدم وسوّاه، وعلمه أسماء كل شيء، وعرضهم على الملائكة.

جعل محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين أشباحاً خمسة، في ظهر آدم. وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السماوات والحجب والجنان والكرسي والعرش. ثم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له. وأنه [قد]^(٢) فضله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها الآفاق. فسجدوا إلا ابليس، أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت، وقد تواضعت الملائكة كلها. فاستكبر وترفع، وكان بابائه ذلك وتكبره من الكافرين^(٣).

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي^(٤)، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن صالح

الهمداني، قال: حدثنا الحسن بن علي، عن^(٥) زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر

البصري، قال: حدثنا زكريا بن يحيى التستري، قال: حدثنا أحمد بن قتيبة الهمداني،

عن عبدالرحمن بن يزيد، عن أبي عبدالله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء.

١. شرح الآيات الباهرة، ٤٤/١.

٢. يوجد في المصدر.

٣. المصدر: بابائه ذلك وتكبر وكان من الكافرين.

٥. المصدر وج: يعنى.

٤. تفسير فرات، ٥٦.

فخلق خمسة من نور جلاله، ولكل واحد منهم اسماً من أسمائه المنزلة : فهو الحميد وسمى [نبيه] محمداً ﷺ، وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وله الأسماء الحسنى، فاشتق منها حسناً وحسيناً، وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه اسماً^(١). فلما خلقهم جعلهم في الميثاق، فأقامهم^(٢) عن يمين العرش. وخلق الملائكة من نور. فلما أن نظروا إليهم وعظّموا أمرهم وميثاقهم^(٣) وشأنهم ولقنوا التسبيح، فذلك قوله تعالى^(٤): ﴿وإنا لنحن الصافون، وإنا لنحن المسبحون﴾^(٥).

فلما خلق الله تعالى آدم صلوات الله وسلامه عليه نظر إليهم عن يمين العرش، فقال: يا رب! من هؤلاء؟

قال: يا آدم! هؤلاء صفوتي وخاصتي. خلقتهم من نور جلالتي، وشققت لهم اسماً من أسمائي.

قال: يا رب! فبحقك عليهم، علّمني أسماءهم.

قال: يا آدم! فهم عندك أمانة سرّى من سرّي، لا يطلع عليها^(٦) غيرك إلّا بإذني.

قال: نعم، يا رب.

قال: يا آدم! أعطني على ذلك العهد فأخذ عليه العهد^(٧).

ثم علّمه أسماءهم، ثم عرضهم على الملائكة، ولم يكن علّمهم بأسمائهم.

فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

قالوا: سبحانك! لا علم لنا إلّا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

قال: يا آدم! أنبئهم بأسمائهم.

فلما أنبأهم بأسمائهم، علمت الملائكة أنّه مستودع، وأنّه مفضل^(٨) بالعلم.

١. المصدر: اسماً من أسمائه.

٢. المصدر: فإنهم.

٣. ليس في المصدر.

٤. ليس في ج.

٥. الصافات / ١٦٥.

٦. المصدر: عليه.

٧. المصدر: عهداً فأخذ عليه العهد.

٨. النسخ: تفضل، والمثبت من المصدر.

وأمرُوا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلاً له وعبادة الله إذ كان ذلك يحق له .
فأبى إبليس الفاسق عن أمر ربه . فقال : ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك ؟
قال : أنا خير منه .

قال : فقد فضّلتك عليك ، حيث أقر^(١) بالفضل للخمسة الذين لم أجعل^(٢) لك عليهم سلطاناً ولا من يشبههم . فذلك^(٣) استثناء اللعين : «إلا عبادك منهم المخلصين»^(٤) .
قال^(٥) : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، وهم الشيعة^(٦) .

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧) : رعداً : وصف للمصدر ، أي : أكل رعداً واسعاً .
و«فتكونا» جزم عطف على «تقربا» أو نصب ، جواب للنهي^(٨) .
قيل^(٩) : الشجرة الحنطة . وقيل : الكرمة . وقيل : التينة .

وفي عيون الأخبار^(١٠) ، بإسناده إلى عبد السلام بن صالح^(١١) الهروي ، قال : قلت للرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ! أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت ؟
فقد اختلف الناس فيها ؛ فمنهم من يروي أنها الحنطة ، ومنهم من يروي أنها العنب ،
ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد !
فقال عليه السلام : كل ذلك حق .

قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟
فقال : يا أبا الصلت ! إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً ، فكانت^(١٢) شجرة الحنطة وفيها

-
- | | |
|---|---|
| ١ . المصدر : أمر . | ٢ . المصدر : لم يجعل . |
| ٣ . المصدر : ولا على شيعتهم ، فبان لك . | ٤ . الحجر / ٤٠ . |
| ٥ . الحجر / ٤٢ . | ٦ . ما بين القوسين ليس في أ . |
| ٧ . ليس في ج . | ٨ . العبارة الأخيرة ، ليست في أ . |
| ٩ . أنوار التنزيل ٤٩/١ ، مجمع البيان ٨٥/١ . | ١٠ . عيون الأخبار ، ٣٠٦ : معاني الأخبار ، ١٢٤ . |
| ١١ . ليس في ج . | ١٢ . الأصل و ر : وكانت . |

عنب، و^(١)ليست كشجرة الدنيا. وإن آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟ فعلم الله ﷻ ما وقع في نفسه، فناداه: ارفع رأسك يا آدم! وانظر إلى ساق عرشي^(٢).

فنظر آدم إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلا الله. محمد رسول الله ﷺ. علي بن أبي طالب ﷺ أمير المؤمنين. وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين. والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

فقال آدم ﷺ: يا رب! من هؤلاء؟

فقال ﷻ^(٣): هؤلاء من ذريتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي. ولو لا هم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء ولا الأرض. فباياك أن تنظر إليهم بعين الحسد، [فأخرجك عن جواربي.

فنظر إليهم بعين الحسد]^(٤) وتمنى منزلتهم. فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها، وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة ﷺ^(٥) بعين الحسد، حتى أكلت من الشجرة، كما أكل آدم. فأخرجهما الله تعالى عن جنته، فأهبطهما من جواره إلى الأرض.

وفي مجمع البيان^(٦): «ولا تقربا هذه الشجرة» أي: [لا] تأكلها منها. وهو المروي عن الصادق ﷺ. وقيل: هي شجرة الكافور - يروى عن علي ﷺ.

[وفي شرح الآيات الباهرة^(٧): قال الإمام ﷺ: إن الله ﷻ لمالعن إبليس بابائه، وأكرم الملائكة بسجودها لآدم وطاعتهم لله ﷻ أمر آدم وحواء إلى الجنة. وقال: يا آدم! أسكن

١. ليس في ج.

٢. المصدر: إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه و«رفع آدم رأسه» يوجد أيضاً في أ.

٣. ليس في ج. ٤. ما بين القوسين يوجد في المصدر.

٥. ليس في ج. ٦. مجمع البيان، ٨٥/١.

٧. شرح الآيات الباهرة، ٤٥/١؛ تفسير الإمام، ٢٢١.

أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً واسعاً حيث شئتما بلا تعب. ولا تقربا هذه الشجرة، شجرة العلم؛ علم محمد وآل محمد الذي آثرهم الله به دون سائر خلقه، فإنها^(١) لمحمد وآل محمد خاصة دون غيرهم. لا يتناول منها بأمر الله إلا هم. ومنها كان يتناول النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم بعد إطعامهم اليتيم والمسكين^(٢) والأسير، حتى لم يحسوا بعد بجوع^(٣) ولا عطش ولا تعب، وهي شجرة تميزت^(٤) بين أشجار الجنة، إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل أنواعاً من الثمار والمأكول. وكانت هذه الشجرة وحدها تحمل^(٥) البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة، فلذلك^(٦) اختلف الحاكون لذكر الشجرة؛ فقال بعضهم: برة. وقال آخرون: هي عنب^(٧) وقال آخرون: هي تينة. وقال آخرون: هي عنابة. قال الله: «ولا تقربا هذه الشجرة» تلتزمان بذلك درجة محمد وآل محمد في فضلهم، فإن الله خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم. وهي الشجرة التي من يتناول^(٨) منها بإذن الله، ألهم علم الأولين والآخرين بغير تعلم. ومن تناول منها بغير إذن الله، خاب من مراده، وعصى ربه، «فتكونا من الظالمين» بمعصيتكما^(٩) والتماسكما درجة قد^(١٠) أوتر بها غيركما، كما أردتما بغير حكم الله.

وفي أصول الكافي^(١١) بإسناده إلى محمد^(١٢) بن مسلم بن شهاب، قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل عند الله ﷻ؟

فقال: ما من عمل بعد معرفة الله ﷻ ومعرفة رسول الله ﷺ أفضل من بغض الدنيا. وإن لذلك لشعباً كثيرة، وللمعاصي شعباً: فأول ما عصي الله به الكبير، وهي معصية

١. المصدر: وأنها.

٢. المصدر: المسكين واليتيم.

٣. المصدر: لم يشعروا الجوع.

٤. كذا في المصدر والأصل ور: وجنسها يحمل. ٦. المصدر: ولذلك.

٧. العبارة الأخيرة، ليست في المصدر. ٨. كذا في ر والمصدر ونسخة المتن: يتناول.

٩. المصدر: بمعصيتها.

١٠. ليس في ج.

١١. أصول الكافي ١٣٠/٢، ح ١١. وله تمة.

١٢. المصدر: الزهري محمد...

ابليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين. ثم^(١) الحرص، وهي معصية آدم وحواء حين قال الله ﷻ لهما: كلا من حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه. فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة. وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه.

علي بن ابراهيم^(٢)، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن واصل بن سليمان، عن عبد الله ابن سنان، عن أبي عبد الله ﷻ قال: سمعته يقول: أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر ابليس أن يسجد لآدم، وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد. ونهى آدم عن أكل الشجرة، وشاء أن يأكل منها، ولو لم يشأ لم يأكل.

علي بن ابراهيم^(٣)، عن المختار بن محمد الهمداني، ومحمد بن الحسن، عن^(٤) عبد الله بن الحسن العلوي، جميعاً، عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن ﷻ قال: إن لله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء. أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك؟ ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله. وأمر ابراهيم أن يذبح اسحاق ولم يشأ أن يذبحه. ولو شاء لما غلبت مشيئة ابراهيم مشيئة الله^(٥).

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾: أي: الشجرة، أي: بسببها.

﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾: من الجنة.

[في كتاب علل الشرائع^(٦): حدثنا محمد بن الحسن ﷻ، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن ابراهيم بن هاشم، عن عثمان، عن الحسن بن بشار، عن أبي عبد الله ﷻ قال: سأله عن جنة آدم.

١. المصدر: و.

٢. نفس المصدر ١/ ١٥٠- ١٥١، ح ٣.

٣. نفس المصدر ١/ ١٥١، ح ٤.

٤. الاصل و: بن.

٥. ما بين القوسين ليس في أ. ويوجد فيه: «فتكونا» جزم عطف على «تقربا». أو نصب جواب النهي. وهذه العبارة يورد في المتن و، في أوائل تفسير الآية.

٦. علل الشرائع ٦٠٠، ح ٥٥.

فقال: جنة من جنات الدنيا يطلع^(١) عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الخلد، ما خرج منها أبداً.

وفي الكافي^(٢): علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الحسين بن ميسر، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن جنة آدم.

فقال: جنة من جنات الدنيا^(٣)، يطلع^(٤) فيها الشمس والقمر. ولو كانت من جنات الآخرة ما خرج منها أبداً.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن أول كفر كفر بالله، حيث خلق الله آدم، كفر ابليس، حيث ردّ على الله أمره. وأول الحسد حيث حسد ابن آدم أخاه. وأول الحرص حرص آدم، حيث نهى عن الشجرة فأكل منها. فأخرجه^(٦) حرصه من الجنة^(٧).

﴿فَقُلْنَا﴾: لآدم وحواء بالمشافهة، ولذريتتهما بالتبعية.

﴿امْطُؤُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا﴾: متعادون^(٨).

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: أي: محل استقرار.

﴿وَمَتَاعٌ﴾: أي: تمتع.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٩): مجيء الموت، أو القيامة.

وفي تفسير علي بن ابراهيم^(١٠): قال: فهبط آدم على الصفا، وإنما سميت الصفا؛ لأنّ صفوة الله هبط^(١١) عليها. ونزلت حواء على المروة، وإنما سميت المروة؛ لأنّ المرأة نزلت عليها.

٢. الكافي ٢٤٨٣، ح ٢.

٤. المصدر: تطلع.

٦. الأصل ور: فأخرج.

٨. أ، ر: متعادون.

١٠. المصدر: نزل.

١. المصدر: تطلع.

٣. المصدر و: جنات.

٥. تفسير العياشي ٣٤/١، ح ١٧.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

٩. تفسير القمي، ٤٤/١.

فبقي آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة .

فنزل عليه جبرئيل ﷺ فقال: يا آدم! ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته؟

قال: بلى .

قال: وأمرك أن لا تأكل من الشجرة، فلم عصيته؟

قال: يا جبرئيل! إن ابليس حلف لي بالله أنه لي ناصح، وما ظننت أن خلقاً خلقه (١) الله [أن] (٢) يحلف بالله كاذباً!

قال: وحدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن موسى ﷺ سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم ﷺ، فجمع . فقال له موسى: يا أبة! ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة؟ فلم عصيته؟

قال (٣): يا موسى! بكم وجدت خطيئتي، قبل خلقي في التوراة؟

قال: ثلاثين ألف سنة، [قبل أن خلق آدم] (٤) .

قال (٥): قال: فهو ذلك .

قال الصادق ﷺ: فحج آدم موسى ﷺ .

وفيه حديث طويل، عن الصادق ﷺ (٦)، وفي آخره: فقال الله لهما: اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال: إلى يوم القيامة .

وفي من لا يحضره الفقيه (٧): وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فسأله أعلمهم عن مسائل . فكان فيما سأله أنه

١ . المصدر: يخلقه .

٢ . يوجد في المصدر .

٣ . المصدر: فقال .

٤ . يوجد في المصدر .

٥ . ليس في المصدر .

٦ . تفسير القمي، ٤٣/١ .

٧ . من لا يحضره الفقيه ٧٥/١، ح ١٧٠ .

قال له : لأي شيء فرض الله ﷻ الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً ، وفرض الله على الأمم أكثر من ذلك ؟

فقال النبي ﷺ : إن آدم ﷺ لما أكل من الشجرة ، بقي في بطنه ثلاثين يوماً . ففرض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش . والذي يأكلونه بالليل ، تفضل من الله ﷻ عليهم ، وكذلك كان على آدم .

وفي نهج البلاغة^(١) : قال ﷺ بعد أن ذكره ﷺ : فأهبط بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله ، وقيم الحجة به على عباده .

وفيه - أيضاً -^(٢) : ثم أسكن الله سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشته^(٣) ، وأمن فيها محلته ، وحذره ابليس وعداوته . فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة^(٤) الأبرار . فباع اليقين بشكه ، والعزيمة بوهنه ، واستبدل بالجدل وجلاً وبالاغرار ندماً . ثم بسط الله سبحانه له في توبته ، ولقاه^(٥) كلمة رحمته ، ووعدته الرد^(٦) إلى جنته . فأهبطه^(٧) إلى دار البلية وتناسل الذرية .

وفي روضة الكافي^(٨) : علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن مقاتل بن سليمان ، قال : سألت أبا عبد الله ﷺ : كم كان طول آدم حين هبط به إلى الأرض ؟ وكم كان طول حوا ؟

قال : وجدنا في كتاب علي [بن أبي طالب] ^(٩) ﷺ أن الله ﷻ لما أهبط آدم وزوجته حوا ﷻ إلى الأرض ، كانت رجلاه بشنية الصفا ورأسه دون أفق السماء ، وأنه شكى إلى الله ﷻ ما يصيبه من حر الشمس . فأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل ﷺ : أن آدم قد شكى

١ . نهج البلاغة ١٣٣ ، ضمن خطبة ٩١ .

٢ . نفس المصدر ٤٣ ، ضمن خطبة ١ .

٣ . المصدر : عيشه .

٤ . الاصل و ر : مرافقته .

٥ . كذا في المصدر ، وفي الأصل و ر : لقيه .

٦ . المصدر : المرد .

٧ . المصدر : وأهبطه .

٨ . الكافي ٢٣٣/٨ ، ح ٣٠٨ .

٩ . يوجد في المصدر .

ما يصيبه من حر الشمس، فاغمره غمزة وصير طوله سبعين ذراعاً بذراعه. واغمر حوا غمزة، فصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعتها.

وفي عيون الأخبار^(١): بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال: إن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة، أهبطه^(٢) على أبي قبيس، وشكى^(٣) إلى ربه ﷻ الوحشة، وأنه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة. فأهبط الله تعالى إليه^(٤) ياقوتة حمراء، فوضعها في موضع البيت. فكان يطوف بها آدم عليه السلام. وكان ضوؤها يبلغ موضع الأعلام [فعلمت الأعلام]^(٥) على ضوئها، فجعله الله حرماً.

وإسناده^(٦) إلى صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام مثله. وعن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل^(٧). وسأله عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقال: واد يقال له سرنديب، سقط^(٨) فيه آدم من السماء.

وفي كتاب الخصال^(٩): عن محمد بن سهل البحراني، يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين عليه السلام. فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، الحديث. عن أبي لبابة بن عبد المنذر^(١٠)، قال: قال رسول الله ﷺ: يوم الجمعة سيد الأيام؛ خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض.

عن جعفر بن محمد^(١١)، عن آبائه، عن علي عليه السلام^(١٢). قال: إنما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى أخرج^(١٣) منها سبع ساعات من أيام الدنيا، حتى أهبطهما الله تعالى من يومهما ذلك.

١. عيون الأخبار ٢٨٤/١-٢٨٥، ح ٣١. ٢. المصدر: أهبط.

٣. كذا في المصدر. وفي الأصل: ور: وشكا. ٤. كذا في المصدر. وفي الأصل: ور: عليه.

٥. يوجد في المصدر. ٦. نفس المصدر ٢٨٥/١، ح ٣٢.

٧. نفس المصدر ٢٤٤/١. ٨. المصدر: فسقط.

٩. الخصال ٢٧٢/١، ح ١٥. ١٠. نفس المصدر، ٣١٥/١.

١١. نفس المصدر ٣٩٦-٣٩٧، ح ١٠٣. وفيه: عن أبي جعفر محمد بن علي.

١٢. المصدر: عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ. ١٣. الأصل: ور: خرجا.

عن أبي عبد الله عليه السلام^(١): قال نخر ابليس نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، وحين أهبط به من الجنة.

وفيه^(٢): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة، أهبط معه مائة وعشرين قضيباً^(٣) منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها، وأربعون منها [ما]^(٤) يؤكل داخلها ويرمى خارجها^(٥)، وأربعون منها [ما]^(٦) يؤكل خارجها ويرمى داخلها^(٧). وغرارة فيها بذر كل شيء من النبات^(٨).

وفي كتاب علل الشرائع^(٩): بإسناده إلى عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمي الصفا صفا؛ لأن المصطفى آدم هبط عليه، فقطع للجبل اسم من اسم آدم عليه السلام^(١٠). وهبطت حوا على المروة، وإنما سميت المروة مروة^(١١)؛ لأن المرأة هبطت عليها، فقطع للجبل اسم من اسم المرأة.

وبإسناده^(١٢)، إلى أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن آدم أنزل، فنزل في الهند.

وبإسناده^(١٣) إلى علي بن حسان الواسطي، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أهبط الله آدم من الجنة على الصفا، وحوا على المروة، وقد كان امتشطت في الجنة. فلما صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وأنا مسخوط عليّ. فحلّت

١. نفس المصدر ٢٦٣، ذيل ح ١٤١، مع بعض التغيير في أوله.

٢. نفس المصدر ٦٠١، ح ٤.

٣. المصدر: عشرين ومائة قضيب.

٤. يوجد في المصدر.

٥. المصدر: بخارجها.

٦. المصدر: بداخلها.

٧. يوجد في المصدر.

٨. «من النبات»، ليس في المصدر.

٩. بعد هذه العبارة، يوجد في المصدر: يقول الله تعالى: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران

على العالمين».

١٠. ليس في المصدر.

١١. نفس المصدر ٤٠٧، قطعة من ح ٢.

١٢. نفس المصدر ٤٩١، ح ١.

مشطتها، فانتشر من مشطتها^(١) العطر الذي كانت امتشطت به في الجنة. فطارت به الريح، فألقت أثره في الهند. فلذلك صار العطر بالهند.

وفي حديث آخر^(٢): أنها حلت عقيصتها، فأرسل الله ﷻ على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً، فهبت به في المشرق والمغرب.

أبي ﷻ قال^(٣): حدثنا علي بن سليمان الرازي، قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا ﷻ قال: قلت: كيف كان أول الطيب؟

قال: فقال لي: ما يقول من قبلكم فيه؟

قلت: يقولون: إن آدم لما هبط إلى أرض الهند، فبكى على الجنة، سالت دموعه، فصارت عروفاً في الأرض، فصارت طيباً.

فقال: ليس كما يقولون. ولكن حوا كانت تعلق^(٤) قرونها من أطراف شجرة^(٥) الجنة، فلما هبطت إلى الأرض وبليت بالمعصية، رأت الحيض. فأمرت بالغسل، فنقضت^(٦) قرونها. فبعث الله ﷻ ريحاً طارت به وحفظته. فذرت^(٧) حيث شاء الله ﷻ. فَمِنَ ذلك الطيب (كان طيب الدنيا)^(٨).

وبإسناده إلى عمر بن علي، عن أبيه، علي بن أبي طالب ﷻ: أن النبي ﷺ سئل مما خلق الله ﷻ الكلب؟

قال: خلقه من بزاق ابليس لعنه الله.

قيل: وكيف ذلك^(٩) يا رسول الله؟

١. الأصل ور: مشطها.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر ٤٩٢، ح ٢.

٤. المصدر: تغلف.

٥. المصدر: شجر.

٦. المصدر: فنقضت.

٧. المصدر: فذرت.

٨. ليس في المصدر.

٩. المصدر: ذاك.

قال: لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ ﷻ آدَمَ وحوَا إلى الأرض، أَهْبَطَهُمَا كَالْفَرَخَيْنِ الْمُرْتَعَشَيْنِ. فَعَدَا ابليسُ الْمَلْعُونُ إِلَى السَّبَاعِ، وَكَانُوا قَبْلَ آدَمَ فِي الْأَرْضِ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ طَيْرِينَ قَدْ وَقَعَا مِنَ السَّمَاءِ، لَمْ يَرِ الرَّأْوُونَ أَعْظَمَ مِنْهُمَا. تَعَالَوْا فَكُلُوهُمَا. فَتَعَادَتِ السَّبَاعُ مَعَهُ، وَجَعَلَ ابليسُ يَحْتَنُمُ وَيَصِيحُ وَيَعْدُهُمْ بِقَرَبِ الْمَسَاحَةِ. فَوَقَعَ مِنْ فِيهِ مِنْ عَجَلَةٍ كَلَامُهُ بِزَاقٍ، فَخَلَقَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَزَاقِ كَلْبَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا ذَكَرٌ، وَالْآخَرُ أُنْثَى. فَقَامَا حَوْلَ آدَمَ وَحَوَا؛ الْكَلْبَةُ بِنَجْدَةٍ، وَالْكَلْبُ بِالْهِنْدِ. فَلَمْ يَتْرَكُوا السَّبَاعَ أَنْ يَقْرَبُوهُمَا. وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ^(١) الْكَلْبُ عَدُوُّ السَّبْعِ، وَالسَّبْعُ عَدُوُّ الْكَلْبِ.

وَبِإِسْنَادِهِ^(٢) إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ آبَائِهِ، (عَنْ عَلِيٍّ)^(٣) صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ ﷻ حِينَ أَمَرَ آدَمَ أَنْ يَهْبِطَ، هَبَطَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ، وَهَبَطَ ابليسُ وَلَا زَوْجَتُ لَهُ، وَهَبَطَتِ الْحَيَّةُ وَلَا زَوْجٌ لَهَا. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ يَلُوطُ بِنَفْسِهِ ابليسُ لَعْنَهُ اللهُ. فَكَانَتْ ذَرْيَتُهُ مِنْ نَفْسِهِ. وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ، وَكَانَتْ ذَرْيَةُ آدَمَ مِنْ زَوْجَتِهِ. فَأَخْبَرَهُمَا أَنَّهُمَا عَدَاؤَانِ لِهَمَا.

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ^(٤): بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام حَدِيثٌ طَوِيلٌ، يَقُولُ فِيهِ عليه السلام لِبَعْضِ الْيَهُودِ، وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ: يَا يَهُودِي! أَمَّا أَوَّلُ حَجَرٍ وَضَعَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَكَذَبُوا. وَلَكِنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ الَّذِي^(٥) نَزَلَ بِهِ آدَمُ عليه السلام مَعَهُ مِنَ الْجَنَّةِ. وَأَمَّا أَوَّلُ شَجَرَةٍ نَبَتَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَإِنَّ الْيَهُودَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا الزَّيْتُونَةُ، وَكَذَبُوا. وَلَكِنَّهَا نَخْلَةٌ مِنَ الْعَجْوَةِ، نَزَلَ بِهَا آدَمُ عليه السلام مَعَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبِالْفَجْلِ.

وَبِإِسْنَادِهِ^(٦) إِلَى يَحْيَى الْمَدَائِنِيِّ^(٧)، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام مِثْلَهُ. إِلَّا ذَكَرَ

٢. نفس المصدر ٥٤٧، ح ٢.

١. ليس في ج.

٤. كمال الدين وتامام النعمة ٢٩٥-٢٩٦.

٣. ليس في المصدر.

٦. نفس المصدر ٢٩٧-٢٩٨.

٥. ليس في المصدر.

٧. المصدر: إبراهيم بن يحيى المدني.

الفجل^(١).

وبإسناده^(٢) إلى الحكم بن مسكين الثقفي، عن صالح [بن عقبة]^(٣)، عن جعفر بن محمد، عن عليّ عليه السلام مثله. إلا ذكر الفجل - أيضاً -.

وفي الكافي^(٤)، بإسناده إلى مسمع، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما هبط آدم^(٥) إلى الأرض، احتاج إلى الطعام والشراب، فشكى^(٦) إلى جبرئيل. فقال له جبرئيل: يا آدم! كن حراثاً.

قال: فعلمني دعاء.

قال: قل: «اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكلّ هول دون الجنة. وألبسني العافية حتى تهتني المعيشة»^(٧).

«فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٨): والمراد بالكلمات، إمّا قوله: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا»^(٩). - الآية - أو قوله: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى حمدك^(١٠). لا إله إلا أنت. ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

والأصح، أنّ المراد قوله: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين، بجاه محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم، لما تفضّلت عليّ بقبول توبتي وغفران زلّتي وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي.

[وفي شرح الآيات الباهرة^(١١) في تفسير الإمام (الحسن)^(١٢) العسكري عليه السلام، قال: قال الله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، التواب^(١٣):

١. المصدر: الفجل.

٣. يوجد في المصدر.

٥. المصدر: بآدم.

٧. ما بين القوسين ليس في أ.

٩. أ: جدك.

١١. يوجد في المصدر.

٢. نفس المصدر، ٣٠١.

٤. الكافي ٢٦٠/٥، ح ٤.

٦. المصدر: فشكى ذلك.

٨. الأعراف / ٢٣.

١٠. شرح الآيات الباهرة، ٤٧/١؛ تفسير الإمام، ٢٢٥.

١٢. ليس في المصدر.

القابل للتوبة^(١)، الرحيم: بالتائبين. فلما نزلت^(٢) من آدم الخطيئة، فاعتذر إلى ربّه ﷻ قال: يارب! تُب عليّ وأقبل معذرتي، وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديك درجتي. فلقد تبين نقص الخطيئة وزلتها^(٣) بأعضائي وسائر بدني.

قال الله ﷻ: يا آدم! أما تذكر أمرّي إياك أن تدعوني بمحمّد وآله الطيبين عند شدائدك ودواهلك، وفي النوازل تهضك؟^(٤)
قال آدم: بلى، يارب! بلى^(٥).

قال الله ﷻ: فهم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم خصوصاً أدعني أجبك إلى ملتمسك^(٦)، وأزدك فوق مرادك.

فقال آدم: يارب والهي! وقد بلغ عندك من محلهم أنك بالتوسّل بهم تقبل توبتي وتغفر خطيئتي، وأنا الذي أسجدت لي ملائكتك وأسكته جنتك وزوجته أمتك وأخدمته كرام ملائكتك.

قال: يا آدم! إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود، إذ كنت وعاء لهذه الأنوار. ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها وأن أفطنك لدواعي عدوك ابليس حتى تحترز منها، لكنت قد فعلت ذلك. ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي، فالآن [فيهم]^(٧) فادعني لأجيبك^(٨).

فعند ذلك قال آدم: اللّهم (بجاه محمّد وآله الطيبين)^(٩) بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (والطيبين من)^(١٠) آلهم، لمّا تفضلت (عليّ)^(١١) بقبول توبتي وغفران زلتي وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي.

١. المصدر: للتوبات.

٣. المصدر: زلها.

٥. ليس في المصدر.

٧. يوجد في المصدر.

٩. ليس في المصدر.

١١. ليس في المصدر.

٢. المصدر: زالت.

٤. المصدر: التي تبغضك.

٦. الأصل ور: إلى ملتمسك.

٨. الأصل ور: لأجيبك.

١٠. ليس في المصدر.

فقال آدم: يا رب! لو يَبْتَتهالي.

فقال الله ﷻ: قد قبلت توبتك، وأقبلت برضواني عليك، وصرفت آلائي ونعمائي إليك، وأعدتكَ إلى مرتبتك من كراماتي، ووفرت نصيبك من رحماني.

فذلك قول الله ﷻ: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». وقال علي بن الحسين عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ (١) قال: يا عباد الله! إن آدم لما رأى النور ساطعاً في (٢) صلبه، إذ كان الله قد نقل أشباحنا (٣) من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبين الأشباح. [فقال: يا رب! ما هذه الأنوار؟] (٤). قال (٥) الله ﷻ: أنوار أشباح، نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك. ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاء لتلك الأشباح.

فقال آدم: يا رب! لو يَبْتَتهالي (٦).

فقال الله ﷻ: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش.

(فَنظَرَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَاقِعَ أَشْبَاحَنَا مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَرْشِ) (٧). فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره، كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية. فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا رب!؟

قال الله ﷻ: يا آدم! هذه أشباح أفضل خلأني وبريأتي. هذا محمّد وأنا الحميد المحمود (٨) في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي. وهذا علي وأنا العلي العظيم، شققت له اسماً من اسمي. وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم (٩) أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم (١٠) أوليائي عمّا يضرّهم ويشينهم. وشققت (١١)

١. ليس في ج.

٢. المصدر: من.

٣. المصدر: أرواحنا.

٤. يوجد في المصدر.

٥. الأصل ور: وقال.

٦. ليس في ج.

٧. ليس في المصدر.

٨. كذا في المصدر، والأصل ور: الحمد والمحمود.

٩. المصدر: أفاطم.

١٠. المصدر: أفاطم.

١١. المصدر: فشقت.

لها اسماً من (اسمي، وهذان) ^(١) الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل، شققت اسمهما من اسمي. هؤلاء خيار خلقي وكرام ^(٢) بريتي. بهم أخذ وبهم أعطي، وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسل بهم إليّ يا آدم! وإذا دهتك داهية، فاجعلهم إليّ شفعاءك، فإنني ^(٣) آليت على نفسي قسماً حقاً، لا أخيب بهم آملاً ولا أردّ بهم سائلاً.

فلذلك حين نزلت ^(٤) منه الخطيئة، دعا الله ﷻ [بهم] ^(٥). فتاب عليه وغفر له. ويؤيده ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله ^(٦) عن ^(٧) رجاله، عن ابن عباس، قال: لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه، عطس. فألهمه الله أن قال: الحمد لله رب العالمين. فقال الله: يرحمك ربك.

فلما أسجد له الملائكة، تداخله العجب. فقال: يا رب! خلقت خلقاً هو أحب إليك مني؟

فلم يجب. فقال ثانية، فلم يجب. فقال الثالثة، فلم يجب.

ثم قال الله سبحانه: نعم، ولو لا هم ما خلقتك.

فقال: يا رب! فأرنيهم.

فأوحى الله إلى ملائكة الحجب: ارفعوا الحجب.

فلما رفعت، فإذا بخمسة ^(٨) أشباح قدام العرش.

فقال: يا رب! من هؤلاء؟

قال: يا آدم! هذا محمد نبيي. وهذا عليّ ابن عمه ووصيه. وهذه فاطمة بنت ^(٩)

نبيي. وهذان ^(١٠) الحسن والحسين ابناهما وولدا نبيي. ثم قال: يا آدم! هم ولدك.

١. المصدر: أسمائي.

٢. المصدر: أكرم.

٣. المصدر: وإني.

٤. المصدر: زالت.

٥. يوجد في المصدر.

٦. نفس المصدر ٤٧٨، اليقين في امرة أمير المؤمنين ١٧٤/.

٧. المصدر: في.

٨. المصدر: الخمسة.

٩. المصدر: ابنت.

١٠. المصدر: هذا.

ففرح [آدم] ^(١) بذلك . فلما اقترف الخطيئة قال : يا رب ! أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، إلّا ^(٢) غفرت لي .
فغفر له . وهو قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » .

وما ورد أن آدم وغيره من أولي العزم عليهم السلام سألوا الله تعالى بحق محمد وآل محمد عليهم السلام ، فاستجاب لهم الدعاء ، ونجّاهم من البلاء . وهذا يدل على أنهم ليسوا في الفضل سواء ، بل فيه دلالة على أن المسؤول أفضل من السائل . وهذه الدلالة من أوضح الدلائل .

ويؤيده ^(٣) ما رواه الشيخ محمد ابن بابويه عليه السلام في أماليه ، عن ^(٤) رجاله ، عن معمر بن راشد ، قال : سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : أتى يهودي النبي صلى الله عليه وآله ، قال : فقام بين يديه ، وجعل يحد النظر إليه !

فقال : يا يهودي ! ما حاجتك ؟

قال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا ، وفلق له البحر وظلّله ^(٥) الغمام ؟

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه . ولكن أقول : إن آدم لما أصاب الخطيئة ، كانت توبته : اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد إلّا ما ^(٦) غفرت لي . فغفرها الله له . وإن نوحاً لما ركب السفينة وخاف الغرق ، قال : اللهم [إني] ^(٧) أسألك بحق محمد وآل محمد ، لمّا نجّيتني من الغرق . فنجّاه الله منه . وإن إبراهيم لما ألقي في النار ، قال : اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد ، لمّا نجّيتني منها . فجعلها عليه برداً

٢ . المصدر : إلّا ما .

٤ . المصدر : من .

٦ . المصدر : لما .

١ . يوجد في المصدر .

٣ . المصدر : هو .

٥ . المصدر : أظله .

٧ . يوجد في المصدر .

وسلاماً. وإن موسى لما ألقى عصاه فأوجس^(١) في نفسه خيفة، قال: اللّهُمَّ أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، لما أمتنتي^(٢). فقال الله ﷻ: لا تخف! إنك أنت الأعلى.

يا يهودي! لو أدركني موسى، ثم لم يؤمن بي وبنوّتي، ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة.

[يا يهودي]!^(٣) ومن ذريتي المهدي. إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، وقدمه وصلى خلفه.

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي^(٤)، قال: حدثنا محمّد بن القاسم بن عبيد، قال: حدثنا الحسن بن جعفر، قال: حدثنا الحسين بن سواد، قال: حدثنا محمّد بن عبدالله، قال: حدثنا شعجاع بن الوليد وأبو مليك^(٥) السكوني، قال: حدثنا سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضيهما، قال: قال رسول الله ﷺ: لما نزلت الخطيئة بآدم وأخرج من الجنة، أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم! ادع ربك.

قال: يا^(٦) حبيبي، جبرئيل! ما أدعو؟

قال: قل: «يا^(٧) ربّ! أسألك بحقّ الخمسة الذين تخرجهم من صليبي [في]، آخر الزمان، إلّا تبت عليّ ورحمتي».

فقال له آدم: يا جبرئيل! (هم من)؟^(٨) سمّهم لي.

قال: قل: «اللّهُمَّ إني أسألك بحقّ محمّد نبيّك، وبحقّ علي وصي نبيّك، وبحقّ فاطمة بنت نبيّك، وبحقّ الحسن والحسين سبطي نبيّك، إلّا تبت عليّ، فارحمني». فدعا بهنّ آدم، فتاب الله عليه. وذلك قول الله تعالى: «فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه». وما من عبد مكروب يخلص النية ويدعو بهنّ، إلّا استجاب الله له.

١. المصدر: وأوجس.

٣. يوجد في المصدر ور.

٥. المصدر: أبو بدر.

٧. ليس في المصدر.

٢. كذا في المصدر، والأصل ور: انجيتني.

٤. تفسير فرات، ٥٧.

٦. ليس في المصدر.

٨. ليس في المصدر.

وفي روضة الكافي^(١)، وفي رواية أخرى: و^(٢) قوله ﷺ: «فتلقى آدم من ربه كلمات» قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ^(٣).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي ﷺ^(٤): وعن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن آدم لما أصاب الخطيئة، كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي. فغفر^(٥) الله له.

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب معاني^(٦) الأخبار، بإسناده إلى أبي سعيد المدائني، رفعه^(٧)، في قول الله ﷻ «فتلقى آدم من ربه كلمات». قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ.

وبإسناده^(٨) إلى محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله ﷺ حديث طويل، فيه يقول ﷺ بعد أن ذكر أن آدم وحواء تمنا منزلة أهل البيت ﷺ: فلما أراد الله ﷻ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل ﷺ فقال لهما: إنكما إنما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل^(٩) عليكما. فجزاؤكما [ما]^(١٠) قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله ﷻ إلى أرضه. فاسألا^(١١) ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش، حتى يتوب عليكما.

فقالا: اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة، إلّا تبّت علينا ورحمتنا. فتاب الله عليهما، إنه هو التواب الرحيم.

١. الكافي ٣٠٥/٨، ذيل ح ٤٧٢.

٢. المصدر: في.

٣. المصدر: الحسن والحسين وفاطمة صلى الله عليهم.

٤. الاحتجاج ٥٤/١-٥٥.

٥. المصدر: فغفروا.

٦. معاني الأخبار ١٢٥، ح ٢.

٧. المصدر: يرفعه.

٨. نفس المصدر ١٠٨-١١٠، ح ١.

٩. كذا في المصدر. والأصل و: ر: فضلت.

١٠. يوجد في المصدر.

١١. في المصدر: فسلا.

وفي كتاب الخصال^(١)، عن ابن عباس. قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فتاب عليه.

قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، إلا تبت علي. فتاب عليه.

عن المفضل بن عمر^(٢)، عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ قال: سألته عن قول الله تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات» ما هذه الكلمات؟

قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فتاب عليه. وهو أنه قال: يا رب! أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، إلا تبت علي. فتاب الله عليه، إنه هو التواب الرحيم.

وأما ما رواه العياشي في تفسيره^(٣)، عن جابر، عن أبي جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حين أهبط آدم إلى الأرض، أمره أن يحرث بيده، فيأكل من كده، بعد الجنة ونعيمها. فلبث يحارث^(٤) ويبكي على الجنة مائتي سنة. ثم إنه سجد لله، فلم يرفع رأسه ثلاثة أيام ولياليها. ثم قال: أي ربي! ألم تخلقني؟ فقال الله: و^(٥) قد فعلت.

فقال: ألم تنفخ في من روحي.

قال: قد فعلت.

قال: ألم تسكنني جنتك.

قال: قد فعلت.

قال: ألم تسبق لي رحمتك غضبك؟

قال الله: قد فعلت. فهل صبرت أو شكرت؟

٢. نفس المصدر ٣٠٤-٣٠٥، صدر ح ٨٤.

٤. المصدر: يجار.

١. الخصال ٢٧٠، ح ٨.

٣. تفسير العياشي ٤٠/١-٤١، ح ٢٤.

٥. ليس في ج.

قال آدم: لا إله إلا أنت. سبحانه إنني ظلمت نفسي. فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.

فرحم الله نداءه، فتاب^(١) عليه، إنه هو التَّوَابُ الرحيم.

عن محمد بن مسلم^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام: قال [قال] (٣): الكلمات التي تلقاها من ربه، فتاب عليه وهدى؛ قال: سبحانه اللهم وبحمدك، إنني عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم^(٤). اللهم إنك (٥) لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمدك. إنني عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت (خير الغافرين). اللهم إنه لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمدك إنني علمت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت (٦) الغفور الرحيم.

وفي روضة الكافي^(٧): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن إبراهيم صاحب الشعير، عن كثير بن كلثمة^(٨)، عن أحدهما عليه السلام في قول الله تعالى «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ»، قال: لا إله إلا أنت. سبحانه وبحمدك، عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي، وأنت خير الغافرين. لا إله إلا أنت. سبحانه اللهم وبحمدك، عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي وارحمني وأنت أرحم الراحمين. لا إله إلا أنت، سبحانه اللهم وبحمدك. عملت سوء وظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت التَّوَابُ الرحيم.

فلا ينافي ما تقدّم لإمكان الجمع، وكون تلك الكلمات للتحميد والتمجيد والاعتراف، والكلمات السابقة لإيجاب المغفرة واستحقاق المثوبة.

-
١. المصدر: فرحمه الله بذلك وتاب.
 ٢. نفس المصدر ٤١/١، ح ٢٥.
 ٣. يوجد في المصدر.
 ٤. المصدر: إنك أنت خير الغافرين.
 ٥. المصدر: أنه.
 ٦. ليس في المصدر. وفي عبارات المتن تكرار.
 ٧. الكافي ٣٠٤/٨، ح ٤٧٢.
 ٨. كذا في المصدر وهو الصواب. والأصل ور: كثر بن كلمة.

وفي كتاب الخصال^(١): عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار - إلى أن قال - حتّى أخرجه من صلب عبدالله بن عبدالمطلب. فأكرمه بستّ كرامات: ألبسه قميص الرضا، ورداه رداء الهيبة، وتوّجه بتاج الهداية، وألبسه سراويل المعرفة، وجعل تكته تكّة المحبّة؛ يشدّ بها سراويله، وجعل نعله نعل^(٢) الخوف، وناوله عصا المنزلة. ثمّ قال ﷺ: يا محمد! اذهب إلى الناس، وقل^(٣) لهم: قولوا لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وكان أصل ذلك القميص من^(٤) ستة أشياء: قامته من الباقوت. وكمّاه من اللؤلؤ. ودخريصه من البلور الأصفر. وإبطاه من الزبرجد. وجريانه من المرجان الأحمر. وجيبه من نور الرب ﷻ. فقبل الله ﷻ توبة آدم بذلك القميص. وردّ خاتم سليمان به. وردّ يوسف إلى يعقوب به. ونجّى يونس من بطن الحوت به. وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام نجاهم من المحن به. ولم يكن ذلك القميص إلا قميص محمد ﷺ.

وفي كتاب علل الشرايع^(٥): بإسناده إلى فرات بن أحنف، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لو لا أن آدم أذنب، ما أذنب مؤمن أبداً. ولو لا أن الله ﷻ تاب على آدم، ما تاب على مذنّب أبداً.

وبإسناده^(٦) إلى الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ حديث طويل، يقول فيه ﷺ: وقد سأله بعض اليهود عن مسائل: وأما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل آدم فيها من الشجرة، فأخرجه الله من الجنة. فأمر الله ﷻ ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة. واختارها لأمتي. فهي من أحبّ الصلوات إلى الله ﷻ وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات، وأما صلاة المغرب فهي

١. الخصال ٤٨١-٤٨٣، ضمن ح ٥٥.

٢. ليس في المصدر.

٣. المصدر: فقل.

٤. المصدر: في.

٥. علل الشرائع ٨٤، ح ١.

٦. نفس المصدر ٣٣٨، قطع من ح ١.

الساعة التي تاب الله ﷻ فيها على آدم. وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا. وفي أيام الآخرة، يوم كألف سنة ما بين العصر والعشاء. فصلى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حوا^(١)، وركعة لتوبته. فافترض الله ﷻ هذه الثلاث ركعات على أمتي. وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء، فوعدني ربّي ﷻ أن يستجيب لمن دعاه فيها.

وبإسناده^(٢) إلى عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله ﷻ قال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم ﷻ أرسل إليه جبرئيل. فقال له: السلام عليك يا آدم! الصابر على بليّته، التائب عن خطيئته. إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها.

وأخذ جبرئيل بيده، وانطلق به حتّى أتى به^(٣) البيت. فنزلت عليه غمامة من السماء. فقال له جبرئيل: خط برجلك حيث أظلت^(٤) هذا الغمام.

ثم انطلق به حتّى أتى به إلى^(٥) منى. فأراه موضع مسجد منى، فخطه وخط المسجد الحرام بعد ما خط مكان البيت. ثم انطلق به^(٦) إلى عرفات، فأقامه على عرفة، وقال له: إذا غربت الشمس، فاعترف بذنبك سبع مرات.

ففعل ذلك آدم. ولذلك سمي عرفة^(٧)؛ لأنّ آدم ﷻ اعترف عليه بذنبه فجعل ذلك سنة في ولده، يعترفون بذنوبهم، كما اعترف أبوهم. ويسألون الله ﷻ التوبة، كما سألها أبوهم [آدم] ﷻ^(٨).

ثم أمره جبرئيل ﷻ فأفاض من عرفات، فمرّ على الجبال السبعة، فأمره أن يكبّر على كل جبل أربع تكبيرات. ففعل ذلك آدم. ثم انتهى به إلى جمع ثلث الليل. فجمع

٢. نفس المصدر ٤٠٠-٤٠١، ج ١.

٤. المصدر: أظلك.

٦. ليس في ج.

٨. يوجد في ر والمصدر.

١. ليس في ج.

٣. ليس في المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٧. النسخ: المعروف. والمصدر: العرفة.

فيها بين صلاة المغرب وبين صلاة العشاء، فلذلك سمي جمعاً؛ لأنَّ آدم جمع فيها بين الصلاتين. فهو وقت ^(١) العتمة [في] ^(٢) تلك الليلة، ثلث الليل، في ذلك الموضع. ثمَّ أمره أن ينطح في بطحاء جمع، فانطح حتَّى انفجر الصبح. ثمَّ أمره أن يصعد على الجبل، جبل جمع. وأمره إذا طلعت الشمس أن يعترف بذنبه سبع مرات. ويسأل الله ﷻ التوبة والمغفرة سبع مرَّات. ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل. وإنَّما جعل اعترافين، ليكون سنَّة في ولده، فمن لم يدرك عرفات وأدرك جمعاً فقد وفى بحجَّه.

فأفاض آدم من جمع إلى منى، فبلغ منى أضحى. فأمره أن يصلي ركعتين في مسجد منى. ثمَّ أمره أن يقرب إلى الله ﷻ قرباناً ليتقبَّل الله منه ويعلم أنَّ الله قد تاب عليه. ويكون سنَّة في ولده القربان. فقرب آدم ﷺ قرباناً، فقبل الله منه قربانه، وأرسل الله ﷻ ناراً من السماء، فقبضت قربان آدم.

فقال له جبرئيل: إنَّ الله تبارك وتعالى قد أحسن إليك إذ علَّمك المناسك التي تاب عليك بها، وقبل قربانك. فاحلق رأسك تواضعاً لله ﷻ إذ قبل قربانك. فحلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالى. ثمَّ أخذ جبرئيل بيد آدم، فانطلق به إلى البيت. فعرض له ابليس عند [الجمرة] ^(٣) العقبة.

فقال له: يا آدم! أين تريد؟

قال جبرئيل: [يا آدم] ^(٤) ارمه بسبع حصيات، وكبِّر مع كل حصاة تكبيرة. ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل. فذهب ابليس، ثمَّ أخذ [جبرئيل] ^(٥) بيده في اليوم الثاني، فانطلق به إلى الجمرة الأولى، فعرض له ابليس. فقال له [جبرئيل] ^(٦): ارمه بسبع حصيات، وكبِّر مع كل حصاة تكبيرة.

٢. يوجد في المصدر.

٤. يوجد في المصدر.

٦. يوجد في المصدر.

١. المصدر: فوقت.

٣. يوجد في المصدر.

٥. يوجد في المصدر.

ففعل ذلك آدم. فذهب ابليس، ثم عرض له عند الجمرة الثانية.

فقال له^(١): يا آدم! أين تريد؟

فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات، وكبر مع كل حصاة تكبيرة^(٢).

ففعل ذلك آدم. فذهب ابليس، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة.

فقال له: يا آدم! أين تريد؟

فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات، وكبر مع كل حصاة تكبيرة.

ففعل ذلك آدم. فذهب ابليس، ثم فعل ذلك [به]^(٣) في اليوم الثالث والرابع،

فذهب ابليس.

فقال له جبرئيل ﷺ: إنك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً.

ثم انطلق به إلى البيت، فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرات. ففعل ذلك آدم.

فقال له جبرئيل: إن الله تبارك وتعالى قد غفر لك، وقبل توبتك، وحلت لك

زوجتك.

وبإسناده^(٤) إلى أبي خديجة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سأل أبي عبد الله ﷺ رجل

و^(٥) قال: حدثني عن رضا الرب عن آدم ﷺ. فقال: إن آدم أنزل، فنزل في الهند. وسأل

ربه ﷻ هذا البيت. فأمره أن يأتيه فيطوف به أسبوعاً، ويأتي منى وعرفات، فيقضى

مناسكه كلها. فجاء من الهند، وكان موضع قدميه حيث يطأ عليه عمران، وما بين القدم

إلى القدم صحارى ليس فيها شيء. ثم جاء إلى البيت، فطاف أسبوعاً، وأتى مناسكه

ففضاها كما أمره الله. فقبل الله منه التوبة وغفر له.

قال: فجعل طواف آدم ﷺ لما طافت الملائكة بالعرش سبع سنين. فقال

جبرئيل ﷺ: هنيئاً لك يا آدم! لقد غفر لك، لقد طفت بهذا البيت قبلك بثلاثة آلاف

سنة.

٢. ليس في المصدر.

٤. نفس المصدر ٤٠٧، ضمن ح ٢.

١. ليس في ج.

٣. يوجد في المصدر.

٥. ليس في ج.

فقال آدم ﷺ: يا رب! اغفر لي ولذريتي من بعدي.

فقال: نعم، من آمن بي وبرسلي. فقال: صدقت ومضى.

فقال أبي ﷺ: هذا جبرئيل ﷺ أتاكم يعلمكم معالم دينكم.

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي عيون الأخبار^(١): حدثنا تميم بن عبدالله بن تميم القرشي ﷺ، قال: حدثني

أبي، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن علي بن محمد بن الجهم، قال: حضرت

مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى ﷺ. فقال له المأمون: يا ابن رسول الله!

أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله تعالى^(٢): «وعصى آدم ربه فغوى»؟

فقال ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم: «اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها

رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة»، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة. «فتكونا من

الظالمين». ولم يقل لهما: [و] لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها. فلم

يقربا تلك الشجرة. [ولم يأكلا منها]^(٣) وإنما أكلا من غيرها، لما أن وسوس الشيطان

إليهما. وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما نهاكما^(٤) أن تقربا غيرها، ولم

ينهاكما عن الأكل منها، إلا أن تكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني

لكما من^(٥) الناصحين. ولم يكن آدم وحوا شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً

«فدلّيهما بغرور» فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم، قبل النبوة، ولم يكن

ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار. وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز

على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم. فلما اجتبه الله تعالى وجعله نبياً، كان معصوماً

١. عيون الأخبار ١٩٥-١٩٦، صدر ح ١.

٢. طه ١٢١.

٣. يوجد في المصدر.

٤. يوجد في المصدر.

٥. المصدر: ينهيكما.

٦. المصدر: لمن.

لا يذنب صغيرة ولا كبيرة. قال الله ﷻ: «وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى»^(١). وقال ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٢).

عن عليّ عليه السلام حديث طويل^(٣). وفيه: وسأله وكم كان عمر آدم عليه السلام؟ قال: تسعمائة وثلاثون سنة^(٤).

وفي كمال الدين وتمام النعمة^(٥)، بإسناده إلى محمد بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ﷺ قال عاش أبو البشر آدم عليه السلام تسعمائة^(٦) وثلاثين سنة^(٧).

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٨)، وقرئ: «فمن تبع هدي» على لغة هذيل، «فلا خوف» بالفتح. وفي تفسير العياشي^(٩): عن جابر، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في باطن القرآن: «فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

قال: تفسيرها: عليّ الهدى. قال الله فيه: فمن تبع هداي - الآية -.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١٠) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يعني أولاد يعقوب.

واسرائيل في الأصل: صفوة الله، أو عبدالله. سمّي به يعقوب للمدح.

وفي كتاب علل الشرائع^(١١)، بإسناده إلى جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: ويعقوب هو اسرائيل، ومعنى اسرائيل:

١. طه / ١٢١.

٢. آل عمران / ٣٣.

٣. نفس المصدر ٢٤٢/١.

٤. المصدر: فقال تسعمائة سنة وثلاثون سنة.

٥. كمال الدين وتمام النعمة ٥٢٣، قطعة من ح ٣. ٦. كذا في المصدر. وفي الأصل ور: سبعمائة.

٧. ما بين القومين ليس في أ. ٨. تفسير العياشي ٤١/١، ح ٢٩.

٩. علل الشرائع ٤٣/١، ح ١.

عبدالله؛ لَأَنْ أُسْرَاهُ عَبْدٌ^(١)، وأيل هو الله ﷻ.

وروي في خبر آخر^(٢): أَنْ أُسْرَاهُ الْقُوَّةُ، وأيل هو الله ﷻ. فمعنى اسراييل: قُوَّةُ الله ﷻ.

وفي عيون الأخبار^(٣): بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه: وسأله عن ستة من الأنبياء لهم اسمان.

[فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو اسراييل]^(٤).

﴿اَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: من الإنجاء من فرعون، مثلاً.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: من الإيمان بي والطاعة لي.

﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: من حسن الثواب على حسناتكم.

﴿وَإِنِّي فَازِهِبُونَ﴾^(٥): فلا تنقضوا عهدي.

[وفي كتاب معاني الأخبار^(٦): بإسناده إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: لَمَّا نَزَلَ^(٧) اللهُ ﷻ «وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بَعْدِكُمْ» والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لولده شيث، فما وفي له. ولقد خرج نوح من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه سام، فما وفّت أمته له. ولقد خرج إبراهيم من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء^(٨) لوصيه اسماعيل، فما وفّت أمته. ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه يوشع بن نون، فما وفّت أمته. ولقد رفع عيسى بن مريم إلى السماء وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيه شمعون بن حمون الصفا، فما وفّت أمته. وإني مفارقكم عن قريب وخارج من بين أظهركم، ولقد عهدت إلى أمتي في عهد عليّ بن أبي طالب، وإنّها لراكبة سنن من قبلها من الأمم، في مخالفة وصيي وعصيانه. ألا وإنني مجدّد

١. ليس في ج.

٢. نفس المصدر، ح ٢.

٣. عيون الأخبار ١٩٢/١، ح ١.

٤. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. معاني الأخبار ٣٧٢-٣٧٣، ح ١.

٦. روالصدر: أنزل.

٧. ليس في ج.

عليكم عهدي في علي ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله ، فسيؤتيه أجراً عظيماً .

أيها الناس ! إن علياً إمامكم وخليفتي من بعدي عليكم . وهو وصيي ووزيري وأخي وناصري وزوج ابنتي وأبو ولدي وصاحب شفاعتي وحوضي ولوائي . من أنكره فقد أنكرني ، ومن أنكرني فقد أنكر الله تعالى . ومن أقرّ بإمامته ، فقد أقرّ بنبوتي . ومن أقرّ بنبوتي ، فقد أقرّ بوحدانية الله ﷻ .

يا أيها^(١) الناس ! من عصى علياً فقد عصاني . ومن عصاني فقد عصى الله . ومن أطاع علياً فقد أطاعني . ومن أطاعني فقد أطاع الله ﷻ .

يا أيها^(٢) الناس ! من ردّ على علي في قول أو فعل ، فقد ردّ عليّ . ومن ردّ عليّ فقد ردّ على الله فوق عرشه .

يا أيها^(٣) الناس ! من اختار منكم على علي إماماً ، فقد اختار عليّ نبياً . ومن اختار عليّ نبياً ، فقد اختار على الله ﷻ رباً .

أيها الناس ! إن علياً سيد الوصيين وقائد الغر المحجلين ومولى المؤمنين . و^(٤)وليه وليي . ووليي ولي الله . وعدوه عدوي . وعدوي عدو الله ﷻ .

أيها الناس ! أوفوا بعهد الله [في علي] ^(٥)، يوفّ لكم بالجنة ^(٦) يوم القيامة .

وفي أصول الكافي ^(٧) : عليّ بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ : « أوفوا بعهدي » ، قال : بولاية أمير المؤمنين عليه السلام « أوف بعهدكم » أوف لكم بالجنة .

أحمد بن محمد ^(٨) عن محمد بن الحسين ، عن عبد الله بن محمد ، عن الخشاب ،

١ . ليس في المصدر .

٢ . ليس في المصدر .

٣ . ليس في المصدر .

٤ . ليس في ج .

٥ . يوجد في المصدر .

٦ . المصدر : في الجنة .

٧ . الكافي ٤٣١/١ ، ح ٨٩ .

٨ . نفس المصدر ٢٢١/١ ، ح ٣ .

قال : حدثنا بعض أصحابنا ، عن خيثمة ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا خيثمة ! نحن عهد الله . فمن وفي بعهدنا فقد وفى بعهد الله . ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده . والحديث طويل ، أخذت منه موضع الحاجة .

وفي تفسير علي بن ابراهيم ^(١) : حدثني أبي ، عن محمد بن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال له رجل - : جعلت فداك ! إن الله يقول : « ادعوني استجب لكم » ^(٢) وإنا ندعو فلا يستجاب لنا !

قال : لأنكم لا توفون لله بعهده . وإن الله يقول : « أوفوا بعهدي أوف بعهدكم » والله ! لو وفيتم لله ، لو فى الله لكم .

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي ^(٣) ، قال : حدثني جعفر بن محمد الفزاري ، قال : حدثنا محمد ، يعني ابن الحسين الصائغ ، قال : حدثنا محمد بن عمران الوشاء ، عن موسى بن القسم ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال [في] ^(٤) قول الله تعالى : « أوفوا بعهدي أوف بعهدكم » ، قال : أوفوا بولاية علي [بن أبي طالب] عليه السلام فرضاً من الله لكم ، أوف لكم بالجنة ^(٥) .

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٦) : قال الإمام عليه السلام : قال الله تعالى : « يا بني إسرائيل ! ولد يعقوب إسرائيل الله ، « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » لما بعثت ^(٧) محمداً وأقررت له في مدينتكم ^(٨) ، ولم أجسمكم ^(٩) الحط والترحال ^(١٠) إليه ، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه لئلا يشتبه عليكم حاله . « وأوفوا بعهدي » الذي أخذته على أسلافكم

١ . تفسير القمي ، ٤٩ / ١ .

٢ . غافر / ٥٨ .

٣ . تفسير فرات / ١١ .

٤ . يوجد في المصدر .

٥ . كذا في المصدر . وفي الأصل و : فرض من الله ، أوف لكم الجنة .

٦ . شرح الآيات الباهرة ٥٠ / ١ ، تفسير الامام ، ٢٢٧ .

٧ . المصدر : بعث .

٨ . المصدر : بعث .

٩ . المصدر : أجسمك .

١٠ . المصدر : الرجال .

وأنبيائهم^(١) و^(٢) وأمرهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم ، ليؤمننَ بمحمّد العربي القرشي المبّان بالآيات والمؤيد بالمعجزات التي منها أن كلّمه ذراع مسموم ، وناطقه ذئب ، وحنّ إليه عود المنبر ، وكثر الله له القليل من الطعام ، وألأن^(٣) له الصلب من الحجارة ، وصلبت لديه المياه السائلة . ولم يؤيد نبياً من أنبيائه بدلالة إلا جعل له مثلها وأفضل منها . والذي جعل من^(٤) أكبر آياته ، عليّ بن أبي طالب عليه السلام شقيقه^(٥) ورفيقه ، عقله من عقله ، وعلمه من علمه ، وحلمه من حلمه ، مؤيد دينه بسيفه الباتر ، بعد أن قطع معاذير المعاندين بدليله القاهر ، وعلمه الفاضل وفضله الكامل . «أوف بعهدكم» الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة ومستقر الرحمة . «وإياي فارهبون» في مخالفة محمّد . فإني القادر على صرف بلاء من يعاديكم على موافقتي ، وهم لا يقدرّون على صرف انتقامي إذا أثرتم مخالفتي^(٦) .

﴿وَأَمَّا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ : من القرآن .

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ : من التوراة والانجيل وغيرهما .

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ : أول فوج كفر به .

[وفي تفسير العياشي^(٧) عن جابر الجعفي ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسيره هذه الآية في باطن القرآن : «وَأَمَّا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» يعني : فلاناً وصاحبه ومن تبعهم ، ومن دان بدينهم . قال الله عنهم : «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» يعني : علياً عليه السلام]^(٨) .

﴿وَلَا تَشْرَوْا﴾ : لا تستبدلوا .

١ . المصدر : أنبيائكم .

٢ . المصدر : لأن .

٣ . ليس في المصدر .

٤ . المصدر : شقيقه .

٥ . ما بين القوسين ليس في أ .

٦ . تفسير العياشي ٤٢/١ ، ح ٣١ .

٧ . ما بين القوسين ليس في أ .

«بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا»: من الرئاسة التي تخافون أن تفوت منكم^(١) باتباع محمد أو الشيء^(٢) الذي تأخذونه من رعاياكم على تحريف الكلم، وتسهيل ما صعب عليهم من الشرايع.

«وِإِيَّاي فَاتَّقُونَ»^(٣): [وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال الإمام عليه السلام: ثم قال الله تعالى لليهود: «وَأَمْنُوا» يا أيها اليهود «بما أنزلت» على محمد من ذكر نبوته وإنباء إمامه أخيه علي وعترته الطيبين، «مصدقاً لما معكم». فإن مثل هذا الذكر في كتابكم أن محمدًا النبي سيّد الأولين والآخرين، المؤيد بسيد الوصيين وخليفة رب العالمين، فاروق الأمة، وباب مدينة الحكمة، ووصي رسول الرحمة. «ولا تشتروا بآياتي» المنزلة لنبوة محمد وإمامة علي والظاهرين من عترته «ثمنًا قليلاً» بأن^(٥) تجحدوا نبوة النبي وإمامة الإمام عليه السلام وتعتاضوا عنها عرض^(٦) الدنيا. فإن ذلك وإن كثر، فإلى نفاق وخسار وبوار. ثم قال عليه السلام: «وإيائي فاتقون» في كتمان أمر محمد وأمر وصيه. فإن لم تتقوا^(٧) لم تقدحوا في نبوة النبي ولا في وصية الوصي، بل حجج الله عليكم قائمة، وبراهينه بذلك واضحة، قد قطعت معاذيركم، وأبطلت تمويهكم. وهؤلاء يهود المدينة^(٨)، جحدوا نبوة محمد وخانوه، وقالوا: نحن نعلم أن محمدًا نبي، وأن علياً وصيه. ولكن لست أنت ذلك^(٩) ولا هذا. - يشيرون إلى علي عليه السلام. - فأنطق الله تعالى ثيابهم التي عليهم وخفافهم التي في أرجلهم، يقول كل واحد منها لملايسه: كذبت يا عدو الله! بل النبي محمد هذا، والوصي علي هذا. ولو أذن الله لنا أضغطناكم وعقرناكم وقتلناكم.

فقال رسول الله ﷺ: إن الله ﷻ يمهلهم لعلمه بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات

١. أ: عنكم. ٢. أ: محمدًا والشيء. ر: محمد والشيء.

٣. شرح الآيات الباهرة ٥١/١؛ تفسير الامام ٢٢٨.

٤. الأصل ور: فإن.

٥. كذا في تفسير البرهان ٩١/١، نقلاً عن الامام العسكري عليه السلام. وفي المصدر: عرض، وفي الأصل ور:

منها عوض. ٦. المصدر: فانكم إن تقوا.

٧. ليس في المصدر. ٨. المصدر: اليهود بالمدينة.

طيبات مؤمنات^(١). ولو تزيّلوا لعذب هؤلاء عذاباً أليماً^(٢)، وإنّما يعجل من يخاف الفوت.

وفي مجمع البيان^(٣)، روي عن النبي ﷺ: من سنّ سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سنّ سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام^(٤) في هذه الآية، قال: كان حي بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود، لهم مأكلة على اليهود في كل سنة. فكروا بطلانها بأمر النبي ﷺ. فحرّضوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره. فذلك الثمن الذي أريد في الآية^(٥).

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٦): [في شرح الآيات الباهرة^(٧)] قال الإمام عليه السلام: ثمّ خاطب الله ﷻ قوماً من اليهود، قال: «ولا تلبسوا^(٨) الحق بالباطل» بأن زعموا أنّ محمداً نبي وأنّ علياً وصي، ولكنهما يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسة مائة سنة.

فقال لهم رسول الله ﷺ: أترضون التوراة بيني وبينكم حكماً؟ قالوا: بلى.

فجاؤوا بها، وجعلوا يقرؤون منها خلاف ما فيها. فقلب الله ﷻ الطومار الذي كانوا منه يقرؤون، وهو في يد قارئ^(٩) منهم، مع أحدهما أولاً ومع الآخر آخره، ثعباناً له رأسان، وتناول كل رأس منهما يمين^(٩) الذي هو في يده. وجعلت ترضضه وتهشمه،

١. المصدر: ومؤمنات.

٢. ليس في المصدر.

٣. مجمع البيان، ٩٥/١.

٤. نفس المصدر.

٥. ما بين القوسين ليس في أ.

٦. شرح الآيات الباهرة ٥٢/١، تفسير الامام ٢٣٠.

٧. كذا في المصدر. وفي الأصل ور: لبسوا.

٨. المصدر: قرائين.

٩. المصدر: عين.

ويصيح الرجلان ويصرخان، وكانت هناك طوامير أخر، فنطقت وقالت: لا تزالان في هذا العذاب حتى تقرأ بما فيها من صفة محمد ونبوته وصفة علي وإمامته، على ما أنزل الله تعالى. فقرءاه صحيحاً، وأما برسول الله ﷺ وإمامة علي ولي الله^(١).

فقال الله تعالى: «ولا تلبسوا الحق الباطل» بأن تقرّوا بمحمد وعلي من وجه، وتجدوهما من وجه، «وتكتموا»^(٢) الحق من نبوة هذا وإمامة هذا «وأنتم تعلمون»^(٣).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: صلاة المسلمين.

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: زكاتهم.

﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤): منهم؛ لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم.

[وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال الإمام عليه السلام: ثم قال الله ﷻ لهؤلاء: «وأقيموا الصلوة وأتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين» قال: أقيموا الصلوات المكتوبات التي جاء بها محمد، وأقيموا - أيضاً - الصلوة على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين الذين عليّ سيدهم وفاضلهم. وأتوا الزكاة من أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا لزمتم، ومن معونتكم إذا التمستم. واركعوا مع الراكعين؛ أي: تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله ﷻ في الانقياد لأولياء الله؛ لمحمد نبي الله، ولعلي ولي الله، وللأئمة بعدهما سادات أصفياء الله.

ونقل ابن مردويه وأبو نعيم الحافظ^(٦) في قوله تعالى: «واركعوا مع الراكعين» أنها نزلت في رسول الله وفي علي صلوات الله عليهما خاصة؛ لأنهما أول من صلياً وركعاً^(٧). وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي^(٨)، قال: حدثنا الحسن بن الحسين

١. المصدر: واعتقدوا إمامة علي ولي رسول الله. ٢. كذا في المصدر وفي الأصل و: فتكتمون.

٣. ما بين القوسين ليس في أ. ٤. شرح الآيات الباهرة ٥٣/١، تفسير الامام ٢٣١.

٥. نفس المصدر. ٦. كذا في المصدر وفي الأصل و: صلى وركع.

٧. تفسير فرات ٥٩، في ذيل حديث.

الأنصاري. قال: حدثنا عيان بن علي العنزي^(١)، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس عليه السلام أن قوله: «اركعوا مع الراكعين» نزلت في رسول الله وعلي بن أبي طالب عليه السلام خاصة. وهما^(٢) أول من صليا وركعا.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣): بإسناده إلى زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: المرأة عليها أذان واقامة؟

فقال: إن كانت تسمع أذان القبيلة، فليس عليها شيء، وإلا^(٤) فليس عليها أكثر من الشهادتين؛ لأن الله تبارك وتعالى قال للرجال: «أقيموا الصلاة» وقال للنساء: «و^(٥) أقم الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله».

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تهذيب الأحكام^(٦): الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن اسحاق بن المبارك، قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن صدقة الفطرة، أهي مما قال الله: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»؟

فقال: نعم.

وفي عيون الأخبار^(٧): في العلل التي ذكرها الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام، قال عليه السلام: فإن قال [قائل]^(٨): فلم أمروا بالصلاة؟

قيل: لأن في الصلاة الإقرار بالربوبية، وهو صلاح عام؛ لأن فيه خلع الأنداد والقيام بين يدي الجبار بالذل والاستكانة والخضوع [والخشوع]^(٩) والاعتراف وطلب الإقالة من سالف الذنوب ووضع الجبهة على الأرض كل يوم وليلة، ليكون العبد ذاكراً لله

١. كذا في المصدر، وهو الصواب. وفي الأصل ور: العزى.

٢. المصدر: فهما.

٣. علل الشرائع ٣٥٥، صدر ح ١.

٤. ليس في ج.

٥. ليس في ج.

٦. تهذيب الأحكام ٨٩/٤، صدر ح ٢٦٢.

٧. عيون الأخبار ١٠٣/٢ - ١٠٤.

٨. من المصدر.

٩. يوجد في المصدر.

تعالى ، غير ناس له ، ويكون خاشعاً وجللاً متذلاً طالباً راغباً في الزيادة للدين والدنيا ، مع ما فيه من الانزجار عن الفساد . وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة ، لئلا ينسى العبد مدبره وخالقه ، فيبطر ويطنغي . وليكون في ذكر ^(١) خالقه والقيام بين يدي ربه ، زاجراً له عن المعاصي ، وحاجزاً ومانعاً عن أنواع الفساد .

وفيه ^(٢) : بإسناده إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إن الله ﷻ أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة [أخرى] ^(٣) : أمر بالصلاة والزكاة . فمن صلى ولم يزك ، لم تقبل ^(٤) صلاته - الحديث - . وفي من لا يحضره الفقيه ^(٥) : وكتب الرضا علي بن موسى عليه السلام إلى محمد بن سنان ، فيما كتب إليه من جواب مسائله : إن علة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء ؛ لأن الله ﷻ كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى . كما قال الله ﷻ : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم » : في أموالكم : إخراج الزكاة . وفي أنفسكم : توطئ النفس ^(٦) على الصبر ، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله ﷻ والطمع في الزيادة ، مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة ، والحث لهم على المواساة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين . وهو عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلوا على فقراء الآخرة بهم . وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله ﷻ لما حوّلهم وأعطاهم ، والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف ^(٧) .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ ﴾ : من أقاربكم في الخفية .

﴿ بِالْبُرِّ ﴾ : اتباع محمد .

٢ . نفس المصدر ٢٥٨/١ ، صدرح ١٣ .

١ . المصدر : طاعة .

٤ . المصدر : لم يقبل منه .

٣ . من المصدر .

٦ . المصدر : تبارك وتعالى .

٥ . من لا يحضره الفقيه ٨ ؛ علل الشرائع ٣٦٩ .

٨ . ما بين القوسين ليس في أ .

٧ . المصدر : الانفس .

﴿وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: [في شرح الآيات الباهرة^(١) من تفسير العسكري عليه السلام: إن رؤساء هؤلاء اليهود اقتطعوا أموال ضعفائهم من الصدقات والمواريث ليأكلوها، وقالوا: نقتل محمداً عليه السلام. فلما جاؤا^(٢) دفعهم الله عنه.

فقال لرؤسائهم: أنتم فعلتم وفعلتم، وأخذتم أموال هؤلاء، وهي موجودة عندكم. فأنكروا ذلك. فأمر النبي عليه السلام الملائكة بإحضار الأموال. فلما حضرت، اعترفوا بذنوبهم. فأسلم بعض وأقام على دينه بعض.

قال الإمام عليه السلام: فقال الرؤساء الذين هموا بالإسلام: نشهد يا محمد أنك النبي الأفضل. وأن أخاك هذا، هو الوصي الأجل الأكمل. فقد فضحنا الله تعالى بذنوبنا^(٣). أرايت إن تبنا مما اقتطعنا، ما يكون حالنا؟

قال رسول الله عليه السلام: إذا أنتم في الجنان رفاقونا، وفي الدنيا في دين الله إخواننا. ويوسع الله أرزاقكم، وتجدون في مواضع أموالكم التي أخذت منكم أضعافها^(٤). وينسى هؤلاء الخلق فضيحتكم حتى لا يذكرها أحد منهم.

فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأنت يا محمد عبده ورسوله وصفيته وخليفه. وأن علياً أخوك ووزيرك والقيّم بدينك، والنائب عنك، والمنازل دونك. وهو منك بمنزلة هارون من موسى، إلا أن لا نبي بعدك.

فقال رسول الله عليه السلام: فإذا أنتم المفلحون.

وفي مجمع البيان^(٥): روى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله عليه السلام: مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار. فقلت: من هؤلاء؟! يا جبرئيل؟!

فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا، ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

٢. كذا في المصدر. وفي الأصل و: ر: جاء.

٤. المصدر: بأضعافها.

١. شرح الآيات الباهرة، ٥٣/١.

٣. المصدر: لولاك.

٥. مجمع البيان، ٩٨/١.

وفي مصباح الشريعة^(١): قال الصادق عليه السلام: من لم ينسلخ من هواجسه^(٢) حسبه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله تعالى وتوحيده وأمان^(٣) عصمته، لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة، فكُلَّمَا أظهر يكون حجة عليه، ولا يتتبع الناس به. قال الله تعالى: «أأمرؤن الناس بالبرّ وتسنون أنفسكم» ويقال له: يا خائن، أطلب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك؟

وفي تفسير علي بن ابراهيم^(٤): و[أما]^(٥) قوله: «أأمرؤن الناس بالبرّ وتسنون أنفسكم» قال: نزلت في القصاص والخطأ. وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: وعلى كل منبر منهم خطيب مصقع، يكذب على الله وعلى رسوله وعلى كتابه.

وفي أصول الكافي^(٦): بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال في قول الله عز وجل «فكبكبوا فيها هم والغاوون» قال: يا أبا بصير! هم قوم وصفوا عدلاً بالسستهم، ثم خالفوه إلى غيره. وبإسناده^(٧) إلى خيشمة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: أبلغ شيعة أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة، من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره.

وبإسناده^(٨) إلى ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن من أعظم الناس حسرة يوم القيامة، من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره.

وبإسناده^(٩) إلى قتيبة الأعشى، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: [إن]^(١٠) من أشد الناس

١. شرح فارسي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ٣٥٧-٣٥٩.

٢. الأصل و: من هوى حسبه. والمصدر: من هوى حسبه. وقال مصحح المصدر (العلامة الفقيه الأرموي عليه السلام) في هامشه: در بحار ومستدرک ومحجّه ونسخه آقای مصطفوی: «عن هواجسه» وهو الأصح.

٣. تفسير القمي، ٤٦١.

٤. الكافي ٣٠٠/٢، ح ٤.

٥. نفس المصدر، ح ٣.

٦. نفس المصدر، ح ٢.

٧. نفس المصدر، ح ٢.

٨. نفس المصدر، ح ٢.

٩. نفس المصدر، ح ٢.

عذاباً يوم القيامة، من وصف عدلاً ثم^(١) عمل بغيره .
 وبإسناده إلى معلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام [أنه^(٢)] قال : من أشد الناس
 حسرة يوم القيامة^(٣)، من وصف عدلاً ثم عمل بغيره^(٤).
 وفي تفسير العياشي^(٥)، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له :
 «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم»^(٦) ؟
 قال : فوضع يده على خلقه . قال : كالذابح نفسه^(٧).
 وقال الحجال^(٨) عن ابن اسحاق، عن ذكره : «وتنسون أنفسكم» ؛ أي : تتركون [٩].
 ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ : [في كتاب علل الشرائع^(١٠) بإسناده إلى عيسى بن جعفر بن
 محمّد بن عبدالله^(١١) بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن آبائه، عن عمر بن
 علي، عن أبيه عليّ بن أبي طالب : إن النبي صلى الله عليه وآله سئل : مما خلق الله صلى الله عليه وآله العقل ؟
 قال : خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق، من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة .
 ولكل رأس وجه، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الانسان على وجه
 ذلك الرأس مكتوب، وعلى كل وجه ستر ملقى لا يكشف^(١٢) ذلك الستر من ذلك
 الوجه حتى يولد هذا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء . فإذا بلغ، كشف ذلك
 الستر [من ذلك]^(١٣) فيقع في قلب هذا الانسان نور، فيفهم الفريضة والسنة والجيد
 والرديء . ألا ومثل العقل في القلب، كمثل السراج في وسط البيت .
 وفي تفسير عليّ بن ابراهيم^(١٤) : وقال الصادق عليه السلام : موضع العقل الدماغ . ألا ترى

-
١. المصدر : و .
 ٢. نفس المصدر، ٢/٢٩٩، ح ١ .
 ٣. من المصدر .
 ٤. من المصدر .
 ٥. تفسير العياشي ٤٣/١، ح ٣٧ .
 ٦. كذا في المصدر وفي الأصل ور : كما إذا ذبح .
 ٧. كذا في المصدر وفي الأصل ور : كما إذا ذبح .
 ٨. نفس المصدر، ح ٣٨ .
 ٩. ما بين القوسين ليس في أ .
 ١٠. علل الشرائع ٩٨، ح ١ .
 ١١. كذا في المصدر . وفي الأصل ور : عبيد الله .
 ١٢. كذا في المصدر وفي الأصل ور : ما يكشف .
 ١٣. ليس في المصدر .
 ١٤. تفسير القمي، ٢/٢٣٩ .

الرجل إذا كان قليل العقل، قيل له ما أخف دماغك؟

والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي^(١): أحمد بن ادریس، عن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟

قال: ما عُبد به الرحمن، واكتسب به الجنان.

قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟

فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل^(٢).

﴿وَاسْتَعِينُوا﴾: في حوائجهم.

﴿بِالصَّبْرِ﴾: أي: الصوم.

﴿وَالصَّلَاةَ وَإِنهَا﴾: أي: الصلاة.

﴿لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾^(٣): [في شرح الآيات الباهرة^(٤): قال الإمام عليه السلام: قال

الله ﷻ لسائر الكافرين واليهود والمشركين: «استعينوا بالصبر والصلاة»: أي:

بالصبر عن^(٥) الحرام وعلى تأدية الأمانات. وبالصبر عن^(٥) الرياسات الباطلة، و^(٦) على

الاعتراف لمحمد^(٧) بنبوته، ولعلي^(٨) بوصيته. واستعينوا بالصبر على خدمتها وخدمة

من يأمرانكم بخدمته، على استحقاق الرضوان والغفران ودائم نعيم الجنان في جوار

الرحمن، وموافقة^(٩) خيار المؤمنين والتمتع بالنظر إلى غرة محمد سيد الأولين

والآخرين، وعلي سيد الوصيين والسادة الأخيار المنتجبين. فإن ذلك أقر لعيونكم

وأنتم لسروركم وأكمل لهدايتكم من سائر نعيم الجنان، واستعينوا - أيضاً - [بالصلوات

١. الكافي ١/١١، ح ٣. ٢. ما بين القوسين ليس في أ.

٣. شرح الآيات الباهرة ٥٤/١، تفسير الإمام ٢٣٧.

٤. المصدر: على. ٥. المصدر: على.

٦. ليس في ج. ٧. المصدر: بمحمد... بعلي.

٨. المصدر: بمحمد... بعلي. ٩. المصدر: مرافق.

الخمس و^(١) بالصلاة على محمد وآله الطيبين، على قرب الوصول إلى جنّات^(٢) النعيم. وأيضاً أنّ هذه الفعلية من الصلوات الخمس، ومن الصلاة على محمد وآله الطيبين، والانقياد لأوامرهم والإيمان بسرّهم وعلايتهم، وترك معارضتهم يلمّ وكيف، لكبيرة عظيمة إلّا على الخاشعين الخائفين عقاب الله، في مخالفته في فرائضه.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن عبدالله بن طلحة، قال أبو عبدالله عليه السلام: «الصبر» هو الصوم.

وفيه^(٤)، عن مسمع، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا مسمع! ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غوم الدنيا، يتوضّأ ثم يدخل مسجده ويركع ركعتين، فيدعو الله فيهما، أما سمعت الله يقول: «واستعينوا بالصبر والصلوة».

وفيه^(٥)، عن سليمان الفراء، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله: «واستعينوا بالصبر والصلوة» قال: «الصبر» الصوم. إذا نزلت بالرجل الشدة أو النازلة، فليصم. قال الله^(٦) يقول: «استعينوا بالصبر والصلوة» والصبر الصوم.

وفي الكافي^(٧)، علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سليمان، عن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «واستعينوا بالصبر» قال: يعني بالصبر الصيام^(٨). وقال: إذا نزلت بالرجل النازلة والشدة^(٩)، فليصم. فإنّ الله تعالى يقول: «واستعينوا بالصبر» يعني: الصيام.

وفي من لا يحضره الفقيه مرسلأً، عن الصادق عليه السلام مثله^(١٠).

وفي تفسير فرات بن ابراهيم^(١١): قال: حدثنا الحسين بن الحكم. قال: حدثنا

٢. كذا في المصدر. وفي الأصل ور: جنّات.

٤. نفس المصدر، ح ٣٩.

٦. ليس في ج.

٨. المصدر: قال: الصبر، الصيام.

١٠. من لا يحضره الفقيه ٤٥/٢، ح ٢٠٢.

١. ليس في المصدر.

٣. تفسير العياشي ٤٣/١، ح ٤٠.

٥. نفس المصدر، ح ٤١.

٧. الكافي ٦٣/٤، ح ٧.

٩. المصدر: الشديدة.

١١. تفسير فرات ٦٠.

الحسن بن الحسين. قال: حدثنا حيان بن علي، عن الكلبي، عن أبي صالح^(١)، عن ابن عباس عليه السلام في قوله تعالى: «واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين»: الخاشع، الدليل في صلاته المقبل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

«الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [٣]: (في كتاب التوحيد^(٤))، حديث طويل، عن علي عليه السلام يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: فأما قوله: «بل هم بلقاء ربهم كافرون»^(٥) يعني: البعث. فسماه الله تعالى لقاءه^(٦). وكذلك ذكر المؤمنين، «الذين يظنون أنهم ملأوا ربهم»: يعني: أنهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون ويجزون بالثواب والعقاب. والظن هاهنا اليقين.

وفي تفسير علي بن ابراهيم^(٧)، قال: الظن في كتاب الله^(٨) على وجهين: فمَن ظن يقين، ومنه ظن شك. ففي هذا الموضع، الظن يقين. وأما^(٩) الشك، فقوله: «إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين»^(١٠). وقوله: «وظننتم ظن السوء»^(١١).

«يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ»: التكرير للتوكيد، وتذكير التفضيل الذي هو أجل النعم خصوصاً، والربط بالوعيد الشديد، تخويفاً لمن غفل عنها وأخلّ بحقوقها.

«وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ»: نصب عطف على نعمتي، أي: وتفضيلي.

«عَلَى الْعَالَمِينَ» [١٢]: أي: عالمي زمانهم. المراد تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر

-
١. ليس في المصدر. والظاهر أنه سقط عنه.
 ٢. ما بين القوسين ليس في أ.
 ٣. التوحيد / ٢٦٧.
 ٤. السجدة / ١٠.
 ٥. كذا في المصدر وفي الأصل و: لقاءهم.
 ٦. تفسير القمي، ٤٦١.
 ٧. المصدر: الكتاب.
 ٨. المصدر: انما.
 ٩. المصدر: وقوله تعالى، وهو في الجاثية / ٣٢.
 ١٠. الفتح / ١٢.
 ١١. ما بين القوسين ليس في أ.

موسى عليه السلام وبعده، قبل أن يغيروا بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل الصالح. وجعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين.

ويحتمل أن يكون المعنى: على الجَمِّ الغفير من الناس، كقوله: «باركنا فيها للعالمين»، يقال: رأيت عالماً من الناس، يراد الكثرة. فعلى هذا، لا يستقيم ما قيل^(١) أن في الآية دلالة على تفضيل البشر على الملك.

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾: فيه مجاز عقلي؛ أي: ما فيه من الحساب^(٢) والعذاب، والتنكير للتفخيم.

﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: أي: لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق، فيكون شيئاً مفعولاً به. أو لا تجزي عنها شيئاً من الجزاء؛ أي: قليلاً منه. فيكون نصباً على المصدر، كقوله: «ولا يظلمون شيئاً»^(٣).

وقرئ لا تجزئ، من أجزأ عنه، إذا أغنى. وعلى هذا تعين أن يكون مصدراً؛ أي: شيئاً من الاغناء.

وقرئ ولا تجزئ نسمة عن نسمة شيئاً.

وتنكير الشيء مع النفسين^(٤)، للإقناط الكلي والتعميم.

والجملة في محل نصب، صفة «ليوماً»، والعائد محذوف. والتقدير: لا تجزي فيه، وإن لم يجوز حذف العائد المجرور. يقال: اتسع فيه. فحذف عنه الجار أولاً وأجري مجرى المفعول به، ثم حذف كما حذف من قوله:

كُتِبَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا مَراراً فلم يرجع إليّ منهم جوابٌ

فما أدري أغيرهم تناءً وطول العهد أم مالٍ أصابوا؟

أي: أصابوه.

٢. أ: الحنات.

١. أنوار التنزيل، ٥٥/١.

٤. أ: النفين. والظاهر: النفي.

٣. مريم / ٦٠.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾: من الشفع. كأنَّ المشفوع كان فرداً، فجعله الشفع زوجاً، بضم نفسه اليه.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: لا تقبل - بالتاء -.

[وفي تفسير علي بن ابراهيم^(١) و^(٢) قوله: «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعَةٌ» وهو قوله ﷺ: لو أن كل ملك مقرب وكل نبي^(٣) مرسل، شفعوا في ناصب، ما شفّعوا.

وفي كتاب الخصال^(٤): عن أبي عبد الله ﷺ قال: ثلاث من كنَّ فيه استكمل خصال الإيمان: من صبر على الظلم وكظم غيظه واحتسب وعفا وغفر، كان ممن يدخله الله تعالى الجنة بغير حساب، ويشفعه في مثل ربيعة ومضر.

عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ^(٥) عن النبي ﷺ حديث طويل، يقول فيه ﷺ: وأما شفاعتي، ففي أهل الكبائر، ما خلا أهل الشرك والظلم^(٦).

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾: أي: من النفس الثانية العاصية، أو الأولى.

﴿عَذْلٌ﴾: المراد به الفدية. وقيل^(٧): مطلق البدل. وأصله التسوية. سميت به الفدية؛ لأنها سويت بالمقدى.

والمقصود بالآية، نفي أن يدفع العذاب أحد عن كل أحد من كل وجه محتمل. فإنه إما أن يكون قهراً أو غيره. والأول النصرة، والثاني إما أن يكون مجاناً أو غيره، والأول أن يشفع له. والثاني إما بأداء ما كان عليه، وهو أن يجزي عنه أو بغيره، وهو أن يعطي عنه عدلاً.

[وفي مجمع البيان^(٨): وأما ما جاء في الحديث: «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»

١. تفسير القمي، ٤/٦١.

٢. ليس في ج.

٣. المصدر: أو.

٤. الخصال ١٠٤، ح ٦٣.

٥. نفس المصدر ٣٥٥، ذيل ح ٣٦.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

٧. أنوار التنزيل، ٥٥/١.

٨. مجمع البيان، ١٠٤/١.

فاختلف في معناه. قال الحسن: الصرف، العمل. والعدل، الفدية. وقال الأصمعي: الصرف، التطوع. والعدل، الفريضة. وقال أبو عبيدة: الصرف، الحلية. والعدل، الفدية. وقال الكلبي: الصرف، الفدية. والعدل، رجل مكانه.

وفي تفسير العياشي^(١) عن يعقوب الأحمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل، الفريضة.

عن ابراهيم بن الفضيل^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام. قال: العدل في قول أبي جعفر عليه السلام الفداء.

ورواه أسباط الزطي^(٣) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله: «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»، قال: الصرف، النافلة. والعدل، الفريضة^(٤).

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٥): الضمير يرجع إلى النفوس الكثيرة التي دلت عليها النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي.

والنصرة أخص من المعونة، لاختصاصه بدفع الضر. واستدلت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر. قال البيضاوي^(٥): وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار، للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة.

قال: ويؤيده أن الخطاب معهم، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم.

أقول: الآية يحتمل أن تكون مخصصة للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة الدالة على عمومها، كما أن كون الخطاب معهم، يحتمل أن يكون مؤيداً للتخصيص بالكفار، فلا يتم الاستدلال من الجانبين. فتأمل!

١. تفسير العياشي ٥٧/١، ح ٨٥.

٢. نفس المصدر، ح ٨٦.

٣. الأصل و: أو ساط الرجل. والحديث في نفس المصدر، ح ٨٧.

٤. ما بين القوسين ليس في أ.

٥. أنوار التنزيل، ٥٥/١.

[وفي شرح الآيات الباهرة^(١)، قال الإمام عليه السلام: «ثم قال الله تعالى: «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً»؛ أي: لا تدفع عنها عذاباً^(٢) قد استحقته عند النزاع «ولا يقبل منها شفاعة» من يشفع لها بتأخير الموت عنها «ولا يؤخذ منها عدل» أي^(٣): لا يقبل منها فداء مكانه، يموت الفداء ويترك هو.

وقال الصادق عليه السلام: وهذا اليوم، يوم الموت. فإنَّ الشفاعة والفداء لا يغني فيه. فأما يوم القيامة، فإنَّا وأهلنا^(٤) نجزي عن شيعتنا كل جزاء، لنكوننَّ^(٥) على الأعراف بين الجنة والنار^(٦) ومحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيبون من آلهم. فترى^(٧) بعض شيعتنا في تلك^(٨) العرصات، ممّا كان منهم مقصراً في بعض شدائدها، فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار ونضائمهم في العصر الذي يليهم، ثمّ في كل عصر إلى يوم القيامة، فينقضون عليهم^(٩) كالبزة والصقور، تتناولهم كما تتناول الصقور صيدها. ثمّ يزفون إلى الجنة زفاً. وإنّا لنبعث على آخرين من محبينا من خيار شيعتنا كالحمّام، فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب، وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا. وسيؤتى بالواحد ويوقف^(١٠) بإزائه مابين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب. فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار. فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة، وأولئك النصاب النار. وذلك ممّا قال الله تعالى: «ربما يؤدّ الذين كفروا» بالولاية «لو كانوا مسلمين»^(١١) في الدنيا، منقادين للإمامة، ليجعل مخالفوهم فداءهم من النار^(١٢).

١. تأويل الآيات الباهرة، ٥٥/١؛ تفسير الامام، ٢٤١.

٢. المصدر عنه.

٣. المصدر: و.

٤. المصدر: فإنّا وشيعتنا وأهلنا.

٥. المصدر: ليكونن.

٦. الواو ليس في المصدر.

٧. المصدر: فترى.

٨. المصدر: فبعث.

٩. المصدر: يتناولونهم كما يتناول صيدها.

١٠. كذا في المصدر. وفي الأصل: و: يقف.

١١. الحجر / ٢.

١٢. ما بين القوسين ليس في أ.

﴿وَإِذْ نَبَّيْنَاكُمْ﴾: عطف على «نعمتي» كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة.
فصل بعد الإجمال في قوله: «نعمتي» لأنه أوقع وأمكن في النفس.
وقرئ: نجيناكم وأنجيتكم.
﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أصل آل أهل؛ لأن تصغيره أهيل أعل، وخص استعماله بالاضافة
إلى أولى الخطر، كالأنبياء والملوك.
قال الكسائي: سمعت أعرابياً يقول: آل وأويل وأهل وأهيل، فأصله أءل.
- بالهمزة -.

و«فرعون»: لقب لمن ملك العمالة، ككسرى، لملك الفرس، وقيصر لملك
الروم. ولعتو الفراعنة، اشتق منه: تفرعن الرجل، إذا عتى وتجر. .
قال البيضاوي^(١): وكان فرعون موسى، مصعب بن ريان. وقيل: اسمه^(٢) وليد، من
بقايا عاد. وفرعون يوسف عليه السلام ريان، وكان بينهما أكثر من أربعمئة سنة.
﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾: أي: يبغونكم. يقال: سامه خسفاً، إذا أواه ظلماً؛ أي: أصابه^(٣) إياه.
وأصل «السوم»: الذهاب في طلب الشيء.
﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي: أفضعه. فإنه قبيح بالاضافة إلى سائره. يقال: أعوذ بالله من
سوء الخلق وسوء الفعل. يراد قبيحهما.

«والسوء» مصدر ساء يسوء. ونصبه على المفعول، ليسومونكم.
والجملة حال^(٤) من الضمير، في «أنجيناكم» أو «من آل فرعون» أو منهما.
﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: بيان لـ «يسومونكم»، ولذلك فصل.
وقرئ بالتخفيف.

وإنما فعلوا بهم ذلك؛ لأن فرعون رأى في المنام، أو قال له الكهنة: سيولد منهم من
يذهب بملكه. فلم يردّ اجتهادهم من قدر الله شيئاً.

٢. المصدر: ابنه.

١. أنوار التنزيل، ٥٥/١.

٤. ليس في أ.

٣. ليس في أ.

[في كتاب الخصال^(١)]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الجامع بالكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن يوم الأربعاء والتطير منه وثقله، أي الأربعاء هو؟

فقال: الأربعاء في آخر الشهر - إلى قوله -: يوم الأربعاء أمر فرعون بذبح العلماء^(٢).
﴿وَيَسْتَخْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾: أي: يقبزنهن طلباً لحياتهن. ويتخذونهن إماء.

وزعم بعضهم أنه من طلب الحياء - أي: الفرج - أي: ينظرون هل هن حبالى أم لا؟
[وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣)]، بإسناده إلى سعد بن جببر، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي، عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة، جمع شيعته وأهل بيته، فحمد الله وأثنى عليه، ثم حدثهم بشدة تنالهم؛ تقتل فيها الرجال، وتشقّ فيها بطون الحبالى، وتذبح الأطفال، حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طوال - ونعته لهم بنعته - فتمسكوا بذلك.

ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل، وهم ينتظرون^(٤) قيام القائم أربعمئة سنة، حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره ودلالته^(٥)، اشتدت البلوى عليهم، وحمل عليهم بالحجارة والخشب. وطلب الفقيه الذي كان^(٦) يستريحون إلى أحاديثه، فاستتر وراسلهم^(٧). فقالوا: كنا مع الشدة نستريح إلى حديثك.

فخرج [بهم]^(٨) إلى بعض الصحاري، وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام. وكان في ذلك

٢. ما بين القوسين ليس في أ.

١. الخصال ٣٨٨/٢، ح ٧٨.

٣. كمال الدين وتمام النعمة ١٤٥-١٤٧، ح ١٢.

٤. النسخ و: ينظرون.

٥. ليس في المصدر.

٦. المصدر: كانوا.

٧. المصدر: راسلوه.

٨. يوجد في المصدر.

الوقت حديث السن، وقد خرج من دار فرعون، يظهر النزهة. فعدل عن موكبه^(١) وأقبل إليهم، وتحتة بغلته^(٢) وعليه طيلسان خز. فلما رآه الفقيه، عرفه بالنعث، فقام إليه فانكب على قدميه فقبلهما، ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك^(٣). فلما رأى الشيعة ذلك، علموا أنه صاحبهم، فانكبوا على الأرض شكراً لله ﷻ فلم يزد هم إلا^(٤) أن قال: أرجو أن يعجل الله فرجكم.

ثم غاب بعد ذلك، وخرج إلى مدينة مدين، فأقام عند شعيب النبي ﷺ ما أقام. فكانت الغيبة الثانية، أشد عليهم من الأولى. وكانت نيفاً وخمسين سنة، واشتدت البلوى عليهم، واستتر الفقيه. فبعثوا إليه أنه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحاري واستدعاهم وطيب نفوسهم، وأعلمهم أن الله ﷻ أوحى إليه أنه مفرج عنهم بعد أربعين سنة.

فقالوا بأجمعهم: الحمد لله.

فأوحى الله ﷻ إليه: قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم: «الحمد لله».

فقالوا: كل نعمة فمن الله.

فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة.

فقالوا: لا يأتي بالخير إلا الله.

فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشرأ.

فقالوا: لا يصرف السوء إلا الله.

فأوحى الله ﷻ إليه: قل لهم: لا تبرحوا، فقد أذنت لكم في فرجكم. فبيناهم كذلك،

إذ طلع موسى ﷺ راكباً على حمار، فأراد الفقيه أن يعرّف الشيعة ما يستبصرون به فيه، فجاء موسى ﷺ حتى وقف عليهم وسلم عليهم.

فقال له الفقيه: ما اسمك؟

١. ليس في ج.

٢. المصدر و: بغلة. وهو الظاهر.

٣. المصدر: أرائيك، وهو الظاهر.

٤. المصدر: على.

قال: موسى.

قال: ابنُ مَنْ؟

قال: ابن عمران.

قال: ابنُ مَنْ؟

قال: ابن قاهث^(١) بن لاوي بن يعقوب.

قال: بماذا جئت؟

قال: جئت بالرسالة من عند الله ﷻ.

فقام إليه. فقبل يده، ثم جلس بينهم وطيب نفوسهم، وأمرهم أمره ثم فارقهم^(٢)، فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعين سنة.

وبإسناده^(٣) إلى محمد الحلبي، عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرت الوفاة، جمع آل يعقوب، وهم ثمانون رجلاً، فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسومونكم سوء العذاب. وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه موسى بن عمران ﷺ غلام طوال جعد آدم. فجعل الرجل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران، ويسمي عمران ابنه موسى.

فذكر أبان بن عثمان، عن أبي الحصين^(٤)، عن أبي بصير، عن أبي جعفر ﷺ أنه قال: ما خرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذاباً من بني اسرائيل، كلهم يدعي أنه موسى بن عمران. فبلغ فرعون أنهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام، وقال له كهنته وسحرته: أن هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي^(٥) يولد العام من بني اسرائيل.

فوضع القوابل على النساء، وقال: لا يولد العام ولداً إلا ذبح. ووضع على أم موسى قابلة.

١. كذا في المصدر. وفي الأصل ور: ابن قاهب. ٢. المصدر وج: أبي الحسين ﷺ.

٣. نفس المصدر ١٤٧-١٤٨، صدر ح ١٣. ٤. المصدر: فرقهم.

٥. ليس في ج.

فلما رأى ذلك بنو اسرائيل ، قالوا : إذا ذبح الغلمان واستحيى النساء هلكنا ، فلم نبق . فقالوا^(١) : لا نقرب النساء .

فقال عمران بن موسى عليه السلام : بل اثتوهن^(٢) . فإن أمر الله واقع ولو كره المشركون . اللهم من حرم ، فإنني لا أحرمه ، ومن تركه فإنني لا أتكره . فوقع على أم موسى ، فحملت . فوضع على أم موسى قابلة تحرسها . فإذا قامت ، قامت . وإذا قعدت ، قعدت . فلما حملته أمه ، وقعت عليه المحبة . وكذلك حجج الله على خلقه .

فقال لها القابلة : مالك يابنية ، تصفرين وتذوبين ؟

قالت : لا تلومني ، فإنني إذا ولدت ، أخذ ولدي فذبح .

قالت : لا تحزني . فإنني سوف أكرم عليك ، فلم تصدقها .

فلما أن ولدت التفتت إليها وهي مقبلة . فقالت : ما شاء الله .

فقال لها : ألم أقل إنني سوف أكرم عليك ؟

ثم حملته . فأدخلته المخدع وأصلحت أمره ، ثم خرجت إلى الحرس . فقالت :

انصرفوا - وكانوا على الباب - فإنما خرج دم مقطع^(٣) . فانصرفوا - الحديث ، وهو بتمامه مذكور في القصص .

وفي كتاب الغيبة^(٤) : للشيخ الطوسي رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل ،

يقول فيه عليه السلام : أما مولد موسى عليه السلام فإن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده ،

أمر بإحضار الكهنة . فدلوا على نسبه وأنه يكون من بني اسرائيل ، فلم يزل يأمر أصحابه

بشق بطون الحوامل من نساء بني اسرائيل ، حتى قتل في طلبه نيف وعشرون ألف

مولود . وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تعالى إياه^(٥) .

١ . المصدر : فتعالوا .

٢ . المصدر : باثروه .

٣ . المصدر : منقطع . وهو الظاهر .

٤ . الغيبة / ١٠٦ .

٥ . ما بين القوسين ليس في أ .

﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ﴾: محنة، إن أشير بذلك إلى صنعهم. ونعمة، إن أشير به إلى الإنجاء.

وأصله: الاختبار. لكن لما كان اختبار الله عباده، تارة بالنعمة، وتارة بالمحنة، أطلق عليهما. ويجوز أن يشار بذلك إلى الجملة. ويراد به الامتحان الشائع بينهما.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بتسليطهم عليكم، أو بيعث^(١) موسى وتوفيقه لتخليصكم، أو بهما.

﴿عَظِيمٌ﴾^(٢): صفة «بلاء» وفي الآية إشعار بأنه قد يكون إصابة العبد^(٣) بالخير والشر، من اختبار الله سبحانه العبد. فيجب أن لا يغتر بما أنعم عليه فيطغى^(٤). ولا يئس من روح الله بما ضيق عليه فيعيش ضنكاً. وأن يكون دائماً راجياً خائفاً مستشعراً لما أريد منه.

قال البيضاوي^(٥): وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر، اختبار من الله. فعليه أن يشكر على مساره ويصبر على مضاره، ليكون من خير المختبرين.

ولا يخفى عليك، أنه إنما يصح بناء، على قاعدة كسب الأعمال، وقد أبطلناها في مقامها، مع أنه ينافي ما سبقها من إسناد الذبح والاستحياء إلى آل فرعون. والله أعلم بحقائق الأمور.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَهِرَ﴾: فصلنا بين بعضه وبعض^(٦)، حتى جرت^(٧) فيه مسالك بسلوككم فيه، أو بسبب إنجائكم، أو متلبساً بكم.

و«الفرق» هو الفصل بين شيئين - بالفتح - مصدر، وبالكسر: الطائفة من كل شيء.

و«البحر» يسمّى بحراً لاستبحاره. وهو سعته وانبساطه.

وقرأ الزهري في الشواذ، على بناء التكثير؛ لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط.

٢. أ: العهد.

١. أ: بيعث.

٤. أنوار التنزيل، ٥٦/١.

٣. أ: فيطغى.

٦. أ: حصلت.

٥. أ: يعضه.

﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا﴾: «الغرق»: الرسوب في الماء.

و«النجاة»: ضد الغرق، كما أنها ضد الإهلاك.

﴿أَلْ فِرْعَوْنَ﴾: أراد به فرعون وقومه. اقتصر على ذكرهم للعلم بأنه كان أولى به.

وقيل ^(١): شخصه، كما يقال: اللهم صل على آل محمد؛ أي: شخصه. واستغنى بذكره عن اتباعه. والأحسن فيه أنه من باب ركب الناقة طليحان، اعتباراً للمضاف والمضاف إليه؛ أي: هو والناقة.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: ذلك، أو غرقهم، أو انغلاق البحر، عن طرق يابسة ^(٢)، أو

جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل، أو ينظر بعضكم بعضاً.

ذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره ^(٣)، عن ابن عباس: إن الله تعالى أوحى إلى موسى

أن يسري ببني إسرائيل من مصر. فسرى موسى ﷺ ^(٤) بهم ^(٥) ليلاً. فأتبعهم فرعون في

ألف ألف حصان سوى الإناث. وكان موسى في ستمائة ألف وعشرين ألفاً. فلما

عابنهم فرعون، قال: إن هؤلاء لشرذمة قليلون. [وإنهم لنا لغائظون وإننا لجميع

حاذرون] ^(٦).

فسرى موسى بهم ^(٧) حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم برهج دواب

فرعون.

فقالوا: يا موسى! أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا؟ هذا البحر أمامنا، وهذا

فرعون قد رهقنا بمن معه.

فقال موسى ﷺ: عسى ربكم أن يهلك عدوكم (الخ).

فقال له ^(٨) يوشع بن نون: بم أمرت؟

٢. كذا في أور. والأصل: ياتيه.

٤. المصدر: ببني إسرائيل.

٦. يوجد في المصدر.

٨. ليس في ج.

١. أنوار التنزيل، ٥٦/١.

٣. مجمع البيان، ١٠٧/١.

٥. المصدر: ببني إسرائيل.

٧. المصدر: ببني إسرائيل.

قال: أمرت أن أضرب بعصاي البحر .

قال: اضرب .

وكان الله تعالى أوحى إلى البحر أن أطع موسى إذا ضربك .

[قال] ^(١) فبات البحر له أكل - أي: رعدة - لا يدري في أي جوانبه يضربه . فضرب بعصاه البحر ، فانفلق ، وظهر اثني عشر طريقاً . فكان لكل سبط [منهم] ^(٢) طريق يأخذون فيه .

فقالوا: [إنا] ^(٣) لا نسلك طريقاً ندياً .

فأرسل الله ريح الصبا حتى جففت ^(٤) الطريق ، كما قال: فاضرب لهم طريقاً في البحر يساً . فجروا فيه ، فلما أخذوا في الطريق ، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا ؟

فقالوا لموسى: أين أصحابنا ؟

فقال: في طريق مثل طريقكم .

فقالوا: لا نرضى حتى نراهم .

فقال موسى ﷺ: اللَّهُمَّ أعني على أخلاقهم السيئة .

فأوحى الله إليه أن قل ^(٥) بعصاك هكذا وهكذا ، يميناً وشمالاً .

فأشار بعصاه يميناً وشمالاً . فظهر كالكوء ينظر منها بعضهم إلى بعض . فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم ، فهاب دخول الماء ، فتمثل ^(٦) له جبرئيل على فرس أنثى وريق وتقحم البحر . فلما رآها الحصان ، تقحم خلفها ، ثم تقحم قوم فرعون . ولما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ، ودخل آخر من كان مع فرعون البحر ، أطبق الله عليهم الماء ، فغرقوا جميعاً ، ونجى موسى ومن معه .

٢ . يوجد في المصدر .

٤ . أ: خفت .

٦ . النسخ: تمثل .

١ . يوجد في المصدر .

٣ . يوجد في المصدر .

٥ . المصدر: مل ، وهو الظاهر .

واعلم أنّ هذه الواقعة، من أعظم ما أنعم الله به على بني إسرائيل، ومن آياته الملجئة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم، وتصديق موسى عليه السلام. ثمّ إنهم اتخذوا العجل، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ونحو ذلك! فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد ﷺ فإنهم اتبعوه^(١) مع أنّ ما تواتر من معجزاته، أمور نظرية دقيقة يدركها الأذكىاء، وإخباره ﷺ عنها، من جملة معجزاته ﷺ.

[وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال الإمام عليه السلام: إن موسى لما انتهى إلى البحر، أوحى الله ﷻ إليه: قل لبني إسرائيل: جدّدوا توحيدى وأمروا بقلوبكم ذكر محمد سيّد عبيدي وإمائي، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعليّ أخ محمد، وآله الطيبين، وقولوا: اللّهم بجاههم جوّزنا على متن هذا الماء، فإنّ الماء يتحوّل لكم أرضاً.

فقال لهم موسى ذلك. فأبوا، وقالوا: نحن لا نسير إلّا على الأرض.

فأوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك البحر، وقل: اللّهم بجاه محمد وآله الطيبين لمّا فلقته لنا.

ف فعل، فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج.

فقال موسى: ادخلوها.

قالوا: الأرض وحلة، نخاف أن نرسب فيها.

فقال ﷻ: يا موسى! قل: اللّهم بحقّ محمد وآله الطيبين، جفّفها.

فقالها، فأرسل الله عليها ريح الصبا، فجففت^(٣). و^(٤) قال موسى: ادخلوها.

قالوا: يا نبيّ الله! نحن اثنتا عشرة قبيلة، بنو اثني عشر أباً. وإن دخلنا وأمّ^(٥) كل فريق

١. ر: اتبعوهم. ٢. شرح الآيات الباهرة ٥٦٨؛ تفسير الامام، ٢٤٥.

٣. المصدر: جففت. وهو الظاهر. ٤. ليس في المصدر.

٥. في الأصل ور، وفي المصدر: دام. ولعل الصواب: رام.

منا تقديم^(١) صاحبه ، فلا نأمن وقوع الشرّ بيننا . فلو كان لكل فريق منا طريق على حدته ، لأمنا ما نخافه .

فأمر الله ﷺ موسى أن يضرب^(٢) البحر ، بعددهم ، اثنتى عشرة ضربة في^(٣) اثني عشر موضعاً ، ويقول : اللَّهُمَّ بجاه محمّد وآله الطيبين [بَيْنَ الأرض لنا ، وأمط الماء عنا . فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً . فقال : ادخلوها !

قالوا : إن كل فريق يدخل في سكة من هذه السكك ، لا يدري ما يحدث على الآخرين .

فقال الله ﷻ : فاضرب كل طود من الماء بين هذه السكك ، وقل : اللَّهُمَّ بجاه محمّد وآله الطيبين [لَمَّا جعلت في هذا الماء طبقات واسعة ، يرى بعضهم بعضاً^(٤) منها . فحدثت طبقات واسعة ، يرى بعضهم بعضاً منها ، ثم دخلوها . فلما بلغوا آخرها ، جاء فرعون وقومه ، فلما دخل آخرهم^(٥) وهم بالخروج أولهم ، أمر الله البحر فانطبق عليهم ، فغرقوا . وأصحاب موسى ينظرون إليهم . فقال الله ﷻ لبني اسرائيل الذين^(٦) في عهد محمّد ﷺ : فإذا كان الله فعل هذا كله بأسلافكم ، لكرامة محمّد وآله ﷺ ودعاء موسى بهم ، دعاء تقرب^(٧) إلى الله ، أفلا تعقلون أن عليكم الإيمان بمحمّد وآله ، إذ شاهدتموه الآن ؟^(٨) .

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ اَزْجَعَيْنَ لَيْلَةً﴾ : بعد عودهم إلى مصر وهلاك فرعون ، وعد الله موسى أن يعطيه التوراة ، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة ، وعبر عنها

٢ . المصدر : ليضرب .

١ . المصدر : يتقدم .

٤ . ما بين القوسين لا يوجد في المصدر .

٣ . المصدر : بعددهم اثني عشر موضعاً .

٦ . ساقطة من ج .

٥ . لا يوجد في المصدر .

٨ . المصدر : يتقرب .

٧ . المصدر : الذي .

٩ . ما بين القوسين ليس في أ .

بالليالي؛ لأنها غرر الشهور، أو لأنَّ وعد موسى وعد قيام الأربعين، والقيام بالليل أهم. فذكر الليل إشعاراً بوعدة قيام الليل، أو لأنَّ الظلمة سابقة على النور. والقراءة المشهورة: «واعدنا» لأنَّه تعالى وعده الوحي، ووعد موسى المجيء للميقات إلى الطور.

[وفي تفسير علي بن ابراهيم^(١) في قصة حنين: ثم رفع رسول الله ﷺ يده، فقال: اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستغاث.

فنزل عليه جبرئيل، فقال [له]^(٢): يا رسول الله! دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر، ونجاه من فرعون.

وفيه^(٣) حديث طويل، مذكور في «طه». وفيه قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى.

فهموا بهارون، فهرب منهم^(٤). ويقوا في ذلك حتى تم ميقات ربّه^(٥) أربعين ليلة. فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة، أنزل الله عليه الألواح، فيها التوراة وما يحتاجون إليه من أحكام السير والقصص.

وفي أصول الكافي^(٦): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسين^(٧) بن علي الخزاز، عن عبد الكريم بن عمرو^(٨) الخثعمي، عن الفضيل^(٩) بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: لهذا الأمر وقت؟

فقال: كذب الوقّاتون. كذب الوقّاتون. كذب الوقّاتون. إن موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربّه، واعدّهم ثلاثين يوماً. فلما أن زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد

١. تفسير القمي، ٢٨٧/١.
 ٢. نفس المصدر، ٦٢/٢.
 ٣. المصدر: موسى.
 ٤. المصدر: الحسن، وهو خطأ.
 ٥. المصدر: الفضل، وهو أيضاً خطأ..
 ٦. الكافي ٣٦٨-٣٦٩، ح ٥.
 ٧. المصدر: عمر، وهو خطأ.
 ٨. يوجد في المصدر.
 ٩. المصدر: حتى هرب من بينهم.

أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا. فإذا حدثناكم الحديث، فجاءكم^(١) على ما حدثناكم به^(٢)، فقولوا: صدق الله. وإذا حدثناكم الحديث، فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، توجروا مرتين^(٣).

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: معبوداً^(٤).

ف قيل^(٥): لأنهم بنفس فعلهم لصورة العجل، لا يكونون ظالمين؛ لأن فعل ذلك ليس بمحظور، بل مكروه. وأما الخبر الذي روي عنهم ﷺ أنه لعن المصورين، فالمراد به: من شبه الله تعالى، أو اعتقد أنه صورة.

[وفي عيون الأخبار^(٦): بإسناده إلى الحسين بن خالد، عن أبي الحسن ﷺ قال: قلت له: [عن] كم تجزي البدنة؟

قال: عن نفس واحدة.

قلت: فالبقرة؟

قال: تجزي عن خمسة، إذا كانوا يأكلون على مائدة واحدة.

قلت: كيف صارت البدنة، لا تجزي إلا عن واحدة، والبقرة تجزي عن خمسة؟ قال: لأن البدنة لم يكن فيها من العلة ما كان في البقرة. إن الذين أمروا قوم موسى بعبادة العجل، كانوا خمسة أنفس، وكانوا أهل بيت يأكلون على خوان واحد. وهم أديثونه^(٧)، وأخوه ميندونه^(٨)، وابن أخيه وابنته وامراته، هم الذين أمروا بعبادة العجل، وهم الذين ذبحوا البقرة التي أمر الله تبارك وتعالى بذبحها. عن الرضا ﷺ^(٩) عن أمير المؤمنين ﷺ حديث طويل، وفيه: وسأله عن الشور،

١. المصدر: فجاء.

٢. ليس في المصدر.

٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. أ: مصوراً.

٥. مجمع البيان، ١٠٩/١.

٦. عيون الأخبار ٨٣/٢، ح ٢٢، خصال ٢٩٢.

٧. المصدر: أديثونية.

٨. المصدر: ميندونه. ر: يندونه.

٩. نفس المصدر ٢٤١/١-٢٤٢.

ما باله غاض طرفه لا يرفع^(١) رأسه إلى اسماء؟

قال: حياء من الله؛ لما عبد قوم موسى العجل، نكس رأسه.

وفي كتاب الخصال^(٢): عن الصادق عليه السلام شبهه، بتغيير يسير^(٣).

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد غيبة موسى، أو من بعد وعد الله التوراة، أو من بعد غرق فرعون وما رأيتم من الآيات.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٤): مضرون بأنفسكم، بما استحققتهم من [العقاب على]^(٥) اتخاذكم العجل معبوداً.

روي عن ابن عباس^(٦) أنه قال: كان السامري رجلاً من أهل باجرما^(٧)، قيل: كان اسمه مسيحا^(٨).

وقال ابن عباس^(٩): اسمه موسى بن ظفر، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وقد كان في أظهر الإسلام في بني اسرائيل. فلما قصد موسى إلى ربه وخلف هارون في بني اسرائيل، قال هارون لقومه: قد حملتم أوزاراً من زينة^(١٠) القوم - يعني^(١١): آل فرعون - فتطهروا منها، فإنها نجس^(١٢). يعني: أنهم استعاروا من القبط حلياً، واستبدوا بها. فقال هارون: طهروا أنفسكم منها، فإنها نجسة. وأوقد لهم ناراً، فقال: اقدفوا ما كان معكم فيها.

فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة والحلي، فيقدفون به فيها.

قال: وكان السامري رأى أثر فرس جبرئيل عليه السلام، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار.

١. المصدر: لم يرفع.

٢. لا يوجد في الخصال. ولكن في علل الشرائع، ٥٩٣ وفي البحار ٧٦١، نقلاً عن عيون الأخبار وعلل

الشرائع فقط. ٣. مابين القوسين ليس في أ.

٤. ليس في أ. ٥. مجمع البيان، ١٠٩/١.

٦. المصدر: باجرمي ... ميحا. ٧. المصدر: باجرمي ... ميحا.

٨. نفس المصدر. ٩. أ: رتبة.

١٠. ليس في ج. ١١. ر: منجس.

فقال: يا هارون! يا نبي الله! ألقى ما في يدي؟

قال: نعم. وهو لا يدري ما في يده، ويظن أنه ممّا يجيء به غيره من الحلبي والأمتعة.

فقدف فيها، وقال: كن عجلاً جسداً له خوار. فكان البلاء والفتنة، فقال: هذا إلهكم وإله موسى. فعكفوا^(١) عليه، وأحبوه حبّاً لم يحبّوا مثله شيئاً قط.

وقال ابن عباس: فكان البلاء والفتنة، ولم يزد على هذا.

وقال الحسن^(٢): صار العجل لحماً ودماً.

وقال غيره^(٣): لا يجوز ذلك؛ لأنه من معجزات الأنبياء.

ومن وافق الحسن، قال: إن القبضة من أثر الملك، كان الله أجرى العادة بأنّها إذا طرحت على أي صورة كانت حييت، فليس ذلك بمعجزة، إنّ سبيل السامري، سبيل غيره فيه. ومن لم يجز انقلابه حياً يؤوّل^(٤) الخوار على أنّ السامري صاغ عجلاً، وجعل فيه خروفاً، يدخلها الريح، فيخرج منها صوت كالخوار. ودعاهم إلى عبادته، فأجابوه وعبدوه.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: حين تبتّم.

و«العفو»: محو الجريمة، من عفا: إذا درس.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي: بعد الاتخاذ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥): لكي تشكروا عفوّه.

وفي الآية دلالة على وجوب شكر النعمة، وعلى أنّ العفو عن الذنب بعد التوبة، نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروه.

[وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): إن الله تبارك وتعالى وعد موسى ﷺ لميقاته أربعين ليلة. فلما غاب عن قومه، اتخذوا العجل من بعده، وقصته مشهورة. ولكن قال

١. أ: فيه.

٢. نفس المصدر.

٣. أ: يزل. وفي الأصل ور: يؤل. والمصدر: تأول.

٤. نفس المصدر.

٥. شرح الآيات الباهرة ٥٧/١، تفسير الامام ٢٥١.

الإمام عليه السلام في تفسيره: إن الله ﷻ أوحى إلى موسى: يا موسى بن عمران! (ما خذل هؤلاء بعبادتي واتخاذي إلهاً إلا تهاونهم)^(١) بالصلاة على محمد وآله الطيبين وجحودهم لموالاتهم ونبوة النبي ووصية الوصي، حتى أداهم ذلك إلى أن اتخذوا العجل إلهاً. فإذا كان الله تعالى إنما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمد ووصيه علي، فما تخافون أنتم من الخذلان الأكبر في معاندتكم لمحمد وعلي. وقد شاهدتموها، وتبينت آياتهما ودلائلها.

ثم قال ﷻ: «ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون» أي: عفونا عن أولئك وعبادتكم العجل، لعلكم أيها الكائنون في عصر محمد من بني اسرائيل، تشكرون تلك النعمة على أسلافكم، وعليكم بعدهم.

ثم قال ﷻ: «وإنما عفا الله ﷻ عنهم؛ لأنهم دعوا الله ﷻ بمحمد وآله الطيبين، وجددوا على أنفسهم الولاية لمحمد وعلي وآلهما الطاهرين. فعند ذلك، رحمهم الله وعفا عنهم»^(٢).

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾: يعني: التوراة، الجامع بين كونه كتاباً وحجة، تفرق بين الحق والباطل.

فالعطف لتغاير الوصفين، أو الفرقان: معجزاته الفارقة بين الحق والباطل، أو بين الكفر والإيمان، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه، كقوله تعالى: «يوم الفرقان»^(٣) يريد يوم بدر.

وقيل^(٤): الفرقان: القرآن.

والتقدير: «وآتيناهم موسى التوراة، وآتيناهم محمد الفرقان»، فحذف ما حذف لدلالة ما أبقاه عليه.

١. المصدر: ما حد هؤلاء بعبادتهم واتخاذهم إلهاً غيري.

٢. ما بين القوسين ليس في أ. ٣. الأنفال / ٤١.

٤. مجمع البيان، ١١١/١.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٥): لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بمحمد ﷺ وبيان صفته .

[وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال الإمام ﷺ: واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب، وهو التوراة الذي أخذ على بني اسرائيل الإيمان بها والانقياد لما توجه به . والفرقان، آتيناه أيضاً، وهو فرق ما بين الحق والباطل، وفرق ما بين المحققين والمبطلين . وذلك أنه لما أكرمهم^(٢) الله بالكتاب والإيمان^(٣) والانقياد له، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى: يا موسى^(٤)! هذا الكتاب قد أقرؤا به، وقد بقي الفرقان فرق ما بين المؤمنين والكافرين والمحققين والمبطلين، فجدد عليهم العهد به . فإني آليت على نفسي قسماً حقاً، لا أقبل^(٥) من أحد إيماناً ولا عملاً إلا مع الإيمان به .

فقال موسى ﷺ: ما هو؟ يا رب!

قال الله ﷻ: يا موسى! تأخذ على بني اسرائيل أن محمداً خير البشر وسيّد المرسلين، وأن أخاه ووصيه خير الوصيين، وأن أوليائه الذين يقيمهم سادة الخلق، وأن شيعته المنقادين له، المسلمّين له ولأوامره ونواهيه ولخلفائه^(٦)، نجوم الفردوس الأعلى^(٧) وملوك جنات عدن .

قال: فأخذ عليهم موسى ﷺ ذلك . فمَنَعَهُمْ من اعتقده حقاً، ومنهم من أعطاه بلسانه دون قلبه . فكان المعتقد منهم حقاً، يلوح على جبينه نور مبين، ومن أعطاه بلسانه دون قلبه^(٨)، ليس له ذلك النور . فذلك الفرقان الذي أعطاه الله ﷻ موسى وهارون^(٩)، فرق ما بين المحققين والمبطلين .

١ . شرح الآيات الباهرة ٥٨/١، تفسير الامام ٢٥٢ .

٢ . المصدر: كرمهم . ٣ . ليس في المصدر .

٤ . ليس في المصدر . ٥ . المصدر: أنقيل .

٦ . المصدر: الخلفاء به . ٧ . ليس في ج .

٨ . ليس في المصدر . ٩ . المصدر: هو .

ثم قال الله ﷻ: «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أي: لعلكم تعلمون أن الذي يشرف به العبد، عند الله ﷻ هو اعتقاد الولاية، كما شرف^(١) به أسلافكم].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾: أي: فاعزموا على التوبة.

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: إن كان توبتهم هي قتل الأنفس. وإلا فالمراد: إتمام التوبة بالقتل.

وإنما جعل القتل توبتهم، أو من تمامها؛ إشارة إلى أن من لم يقتل عدوه - وهو النفس - يقتله^(٢) ليعتبر غيرهم، أو إشارة إلى أنهم لما صاروا من حزب العجل وتابعيه، جعلوا في زمرته؛ لأن العجل خلق للذبح.

و«الباري»: الخالق برياً من التفاوت، مع التميز، بصور وهيئات مختلفة. وأصل البرء: الخلوص للشيء من غيره، إما على سبيل التفصي، كقولهم: برئ المريض من مرضه، والمديون من دينه. أو الإنشاء، كقولهم: برأ الله آدم من الطين.

واختلف في القتل المأمور به، على أقوال:

أحدها: أن^(٣) المراد به النجع. وهو أن يقتل كل رجل نفسه، ويهلكه.

وثانيها: أن المراد به قطع الشهوات، والاستسلام للقتل على سبيل التوسع.

والثالث: أنهم أمروا بأن يقتل بعضهم بعضاً.

والرابع: أنه أمر من لم يعبد العجل، أن يقتل العبد. روي أن الرجل يرى بعضه وقريبه، فلم يقدر المضي لأمر الله، فأرسل ضابطة^(٤) وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها، فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون، فكشف السحابة ونزلت التوبة. وكانت القتلى سبعين ألفاً.

١. النسخ: يشرف.

٢. أ: لقتله.

٣. ليس في ج.

٤. ر: حباية، الأصل وج: صابة.

والخامس: أَنَّ السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور، هم الذين قتلوا من عبدة العجل سبعين ألفاً.

والسادس: أَنَّ موسى ﷺ أمرهم أن يقوموا صَفِّين، فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، وجاء هارون باثني عشر ألفاً ممن لم يعبد العجل، ومعهم الشفار المرهفة، وكانوا يقتلونهم. فلما قتلوا سبعين ألفاً، تاب الله على الباقين، وجعل قتل الماضين شهادة لهم.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ بَارِنِكُمْ﴾: من حيث أَنَّهُ طَهَّرَهُ مِنَ الشَّرِكِ وَوَصَلَهُ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: جواب شرط محذوف، إن جعل من كلام موسى.

والتقدير: إن فعلتم ما أمرتم به، فتاب عليكم. ومعطوف على محذوف، إن جعل من خطابه تعالى لهم على سبيل الالتفات؛ كَأَنَّهُ قَالَ: ففعلتم ما أمرتم به، فتاب عليكم. ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: الذي يكثر توفيق التوبة، أو قبولها.

﴿الرَّحِيمُ﴾: ⑤: المبالغ في الإنعام على التائبين.

[وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال الإمام ﷺ: وفق الله لهم والقتل لم يقض بعد إليهم، إذ^(٢) قالوا: أو ليس الله قد جعل التوسل بمحمد وآله الطيبين أمراً لا تخيب معه طلبة، ولا تردّه مسألة؟ وهكذا توسلت الأنبياء والرسل، فما لنا لا نتوسل بهم؟

قال: فاجتمعوا، وضجّوا: ياربنا! بجاه محمد الأكرم، وبجاه علي الأفضل^(٣)، وبجاه فاطمة الفضلى، وبجاه الحسن والحسين سبطي سيّد النبيين وسيدي شباب أهل الجنان أجمعين، وبجاه الذريّة الطيبة الطاهرة من آل طه ويس، لما غفرت لنا ذنوبنا، وغفرت لنا هفواتنا، وأنزلت هذا القتل عنا.

فلذلك حين نودي موسى ﷺ من السماء أن كفّ القتل؛ فقد سألتني بعضهم مسألة، وأقسم عليّ قسماً لو أقسم به هؤلاء العابدون للعجل^(٤)، وسألني بعضهم حتّى

١. شرح الآيات الباهرة ٥٩/١، تفسير الامام ٢٥٥.

٢. كذا في المصدر. وفي الأصل و: إن.

٣. المصدر: الأفضل الأعظم.

٤. المصدر العجل.

لا يعبدوه، لأجبتهم. ولو أقسم [عليّ بها ابليس لهديته، ولو أقسم ^(١)] بها ثمود وفرعون لنجّيته.

فرفع عنهم القتل، فجعلوا يقولون: يا حسرتنا! [أين] ^(٢) كنا عن هذا الدعاء بمحمّد وآله الطّيبين، حتّى كان الله يقينا شرّ الفتنة، ويعصمنا بأفضل العصمة ^(٣).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾: أي: لأجل قولك، أو لن نقرّ لك.

﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً.

وهي في الأصل، مصدر قولك: جهرت بالقراءة، استعير ^(٤) للمعانية، والجامع بينهما الإدراك بلا سائر.

ونصبها على المصدر؛ لأنّه نوع من الرؤية، أو الحال من الفاعل، أو المفعول: إمّا على مذهب غير المبرد، فمطلقاً. وإمّا على مذهبه، فلمّا مرّ من التعليل في المصدر؛ لأنّه ذهب الى أنّ الحال لا يكون مصدراً إلّا إذا كان نوعاً من عامله.

وقرئ: جهرة - بالفتح - على أنّه مصدر، كالغلبة، أو جمع جاهر، كالكتابة. فيكون حالاً.

وقيل ^(٥): إن قوله: جهرة، صفة لخطابهم لموسى عليه السلام. وتقديره: وإذ قلت جهرة، لن تؤمن لك حتى نرى الله.

وهو ضعيف.

والقائلون: هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات، وقيل: عشرة آلاف من قومه والمؤمن به: جميع ما جاء به موسى. وقيل: إن الله الذي أعطاك التوراة وكلّمك، أو إنّك نبيّ ^(٦).

١. ليس في المصدر. ولكن الكاتب أشار بعلامة إلى وجود سقط، لكنه لم يذكره.

٢. يوجد في المصدر و. ٣. ما بين القوسين ليس في أ.

٤. أ: أستعيرة. ٥. مجمع البيان، ١/١١٥.

٦. أنوار التنزيل، ٥٧/١.

فأخذتهم الصاعقة لغرط العناد والتعنّت وطلب المستحيل، فإنهم ظنّوا أنّه تعالى يشبه الأجسام، وطلبوا رؤيته، وهي محال.

روي^(١) أنّه جاءت نار من السماء فأحرقتهم.

وقيل: صيحة.

وقيل: جنود سمعوا بحسيسها، فخرّوا صعقين ميّتين يوماً وليلة.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٢): إلى ما أصابكم، أو إلى أثره.

واستدلّ أبو القاسم البلخي^(٣) بهذه الآية على أنّ الرؤية لا يجوز على الله تعالى. قال: لأنها إنكار تضمّن أمرين: ردّهم على نبيّهم، وتجويزهم الرؤية على ربّهم. ويؤيد ذلك قوله تعالى^(٤): «فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة» فدلّ ذلك على أنّ المراد إنكار كلا الأمرين.

أقول: وفي الآية، مع قوله: «فقد سألو موسى» (آه)، دلالة على أنّ الرد^(٥) على النبي واعتقاد جواز الرؤية؛ كل واحد منها علة لأخذ الصاعقة والعذاب. ومن البين، عدم التفاوت بين عدم جواز الرؤية في الدنيا وعدم جوازها في الآخرة. والمنازع، مكابر مع قضية العقل. فمعتقد جوازها في الآخرة، مشارك^(٦) معتقد جوازها في الدنيا، في علة استحقاق العذاب، كالراذ على النبي. وبذلك يثبت^(٧) كفر أهل السنة القائلين بجوازها [في] الآخرة للمؤمنين وللأفراد من الأنبياء في الدنيا.

قال البيضاوي^(٨) بعد عدّه رؤيته تعالى رؤية الأجسام من المستحيلات: بل الممكن أن يرى رؤية منزّهة عن الكيفية. وذلك للمؤمنين في الآخرة، أو للأفراد من الأنبياء في الدنيا، في بعض الأحوال^(٩).

٢. مجمع البيان، ١١٥/١.

٤. أ: على المرد.

٦. ر: يظهر.

٨. المصدر: في بعض الأحوال في الدنيا.

١. أنوار التنزيل، ٥٧/١.

٣. النساء / ١٥٣.

٥. أ: شارك.

٧. أنوار التنزيل، ٥٧/١.

[وفي تفسير علي بن ابراهيم^(١)، قوله: «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» (الآية)، فهم السبعون الذين اختارهم موسى، ليسمعوا كلام الله. فلمّا سمعوا الكلام، قالوا: لن نؤمن لك يا موسى! حتى نرى الله جهرة. فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا. ثمّ أحياهم الله، بعد ذلك وبعثهم أنبياء. فهذا دليل على الرجعة، في أمة محمد ﷺ. فإنه قال: لم يكن في بني اسرائيل شيء، إلّا وفي أمّتي مثله.

وفي كتاب الخصال^(٢)، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: من الجبال التي تطايرت يوم موسى ﷺ والصاعقة^(٣) سبعة^(٤) أجبل. فلحقت بالحجاز واليمن. منها: بالمدينة أحد وورقان. وبمكة ثور وثبير وحراء. وباليمن صبر وحصون^(٥)].^(٦)
واعلم! أن هذه الآية تدلّ - أيضاً^(٧) - على أن قول موسى ﷺ «رب أنظر إليّ»، كان سؤالاً لقومه؛ لأنّه لا خلاف بين أهل التوراة أن موسى ﷺ لم يسأل الرؤية إلّا دفعة واحدة، وهي التي سألها لقومه.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾: أحييناكم^(٨).

﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: بسبب الصاعقة.

وقيد البعث؛ لأنّه قد يكون من إغماء ونوم، لقوله تعالى: ثمّ بعثناهم.

وقيل^(٩): أنّهم سألوا بعد الاحياء أن يبعثوا أنبياء، فبعثهم الله أنبياء. وأجمع المفسرون - إلّا شاذمة يسيرة - أنّ الله تعالى لم يكن أمات موسى، كما أمات قومه. ولكن غشى عليه، بدلالة قوله تعالى: «فلما أفاق» والإفاقة إنّما تكون من الغشيان.
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١٠): نعمة التي منها ردّ حياتكم.

١. تفسير القمي، ٤٧/١.

٣. ليس في المصدر.

٥. المصدر: حضور.

٧. ليس في ج.

٩. مجمع البيان، ١١٥/١.

٢. الخصال ٣٤٤، ح ١٠.

٤. كذا في المصدر. وفي الأصل ور: شبير.

٦. ما بين القوسين ليس في أ.

٨. ليس في ج.

وفي الآية دلالة على جواز الرجعة .

وقال أبو القاسم البلخي^(١) : لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها ؛ لأن فيها إغراء بالمعاصي ، من جهة الاتكال على التوبة في الكرّة الثانية .

وأجيب بأن من يقول بالرجعة ، لا يذهب إلى أن الناس كلّهم يرجعون ، فيصير إغراء بأن يقع الاتكال على التوبة فيها . بل لا أحد من المكلفين إلا ويجوز أن لا يرجع . وذلك يكفي في باب الزجر .

[وفي شرح الآيات الباهرة^(٢) قال الإمام عليه السلام : وذلك أن موسى عليه السلام لما أراد أن يأخذ عليهم عهد الفرقان ، فرّق ما بين المحقّين والمبطلين لمحمّد بنبوته وعليّ بإمامته وللانّة الطاهرين بإمامتهم . قالوا : لن نؤمن لك أن هذا أمر ربك ، حتّى نرى الله جهرة عياناً ، يخبرنا بذلك .

فأخذتهم الصاعقة معانية ، وهم ينظرون إلى الصاعقة تنزل عليهم !

وقال الله تعالى : يا موسى ! أنا المكرم أوليائي والمصدقين^(٣) بأصفيائي ولا أبالي . وكذلك وأنا المعذب لأعدائي الرافعين^(٤) حقوق أصفيائي ولا أبالي .

فقال موسى عليه السلام للباقيين الذين لم يصعقوا : ماذا تقولون ؟ أتغلبون وتعتزفون ؟ وإلا^(٥) فأنتم بهؤلاء لاحقون .

فقالوا : يا موسى ! أتدري ما حلّ بهم ؟ لماذا أصابتهم الصاعقة ؟ ما أصابتهم لأجلك إلا أنّها^(٦) كانت نكبة من نكبات الدهر ، تصيب^(٧) البر والفاجر . فإن قلت^(٨) إنّما أصابتهم لردّهم^(٩) عليك في أمر محمّد وعليّ وآلهما ، فاسأل الله ربك بهم ، أن يحيى

١ . تراجع نفس المصدر .

٣ . المصدر : لأوليائي والمصدق .

٥ . المصدر : وتعتزفون ؟ أولاً .

٧ . كذا في المصدر . وفي الأصل ور : يصيب .

٩ . كذا في المصدر . وفي الأصل ور : بردهم .

٢ . شرح الآيات الباهرة ٦٠/١ ، تفسير الامام ٢٥٦ .

٤ . المصدر : الرافع .

٦ . المصدر : لأنّها .

٨ . المصدر : كانت .

هؤلاء المصعوقين لنسألهم لماذا أصابهم^(١) ما أصابهم!؟

فدعا الله ﷻ [فأحياهم^(٢)] وقال لقومه: سلوهم لماذا أصابهم؟^(٣) فسألوهم .

فقالوا: يا بني اسرائيل! أصابنا ما أصابنا^(٤) لا يائنا اعتقاد إمامة علي بعد اعتقادنا نبوه^(٥) محمد ﷺ . لقد رأينا بعد موتنا هذا ممالك^(٦) ربنا من سماواته وحجبه وكرسيه وعرشه وجنانه ونيرانه . فما رأينا أنفذ أمر في^(٧) جميع تلك الممالك^(٨) ولا أعظم سلطاناً من محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين . وإنا لما (متنا)^(٩) بهذه الصاعقه ، ذهب بنا إلى النيران . فتاداهم محمد وعلي : كفوا عن هؤلاء عذابكم . هؤلاء يحيون بمسألة سائل يسأل ربنا ﷻ بنا وبآلنا الطيبين .

وذلك حين لم يقذفونا في الهاوية ، وأخرونا إلى أن بعثنا بدعائك يا نبي الله موسى بن عمران! بمحمد وآله الطيبين .

فقال الله ﷻ لأهل عصر محمد ﷺ : فإذا كان بالدعاء بمحمد وآله الطيبين ، نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم ، فما يجب عليكم أن لا تعترضوا لمثل ما هلكوا به إلى أن أحياهم الله ﷻ؟^(١٠)

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغُصَامَ﴾: سَخَّرَ الله لهم السحاب ، يظلمهم من الشمس حين كانوا في التيه .

وهي جمع غمامة ، وهي السحابة . وأصله التغطية والستر ، ومنه الغم .

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾: قيل^(١١): الترنجبين .

وقيل^(١٢): الخبز المرقق .

٢ . يوجد في المصدر .

٤ . ليس في ج .

٦ . المصدر : ممالك .

٨ . المصدر : ممالك .

١٠ . ما بين المعقوفتين ليس في أ .

١٢ . مجمع البيان ، ١١٦/١ .

١ . المصدر : أصابهم .

٣ . المصدر : أصابهم .

٥ . المصدر : نبوة .

٧ . المصدر : أمر من .

٩ . المصدر : أصابنا .

١١ . أنوار التنزيل ، ٥٧/١ .

وقيل : جميع النعم التي أتتهم ممّا من الله به عليهم ، ممّا لا تعب فيه ولا نصب .
وروي عن النبي ﷺ أنّه قال : الكمأة من المنّ ، وماؤها شفاء للعين .

﴿ وَالسَّلْوَى ﴾ : السماني .

وقيل ^(١) : هو طائر أبيض يشبه السماني .

قيل ^(٢) : كان ينزل عليهم ^(٣) المنّ مثل الثلج ، من الفجر إلى الطلوع ^(٤) . ويبعثه الجنوب عليهم بالسماني .

فيأخذ كلّ انسان منهم كفايته إلى الغد ، إلّا يوم الجمعة ، يأخذ ليومين ؛ لأنّه لم يكن ينزل يوم السبت ^(٥) .

﴿ كُلُوا ﴾ : نصب على إرادة القول ، أي : وقلنا لهم .

﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ : أي : الشهيّ اللذيذ ممّا رزقناكم .

قيل ^(٦) : أو الحلال .

وهذا بناء على تناول الرزق الحرام - أيضاً - .

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ : فيه اختصار ، تقديره : فظلموا بأن كفروا هذه النعمة ، وما ظلمونا .

﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٧) : بالكفران ؛ لأنّه لا يتخطأهم ضرّه .

وكان سبب إنزال المنّ والسلوى عليهم ، على ما ذكر الشيخ الطبرسي ^(٨) أنّه لمّا

ابتلاههم بالتيه ، إذ قالوا للموسى ^(٩) : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون . حين

أمرهم بالسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة ، بقوله ^(٩) : ادخلوا الأرض المقدسة

(الخ) فوقعوا في التيه . صاروا كلما ساروا ، تاهوا في قدر خمسة فراسخ ، أو ستّة .

١ . نفس المصدر . ٢ . أنوار التنزيل ، ٥٧/١ .

٣ . أ : كان ينزل عليهم يوم السبت كلوا نصب إرادة عليهم .

٤ . كذا في المصدر وأ . وفي الأصل و ر : من الطلوع إلى الفجر .

٥ . مجمع البيان ، ١١٧/١ . ٦ . نفس المصدر ، ١١٦/١ .

٧ . مجمع البيان ، ١١٧/١ . ٨ . المائدة / ٢٤ .

٩ . المائدة / ٢١ .

وكلّما أصبحوا صاروا غادين، فأمسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا عنه. كذلك حتّى تمت المدة، وبقوا فيها أربعين سنة. وفي التيه توفي موسى وهارون. ثم خرج يوشع بن نون، وكان^(١) الله تعالى يرد الجانب الذي انتهوا إليه من الأرض، إلى الجانب الذي صاروا^(٢) منه. فكانوا يضلّون عن الطريق لأنهم كانوا خلقاً عظيماً. فلا يجوز أن يضلّوا كلّهم عن الطريق في هذه المدة المديدة هذا المقدار من الأرض. ولما حصلوا في التيه، ندموا على ما فعلوا، فألطف الله تعالى لهم بالغمام، لمّا شكوا حرّ الشمس، وأنزل عليهم المنّ والسلوى. فكان يسقط^(٣) عليهم المنّ من [وقت]^(٤) طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوهمهم.

وقال الصادق عليه السلام: كان ينزل المنّ على بني اسرائيل، من بعد طلوع^(٥) الفجر إلى طلوع الشمس. فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه، فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى طلوع^(٦) الشمس.

قال ابن جريح: وكان الرجل منهم إذا^(٧) أخذ من المنّ والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد، إلّا يوم الجمعة، فإنهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد. وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت؛ لأنّه كان لا يأتيهم يوم السبت. وكانوا يخبزونه مثل القرصة. ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن، وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار، فيدفع عنهم حرّ الشمس. وكان ينزل عليهم بالليل^(٨) عموداً من نور، يضيء لهم مكان السراج. وإذا ولد فيهم مولود، يكون عليه ثوب [يطول]^(٩) بطوله كالجلد.

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي عليه السلام^(١٠): روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن

١. المصدر: وقيل كان.

٢. أ: تساروا.

٣. أ: يسوق.

٤. يوجد في المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٦. المصدر: بعد طلوع.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ان.

٨. المصدر: في الليل من السماء.

٩. يوجد في المصدر.

١٠. الاحتجاج، ١/٣٢٥.

آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام: إِنَّ يَهُودِيًّا مِنْ يَهُودِ الشَّامِ وَأَحْبَارِهِمْ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام في (١) أَثْنَاءَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ قَدْ أُعْطِيَ الْمَنْ وَالسُّلُوى، فَهَلْ فَعَلَ بِمُحَمَّدٍ نَظِيرَ هَذَا؟

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عليه السلام: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ. وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَحَلَّ لَهُ الْغَنَائِمَ وَلَأَمَّتْهُ، وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ قَبْلَ. فَهَذَا أَفْضَلُ مِنَ الْمَنْ وَالسُّلُوى.

قَالَ لَهُ الْيَهُودِي: فَإِنَّ مُوسَى عليه السلام قَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ الْغَمَامُ!

قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عليه السلام: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِمُوسَى فِي التَّيِّهِ. وَأُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ الْغَمَامَةَ كَانَتْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ تَظْلَةً مِنْ يَوْمٍ وَلَدَ إِلَى يَوْمٍ قَبْضَ، فِي حَضْرِهِ وَأَسْفَارِهِ. فَهَذَا أَفْضَلُ مِمَّا أُعْطِيَ مُوسَى عليه السلام.

[وَفِي شَرْحِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ (٢): قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَاذْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ! «إِذْ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ» لَمَّا كُتِمَ فِي التَّيِّهِ، يَقِيكُمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَبَرْدَ الْقَمَرِ. «وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسُّلُوى» (٣) وَهُوَ التَّرَنْجِبِينَ وَالسُّلُوى طَيْرُ السَّمَاءِ (٤) «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ».

وَاشْكُرُوا نِعْمَتِي، وَعَظَّمُوا مِنْ عَظَمَتِهِ، وَوَقَرُوا مِنْ وَقَرَّتِهِ. وَأَخَذَتْ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ وَالْمَوَاقِيقَ لَهُمْ، مُحَمَّدًا وَآلَهُ الطَّيِّبِينَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عِبَادَ اللَّهِ! عَلَيْكُمْ بِاعْتِقَادِ وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَلَا تَفَرَّقُوا بَيْنَنَا. وَانْظُرُوا كَيْفَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، حَيْثُ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحُجَّةَ، يَسْهَلُ (٥) عَلَيْكُمْ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ. ثُمَّ وَسَّعَ لَكُمْ فِي التَّقِيَّةِ لِتَسْلَمُوا مِنْ شُرُورِ الْخَلْقِ. ثُمَّ إِنْ بَدَلْتُمْ وَغَيَّرْتُمْ، عَرَضَ عَلَيْكُمُ التَّوْبَةُ، وَقَبْلُهَا مِنْكُمْ. فَكُونُوا لِلنِّعْمَاءِ اللَّهُ شَاكِرِينَ (٦).

٢. شرح الآيات الباهرة ٦١/١؛ تفسير الإمام ٢٥٨/.

١. ليس في ج.

٤. كذا في المصدر، وفي الأصل ور: السماء.

٣. ليس في ج.

٦. ما بين المعقوفتين ليس في أ.

٥. المصدر: ليسهل.

الفهرس

□ سورة فاتحة الكتاب

الآيات ١-٢..... ٥٢-٦٨	الآية ٩..... ١٨٨-١٩٥
الآية ٣..... ٦٨-٩٠	الآية ١٠..... ١٩٥-٢٠٣
الآية ٤..... ٩١-٩٤	الآية ١١..... ٢٠٣-٢٠٥
الآية ٥..... ٩٤-١٠٠	الآية ١٢..... ٢٠٥-٢٠٦
الآية ٦..... ١٠٠-١٠٨	الآية ١٣..... ٢٠٧-٢١١
الآية ٧..... ١٠٨-١٢٠	الآية ١٤..... ٢١٢-٢١٤
	الآية ١٥..... ٢١٤-٢١٨

□ سورة البقرة

الآية ١..... ١٢٤-١٣٤	الآية ١٦..... ٢١٨-٢٢١
الآية ٢..... ١٣٤-١٤٢	الآية ١٧..... ٢٢١-٢٢٨
الآية ٣..... ١٤٢-١٥٢	الآية ١٨..... ٢٢٨-٢٣١
الآية ٤..... ١٥٢-١٥٨	الآية ١٩..... ٢٣١-٢٤٠
الآية ٥..... ١٥٨-١٦٥	الآية ٢٠..... ٢٤٠-٢٤٩
الآية ٦..... ١٦٥-١٧٣	الآية ٢١..... ٢٤٩-٢٥٤
الآية ٧..... ١٧٣-١٨١	الآية ٢٢..... ٢٥٤-٢٦٤
الآية ٨..... ١٨١-١٨٨	الآية ٢٣..... ٢٦٤-٢٧٤
	الآية ٢٤..... ٢٧٤-٢٧٩

الآية ٢٥ ٢٨٩ - ٢٧٩	الآية ٤٢ ٣٨٣ - ٣٨٤
الآية ٢٦ ٢٨٩ - ٣٠٤	الآية ٤٣ ٣٨٤ - ٣٨٦
الآية ٢٧ ٣٠٤ - ٣٠٨	الآية ٤٤ ٣٨٦ - ٣٩٠
الآية ٢٨ ٣٠٨ - ٣١١	الآية ٤٥ ٣٩٠ - ٣٩٢
الآية ٢٩ ٣١١ - ٣١٧	الآية ٤٦ ٣٩٢
الآية ٣٠ ٣١٧ - ٣٣٦	الآية ٤٧ ٣٩٢ - ٣٩٣
الآية ٣١ ٣٣٦ - ٣٤٠	الآية ٤٨ ٣٩٣ - ٣٩٦
الآية ٣٢ ٣٤٠ - ٣٤٢	الآية ٤٩ ٣٩٦ - ٤٠٢
الآية ٣٣ ٣٤٢ - ٣٤٤	الآية ٥٠ ٤٠٢ - ٤٠٦
الآية ٣٤ ٣٤٤ - ٣٥٢	الآية ٥١ ٤٠٦ - ٤١٠
الآية ٣٥ ٣٥٢ - ٣٥٥	الآية ٥٢ ٤١٠ - ٤١١
الآية ٣٦ ٣٥٥ - ٣٦٣	الآية ٥٣ ٤١١ - ٤١٣
الآية ٣٧ ٣٦٣ - ٣٧٧	الآية ٥٤ ٤١٣ - ٤١٥
الآية ٣٨ ٣٧٧	الآية ٥٥ ٤١٥ - ٤١٧
الآية ٣٩ ٣٧٧	الآية ٥٦ ٤١٧ - ٤١٩
الآية ٤٠ ٣٧٧ - ٣٨١	الآية ٥٧ ٤١٩ - ٤٢٢
الآية ٤١ ٣٨١ - ٣٨٣	